

كَلِمَاتُ سَيِّدِ النُّوْسِ

٦

# الْمَشْنُونُ فِي الْحَقِّ وَالنُّوْسِ

تَأَلَّفَ

بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدُ النُّوْسِ

دَارُ سُوْزَلَرِ لِلنَّشْرِ

**Sözler**  
PUBLICATIONS

تَحْقِيقُ

إِحْسَانُ قَاسِمِ الصَّالِحِي

المَشْنُونُ الْعَجْزِيُّ

<b>عنوان الكتاب :</b> <b>المثنوي العربي النوري</b>	<b>TITLE :</b> <b>MESNEVİ-İ NURİYE</b>
<b>تأليف :</b> <b>بديع الزمان سعيد النورسي</b>	<b>AUTHOR :</b> <b>BEDIUZZAMAN SAID NURSI</b>
<b>تحقيق :</b> <b>إحسان قاسم الصالحي</b>	<b>TAHQIQ :</b> <b>IHSAN KASIM SALIHI</b>
الترقيم الدولي : ٩٧٧-٥٣٢٣-٧٨-٩	<b>ISBN :</b> 977-5323-78-9
رقم الإيداع : ٢٠٠٤ / ١٥١٦٦	<b>ARCHIVE NO :</b> 2004 / 15166
الطبعة : السادسة (٢٠١١)	<b>EDITION :</b> SIXTH (2011)
حقوق الطبع محفوظة للنشر	<b>ALL RIGHTS RESERVED</b>
<b>الناشر :</b> شركة سوزلر للنشر	<b>PUBLISHER :</b> <b>SÖZLER PUBLICATIONS</b>
<b>العنوان :</b> ٣٠ شارع جعفر الصادق الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة جمهورية مصر العربية	<b>ADDRESS :</b> 30 Gafar El-Sadek St. 7 <sup>th</sup> Nasr City Cairo Egypt
تليفاكس : ٢٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢) +	<b>Tel&amp;Fax:</b> +(202) 22602938

[www.sozler.com.tr](http://www.sozler.com.tr)

e-mail: [darsozler@gmail.com](mailto:darsozler@gmail.com)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

### العالم الفاضل محمد فتح الله كولن

ترجمة: أورهان محمد علي

إنني سعيد جدا لإتاحة الفرصة لي لكتابة كلمة تعريف لـ «الثنوي العربي النوري» لـ «بديع الزمان سعيد النورسي». فمن الواجب دراسة هذه الشخصية السامقة دراسة جدية وواسعة، وتعريفها وتقديمها إلى الإنسانية جمعاء. ذلك لأن «بديع الزمان سعيد النورسي» يقف في مقدمة صفوف مفكري هذا القرن من الذين قدموا -وبشكل مؤثر ونقي ودون شوائب- العقيدة التي يعتنقها العالم الإسلامي، وحياته الروحية العريضة، ومعاييره المعنوية الواسعة. ونحن لا نعتقد بأننا نستطيع فهمه أو فهم أفكاره إن اقتربنا منه ومن أفكاره بشكل عاطفي، فمثل هذا الأسلوب لن يكون أسلوبا جديا في فهم المسائل التي طرحها والتي دافع عنها طوال حياته دفاع الأبطال، فقد كان طوال حياته إنسانا يعيش تحت ظل الكتاب والسنة ويخلق بأجنحة المنطق والتجربة، ومع عمق عالمه العاطفي، وقلبه المشبوب بالعشق الإلهي فقد ظل على الدوام رجل عقل ومنطق.

لقد قيل وكُتب الشيء الكثير حتى الآن عن سمو أفكاره وعن فهمه لطبيعة عصره، وبساطته، وروحه الإنسانية الواسعة، وعن وفائه وارتباطه بأصدقائه، وعن عفته وتواضعه وزهده واستغنائه عن الجميع. ويمكننا أن نقول بأن كل وصف من هذه الأوصاف المذكورة أعلاه يمكن أن يكون موضوع كتاب مستقل، وهي أوصاف طالما اهتم بها في كتبه وأكد عليها. ثم إن هناك العديد من الشهود الأحياء، وهم طلابه الذين سعدوا بالعيش بقربه وتعرفوا على عمق عالمه الروحي وسعته.

ومع أن مظهره الخارجي كان متواضعا جدا في غاية البساطة إلا أنه كان صاحب تفكير عميق، وصاحب حركة نشطة وقوية قل نظيرها؛ فقد قام باحتضان الإنسانية كلها متناولا

مشاكلها الحيوية، ومتحديا الكفر والضلال، ومُعلنًا الحرب على الاستبداد وعلى الدكتاتورية، مسترخصا روحه في سبيل وفائه وخلقه الشجاع، وكان استقباله الموت ببشاشة وبابتسام سلوكا اعتياديا عنده.

وبجانب مشاعره الإنسانية الغنية فقد بقي في دعوته مرتبطا بالكتاب والسنة، مع الأخذ برقبة العقل والمنطق. لذا فقد تجلّى في مظهره وسلوكه جانبان:

جانبُ العاطفة المشبوبة إلى درجة الوجد والعشق وصفة الرجولة والشجاعة.. ثم جانبُ رجل الفكر صاحبِ العقلية الفذة الذي يسبق معاصريه بنظراته الثاقبة وبخططه ومشاريعه الكبيرة.

إن فهم «سعيد النورسي» وفهم دعوته من هذه الزاوية يفيدنا في فهم معنى العصر الذي نعيش فيه.

وعلى الرغم من قيام البعض بتناسي هذا، فإن الحقيقة هي أن «سعيد النورسي» عُدّ من أفضل مفكري وكتّاب جيله وعصره، واستطاع أن يكون قائدا للجهاهير ومتحدثا باسمها، ولكنه لم يُعجب بنفسه، ولم يهتم بالمظاهر، وبَدَل كلِّ جهوده للابتعاد عن الشهرة والصيت، لذا فالقول المأثور عنه: «الشهرة عين الرياء وموت للقلب» ليس إلّا حكمةً ذهبية واحدة من بين حِكَمه العديدة في هذا الموضوع.

لقد استطاع «سعيد النورسي» أن يكون -مع بضعة آخرين- في رأس قائمة الكتّاب والمفكرين في طول العالم الإسلامي وعرضه في القرن العشرين، وأن تكون كتبه مقروءة بشوق وبحب من قبل مختلف المستويات، وأن يكون من الشخصيات التاريخية التي لا تبلى مع الزمن ولا تُنسى مع الأيام.

إن جميعَ كتب «بديع الزمان» ومؤلفاته محصولٌ لجهد فكري كبير في تفسير وتناول بعض الأمور -القابلة للتأويل- من زاوية العصر الذي ولد فيه. وتستطيع أن تقرأ وتسمع في كتبه صرخات ألم الأناضول والعالم الإسلامي وأنينهما، وكذلك أصوات البشائر وزغاريد أمل الأناضول والعالم الإسلامي.. صحيح أنه ولد في قرية نائية من قرى إحدى الولايات الشرقية في تركيا إلّا أنه أحس دائما أنه ابن الأناضول، وأحس بنبض مشاعرنا كابن مرموق

من أبناء إسطنبول، ولكنه في جميع الأحوال كان يضم البلاد كلها إلى صدره بكل حنان وعطف ومحبة.

عاش «بديع الزمان» في فترة عاصفة سادت فيها الفلسفة المادية، وانتشرت فيها الشيوعية انتشار النار في الهشيم.. فترة ادلهمت فيها الخطوب وحلَّت فيها الظلام.. في هذه الفترة العصيبة قام «بديع الزمان» -بكتبه ومؤلفاته- بنفخ روح الأمل والإيمان في إنسانٍ عصرنا المضطرب، وبارشاده إلى طرق الإيمان والأمل. ونَفَخ في الجماهير في كل مكان زاره روح البعث بعد الموت والحركة بعد الجمود.

لقد رأى بثاقب بصره أن أهم مشكلة يجب تناولها وحلّها هي مشكلة الفوضى النابعة من الكفر والإلحاد، لذا قضى حياته كلّها وهو يؤكد لإنسان عصرنا ضرورة معالجة هذا الداء، وصَرَف جهدا يفوق طاقة البشر في هذا الخصوص، فقد كان على وعي كامل بالمسؤولية الملقاة على عاتقه في هذا العالم الذي وجده يتلوّى أمامه من آلام الأزمات الخائقة والمشاكل المزمنة.. وعندما تصدى لحمل هذا العبء الذي تُشفق الجبال من حملة، تصدى لذلك بكل تواضع وحياء، ولكن بكل ثقة وبكل اطمئنان أيضا بقدرة الله المطلقة وغناه اللامحدود.

أجل، لقد عاش في الوقت الذي أصبح فيه العلم والفلسفة أداة لدفع الناس نحو الإلحاد، وفي الوقت الذي تم فيه غسل الأدمغة بالشيوعية، والذي كان يُنفى فيه ويُهجّر من يرفع صوته ضد هذه السلبيات من مدينة لمدينة ومن بلدة إلى أخرى، إذ عاش الوطن فترة تهجير مُخجّلة. والأغرب من هذا أن كل هذه العمليات كانت تحدث باسم المدنية والمعاصرة.

في أثناء تلك الأيام السوداء التي انقلبت فيها المفاهيم حتى أصبحت الحركة الفوضوية حركة واسعة منتشرة تحمل سحرا وجاذبية.. في تلك الأيام انتصب «بديع الزمان» أمامنا يسلط الضوء على دخائل أنفسنا وكأنه طبيب حاذق.. يُرينا سجون أنفسنا.. وأغلال أرواحنا.. جرائمنا وجنایاتنا.. قیامًا بأسر أنفسنا بأنفسنا.. يُسلط الضوء على الجوانب الإنسانية الهامدة في أعماق أرواحنا وفي عوالم ضمائرنا.. فأثار في قلوبنا الشوق إلى السمو، وبعث فيها نبض الحياة ودفق الأمل.. وأوضح أمام جميع الأنظار أن في أعماقنا علاقة وصلّة مع العوالم الأخرى وارتباطا بها، ووهب لنا كل ثمرات المدارس والتكايا والزوايا وحلقات العلم والدراسة.

أجل، ففي عهد كانت الأمة فيه تتقلب ألما من السقوط ومن الضحالة الفكرية، والتي أصبحت فيه الآلام الاجتماعية عُقدة مستعصية، وظهرت كل يوم ماثت من الحوادث المفزعة في كل ناحية من أنحاء البلاد، وتهدمت كل المعايير والمفاهيم الإسلامية والمالية، وأصبحت أنقاضا فوق أنقاض.. في مثل هذا العهد المظلم العاصف كان «بديع الزمان» يفكر ويبحث عن الحلول، ويشخص الأمراض ثم يكتب الوصفات لها بأي طبيب حاذق. لقد رأى الأجيال البائسة وهي تنن تحت ثقل البلايا الهائلة التي أفرزتها الأعوام الطويلة المظلمة، وكيف أنها تاهت وضلت سبيلها في أودية الضلالة ودروب الإلحاد. وكيف أنها كلما أرادت الخلاص والنجاة انغرست في أزمت أسوأ وغرقت في مشاكل أفظع.. رأى هذا وأحس بالآلام هذه الأجيال في أعماق روحه، فعاش حياته وهو في انفعال وفورانٍ روحي، يفكر ويبحث على الدوام ليقدم حُلولا بديلةً للدولة وللمجتمع، وينبه هذه الأمة البائسة ويذكرها أنها وإن كانت الآن تعيش الحظَّ إلا أنها أمة عريقة في المجد وغنية بالبطولات.

قام «بديع الزمان» منذ عهد الدولة العثمانية بالتجوال في معظم أرجاء البلاد؛ من مدنها الكبيرة إلى قراها الصغيرة.. ومن المناطق المزدهمة بالسكان إلى المناطق النائية.. رأى الجهل ضاربا أطنابه في كل مكان، ورأى الناس يتجرعون آلام الفقر.. رأهم شيعا وأحزابا يأكل بعضهم بعضا.. ارتعش فزعا مما رآه، ولأنه كان رجلَ فكرٍ ونظرٍ ثاقب أدرك طبيعة عصره وفهمها بعمق، لذا حاول أن يثبت في الجماهير آنذاك روح العلم، واهتم بأسباب المشاكل الاقتصادية وعوامل الفقر والحاجة، وبحث عن حلولٍ لأسبابِ فرقة أمتنا وعن علاج لخلافاتها، وأكد دائما على ضرورة الوحدة والاتفاق، وكان مع هذه الأمة على الدوام، ولم يدعها وحيدة في تلك الأيام العصيبة لحظة واحدة. وفي كل مكان وطئته قدماء كان يهتف بملء فيه: «إن لم تُعالج الآن هذه المشاكل المتداخلة بعضها في البعض الآخر، وإن لم تُضمَد هذه الجروح بأيدي متخصصة ماهرة، فإن أمراضنا ستزمن وتستعصي على العلاج، لذا لا بد من تشخيص كل مشاكلنا العلمية والاجتماعية والإدارية، وتحليل كل عللنا المادية والمعنوية لوصف العلاج الشافي لها، إذ لا بد من إيقاف هذه المشاكل وإنهاء هذه العلل التي تقوّض بنيتنا وتهدد بقاءنا وتهز قواعدَ وأسسَ وجودنا».

كان «بديع الزمان» يرى أن منبع جميع الشرور والسيئات آنذاك - كما هي الآن - هو الجهل والفقر والتشتت والاختلاف. أجل، لقد كان الجهل هو العامل الأول في الضائقات الاجتماعية والدافع الأول لبؤس الأمة. ونعني بالجهل هنا الجهل بالله وعدم معرفة النبي ﷺ وعدم المبالاة بالدين وعدم مشاهدة قوانا المادية والمعنوية والتاريخية.. مثل هذا الجهل كان من أكبر المصائب والبلايا المسلطة على رؤوسنا، لذا صرف «بديع الزمان» عمره في محاربة هذه الجرثومة القاتلة، إذ رأى أنه ما لم تجهز الجماهير بالعلم والمعرفة، وما لم يتعود المجتمع على التفكير المنظم، وما لم تُجابه تيارات الأفكار المنحرفة، فمن العبث الأمل في خلاص هذه الأمة.

أجل، أليس الجهل هو السبب في انفصام الكون عن القرآن وانفصام القرآن عن الكون؟.. انفصاما أصبح أحدهما يتيا في سجون الأرواح المتعصبة التي لا تفهم أسرار الوجود ولا تدرك سر الأشياء والحوادث، وتحول الآخر إلى حالة فوضى في يد أجهل الجهال الذين يبحثون عن كل شيء في المادة ولا يرون غيرها، وانطمست أعينهم وعميت عن رؤية المعاني.. ثم ألم يكن الجهل هو السبب في انسحاق هذه الأمة تحت وطأة الفقر والحاجة على الرغم من أراضيها الخصبة وأنهارها الفيضة وسهولها ومراعيها؟ أليس الجهل هو الذي جعلنا فقراء معدمين ومديونين بديون قاصمة للظهر مع وجود كل هذه المعادن النفيسة غير المستغلة تحت الأرض في كل أرجاء بلادنا، ومع وجود كل أسباب الغنى والثروة سواء منها ما تحت الأرض أو الموجودة منها فوق سطحها؟

أجل، فمنذ أعوام طويلة كانت هذه المصيبة التي أذلت أمتنا هي السبب في أن عمالنا وفلاحينا - على الرغم من بذلهم كل طاقاتهم - لا يحصلون على المقابل الحقيقي لجهودهم ولا على بركة هذا الشيء القليل في أيديهم، وتمضي حياتهم في ضنك وفي ضيق، ولا يعرفون طعما للسعادة.

وكان من نتيجة هذا الجهل، وكذلك من نتيجة الفرقة - النابعة أيضا من الجهل - أننا ابتُلينا في أطراف عديدة من هذه الدنيا بصنوف من الظلم والذل والهوان والعلل، فسالت الدماء واغتصبت الأعراض، ومع ذلك فقد فشلنا - في هذه الدنيا التي تتقلب فيها أوضاع التوازن الدولي - أن نخلص أنفسنا من قبضة الخلاف والانقسام والتشتت لكي نوقف هذه

المآسي والفواجع، ولا نستطيع مد يد العون إلى العالم الإسلامي، ولا نستطيع الارتقاء إلى مستوى العصر في حل مشاكله المستمرة في التفاقم، والتي تجرّه إلى مهاوٍ خطيرة ومزالق رهيبية. وبينما تتلوى الأمة جميعها في شباك هذه الأمراض والعلل المهلكة، نرى أن قسما من الذين سكرت وثملت أرواحهم وانبهرت أبصارهم بتقدم الغرب المادي الظاهري -بدلا من ملء أدمغتهم بالعلوم وقلوبهم بالحقائق الدينية للوصول إلى الغنى المادي والمعنوي- فضلوا التعامي عن كل قيمنا الدينية والمالية الحيوية التي هي مصادر قوتنا وعوامل منعتنا وتناسوها، وفضلوا السير في طريق التقليد الأعمى الذي يسلب الشعب وجماهير الأمة كلّ سجية دينية أو مالية، وكلّ وعي بالتاريخ وكل فضيلة وميزة أخلاقية. وفي نظري أن هذا الطريق الذي سلك بهدف إنقاذ الأمة كان طريقا خاطئا وضارا، وفُتِح في صدر الأمة وروحها جروحا لا تلتئم.

ففي الحالة الأولى عاش إنساننا لسنوات طويلة في كابوس مرعب، وفي الحالة الثانية خسرنا كل فضائلنا المالية وأصالتنا الروحية ومصادر قوتنا الدافعة.

تصدى «بديع الزمان» منذ بداية حياته وحتى انتقاله في مدينة «أورفة» إلى الرفيق الأعلى لكلا هذين الفريقين ولطرق سلوكهم ومعالجتهم للأمر، ولكل النتائج الوخيمة التي أفرزتها طرق المعالجة الخاطئة هذه، وفُتِح بمبضع الطبيب الجراح قبح وصديد قرن كامل، وشخص المصائب والبلايا التي أنتجها هذا القبح وهذا الصديد، ثم أشار إلى الدواء الناجع والعلاج الشافي لينقذ إنسان هذه الأمة من السقوط والضياع. لقد ظل «بديع الزمان» أمينا طوال حياته لمبادئه هذه التي كرّر بكل إخلاص وتفانٍ ووفاء ذكرها وتقديمها على الدوام.

إن إدخال أفكار جديدة وترسيخها في ذاكرة المجتمع وفي فكرها أمر شاق ومهمة صعبة كصعوبة قلع الأفكار والمبادئ والقيم المتوارثة -صحيحة كانت أم خاطئة- من الماضي، التي ترسخت في داخل المجتمع حتى أصبحت تجري في عروقه مجرى الدم. ولا شك أن الجماهير بقيت تحت تأثير مثل هذه الأفكار المنتقلة إليها من الماضي -سواء أكانت هذه الأفكار صالحة أم طالحة- حيث أدّت هذه الأفكار والآراء دورا مهما في تشكيل حياتها الاجتماعية والفردية وتوجيهها، وأصبحت هذه الجماهير تشعر بالنفور من كل فكر لا يتماشى مع هذه الأفكار

المعتادة ولا يتلاءم مع المشاعر والعواطف العامة، وتحاول الابتعاد عنها. إنَّ مثل هذا الشعور ومثل هذا التصرف يكون خاطئاً في بعض الأحيان. ذلك لأنه في حالة تَبَيَّنَ الجماهير لأفكار خاطئة وعادات سيئة وتقاليد ضارة وتجذُّر هذه الأفكار والعادات والتقاليد في بنيتها وتسلسلها إلى مختلف جوانب حياتها فإن من الضروري التصدي لهذه الأفكار المنحرفة والقناعات الخاطئة ومحاربتها وتصفيتها من الأذهان وتخليه القلوب منها وتحليتها بالخصال الحميدة لكي تستطيع الأمة السير بأمان وثقة نحو المستقبل.

لقد حمل «بديع الزمان» هذه الأفكار منذ شبابه المبكر. وعدَّ إخفاء أيِّ حقيقة في هذا الموضوع -مهما كانت صغيرة أو جزئية- خيانةً لأُمته ولأبناء أُمته. لذا وقف أمام كل الأفكار وكل القرارات الخاطئة رافعا يديه إلى أعلى مشيراً بهما إشارة التحذير وهاتفا بكل قوته: «احذروا! هذا طريق مسدود».

كانت فطرته حساسة جدا ضد ما يناقض القيم الدينية، مع نظرة بعيدة المدى وهمة عالية لا توجد إلا عند أولي العزم من الرجال. فصاحب قلبٍ شجاعٍ مثله ما كان ليستطيع ألا يحرك ساكنا وهو يشاهد اضمحلال أمة عريقة مجيدة وذويانها، لذا لم يدخر وسعا في توجيه الأنظار إلى عيوبنا كأمة وإلى أعمق أسباب الهلاك والاضمحلال وأدقها، لتقوم الأمة بمحاسبة نفسها ومحكمة ذاتها. لقد ذكرها مرارا وتكرارا بعوامل الانقراض والفناء، وقدم إليها صفات النجاة والخلاص دون أن يُخفي عنها أمرَ الحقائق وأكثرها إيلا ما للنفس، ودون أن يتردد في هذا أيّ تردد، لذا فقد واجه القناعات الخاطئة والأفكار المتعقنة، وناضل طوال حياته ضد كل الموانع التي تمنع انتشار أنوار الحقيقة.

في تلك الأيام الحالكة السواد التي لم يكن هناك من يتجرأ على التفوه بأي شيء حول الحقائق الدينية، قام هو بإيقاظ الجماهير التي أُريدَ تخديرها وتنويمها، فأعلنَ الحرب على الجهل والفقر والفرقة، وهزَّ أركان الأوهام الكثيرة المختلفة التي أحاطت بالمجتمع، فكما أعلن حربا ضروسة ضد الإلحاد وإنكار الخالق، فقد أغرق الأباطيل والخرافات في تناقضاتها وسدَّ الأبواب أمامها. وبشجاعة منقطعة النظر قام بتشريح مشاكلنا وعِلَلِنَا المزمِنَة منذ عدة عصور، وقَدَّم طرق علاجها والشفاء منها.

ولقد قام بعملية كيٍّ للرياء وللمظاهر الكاذبة المستشرية عندنا منذ ما يقارب مئتي سنة، ذلك لأن «آخر الدواء الكي». وذكر أموراً جديدة وجدت صداها في النفوس بدءاً من رجال قصر السلطان وانتهاءً إلى رؤساء العشائر في الولايات الشرقية، ومن منتسبي المشيخة الإسلامية إلى رئاسة أركان حرب القوات المسلحة، فجمع أنظار جميع طبقات الشعب إليه. ومع أنه كان يتجنب الظهور والشهرة بطبيعته، إلا أن طبيعة الأمور كانت تؤدي إلى هذه النتيجة.

نبّه «بديع الزمان» جميع مستويات الشعب وطبقاته بأن عليها أولاً كسر أغلال روحها قبل أن تجرد السيف من الغمد للجهاد، وبشر الشباب ببعث جديد للحياة فدّ لهم على الطرق المؤدية إلى لفكر الإسلامي. ومما لاشك فيه أنه كان يخشى من تمزق الوطن من الناحية الجغرافية وانقسامه وتقلصه خشيةً شديدة، ولكنه كان يخشى أكثر من العوامل التي تؤدي إلى هذه النتيجة المفجعة، بضمور الأفكار وسفالة الروح والتقليد الأعمى للغرب.

دعا «بديع الزمان» إلى القراءة والمطالعة والتفكير، وإلى السعي والحركة لينقذ أفراد الأمة من ضنك العزلة، وليشكل مجتمعاً سليماً معافىً، وأمة متينة البنية، وأكد على التعليم الذي رآه ضرورة قصوى لرفع الوطن والإنسان إلى الذروة التي أشار إليها.. فدعا إلى طبع الكتب ونشرها، وإلى نشر المعارف بكل أشكالها في كل مكان، وإلى نشر التعليم والتربية، إذ كان يرى اشتراك المساجد والمدارس الدينية ومعسكرات الجنود والسجون وكافة مرافق المجتمع في تعبئة عامة للتعليم، فبالمعارف وحدها يمكن تحقيق الوحدة العقلية والفكرية، إذ كان يرى أن العقول إن لم تتألف مع بعضها أولاً فلا يمكنها أن تقطع معاً شوطاً كبيراً في الطريق. ويجب أن تتحد الضمائر والمشاعر أولاً لكي تتحد القلوب والأيدي فيما بعد. والطريق إلى مثل هذه الوحدة يكون بتناول الحياة حسب مبادئ الدين وقيمه، وحسب الكتاب والسنة وطريق السلف الصالح واجتهادهم، على أن تفسر الأمور الجديدة والمستحدثة حسب إدراك العصر وضرورته.

أجل، لا بد أن يتعرف الإنسان على ما جلبه العصر من المعاني والتفسيرات، وأن يتواءم معها. فإن انزويها وتوقعنا على أنفسنا في الوقت الذي تنطلق فيه الدنيا في طريقها وفي سبيلها



فإن هذا يعني الموت بالنسبة إلينا. فمن أراد عيش الحياة الحالية فإن عليه أن يجد الطريقة التي يستطيع بها تأسيس التناغم والملائمة بين شلالات الحياة المنطلقة وبين إرادته وسعيه. وإلا فإن مقاومة تيار الكون العام لا يؤدي إلا إلى تلف المقاوم وفنائه.

لو أن «بديع الزمان» حظي بدعم بضع مئات من المثقفين وهو ينشر رسائله في أرجاء البلاد، ووجد منهم سندا لأفكاره فلربما كنا من أغنى الأمم وأكثرها مدنية، ومن أقدرها على حلّ المشاكل التي تعرض لها، -ولكننا دخلنا المرحلة الحالية منذ ذلك الوقت، أي منذ بداية القرن العشرين- ولَمَّا جابهتْنا المشاكل الحالية العديدة. ومع كل هذا فنحن نحمل آملا كبيرا، لأننا نرى أن الذين ينظرون إلى أمتنا وكأنها فقدت كل جذورها المعنوية هم على خطأ كبير.. صحيح أننا تأخرنا مثل غيرنا من الأمم الأخرى وضعفنا، فليس في وسع أحد إنكار هذا، ولكن ليس في وسع أحد أيضا أن ينفي قدرتنا على النهوض ومتابعة التقدم مرة ثانية، فلقد بدت أنوار اليقظة والانتباه تلتصع في أرواحنا كأمة بدلا من روح الكسل والخمود، إذ بدأ دفء الحياة ونبض النشاط والحيوية يتسلل إلى أرواحنا التي كانت قد ضعفت نتيجة الميل إلى الكسل والإخلال إلى الأرض، إذن فلا شك أن أيام الربيع المشرقة الخضراء، على الأبواب. غير أننا في انتظار أبطالٍ من أمثال «الخضر» ليفرش سجادة الصلاة على سفوحنا، وأمثال «إلياس» لينشر شراعه نحو الآفاق البعيدة دون خوف أو وجل.. كان «بديع الزمان» معلِّما في هذا الأمر.

يقال «إن العبقري لا يختار» فهو لا يقول: «سأعمل هذا ولا أعمل ذاك» ولا يُصدِر حكما: «لنعمل هذا لأنه مفيد ولا نعمل ذاك لأنه ضار»، ذلك لأن الشخص العبقري يملك موهبة إلهية، وقوة دافعة ذاتية (لدنية) وشوقا يستطيع بها معرفة كل الحاجات الظاهرة أو الباطنة، الروحية منها والاجتماعية، وأن يحتضنها، ويتصدى بقوة وطاقمة متعددة الأوجه التي خزنها في روحه لحمل عبء وظائف عديدة، فهو بهذه الأوصاف شخص خارق بطبيعته وفطرته.. والذين دققوا شخصية «بديع الزمان» والكتب التي تركها وراءه يرون اجتماع جميع عناصر العبقرية وصفاتها فيه، فهو اعتبارا من سنوات شبابه التي قدم فيها للناس حوله كتبه الأولى التي تعد من أولى علامات عبقريته، ووصولاً إلى كتب مرحلة النضوج والتكامل والتي قضاها في المحاكم والسجون والمنفى.. في كل هذه الكتب نرى أنه حافظ على مستوى القمة والذروة، وتحدث دائما حديث شخص عبقري ذي قابليات غير اعتيادية.

كان كتاب «المثنوي» من أوائل كتبه؛ لذا نجد وجود جذور أفكاره هنا، فكل فكرة في هذا الكتاب - التي كانت مثل جنين أو برعم أو نبتة صغيرة أو كقطرة من قطرات فكره النير - أصبحت فيما بعد نهراً متدفقا وشلالاً هادراً أو بستاناً عبقّ الأرجاء بالورود أو كغابة سامقة الأشجار ملتفة الأغصان والأوراق، حرّكت الجوانب الإيمانية والفكرية والمشاعر الرقيقة لأصدقائه وأثارتها، وقذفت في قلوب أعدائه الرعب والفرع.

من أوائل أنفاسه التي نفخها في أرواحنا فأثارتها، وإلى قلوبنا فرسمت فيها معاني جديدة ملونة وبراقة وحفرت فيها خطوطاً مضيئة، نقدم بعض الأمثلة بمثابة قطرة من بحر أو لمعة من شمس أو مسحة من عالم الوجود انعكست في مشاعرنا ووجدت هناك صداها:

إنّ أكبر حقيقة في الدنيا، في رأي «بديع الزمان» - وفي رأي كل المفكرين المسلمين - هي حقيقة الإيمان وحقيقة التوحيد. فالوجود كله - في منظومة تفكير «بديع الزمان» - ليس إلا مثل آلة نسيج تنسج حقيقة التوحيد، وتنقش المعاني الإلهية نقشاً نقشة وزخرفة زخرفه، وتنسج لوحات بديعة. إن الإحساس بكون هذه الحقيقة ذات ماهية شاملة تستوعب الغاية الإلهية وتتداخل ضمن أدق الفروع وأصغرها، وتفسرّها حسب المعرفة الإلهية، ليس إلا ظهوراً لحقيقة التوحيد، وهو مفهوم التوحيد لدى العامة قبل الدخول في التفاصيل المؤدية إلى اليقين.

أجل، «إنّ التوحيد توحيدان:

الأول: توحيد عامي يقول: «لا شريك له، ليست هذه الكائنات لغيره» فيمكن تداخل الغفلات بل الضلالات في أفكار صاحبه.

والثاني: توحيد حقيقي يقول: «هو الله وحده له الملك، وله الكون، له كل شيء». وأصحاب مثل هذا الإيمان يملكون عقيدة راسخة لا تهتز، إذ يرون سِكة الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، ويقرون ختمه على جبين كل شيء.

وقد تناول «بديع الزمان» هذا الموضوع فيما بعد بشكل مفصل في «المقام الثاني من الكلمة العشرين»، وقدّمه في قالب وفي شكل درسٍ توحيدٍ كامل يُشبع حاجة كل إنسان مهما كان مستواه الثقافي والعقلي.

ومن أهم المواضيع التي اهتم بها «بديع الزمان» هو شرحه كيف أن الإيمان يُعد منشورا يحلل الأبعاد الحقيقية لماهية الوجود والإنسان، فهو يرى أن الكون أصبح بفضل الإيمان كتابا يمكن قراءته ومعرضا يمكن مشاهدته، أما الإنسان فهو لب هذا العالم وجوهره حيث «تحوّلت حركات الكائنات وتنوعاتها وتغیراتها من العبيّة والمُهمليّة وملعبة التصادف إلى صيرورتها مكتوبات ربانية وصحائف آيات تكوينية ومرايا أسماء إلهية، حتى ترقى العالم وصار كتاب الحكمة الصمدانية.. وانظر إلى الإنسان كيف ترقى من حضيض الحيوانية العاجزة الفقيرة الذليلة إلى أوج الخلافة، بقوة ضعفه، وقدرة عجزه، وسوق فقره، وشوق فاقتة، وشوكة عبوديته، وشعلة قلبه، وحشمة إيمان عقله. ثم انظر كيف صارت أسباب سقوطه، من العجز والفقر والعقل أسباب صعوده».

كما تم شرح هذا الموضوع وتفصيله في النقطة الأولى والثانية في «الكلمة الثالثة والعشرين» من رسائل النور ليناسب فهم واستيعاب كل إنسان في مختلف المستويات.

ويرى «بديع الزمان» أيضا أن المسائل المتعلقة بحقيقة الإيمان وإن بدت مختلفة الواحدة عن الأخرى -إن نظرنا إليها من زوايا مختلفة- إلا أنها مرتبطة الواحدة بالأخرى ارتباطا وثيقا وهي بمثابة أوجه متعددة لحقيقة واحدة، يقول:

«**اعلم** أن بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي والإيمان بالحشر والتصديق بوجود الكائنات تلازما قطعيا وارتباطا للتلازم في نفس الأمر بين وجوب الألوهية وثبوت الرسالة ووجود الآخرة وشهود الكائنات بدون غفلة».

وفي فترة رسائل النور الخصبه نرى في «المسألة التاسعة للشعاع الحادي عشر» بحثا أصيلا ومهما جدا حول ترابط أركان الإيمان وتلازمها فيما بينها.

من أهم الملاحظات التي قدمها «بديع الزمان» هي أن من يعمل في ساحة الفلسفة والعلوم العقلية دون أن يفتح نوافذ نفسه على عالم الروح والقلب لن يكون إلا فيروسا ينقل الأمراض، ولن يكون هو نفسه إلا علامة من علامات المرض والسقم، يقول:

«قد شاهدتُ ازدياد العلم الفلسفي في ازدياد المرض، كما رأيت ازدياد المرض في

ازدياد العلم العقلي. فالأمراض المعنوية توصل إلى علوم عقلية، كما أن العلوم العقلية تولد أمراضاً قلبية».

واليكم تشخيصاً وملاحظة أصيلة وقيمة أخرى لـ«بديع الزمان»؛ إذ يقول: إن مراعاة الأسباب مع كونها من ضمن مسؤوليات الإنسان إلّا أنّ من الضلالة الواضحة والانحراف البين إعطاء تأثير حقيقي لها، فبعد مراعاة الأسباب يجب العلم أن النتائج تأتي من قبل الله تعالى، يقول:

«إن التعلق بالأسباب سبب الذلة والإهانة. ألا ترى أن الكلب قد اشتهر بعشر صفات حسنة، حتى صارت صداقته ووفائه تُضربُ بهما الأمثال؟! فمن شأنه أن يكون بين الناس مباركا. فضلا من المباركية ينزل على رأس المسكين من طرف الإنسان ضربة الإهانة بالتنجيس؛ مع أن الدجاجة والبقر حتى السنور، الذين ليس فيهم حسّ شُكرانٍ وصداقةٍ في مقابلة إحسان البشر، يُشترَفون بين الناس بالمباركية. أقول - بشرط أن لا ينكسر قلب الكلب ولا يصير غيبةً - إن سببه أن الكلب بسبب مرض الحرص اهتم بالسبب الظاهري، بدرجة أغفلته - بجهة - عن المنعم الحقيقي، فتوهم الوساطة مؤثرة، فذاق جزاء غفلته بالتنجيس، فتطهر.. وأكل ضرب الإهانة كفارة للغفلة، فانتبه! أما سائر الحيوانات المباركة فلا يعرفون الوسائط ولا يقيمون لها وزنا، أو يقيمون لها وزنا خفيفا؛ مثلا: إن السنور يتضرع حتى يأخذ الإحسان، فإذا أخذ فكأنه لا يعرفك ولا تعرفه. ولا يحس في نفسه شكرانا لك، بل إنما يشكر المنعم الحقيقي بـ«يا رحيم.. يا رحيم.. يا رحيم» فقط؛ إذ الفطرة تعرف صانعها وتعبدُه شعوريا وغير شعوريا».

ثم نراه يتناول هذا الموضوع من زاوية مختلفة في «الغصن الأول من الكلمة الرابعة والعشرين»، وهو تناول لطيف يقدم لأفكارنا وعواطفنا ملاحظات مهمة.

من المواضع التي وقف عندها الأستاذ بإصرار وباهتمام موضوع اتباع السنة النبوية السنيّة في جميع مسالك الحياة ومظاهرها، فهو - مثله في ذلك مثل جميع علماء أهل السنة والجماعة - يرى في الرسول ﷺ مرشدا لا يضل ولا يضل، ويرى في السنة النبوية الطريق الوحيد إلى سعادة الدنيا والآخرة، لذا فهو يدعونا على الدوام للتمسك بها والعرض عليها بالنواجذ.

أجل، إنَّ كل رحلة حياةٍ لم تسترشد بالسنة النبوية تشبه الوقوع في دوامة نهر، فمع أن الشخص الواقع فيها يبدو وكأنه يسبح ويقطع مسافةً، إلا أنه في الحقيقة واقع في دوامة مهلكة، يقول:

«اعلم أنى شاهدت في سيري في الظلمات السننَ السَّنيَّةَ نجومًا ومصاييح، كلُّ سُنَّةٍ وكل حدّ شرعي يتلمع بين ما لا يحصر من الطرق المظلمة المضلة. وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة الشياطين، ومركب الأوهام، ومعرض الأهوال، ومطية الأثقال - أمثال الجبال - التي تحملها السنة عنه لو اتبعها.. وشاهدتُ السنن كالحبال المتدلية من السماء؛ من استمسك ولو بجزئي استصعد واستسعد، ورأيت من خالفها واعتمد على العقل الدائر بين الناس، كمَّن يريد أن يبلغ أسباب الساعات بالوسائل الأرضية فيتحقق كما تحمق فرعون بـ ﴿يَهْلِكُنْ أَبْنَى لِي صَرْحًا﴾ (غافر: ٣٦)».

ومن آرائه الأصيلة فيما يتعلق بعلاقتنا مع الدنيا وزاوية نظرنا إليها هي عدم وجود ما يدعو إلى كرهها، بل يقول: إن من الواجب حبها حيث يورد الأسس التي يقيم عليها هذا الحب وهي:

«إن الدنيا لها وجوه ثلاثة:

وجه: ينظر إلى أسماء الله.

ووجه: هو مزرعة الآخرة.. فهذان الوجهان حسان.

والوجه الثالث: الدنيا في ذاتها بالمعنى الاسمي، مدار للهوسات الإنسانية ومطالب الحياة الفانية.»

وبعد صفحاتٍ يتناول هذا الموضوع من زاوية أخرى ويعبر عنه بهذه الكلمات:

«يرجع إلى الحي من ثمرات الحياة وغاياتها بمقدار درجة مالكية الحي للحياة وتصرفه الحقيقي فيها. ثم سائر الثمرات والغايات راجعة إلى المحيي جل جلاله بالمظهرية لتجليات أسائه، وبإظهار ألوان وأنواع جلوات رحمته في جنته في الحياة الأخروية التي هي ثمراتُ بذور هذه الحياة الدنيوية وهكذا..»

إذ كما أن الشخص الموظف بأن يحس ويضع إصبعه -عند اللزوم- على الجهازات التي تتحرك بها السفينة العظيمة للسلطان، لا يرجع إليه من فوائد السفينة إلا بمقدار علاقته وخدمته، أي من الألوف واحد.. كذلك درجة تصرّف كل حي في سفينة وجوده، بل هناك يمكن أن يستحق من الألوف واحدا، لكن لا يستحق بالذات هنا من ملايين ملايين واحدا أيضا..»

ومن آرائه أنه يجب عدم النظر إلى الأشخاص من وراء منظار مكبر؛ أي عدم إعطاء صورة لأي إنسان أكبر من حقيقته، فهذا ظلم أولا، وخطوة أولى نحو الوثنية ثانيا، والمرء الذي يخطو هذه الخطوة الأولى قد لا يستطيع فيما بعد التراجع عنها، يقول:

«إن من أشد ظلم البشر إعطاء ثمراتٍ مساعي الجماعة لشخص، وتوهم صدورها منه، فيتولد من هذا الظلم شركٌ خفي؛ إذ توهم صدورِ محصلِ كسبِ الجماعة، وأثرُ جزئهم الاختياري من شخص، لا يمكن إلا بتصور ذلك الشخص ذا قدرة خارقة ترقى إلى درجة الإيجاد، وما تولدت آلهة اليونانيين والوثنيين إلا من أمثال هذه التصورات الظالمة الشيطانية».

وتشخيص آخر له، إذ يقول: إن عدااء الكفار للمسلمين هو من موجبات الكفر، وهذا العدااء يرجع إلى عهود ما قبل التاريخ، لذا فليس في الإمكان إرضاء الكفار. أما الاستفادة منهم فمن رابع المستحيلات، فيقول: «إن الكفار لاسيما الأوربائيون ولاسيما شياطين في إنكلترا وأبليس الفرنك، أعداء الدّاء، وخصماء معاندون أبدا للمسلمين وأهل القرآن.. بسرّ أن القرآن حَكَمَ على مُنكري القرآن والإسلام وعلى آبائهم وأجدادهم بالإعدام الأبدي، فهم محكومون بالإعدام أبدا، والحبس في جهنم سرمدنا بنصوص ذلك القرآن الحكيم. فيا أهل القرآن كيف توالون من لا يمكن أن يوالوكم أو يحبوكم أبدا؟!».

ثم نراه يبدي لنا في مواضع متفرقة: أن الإيمان منبع ثريّ للطاقة والقوة، والذي يملك في يده هذا المنبع يستطيع حجز العوالم ويستطيع أن يُسخر كل شيء ويربطه به. ويقول: «أجل، من كان لله تعالى كان له كل شيء، ومن لم يكن له كان عليه كل شيء، والكون له بترك الكل له والإذعان بأن الكل ماله.. وهو الذي فطرك بصورة أحاطت بك دوائر متداخلة من الحاجات، وجَهّزك في أصغرها التي نصف قطرها مدُّ يدك باقتدار واختيار. وجَهّزك في البواقي التي

وسعت بعضها كما بين الأزل والأبد والفرش والعرش بالدعاء فقط.. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧) فالصبي ينادي أبويه فيها لا تصل يده إليه؛ فالعبد يدعو ربه فيما عجز عنه..

إنَّ فخر الكائنات وخاتم الرسل ﷺ هو أساس الوجود وخلاصته وخميرته، فليس هناك موضع في الكون يخلو من حقيقة نوره. فمثله كمثل بذرة شجرة باسقة تضم كل خصائص تلك الشجرة. فنوره أساس للوجود ومرآة تجليات الأول والآخر.

أجل، «إنه بينما ترى العالم كتابا كبيرا، ترى نور محمد «عليه الصلاة والسلام» ماذا قلم الكاتب.. وبينما ترى العالم يلبس صورة الشجرة، ترى نوره عليه الصلاة والسلام نواتها أولا، وثمرتها ثانيا.. وبينما ترى العالم يلبس جسم الحيوان، ترى نوره عليه الصلاة والسلام روحه.. وبينما ترى العالم تحوّل إنسانا كبيرا، ترى نوره عليه الصلاة والسلام عقله.. وبينما ترى العالم حديقة مزهرة، ترى نوره عليه الصلاة والسلام عندليه.. وبينما ترى العالم قصرا مزينا عاليا ذا سرادقات تتظاهر فيها شعشعة سلطنة سلطان الأزل وخوارق حشمته، ومحاسن تجليات جماله، ونقوش خوارق صنعته، إذن ترى نوره عليه الصلاة والسلام نظارا يرى لنفسه أولا، ثم ينادي بـ«يا أيها الناس تعالوا إلى هذه المناظر النزيهة، وحيهلوا على ما لكم فيه شيء من المحبة والحيرة والتنزه والتقدير، والتنور والتفكير وما لا يحد من المطالب العالية». ويرى الناس، ويشاهد ويشهد لهم.. يتحير ويحيرهم.. يحب ويحبب مالكة إليهم.. يستضيئ ويضيء لهم.. يستفيض ويفيض عليهم..»

ويتناول «الأساس الثالث للكلمة الحادية والثلاثين»، وكذلك «الذيل الثاني للكلمة العاشرة» هذا الموضوع القيم بعمق وبشكل غني وثرى، ويبسطه أمام أعين وبصائر قلوبنا. والأستاذ «بديع الزمان» يرى أن ماهية طبيعة الإنسان لها وجهان: وجه صنم خادع من جهة، ومنشور حافل بالأسرار يعكس الحقيقة اللانهائية وأثر صانعه وخالقه. أجل، فالذي له استعداد معنوي وقابلية روحية، والذي استطاع أن يمسك بزواية النظر الصحيحة يدرك أن الإنسان صنعة مزخرفة ومنشور بلوري، وهو كتاب لا يضل قارئه، وخطيب بليغ ومنبع نور يضيء ما وراء أستار الأشياء ويكشفها. وهو يسوق ملاحظاته هذه بالكلمات التالية التي تبدو وكأنها أنشودة رائعة:

«إن هذه ثلاثون سنة، لي مجادلة مع طاغوتين وهما: «أنا» في الإنسان، و«الطبيعة» في العالم.

أما هذا، فرأيتُه مرآةً ظلّيا حُرْفيا. لكنْ نظر الإنسانُ إليه نظرا اسميا قصديا بالأصالة، فتفرعن عليه وتَنَمَّرَدَ.

وأما هذه، فرأيتها صنعة إلهية وصبغة رحمانية.. لكنْ نظرَ البشرُ إليها بنظر الغفلة فتحولت لهم «طبيعة» فتألّهتْ عند ماديّهم. فأنشأتْ كفرانَ النِّعمِ المنجّرَ إلى الكفر. فله الشكر والحمد، وبتوفيق الأحد الصمد، وبفيض القرآن المجيد أنتجت المجادلةُ قتلَ الطاغوتين وكسَرَ الصنمين.»

وفي عهد تكامل رسائل النور نجد هذا الموضوع الحافل بالأسرار مشروحا بشكل مفصل وواسع وغني في «المقصد الأول من الكلمة الثلاثين»، وكذلك في «اللمعة الثالثة والعشرين»، حيث يهدم أركان فكرة عبادة الطبيعة ويقوضها من أساسها ويقتلعها من جذورها.

في منظومة فكر «بديع الزمان» نجد أن الذنوب والمعاصي عنده بمثابة المرشدين والدالّين على طريق الكفر؛ ففي المواضع التي يكثر فيها هؤلاء يتجه شراع الفكر نحو الفسق وتحيط الأخطار بالإيمان. أجل، «إنَّ في ماهية المعصية - لاسيما إذا استمرت وكثرت - بذرّ الكفر.. إذ المعصية تولد ألفةً معها وابتلاء بها، بل تصير داءً، دواؤها الدائمى نفسها، فيتعذر تركها. فيتمنى صاحبها عدم عقابٍ عليها، ويتحرى بلا شعور ما يدل على عدم العذاب، فتستمر هذه الحال حتى تنجر إلى إنكار العذاب وردّ دار العقاب».

وفي عهد توسّع مؤلفاته وتطورها نجد هذا الموضوع في «النكتة الأولى من اللمعة الثانية» حيث يقول بأن المعاصي تشكل مصائد وشباك طريق الكفر.. وهذه ملاحظة أصيلة في الحقيقة.

لقد كان الاشتغال بالقرآن الكريم والتعمق في فهمه الشغل الشاغل لهذه العقلية النيرة، فاعتبارا من «إشارات الإعجاز» إلى «المثنوي» إلى الكلمات المختلفة في كتابه «الكلمات» ولا سيما «الكلمة الخامسة والعشرون» نراه يتنفس القرآن في كل كلمة ويأتي بتفاسير جديدة



وأصيلة وعميقة، ثم يعرض هذه المعاني الإلهية المستنزلة إلى مستوى المدارك الإنسانية أمام العيون الباحثة والقلوب الظمأى للحقائق، فيثير وجداننا بأفكاره الذهبية التي تعكس ارتفاع هذه المعاني إلى ذروة المدارك الإنسانية يقول:

«إنه (القرآن) جمّع السلاسة الرائقة، والسلامة الفائقة، والتساند المتين، والتناسب الرصين، والتعاون بين الجمل وهيئاتها، والتجاوب بين الآيات ومقاصدها بشهادة علم البيان وعلم المعاني، مع أنه نزل في عشرين سنة منتجاً لمواقع الحاجات نزولاً متفرقا متقاطعا بتلاؤم كأنه نزل دفعة.. ولأسباب نزول مختلفة متباينة مع كمال التساند، كأن السبب واحد.. وجاء جوابا لأسئلة مكررة متفاوتة، مع نهاية الامتزاج والاتحاد، كأن السؤال واحد.. وجاء بيانا لحداثات أحكام متعددة متغيرة، مع كمال الانتظام كأن الحادثة واحدة.. ونزل متضمنا لتنزلات إلهية، في أساليب تناسب أفهام المخاطبين، لاسيما فهم المنزل عليه عليه السلام بحالات في التلقي متنوعة متخالفة، مع غاية التماثل والسلاسة، كأن الحالة واحدة.. وجاء متكلماً متوجهاً إلى أصناف مخاطبين متعددة متباعدة، مع سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأن المخاطب واحد، بحيث يظن كل صنف كأنه المخاطب بالأصالة.. ونزل مُهديا وموصلا لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع كمال الاستقامة والنظام والموازنة كأن المقصد واحد؛ تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب الأربعة: وهي «التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة». فبسر امتلائه من التوحيد، التأم وامتزج وانتظم واتحد..

ومن كان له عين في بصيرته، يرى في التنزيل عينا ترى كل الكون، كصحيفة مبصرة واضحة.. وقد جاء مكررا ليقرر.. ومردداً ليحقق قصصاً وأحكاماً. مع أنه لا يُملُّ تكراره، ولا يُزيل عَوْدُهُ دَوْقَهُ ولا يُسْئِمُ ترداده. كلما كرّر حَقَّقَ وقرّر، بل ما كرّره تحلو وتفوح أنفاس الرحمن منه «إن المسك ما كرّره يتضوّع». وكلما استعدّته استلذّته؛ إن كان لك ذوق سليم بقلب غير سقيم. والسرفيه: أنه قُوت وغذاء للقلوب، وقوة وشفاء للأرواح، والقوت لا يُملُّ تكراره.. فمألوفه آنس والدّ، خلاف التفكّه الذي لذّته في تجدده، وسأّمته في تكرره».

ويصل تحليل هذا الموضوع في «الكلمة الخامسة والعشرين» إلى مرتبة جذابة وساحرة، فما كان هنا قطرة يصبح هناك بحراً واسعاً، وما كان هنا نبتة صغيرة يصبح هناك غابة كثيفة.

وبعد هذا التذكير القصير في «المثنوي».. بعد صفحات قليلة فقط نراه يعرض علينا موضوعا قرآنيا غاية في الروعة عرضا موجزا:

«إنك إذا استمعت القرآن فألبس لكل نعمة من نعماته المتطورة على الحُجُب، والمتنوعة في المراتب الإرشادية، والمنصبة بحسيات الوسائط، من جبرائيل عليه السلام إلى من تسمع منه، ما يناسبها.. فلك أن تمرّ بسمعك من القارئ في مجلسك إلى الاستماع من النبي ﷺ الذي يقرؤه في ذروة شahuq النبوة في مجلس الأرض على أبنائها من بني آدم وغيرهم.. ولك أيضا أن تسمع من جبرائيل وهو يخاطب النبي في الأفق الأعلى عليها الصلاة والسلام.. ولك أن تسمع من خلف سبعين ألف حجاب من المتكلم الأزلي، وهو يتكلم مع النبي في قاب قوسين أو أدنى. فألبس إن استطعت لكل ما يليق به!»

وكتاب «المثنوي» يُعد في الحقيقة معرضا لمواضيع واسعة جليلة، وفهرسا لها.. يمكن أن يؤلف حول كل واحد منها كتاب خاص.. هذه المواضيع التي تناوّلها بالشرح والتفصيل فيما بعد في رسائل النور في مختلف أجزائها.

فما أهمّ وما أعظم تلك الحقائق التي تناوّلها تحت عنوان «زهرة» باختصار، وضمّها فيما بعد إلى رسائل النور!

ورسالة «ذرة» تعد مثل نبتة صغيرة للتقوى والعمل الصالح، فهناك يتم استجواب رغباتنا ومشاعرنا الدنيوية، وتنفخ فكرة التوحيد لأذهاننا ويُعرض الإيمان الشامل المترامي الأطراف أمام الأنظار.

أما رسالة «شمة» فتمس القلوب مثل طيف رقيق، حيث تعرض أمام الأنظار أن غنى الآيات وعمق معانيها لا يمكن مقارنتها بالشعر، وتقف أمام غايات خلق أعضاء الإنسان فيكشف بعض الأستار عن العيون ويزيل الألفة التي تكدر البصائر وتضعفها.

وفي «الرسالة العاشرة» يأخذ بيدنا إلى سفوح معاني القضاء والقدر والعطاء الإلهي ليمس قلوبنا بمعاني الآيات القرآنية وأسرارها، ومن ثم يجد مقدمة لكي يعرض على الباحث عن الحقيقة اليوم طريقا مختلفا لكي يوصله إلى الحق.. يعرض هذا بينا هو يحول أنظارنا إلى أفق عجزنا وفقرنا. وبعد خطوتين فقط وتحت عنوان آخر يسترعي انتباهنا إلى أن الإنسان يختلف

في خلقه عن جميع الأحياء الأخرى، حيث يؤكد ويذكر أنه فهرس للوجود بأجمعه، ومن ثم نراه يعود إلى الأدعية التي تناوَلها بالتحليل فيما بعد في «كليات رسائل النور» مرات عديدة، فيفرج بين الأبواب السرية لقبول الأدعية والاستجابة لها، فيثير في قلوبنا الرغبة والشوق للمناجاة. وفي موضع آخر نراه يقيم التوازن بين «التحدث بالنعمة» و«الغرور».

وبعنوان «شعلة» نسيح معه في المعاني الواسعة للفظ الجلالة «الله» الذي هو اسم ذات له، فيهب قلوبنا بانفعال معرفة ذات طعم مختلف لم تتذوقها من قبل. ثم سرعان ما يفتح فقرة حول الأدعية فينبه قُراءه بأن إيفاء الوظائف الدينية مهمة عالية يُعدّ دعاءً فعلياً.

ثم يعود فيوجه الأنظار إلى أهمية التربة وكيف أن الدنيا تعد كقلب للعالم. وينتهي ملاحظاته بعد ذلك بشرح حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

وتحت عنوان «نقطة» يضيف الأستاذ «بديع الزمان» دليل الضمير الإنساني (الوجدان) -الذي يعدّه نقطة تماس بين عالم الغيب وعالم الشهادة- إلى الأدلة الرئيسية الثلاثة حول الذات الإلهية التي كثيرا ما وقف عندها في رسائل النور، وفرج بذلك فرجة في باب وقف عنده الكثير من المفكرين وأرباب القلوب من المتصوفة وهم على درب السير في مدارج السلوك.

ويؤكد على استحالة التطور إذ ذكر منذ البداية أن الطفرات لا يمكن أن تفسّر شيئا ولا أن تكون كافية لأي تطور، وذلك في وقت مبكر وقبل أن ينتبه الكثيرون إلى هذه الحقيقة، وذكر أن من المستحيل الانتقال من نوع إلى نوع آخر في عالم الأحياء. لذا فقد قال بشكل مجمل وبشكل مطلق: «لا، لنظرية التطور»، مستندا في ذلك إلى أساس فكري سليم.

إن جهود الأستاذ المدقق «إحسان قاسم الصالحي» المشكورة في تهيئة الطبعة العربية للمثنوي -مثلا هيا من قبل ترجمة كليات رسائل النور- فوق كل تقدير، وهي بلا شك أفضل بكثير من مثل هذه المقدمات التي حررناها والتي لا تخلو من العيوب والقصور.

والحقيقة أن الجهود المباركة للأستاذ إحسان قاسم لم تقتصر -كما فعلنا نحن- على جزء من كليات رسائل النور وبشكل مجمل، بل شملت كل رسائل النور.

وكان من المفروض أن تكون كل مسألة من المسائل التي عرضتها هذه الرسائل موضوعا لرسالة دكتوراه تراعي كل الأسس العلمية الموجودة في المستويات الأكاديمية الغربية. وهذا الأمر مهم من ناحية ظهور القيمة الحقيقية لرسائل النور على المستوى الأكاديمي. وكذلك من ناحية كونها جهودا في مستوى الجهود التي بذلها الأستاذ إحسان قاسم.

صحيح أن العديد من أصدقائنا الشباب قدموا دراسات وأطروحات ماجستير ودكتوراه حول رسائل النور، ولكن لم تكن أيٌّ منها كافية لإعطاء القيمة الحقيقية لذلك العملاق بإبراز مستوى فكره الرفيع.

وكل ما نتمناه هو تأسيس معهد يأخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة في أقرب فرصة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المحقق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسولنا محمد ومن والاه، وبعد..

إن مما دفعني إلى القيام بتحقيق هذا الكتاب بهذا النمط من التحقيق المتواضع هو:

أولاً: حاجتي الماسة إلى من يرشدني إلى دروب النفس الأمارة بالسوء، ويكشف لي عن دقائق مسالكها وخبايا دسائسها، ويضع أمامي علاج أمراضها المتنوعة، ومن ثم يأخذ بيدي إلى منابع الإيمان في رياض الكون الفسيح لأنهل منها ما أنهل حتى يرتوي القلب ويشبع العقل وتنشط الروح.. بمعنى أنني قمت بهذا التحقيق لنفسي قبل كل أحد.

ثانياً: وجدت أن كثيراً من الباحثين والمفكرين يرومون الوصول إلى أصول فكر الأستاذ النورسي، ويهمهم أن يوغلوا معه في أعماق تجاربه مع النفس، وأن يرافقه في سريانه روحه في أرجاء الكائنات، ويعملوا فكرهم في ما نصّب من موازين علمية ومعايير منطقية ومناهج فطرية؛ فأردت أن أضع بين يدي هؤلاء الأفاضل هذا السفر النفيس من مؤلفات الأستاذ الذي عدّه «مشتلّ رسائل النور وغراسها»، حيث فيه خلاصة أفكاره، بل إن أغلب ما أزه من أفكاره - في رسائل النور - بذوره كامنة في هذا الكتاب.

ولما كان الغوص في هذه الأمواج الزاخرة من الأفكار والخواطر والمسائل وإخراج لآلئها الثمينة ودررها النفيسة ليس في طوقي، اكتفيت بهذا التحقيق، ليجد أولئك الكرام بين يديهم نسخة كاملة من الكتاب، فيبدلوا فيه جهدهم لعل المولى القدير يقيّض منهم من يضطلع للقيام بتلك المهمة التي أعجز عنها، فيسدّ جوع الروح وهزال الفكر التي يعاني منها الكثيرون.. بمعنى أنني قمت بهذا التحقيق لهؤلاء الأكارم.

ثالثاً: إنّ كل مسلم بل كل إنسان يشعر في قرارة نفسه أنه بحاجة إلى تربية روحه وتركيزه نفسه وتنمية عقله وتوسيع آفاق خياله، فتراه يتلمس مبتغاه من مظانه من الكتب.. فأردت أن أضع هذا الكتاب القيم أمام كل مسلم، بل كل إنسان ليرى نمطا جديدا وفريدا من أساليب

التزكية والتربية، قلما يجده في كتاب آخر؛ حيث إنه يمزج أدق الموازين العقلية والمقاييس المنطقية بأرفع الأشواق القلبية وأسطع التفجرات الروحية ضمن أمثلة ملموسة لا تكاد تخفى على أحد، آخذاً بيد القارئ برفق، متجولاً معه في ميادين النفس والآفاق، مبيناً له ما توصل إليه من نتائج يقينية، بعد تجارب حقيقية خاض غمارها تحت إرشاد القرآن الكريم... بمعنى أنني أردت أن أبين بهذا التحقيق هذا المنهج القرآني الفريد لكل مسلم، بل لكل إنسان.

قبل كل ذلك وبعده؛ فإن قطرة من عمل خالص لوجه الله أعظم من بحر من الأعمال المشوبة، فأملّي بالله عظيم أن يتقبل هذا التحقيق المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، وأتضرع إليه تعالى أن يهيئ في مقلب الأيام من يوفي حق هذا الكتاب من الشرح والبيان ليعم النفع ويجزل الثواب.

ولقد سار التحقيق هذا وفق الخطوات الآتية:

١- المقابلة بين النسخ المتوفرة لديّ وهي:

أ- الطبعة الأولى من الكتاب، المطبوع في إسطنبول سنة ١٣٤٠-١٣٤١ هـ (١٩٢٢م) وقد رمزت إليها بـ«ط١»

ب- نسخة خطية بـ«الرونيو» بخط «أحمد نظيف» أحد طلبة الأستاذ النورسي، مصحح من قبل الأستاذ نفسه، حيث كتب في الختام دعاءً رقيقاً للكاتب ومساعديه.

ج- مخطوط بخط «جيلان جالشقان» الذي خدم الأستاذ النورسي وهو مازال شاباً ولازمه حتى وفاته. والمخطوط مصحح من قبل الأستاذ نفسه.

د- الطبعة الأخيرة من الكتاب، المطبوع في مطبعة النور سنة ١٩٥٨م في أنقرة، وتتميز هذه الطبعة بتصحيح كثير من أخطاء الطبعة الأولى، ولكن ما زالت فيها أخطاء مطبعية كثيرة، فعالجتُ تلك الأخطاء واعتبرت هذه الطبعة هي المعول عليها في التحقيق.

هـ- الترجمة التركية للكتاب، وقد قام بها شقيق الأستاذ النورسي: الملا عبدالمجيد، وطبعها «دار سوزلر» في إستانبول سنة ١٩٧٦ وقد رمزت إليها بـ«ت».

و- مخطوط الترجمة التركية بخط «علي الصغير» أحد طلبة الأستاذ والذي كان يلقبه

بـ«ذي الروح العظيمة» وقد سجل له دعاءً لطيفاً في الختام، والمخطوط هذا بالحروف العربية بخلاف المطبوع الذي هو بالحروف اللاتينية.

٢- وضع بعض الفقرات، وإفادات المرام التي لا توجد إلا في «ط١» في الهامش مع الإشارة إلى مواضعها.

٣- استخراج الآيات الكريمة من القرآن الكريم ووضع اسم السورة ورقم الآية.

٤- تخريج الأحاديث الشريفة الواردة على الأغلب بالمعنى، اعتماداً على كتب موثوقة.

٥- استخراج الأمثال الواردة من كتاب «مجمع الأمثال للميداني».

٦- رسم إملاء الكتاب حسب قواعد الإملاء الشائع اليوم، حيث كان رسم الإملاء في النسخ الأصلية والمطبوعة على الرسم القديم. مثل: الصلوة. الحياة.

٧- درج معاني بعض الكلمات في الهامش باختصار شديد؛ إذ قد صعب عليّ معاني بعض الكلمات، مما دفعني إلى مراجعة قواميس اللغة وبخاصة: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ومختار الصحاح للرازي.

٨- القيام بترجمة كل ما ورد في الكتاب بالتركية من عبارات وفقرات ورسائل. ألخصها بالآتي:

أ- مقدمة الكتاب، حيث قد كتبها الأستاذ النورسي سنة (١٩٥٤) أي بعد ما يقارب أكثر من ثلاثين سنة على تأليفه، وقد قام أخوه عبد المجيد بترجمة هذه المقدمة إلى اللغة العربية، فأعدتُ النظر فيها لتكون أكثر مشابهة بالنص.

ب- البيان الذي أُلقي في مجلس الأمة التركي.

ج- رسالة «نقطة من نور معرفة الله جلّ جلاله» كاملة.

د- بعض الهوامش أو المقدمات المقتضبة التي وردت، وقد وضعتها بين قوسين مركنين [ ] لتمييزها عن الأصل العربي.

أما الفقرات التي وردت في الكتاب باللغة الفارسية فقد تفضل بترجمتها مشكوراً الأخ

الكريم «فاروق رسول يحيى» الذي وفقه الله تعالى لترجمة ونشر العديد من رسائل النور باللغة الكردية. وقد حصرنا هذه الفقرات المترجمة عن الفارسية بين قوسين مركنين مزدوجين [[ ]].

٩- الإشارة في الهوامش إلى تلك المسائل التي وضحها المؤلف -فيما بعد- في رسائل النور والتي وفقنا المولى الكريم إلى ترجمتها.

١٠- توضيح بعض العبارات أو الجمل في ضوء ما جاء في الترجمة التركية للكتاب والإشارة إليها بـ«ت» ورقم الصفحة في الهامش.

١١- تشكيل بعض الكلمات، ووضع علامات الترقيم لإزالة اللبس.

١٢- وضع تراجم لقسم من الأعلام الواردة في الكتاب.

١٣- تعريف بعض المصطلحات، مع ترك الكثير منها، حيث الكتاب نفسه كفيلاً بشرحه، وبخاصة إذا استعين «بالفهرس التحليلي».

١٤- وضع فهرس عامة وتحليلية للموضوعات والأعلام والأماكن وغيرها تسهيلاً للقارئ الكريم.

١٥- وأخيراً نشر رسالة «نور من أنوار نجوم القرآن» لأول مرة بإلحاقها بهذا المجلد (المثنوي) لشدة الترابط والتشابه في مباحثهما. وذلك بعد إجراء التحقيق على مخطوطها الوحيد المكتوب بخط «الحافظ توفيق الشامي» أحد طلاب الأستاذ النورسي في منفاه «بارلا». علماً أن المخطوط صُحح من قبل المؤلف.

وبعد القيام بهذه الخطوات وفي أثناءها، لفتت نظري مسائل نحوية لغوية لا تستقيم مع ما تعلمناه في دراستنا المدرسية. فألجأتني إلى البحث عنها في بطون الكتب القديمة المعتمدة كالمغني والأشْمُونِي، والاستفسار عنها ممن لهم الباع الطويل في معرفة دقائق اللغة، فأرشدوني إلى ما فيه الصواب، جزاهم الله خيراً، حتى اطمأن القلب إلى أن ما كتبه الأستاذ النورسي هو الصحيح أو فيه الجواز. وأن ما ألفناه ودرسناه من قواعد اللغة لا يرقى ليكون محكاً في مثل هذه المسائل.



وأرى من الأفضل تلخيص عدد من تلك المسائل التي ربما تلفت نظر القارئ الكريم أيضاً مع أنها لا تحفى عليه. وهي:

١- إثارة استعمال جمع العقلاء لغير العاقل؛ إشارة إلى أن كل جزء من أجزاء العالم حيّ عاقل يسبح لله، وعملاً بما في الآية الكريمة: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤).

٢- تغليب التذكير على التأنيث، ولا سيما في الأفعال المتقدمة على الفاعل المؤنث المجازي بخلاف المتأخرة عن الفاعل.

٣- استعماله الوجوه المختلفة للكلمات التي يجوز فيها التذكير والتأنيث، كالروح. وربما يستغرب القارئ من إيراد كلمة «النفس» أحياناً بصيغة التذكير، إلا أن استغرابه يزول بمجرد قراءة العبارات التي تليها، حيث يجد أن المقصود منها «أنا» أي ذات الإنسان.

٤- استعماله لمعدود «المائة» و«الألف» بصيغة الجمع أحياناً، أو تأنيث وتذكير الصدر دون العجز في الأعداد المركبة.

وأمثالها من الأمور التي لم نألفها.

ولا يخفى أن لهذه الوجوه تخريجاتها اللغوية وشواهدا التي تُسندها، إلا أننا لم نوردها في مواضعها لئلا تُشغل القارئ الكريم عن الهدف الأساس من الكتاب.

٥- كلمة «الذات» الدالة على الله سبحانه ترد بصيغة التذكير فمثلاً: الذات الأقدس، إذ جعلها اسماً للحقيقة من كل شيء فزال عنه التأنيث.

٦- الإكثار من استعمال جمع المؤنث السالم، حتى في بعض الجموع، مثل: لوازمات، شؤونات، نواتات...

٧- لقد تخللت الجمل كلمات تركية، استعملها الأستاذ لزيادة الإيضاح -أو قالها أثناء التدريس- وهي موضوعة بين قوسين ( ) للتمييز، ويعقبها على الأغلب معناها بالعربية. فمثلاً: إن هذا (التَّمَلُّ جوروك) الأساس فاسد.. أو (شَمَنْدوفر) القطار.. (فأبريقة) المعمل.

٨- استعماله كلمة «غير» معرفة بـ«أل» مما لا تُستعمل في الأسلوب الحديث<sup>(١)</sup> وقد

(١) وقد أشرنا إلى هذا أيضاً في المجلد الخامس من كليات رسائل النور «إشارات الإعجاز» فمن شاء فليراجعه.

بعث إليّ العالم الجليل «عمر الريشاوي» رسالة يوضح فيها هذه المسألة أدرج هنا ملخصها لإزالة اللبس:

«إننا إذا أردنا كلمة «غير» صفةً للمعرفة، فلا نملك سوى اختيار أحد الطريقتين:

- أ- تحليلتها بـ«أل» لتصبح معرفة وتصلحُ بالتالي صفة للمعرفة كما هو مقرر نحويًا.
- ب- إضافتها إلى المعرفة.

ولما كان الطريق الثاني لا يحقق هدفنا، إذ بإضافتها إلى المعرفة لا تصبح معرفة، تعيّن اتخاذ الطريق الأول وهو تحليلتها بـ«أل» ولا يحيد عن ذلك، هذه من ناحية القواعد النحوية، وأما من حيث الاستعمال، فتبدو ندرة استعمالها مع «أل»، أو لا نجدها إلّا في كلام المجدّدين.

والخلاصة: أن الكاتب أو المتحدث يجب عليه رعاية أحد الأمرين:

إما رعاية ناحية الاستعمال وإضافتها إلى المعرفة وقبول التأويل؛ وهو أن هذه الكلمة عوملت معاملة المعرفة، كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٧) و ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ (النساء: ٩٥).

وإما مراعاة ناحية القواعد وهو تحليلتها بـ«أل» لأن المقام -وهو كون الاسم صفة للمعرفة- يقتضي ذلك نحويًا.

ثم أبدى الأخ الكريم ملاحظة مهمة وهي:

أولاً: إن المشكلة التي أصبحت مثار البحث حالة واحدة وهي كون «غير» صفة للمعرفة، أما حالاته الأخرى: فاعلا أو مجرورا أو مضافا أو صفة للنكرة أو حالا أو بدلا أو غير ذلك من الحالات الإعرابية الأخرى فلا أتصور أية مشكلة فيها نحوية أو استعمالية.

ثانيا: قرر المجمع اللغوي المنعقد في القاهرة في دورته الخامسة والثلاثين في شهر شباط ١٩٦٩ بقبول الرأي القائل: «إن كلمة «غير» الواقعة بين متضادين تكتسب التعريف من المضاف إليه المعرفة. ويصحّ في هذه الصورة التي تقع بين متضادين، وليست مضافة أن تقرن بـ«أل» فتستفيد التعريف». اهـ.

وربّ سؤال يرد للخاطر:

لماذا ألّف الأستاذ النورسي هذه الرسائل باللغة العربية، والمخاطبون لا يتقنونها، علماً أنه كتب رسائل النور بالتركية؟

فالجواب -والله أعلم-: أن اللغة العربية كانت هي لغة العلم في تلك الفترة (أي إلى منتصف العشرينات) وقبل استبدال الحروف العربية، رغم أن المحادثات الجارية بين الناس كانت بالتركية..

ثم إن هذه الرسائل العربية بحد ذاتها أصول وقواعد، ومناهج، وموازين مستلهمة من نور القرآن الكريم، خاطب بها الأستاذ النورسي نفسه أولاً، وألزمها الحجة حتى أرغمها على التسليم، فهي أعلمُ بلغته وتعابيره. ومما يُثبت ما نذهب إليه هو أن الأستاذ النورسي قد صبّ هذه المعاني ووسّع منها وكشف عن دقائقها في الرسائل التي ألّفها بالتركية -فيما بعد ١٩٢٧م- تلك هي رسائل النور التي غدّت موضعَ استفادة العالم والمتعلم والكبير والصغير. فأدّت مهمتها المرجوة في حفظ الإيمان تجاه تيار الكفر والطغيان.

أما ما يرد من سؤال حول تسمية الكتاب. أي لماذا سَمّاه الأستاذ المؤلف بـ«المنثوي» الذي يعني في الشعر أبيات مثني مثني، علماً أن الكتاب ليس ديواناً للشعر؟

فالجواب: لقد سمّى الأستاذ النورسي هذه الرسائل بـ«الرسائل العربية» أو «المجموعة العربية» وقد كُتِبَ على مجلد الطبعة الأولى: «قطرات من فيوضات الفرقان الحكيم». ولكن لأن فعل هذه الرسائل في القلب والعقل والروح والنفس يشبه فعل «المنثوي» لجلال الدين الرومي المشهور والمتداول بين أوساط الناس ولاسيما في تركيا، وأن عمله في تجديد الإيمان وترسيخه في القلب وبعثه الروح الخامد في النفوس يشبه «المنثوي الرومي» فقد سمّاه الأستاذ النورسي بـ«المنثوي». ولأجل تمييزه عن «المنثوي الرومي» الذي كُتِبَ بالفارسية سمّاه «المنثوي العربي». ولأنه أساسٌ لرسائل النور وغراس لأفكارها ومسايلها أضيف إليه «النوري» فأصبح الكتاب يحمل عنوان: «المنثوي العربي النوري».

ومما يجدر الإشارة إليه أن الكتاب مع أنه جامع لكثير من أساليب البيان وأنماط الاستعارة وأنواع التشبيه والجناس والطباق وغيرها من أساليب البلاغة، فإن كل قارئ -مهما

كان تذوقه البلاغي - يظل مشدوداً مع بلاغة المعنى وجمال المغزى أكثر من انشداده مع بلاغة المبنى وجمال اللفظ؛ إذ إن عمق المعاني وسعة الأفكار ودقة المسائل التي يطرحها تجعل القارئ يقول: حقاً «إن الكلام البليغ هو ما استفاد منه العقل والوجدان معا».

هذا ولقد أغنانا الأستاذ نفسه عن تقديم أي كلام حول سبب تأليفه للكتاب وفترة تأليفه له، حيث سجل ذلك في مقدمته البديعة، وفي إفادات المرام مستهلاً كل رسالة.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل..

وصلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

إحسان قاسم الصالحي

## المدخل

الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ

لا جدال في أن «النفس البشرية» طاقة عظمى من طاقات البناء والإعمار، ومصدر خصب من مصادر الحق والعدل والخير والجمال في هذا العالم إذا ما زكت وصفت وغدت موصولة الأسباب بفاطرها وموجدها، لأن صلتها بالله، واستمساكها بأسباب أنواره، يجعلها موضع نظره، ومن كان موضع نظر الله تعالى أفيض عليه من صفات جماله وكماله ما يستطيع بها أن يمحى ظلام الدنيا وشرورها.. وهي (أي النفس) قوة تدميرية عمياء، وطاقة هدم مرعبة، إذا ما نجمت فيها جرثومة التمرد والنزق والجموح، وعصفت بها رياح الهوى الهوج المحركة لنيران رغباتها المجنونة، وشهواتها العارمة، فتحرق هذه النار كل سبب يصلها بالله تعالى، فلا تلبث -بعد ذلك- أن تنتكر لخالقها وبارئها، وتنزع إلى عصيانه، وترغب في الانفلات من مسؤوليات الإيمان، وتكالف الإسلام.

والنورسي -رحمه الله- إنما يرصد هذه النفس الضالة التي قد غلبت عليها رعونتها، وركبتها حماقتها، فتنشط في البحث عمّن يسليها ويلهيها، وينسيها من تكون..؟ ولم كانت..؟ وما واجبها..؟ وما مسؤولياتها..؟ ويأسف لها وهي تتصامم عمّن يريد لها الصحو المسؤول، واليقظة البصيرة، ويطلب لها التعلم والمعرفة، ويأخذ بيدها للارتقاء والسمو، ويشرفها بمعرفة الله ويتوجّها بتاج طاعته، ويُلْبِسُها حُلل معرفته.. ويرى أنها -إذا زاد ارتكاسها وفاض بها غرورها- قد توهّم نفسها قطب العالم ومحور الوجود، فتقيس كل شيء بمقاييسها، وترنه بموازينها، لظنها أنها منبع كل حق، ومصدر كل صواب.. وقد تتهادى في هذا الغرور الأحق حتى لتتنازع «الربوبية» سلطانها، وتنسب لنفسها من صفات الألوهية ما تشاء ويشاء لها الهوى. وتتفاوت «النفوس» في أسباب تعرضها لمخاطر هذا التورم الخبيث، والانتفاخ المرَضِيّ المخيف، فيغدو البعض أشدّ عتواً، وأصعب توعراً، وأكثر استعصاءً وتمرداً على حقوق الربوبية، ومستلزمات العبودية من البعض الآخر. وبسبب هذا التورم الذي يتسلل إلى مخ النفس، فيشل وعيها، ويفقدها صوابها، ويُعَمِّي عليها حقيقة حجمها، وتبيان موقعها

الصحيح من الله.. وبسبب غياب «العقل الإيماني» الذي يبصرها بحقيقتها، ويمنعها من الجموح والشطط، فهي غالباً ما تنساق مع الوهم، فتتخيل استطالة حجمها، وتضخم جرمها، وتحسب الكون قاصراً عن احتوائها، والأرض عاجزة عن حمل عظمتها.. ومن هنا.. من عدم تحديد مكان «النفس» من الله، ومن تجاوزها حدود وظائفها في هذا العالم تنجم جميع شروور العالم وآثامه، وتنبعث جميع آلامه وأحزانه ومآسيه، ومصدق ذلك ما يحدثنا به التاريخ من مدّعي «الألوهية» و«الربوبية» من الملوك والأباطرة والفراعين وغيرهم على اختلاف مدّعاتهم الباطلة، وما خلفوه وراءهم من جروح وآلام في حياة الشعوب والحضارات.

وخشية من وقوع «النفس» فريسة هذا التورم البشع المخيف، وحرصاً من «الإسلام» على أن تظل «نفس» المسلم صحيحة تستمتع بالسلامة والعافية، فقد حثّ القرآن على مجاهدة نزق النفس، وحذّر من تمردّها وعصيانها لخالقها، واعتبر مجاهدتها واجباً إيمانياً لا يقل أهمية عن واجب مجاهدة العدو، بل يزيد عليه، لأن العدو الذي يريد الشرّ بالبلاد والعباد بيّن ظاهر للعيان بسلاحه وعدّته وعدّده، نواجهه ونحن نرى ونسمع، فيجتمع عليه كيانه كله، وتهافت عليه حواسنا جميعاً، وتتعاون على قهره طاقاتنا بأسرها.

أما «النفس العاصية لله» فهي عدو خفي لا نراه ولا نحس بعداوته، لأنها تسري في وجودنا كله، وتجري منا مجرى الدم، ولا يجتمع عليه وجودنا كله لأنها جزء من هذا الوجود، فضلاً عن أننا لا نعرف متى تهاجمنا؟ ومن أيّ ثغرة تتسلل إلى مقاتلتنا؟ وأيّ سلاح رهيب من أسلحتها تجربه فينا؟ لذا يتعين علينا أن نبقي حذرين دائمي الحذر، متيقظين دائمي التيقظ، نرصد حركاتها، ونراقب مناوراتها، ونأخذ منها زمام المبادرة، فنلجمها قبل أن تجمع بنا، ونأخذ بخطامها قبل أن تهيج علينا وتلقي بنا تحت أقدام طغيانها فلا تفلتنا حتى تسحق منا الروح والقلب والعقل.

وقد عانى النورسي من نفسه الشيء الكثير؛ فهي نفس جموح، وعرة المراس، صعبة الترويض، عصيّة على الافتتاع، تأبى أن تسلس له القياد ما لم يأتها على الرأي الذي يراه بالدليل القاطع لكل شك، والبرهان المبدد لكل ريب. لذا فقد كان همّه الأعظم إقناعها بالرأي الذي

يراه، والفكر الذي يخلص إليه.. فهو في كل ما كتب ولا سيما في «الثنوي» إنما كان يكتب لنفسه بهذا القصد ولهذا الغرض، وكأنّ نفسه -لشدة جموحها ونفورها من الفكر التقليدي- قد آثرت الانفصال عنه، والانسلاخ منه، فصار لها كيان مستقل، وشخصية مناوئة، تقف إزاءه، وترصد فكره، ولا تنفك تحاوره وتلح عليه في الحوار، وتسأله وتلح عليه في السؤال، حتى تضطره للإجابة عليها بحشد هائل من الأدلة والبراهين التي تقنعها وتطمئنّها، وتلزمها الحجة والتسليم. وفي معرض وصفه لهذه المعاناة مع نفسه يقول النورسي:

«إن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين وهما: «أنا» في الإنسان، و«الطبيعة» في العالم».<sup>(١)</sup>

والمأساة الأخرى التي ظلّت تؤرّق النورسي طوال حياته، وتنغر في ضميره، إنما هي سقوط الملايين من البشر في هذا العصر في حائل «الطبيعة» وانحباس أرواحهم في أقفاصها، وتعبدّهم -كما يتعبد الوثنيون- لنواميسها وسننها، فنسبوا لهذه النواميس والسنن ما ينسبه المؤمنون إلى الله تعالى من صفات الخلق والإيجاد والقدرة والعلم والحكمة والقصد والاختيار، وبذلك حُجبت «الطبيعة» المخلوقة، بصفاتها الاعتبارية غير الذاتية، الإنسان الوثني عن «الخالق» الحق، وامتنعت إيمانه، وأنشبت أظفار الجحود الحاد في روحه، وحولت قلبه الخصب إلى جفاف كجفاف رمال الصحراء، فاستثنى -بهذا الانحراف الأخرق عن الله- استثناءً شاذاً من بين التوافق الكوني العظيم الذي تدرج الأشياء جميعاً فيه، وتتألف معه في وحدة كونية نابضة بالمعرفة والمحبة لله، فإذا به -على الرغم من كل منجزاته الحضارية المبهجة- ينوح نوحاً مريراً على شقائه الروحي كنواح النغم الحزين المنفرد بحزنه من بين منظومة اللحن الضاحك البهيج.

وكما حاور النورسي جموح النفس، وناقش نزقها وتمردّها، وردّ على اعتراضاتها حتى راضت وقنعت واطمأنت، فإنه كذلك ناقش المؤلّمين للطبيعة، واستعرض مقولاتهم، ثم ردّ عليها واحدة تلو الأخرى، وخلص في خاتمة المطاف إلى خطئ رأي من ينسب إليها الحياة والخلق والإيجاد من دون الله تعالى.

ولما كانت «نفسه» دائمة الحضور معه، قائمة بين جنبيه، تناقش فكره الإيماني، وجهاً

(١) رسالة «حبة من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن».

لوجه، وتُلقي باعتراضاتها حوله، لذا فإنَّ النورسي كتب ما كتب بقصدِ ترويض هذه النفس الجموح الثائرة على كل فكر تقليدي، وبنية تبديد شكوكها، وقهر عنادها، وإقناعها بصحة أفكاره، ومصادقية قناعاته.

ومن هنا فليس غريبا أن يكتنف بعض أفكاره في «المثنوي» شيء من الغموض غير المقصود، لأنه لم يكن مقصودا من كتاباته سوى نفسه، فلربما كفاه السطر والسطران لتفهّم عنه نفسه، وتعرف مراده، ولا تكفيه الصفحة والصفحتان ليفهم عنه القارئ بعض مراده.<sup>(١)</sup>

ومن حق القارئ الذي يقرأ هذا الكلام أن يسأل نفسه:

إذا كان مقصود النورسي فيما كتب في هذا الكتاب «نفسه» فما جدوى نشره، وإغراء الآخرين بقراءته؟ وهو لم يُكتب لهم أصلا، ولم يُصنّف لأجلهم؟ وللجواب على هذا السؤال نقول:

إنَّ «النفس الإنسانية» هي واحدة في جوهرها، وواحدة في أسباب صحتها ومرضها، كالجسد تماما، فإذا كانت الأمراض التي يمكن أن تصيب جسد «زيد» هي نفسها التي يمكن أن تصيب جسد «عمرو» وأن ما يفيد «زيدا» من دواء يفيد «عمروا» أيضا، فكَذلك فإنَّ أمراض «النفس» هي واحدة لدى جميع البشر مع بعض الفروقات بين نفس ونفس. فالعلاج الذي استعمله النورسي لنفسه قد يفيد أي إنسان آخر يعاني ما كان يعانيه النورسي من نفسه، وهو يقول بهذا الصدد:

«ولا تخف من تمرد النفس، لأن نفسي الأمانة المتمردة المتجبرة انقادت، وذلت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق، بل شيطاني الرجيم أفحم وانخنس.. كن مَنْ شئت، فلا نفسك أظني وأعصى من نفسي، ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني».<sup>(٢)</sup>

فضلاً عن التجارب الذاتية التي تخوضها النفوس العظيمة، هي رصيد جديد يضاف إلى رصيد الإنسانية ويشري معرفتها بشؤون الروح والوجدان، ويمنح أفرادها ما يفيد في اجتياز قلقهم الروحي بنجاح، وتخطي عواصف شكوكهم بسلام، وقد اعتاد البشر -منذ أقدم

(١) إفادة مرام رسالة «شمة» و«نقطة».

(٢) انظر: «تنبيه، إخطار، اعتذار».



العصور- أن يفيد بعضهم من تجارب البعض الآخر، ولولا هذه السّنة الحسنة التي درج عليها الناس لما وصلت البشرية إلى هذا الصرح الهائل العظيم من المعارف والعلوم والأفكار.

ونكاد نلمس بين سطور «الثنوي» غبار الصراع الدؤوب الذي خاضه النورسي بشجاعته ضد تمردات نفسه وجنوحاتها قبل أن تسلس له القياد، وتسلم له الزمام، حتى إننا لتتعاطف معه، ونأسى من أجله ونحن ننظر بعين الخيال إلى ما عاناه هذا الرجل من عذاب قبل أن يحقق انتصاره النهائي على الجانب المُستعصي من نفسه.

وما من أحد من المؤمنين إلّا وله مع نفسه العصية مواقف أو بعض مواقف -كالتّي كانت للنورسي مع نفسه- مع اختلاف درجات التوتر والقلق والصراع ضعفا وقوة، وقلة وكثرة، في الأشخاص، تبعاً لدرجات إيمانهم ويقينهم؛ لذا فما من أحد إلّا وله في تجربة النورسي ما يفيد به درجة أو بأخرى.. وإذا ما فاتنا النزر اليسير من علاجات النورسي لنفسه، بسبب بعض الغموض في بعض وصفاته، إلّا أننا سنفيد -بلا ريب- من الشيء الكثير منها، وكما يقول:

«لا تقل: إذا لم أدرِ الكل لا أريد الكل.. فإذا كنت في بستان أترك الثمرات إن لم تأكل كلها»<sup>(١)</sup>.

فَرُبَّ زهرة تقطفها من حديقة «الثنوي» تغنيك بشذاها وجمالها عن عشرات الأزهار، ورُبَّ فاكهة تناولها يدك تعطيك مذاق مائة فاكهة وفاكهة.

فالثنوي.. كتاب فريد في مصداقيته، قد سجل فيه النورسي بأمانة وعفوية وصدق سيرة نفسه وما كان يعتورها من قلق واطمئنان، ويتابها من صحة وسقام، ويتناوشها من شك ويقين، من دون زيادة أو نقصان، حتى إنه لترك نفسه تنساب -على سجيتها- مع انسياب قلمه، فلا يجري على كلامه في بدايته الأولى أيّ تبديل أو تعديل، حفاظاً على براءة عفويته، وخوفاً من أن يدخل على كلامه ما يخدش صدقه، ويمسُ بكاره معانيه.<sup>(٢)</sup>

وما يتكرر في أول كل خاطرة من خواطر «الثنوي» من «اعلم» فالمقصود: «اعلم يا سعيد». أو «اعلمي»، فالمقصود: «اعلمي يا نفسي»، فبسر قوة الصدق الذي يشيع في ثنايا

(١) إفادة مرام «شمة من نسيم هداية القرآن»

(٢) انظر إفادات المرام ولا سيما إفادة مرام «حبة».

الكتاب - لأنه ليس بعد الصدق مع النفس من صدق - وبسرّ قوة الروح المسكوب في كلماته - لأنه ليس من روح أقوى من روح عجنته المعانة وأنضجته نار التجربة - يمكن لأي إنسان الاستفادة من تجربة هذا الكتاب في ترويض نفسه، والتحرر من رهقها، وكذلك تنقية مداركه العقلية من مفاهيمها الخاطئة عن ربوبية «الطبيعة» وألوهية ماديتها. فبانهدام هذين الوثنيين: النفس والطبيعة، وتحرر الإنسان من طغيان سطوتها عليه، يفسح له المجال واسعا لميلاد ذاته الحرة من جديد، وانتفاضها من بين أنقاض عالمه المتهدم مفعمةً بالعافية، طافحةً بالحيوية، فلا تلبث حتى تسرع في استرداد وعيها الأعمّ الأشمل، وإدراكها الأصحّ الأصوب، فترى - بصفاء نظرها وسريرتها - أنّ كل موجود - بحد ذاته - حرف ضائع لا معنى له ما لم يعطه اسم «الله» الأعظم معناه بالانتساب إليه، ويسبغ عليه مغزاه على قدر ارتباطه به وفهمه عنه.

فالكائنات والموجودات - بما فيها الإنسان - حروف خاوية حائرة تجوب كتاب العالم، فلا تقرّ أو تجد لها مكانا فوق سطور هذا الكتاب الكبير ما لم تستمد معانيها من أسماء الله الحسنى، وما لم يمسه مدد من أمدادها، وينسكب فيها مدادٌ من مِدادِ بحار القدرة.. فلا شيء موجود على الحقيقة ما لم يعطه الله شيئته، ويمنحه كيانه، ويقدر وجوده. فإذا وصل الإنسان إلى هذه النقطة من الإدراك، ولا سيما بعد عظيم المعاناة، فقد وصل إلى «التوحيد» الخالص، وتشرب جوهر الإيثار والإسلام، وعرف جدوى الوجود ومعناه.

وهذا هو ما يرمي «المثنوي» ويهدف إلى تحقيقه في نفس صاحبه أولا، وفي نفس كل قارئ من بعده.

والتوحيد الخالص من شوائب الشك، والذي يشكل لبّ الإيمان، وجوهر عقيدة الإسلام، هو في «المثنوي» ليس أمرا تقريريا، ولا معنىً تلقينيا، ولا عقيدة تقليدية، ولا كلاما محفوظا مرددا يردده المسلم بلسان جاف، وقلب بارد، ووعي ذاهل، كما هو مشاهد اليوم لدى الكثير من المسلمين.. فلا غرو إذا ما عجزت «كلمة التوحيد» اليوم - وقد خالطها هذا القصور المعيب - أن تحرق أبواب الروح، وتلج إلى أعماق الفؤاد، لتطلق قوى المسلم، وتفتجر طاقات كيانه الروحي الذي أصابه الضمور وغدا عاجزا عن ممارسة أي نشاط يمكن أن يزيد في نموه،

ويقوي فيه بصيرة الكشف الذكي عن «علوم التوحيد» العظيمة في مظانها الأصلية من نفس الكون والإنسان.

فالتوحيد الذي يدعونا إليه «الثنوي» ليس تقريرياً، ولا تلقينياً، ولا تقليدياً، ولا ترديدياً، بل استكشافياً.. فيه ما في الاستكشاف من متعة ومغامرة ومعاناة، فهو يأخذنا -عبر خواطره- في جولة استكشافية في أغوار النفس الإنسانية، ويدور بنا في أنسجة الروح والفكر والضمير، ثم يزيح التراب عن ذاكرة الكون المؤودة تحت ركام علوم العصر، ويستنطقها لتحدثنا عن بصمات «التوحيد»، وتدلنا على آيات الإله الواحد الذي لا يقبل الشريك.. ولا يتركنا إلا ونحن قد اكتشفنا «التوحيد» والتقينا في أشد الأشياء الكونية والنفسية بدهاءً، فينبثق في صميم أفئدتنا انبثاقاً، وينغرس بشكل عفوي في أعماق أرواحنا وضمائرنا، فيhez هذا التوحيد الاستكشافي أعماق النفس، ويفعم الذهن بطاقات الذكاء، ويشدُّ في الوجدان أجهزة التلقي عن الكون والحياة، فيستمر المسلم كشافاً رائداً لأعمق الحقائق -في الكون والإنسان- في ديمومة لا تتوقف حتى تتوقف حياته.. فيزيد فيها، ويتسع وعياً، ويخصب وجوداً وحياءً.

والإيمان بالله واحداً واحداً فرداً صمداً هو أحد المحاور الثلاثة -بعد النفس والطبيعة- الذي يدور حوله النورسي في أفكاره وخواطره المسجلة على صفحات «الثنوي». وهو يرى أن العقل المسلم ينبغي أن يكون قرآنيَّ التصور لمفاهيم التوحيد، ولصفات الكمال والجلال والجمال التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى. وأن هذا «العقل» الذي تُشكِّل المفاهيم القرآنية تصوراتهِ عن الألوهية والربوبية.. لا يمكن أن يرقى إلى قمته عقلٌ كائن ما كان ما دام محجوباً عن القرآن.

والنورسي وإن لم يكن قد استعرض تصورات العقليين للألوهية والربوبية، وتصورات غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب والنحل، إلا أننا نحسُّ من خلال كلامه عن أسماء الله تعالى وصفاته، وكأنه يردّ -ضمناً- على هذه التصورات المنحرفة، ويفندها الواحدة تلو الأخرى.

ففي كلامه كما سيلمس القارئ بنفسه ردّ ضمني على مَنْ يزعم -من العقليين- بأن الله تعالى خلق العالم وفرغ من خلقه، ولا شأن له به بعد ذلك.

وردُّ على مَنْ يدّعي عدم علم الله بالجزئيات، تعالى عن هذا علواً كبيراً.

وردّ على مَنْ يؤمن بالله ولكنه يتردد ويتلجلج في إيمانه بالملائكة والكتب والرسل والقدّر، واليوم الآخر، والنشر والحشر، والجنة والنار.. إلى آخر تلك التصورات السقيمة المجانبة للحق، والمجافية لما أثبتته القرآن وجاءت به السنة المطهرة.

إنَّ الآية القرآنية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) قد أوفّت وكفت وردّت على تصورات العقول البشرية -بقصورها ومحدوديتها- لله سبحانه وتعالى، وأزرت بقياساتها الفاسدة ابتداءً من تصورات أدنى الوثنيين عقولا، ومرورا بأكبر عقل من عقول فلاسفة الإغريق، وانتهاءً بآخر ما وصل إليه العقل الرياضي والعلمي الحديث.. والآية -بحد ذاتها- إشارة إلى أن المسألة أجلّ وأعظم من أن تترك للأمزجة والخيالات والعقول القاصرة لكي تخوض فيها وترى فيها رأيها من غير هدي يهديها من الله الذي هو أعلم بنفسه، وأعلم بخلقها، وقدرات عقولهم عن الفهم عنه، وإدراك ما هو في مكتهم من معاني أسائه وصفاته.

والنورسي يرى في «الأسماء والصفات» حلا للغز العالم، وجوابا على أسئلة كثيرة ربما كان أهمها وأعظمها على الإطلاق هو السؤال الذي حار فيه أكبر العقول من فلاسفة هذا العصر وفلاسفة كل العصور السابقة، وهو: لماذا مُنِحَتْ منحة الخلق..؟ وأعطينا فرصة الوجود..؟ وهذا العالم ما حكمته وجوده..؟ وما مغزى انبعائه عن العدم..؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي ما زالت مثار اهتمام العقول الحائرة من بني البشر.

والنورسي في خواطره عن صفات الله الجمالية يلتقي الحل، ويقع على الإجابات المقنعة، فهو يرى أن الرسام حين يرسم أجمل لوحاته -ولا مشاحة في المثال- إنما يعبر عن فيض الجمال الذي يغمر نفسه، وهو يفعل ذلك ليرى جمال نفسه في لوحاته ولْيُريَ هذا الجمال للآخرين ممّن يملكون القدرة على تذوقه وفهمه والتأثر به.. فكم يكون موقفنا سخيفا وغير منطقي لو توجهنا بالسؤال لهذا الفنان قائلين: ماذا تفعل..؟ وما الذي يملكك على مسك فرشائك لترسم هذه اللوحة..؟ وما سرّ ذلك؟ وما حكمته؟ أليس التوجه بمثل هذا السؤال عبثا لا معنى له؟ ألا يدل على قصور عقولنا؟ وسذاجة أفهامنا؟

فكذلك - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - فإن الصفات الجمالية والكمالية وصفات القدرة

التي يدور غالب أفكار «الثنوي» وخواطره حولها، هذه الصفات التي وصف الله -جلّ شأنه- بها نفسه ومنها: «الخالق، البارئ، المصور، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الودود، الرزاق، الكريم، القادر، العليم...» إلى آخر هذه الصفات لا بد لها من التجلي بمعانيها الجمالية والكمالية في الخلق والإيجاد، وأن ترسم صورتها في مرآة العالم والوجود، وتنسكب بمحاسنها وألوانها على صور الكائنات والموجودات، ليراها مَنْ وصف نفسه بـ«أحسن الخالقين»، وليربها للإنسان في خفايا نفسه، وفيما يحيط به من موجودات. فيرى -هذا الإنسان- ويتأمل ويعتبر، ويشهد ويشغف، ويعجب ويشده، ثم لا يقف عند هذا بل يمر سريعا من الرسم إلى الرّسام، ومن النقش إلى النّقاش، ومن الظل إلى الأصل، وبذلك -أي بهذا الانتقال السريع- يصبح الإنسان جديرا بالفهم عن الله سبحانه وتعالى، الذي قدّر أن يكون محطّ عنايته، وخليفته في أرضه.. وهي بلا شك ستبلغ (أي هذه الصفات الجمالية والكمالية) مداها الأعظم والأشمل والأوفى من الجمال والكمال في حياة الإنسان الأخرى، وعمره الثاني في كنف الرحمن وفي جنته التي هي أروع لوحاته جمالا وحسنا وكمالا وقدرة..

وكما أنّ اللوحة الفنية العظيمة لرسام عبقرى، لا يقدر على تذوق محاسنها، وترشّف روح الجمال فيها، إلّا مَنْ كان له إلمام ببعض قواعد الرسم، ممّن رهف حسّه، ورقّ شعوره، وملك نفسا نقيّة صافية، وقلبا سريع الحساسية بلمحات الحسن والجمال، فكَذلك فإن «الجنة» -ولا مشاحة في المثال مرة أخرى- هذه اللوحة المعجزة والتي رسمتها يد القدرة بألوان اللطف والرحمة الإلهيين، لأبدّ وألّا يزاح عنها الستار إلّا لِمَنْ يمتلك رصيда جماليا في روحه وبدنه، واستعدادا ذوقيا يهّئ له سبل الاستمتاع بهذا الجمال الذي لا عين رأت مثله، ولا أذن سمعت وصفه، ولا خطر على قلب بشر، كما جاء وصفه -بهذا المعنى- في الحديث الشريف.

ولذا فقد كرّس النورسي جملةً عظيمة من خواطره في «الثنوي» لتشويق الإنسان، وترغيبه بالجنة، ولتُفَتّ نظر النفس إلى محاسنها، وتمهيد سبل معرفتها، والوصول إليها، وذلك بتهيئة أحاسيسه الذوقية والجمالية وإرهاقها -وهو بعدُ في الدنيا- وتنقية حواس الروح والبدن من الشوائب والأكدار، وتطهير الضمير والوجدان من قبح الرذائل والآثام، وبهذا تجمّل «النفس» فيشتاق جمالها إلى جمال الجنة فيتناغان ويتجاذبان، ثم إذا قُضي الأجل يلتقيان، فيندغان ويتذاويان في حرارة الاشتياق وبهجة اللقاء.

والآخرة بأحداثها وأهوالها، ونشرها وحشرها وجنتها ونارها، ليست -عند النورسي- قضية هامشية تحتل هامش ذهنه، وفضول وقته، وبقايا همّه -كما هي اليوم لدى الغالبية العظمى من الناس- وإنما هي شهود دائم، وحضور قائم، ووجود شاخص، لا يرح فكره، ولا يغادر وجدانه، يراها بنظر بصيرته كما يرى الأشياء بنظر عينه، وتتحسس روحه كما يتحسس كل مشهود ومعلوم، وينفعل كيانه بها انفعالاً من يَبْدُهُ الشيء العظيم والخطير، فيستهوله ويتعظمه، ويخافه ويرجوه، ويرغب به، ويرهب منه.. فما دام الذي بين الإنسان وبين أن تقوم قيامته، وتحل آخرته، هو أن يأتي زمن موته، وهو زمن مجهول قدره، محجوب سرّ قدومه، مكتوم وقت نزوله، ولكنه آت لا ريب فيه، لذا فالآخرة -بهذا الاعتبار- هي غائبة حاضرة، بعيدة قريبة، مجهولة معلومة، مستورة مكشوفة.. هكذا يتحدث عنها النورسي -مستعينا بما يرمز إليها من شؤون الدنيا- ويصف قيامتها وحشرها ونارها وجنتها وصفَ مَنْ يراها ويسمعها، ويغشاؤها وقتها وزمانها. وما لم يكن الشلل الروحي قد استفحل ديبه في كيان المرء، وما لم يكن قد سرى خدره المتيسّس إلى أمداء عميقة وسحيقة فيه، بحيث لم يُعَدّ يجدي فيه أيّ علاج.. فأغلب الظن أن «المثنوي» قادر بإذن الله -بما تفيض به كلماته من بدهاء الصدق المقنع- على تحرير هذا المرء من أصفاد شلله، وقادر على إجراء ذلك التمسيد المنشط للذرات الباردة المتبسة في وجدان هذا المرء، وبعث الدفء والحركة والإحساس بالعافية في كيانه كله، فلا يلبث أن يندفع -في فورة عافيته- مخترقا شغاف الأوهام بسنا النور الذي أشرقت شمسُه في فؤاده، ومبددا دياجي الأباطيل ببوارق الحق الذي سطع ضوءُه في آفاق عقله.

وتجربة النورسي في مثنويه تعلمنا بأن «الحقيقة الدينية» -كأية حقيقة وجودية أخرى بل أكثرها علواً وشرفاً- لا يمكن أن تفصح عن نفسها، وتكشف عن سرها إلا إذا بحث عنها وجهد في استكشافها الكيانُ البشري برمته، أي بنزاهة الفكر، وإخلاص الضمير، وطهارة الروح والبدن، لأن كل هذه الجوانب -التي منها يتكون الكيان البشري ويستقيم أمره- لها مجساتها الخاصة التي بها تجس جانباً من جوانب الحقيقة وتلمسها متلذذة بهذا التلمس والتحسس. وبمجموع هذه المجسات المتساندة والمتعاونة في الكيان البشري، وبالجوارح جميعاً -المادية والمعنوية- يمكن الإحاطة بالحقيقة الدينية والتقاطها وجعلها تسفر عن نفسها كأنصع وأجمل ما تكون، لتنال كلُّ جراحة منها حظها، وترشف منها ما يلائم مزاجها، ويُرضي حاسة

ذوقها. ولعلّ في إسرائ الرسول ﷺ وفي معراجِهِ إلى الملكوت الأعلى بكيانه البشري كله - لا بجزء من هذا الكيان - إيماءً إلى أن المعارف الدينية والتعبدية لا يمكن للمرء أن يستكمل جميع ما يتقتر منها من حلاوة ولذة إلّا باستخدام جميع أحاسيس كيانه الروحية منها والمادية. فكما أن آلام هذا الكيان ليست واحدة، فألم العين ليس كآلم الأذن، وآلم الأذن غير آلم الضرس، وأوجاع النفس غير أوجاع البدن، فكذلك فإن مباهيج هذا الكيان وأفراحه وأذواقه ليست واحدة على التحقيق..

فالصلاة مثلاً - وهي معراج المسلم خمس أوقات في اليوم - تصبح - في الأداء الأمثل - موضع مذاقات الذات البشرية بأسرها؛ فكراً وروحاً وبدناً، ومن هنا جاء قوله ﷺ: «يا بلال أقم الصلاة أرحنًا بها»<sup>(١)</sup> وقس على هذا جميع العبادات والمعارف الإيمانية الأخرى التي استعرضها النورسي في كتابه هذا، مبيّناً ضرورتها للإنسان كضرورة الماء والهواء، بل أعظم منها ضرورة، فهو (أي النورسي) لشدة احترامه للإنسان فإنه يحاور - في مثنويه - الكيان الإنساني بأسره وبجميع لطائفه أسوءً بمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو يقرر بأن أية معرفة إيمانية لا يكون من همّها إشباعُ لطائف الإنسان جميعاً، تبقى ناقصة ومبتورة أمام المعرفة الجامعة الكاملة المستقاة من القرآن الكريم مباشرةً من قِبَل مَنْ هم ورثة الأنبياء حقاً وصدقاً.

وحتى «القدر» الذي يقدر مقادير الخلق، ويعين وظائف الموجودات، ويرسم لكل كائن في هذا العالم المدى الذي يمضي إليه، والبعد الذي يصل عنده ويؤشر له نقطة البداية التي ينطلق منها، ونقطة النهاية التي يقف عندها، ثم يربط الموجودات بعضها ببعض، ويسنّها سنن التعاون والتساند فيما بينها، فما يبدو - للوهلة الأولى - وكأنه صراع من أجل البقاء بين بعض أنواعها، هو في النظرة العميقة الشاملة وفي المحصلة النهائية، وما يفضي إليه هذا الصراع من غايات ومقاصد، يصب في تيار التعاون والتساند ويثري الحياة، ويسهم في دفعها نحو الهدف الذي يريده منها خالق الحياة..

(١) رواه أبو داود عن سالم ابن أبي الجعد. قال: قال رجل ليني صليت فاسترحت فكأنهم عابوا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا بلال أقم الصلاة أرحنًا بها» ولأبي داود رواية أخرى مشابهة عن محمد الحنفية. (كشف الخفاء ١/ ١٠٨ باختصار).

أقول: إن القدر، بهذا المفهوم الذي يطرحه النورسي في جملة من خواطره في «المثنوي» - وإن كان فوقيا وغيبيا- إلا أنه لا ينزل بالإنسان هكذا فجأة وعلى غير انتظار، ولا يلطم أحدا إلا تأديبا له وتعلما، أو تنبيها وتذكيرا ولا يُرَبَّتْ على ظهر أحد غير جدير برحمته، وبلمسات لطفه وودّه، وهو ليس من همه أبدا أن يقف في طريق الإنسان، ويدخل معه في صراع فلا يفله حتى يصّره.. فلو استعرض كلُّ منا شريط حياته لشعر وكأنّ ما وقع له من أحداث أو أقدار - في سني عمره كله- لم تقع اعتباطا، ولم تحدث لغير ما مغزى ويتيقن بأنّ كل شيء حدث له وكأنه كان ينبغي أن يحدث على الشكل الذي حدث به وبالطريقة عينها التي حدث بها، وأنه النتيجة المتوقعة لسلسلة من المقدمات التي سبقتها، فلا تقبل نتيجة سواها. فالأحداث أو الأقدار -تأنيسا لبني البشر- لا تأتي مغايرة لمن تقع لهم، بل تأتي شبيهة بهم وبأعمالهم، وبما ينطوي عليه كيانهم البشري من أصول البطولة أو الخسة، ومن جذور النقاء أو الدنس. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ ۖ ﴾ (الإسراء: ٨٤) فعلى شاكلة هذه الأعمال، وبسببها وعلى قدرها يقع القدر، وينفذ القضاء.

وبعد:

ويجدر بي أن أشير إلى أن الجديد في هذا الكتاب هو قدرة النورسي الفذة على صياغة القضايا الإيمانية والبرهنة على صدقها وأحقيتها بأسلوب هو مزيج من عقل المفكر، وقلب الشاعر.. ولكي أعطي صورة قريبة عن هذا الأسلوب للقارئ الكريم أقول:

إنّ النورسي نفس شاعرة، وروح لهيف، وقلب مشتاق، ووجدان رقيق مرهف، وبصيرة نفاذة مذواق، وبصر لَمّاح رصّاد لا تفوته بارقة من بوارق الجمال الكوني، ولا تفلت منه سائحة من سوانحه. وطائر عجيب يلتقط لآلئ الحسن من فوق جيد الوجود. وظامئ عطش يترشف زلال الجمال من رضاب ثغور الأكوان.. ومع كونه يملك كل صفات «الشاعر العظيم» إلا أنه لم يقل شعرا، أعني أنه لم ينظم شعرا كما ينظم الشعراء، ولكن ما قاله في «المثنوي» رغم أنه يحمل ميزات «الشعر» ومقوماته شكلا وقالبا، إلا أنه شاعريّ الروح والنفس وجداني الانسياب، رشيقي في صوره وأخيلته، مع عمق أفكاره ودقيق معانيه!



# المُتَنَوِّعَاتُ لِلْعَرَبِ النَّوْصِيَّةِ

تَأَلَّفَ  
بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدُ النَّوْصِيَّةِ

تَحْقِيقُ  
إِحْسَانُ قَاسِمِ الصَّالِحِي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المؤلف

### للمجموعة العربية لفظا والمثنوي حكما

ترجمة: الملا عبد المجيد النورسي

«تتضمن خمس نقاط»<sup>(١)</sup>

#### النقطة الأولى

كان «سعيد القديم» - قبل حوالي خمسين سنة - لزيادة اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية يتحرى مسلكا ومدخلا للوصول إلى حقيقة الحقائق، داخلا في عداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة. وكان لا يَقتنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها - كأكثر أهل الطريقة - بل جَهدَ كلَّ الجهد أولا لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إياه مداومة النظر في كتب الفلاسفة.

ثم أراد - بعد أن تخلص من هذه الأسقام - أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكل من أولئك العظماء خاصية جاذبة خاصة به، فحار في ترجيح بعضهم على بعض. فخطر على قلب ذلك «السعيد القديم» الممخض بالجروح ما في مكتوبات «الإمام الرباني»<sup>(\*)</sup> من أمره له غيبا: «وحد القبله» أي إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلّا، وإن توحيد القبله إنما يكون بأستاذية القرآن فقط. فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي بالسلوك بروحه وقلبه على أغرب وجه، واضطرته نفسه الأمانة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية.

(١) لدى مقابلة هذه الترجمة مع الأصل التركي وجدتها وافية بالغرض إلّا ما استوجب من تغيير طفيف في بعض العبارات وإضافة أخرى لتكون أكثر مشابة بالنص التركي.

وخلال سلوكه ذلك المسلك ومعاناته في دفع الشكوك، قَطَعَ المقامات، وطأَعَ ما فيها، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار، بل كما فعله الإمام الغزالي<sup>(١)</sup> والإمام الرباني وجلال الدين الرومي<sup>(٢)</sup> مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها (أي في المقامات) ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحةً من غير غُضٍ ولا غمض.

فحمدا لله على أن وُفِّقَ على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وإرشاده، حتى يَبينَ برسائل النور التي أَلْفَها «سعيد الجديد» حقيقة:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ<sup>(٣)</sup>

### النقطة الثانية

لقد كان في سياحته وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات، ساعيا بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب، كالإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي. فبادر إلى ضماد جراحات قلبه وروحه، وخلَصَ نفسه من الوسوس والأوهام. وبخَلَصِهِ منها انقلب «سعيد القديم» إلى «سعيد الجديد»، فألَّفَ بالعربية ما هو بحكم المنثوي الشريف -الذي هو أصلاً بالفارسية- رسائل عدة في أوجز العبارات. وكلما سنحت له الفرصة أقدمَ على طبعها، وهي: «قطرة، حباب، حبة، زهرة، ذرة، شمة، شعلة، ودروس أخرى» مع رسالتين بالتركية وهما: لمعات<sup>(٤)</sup> ونقطة. وبيّن ذلك المسلك في غضون نصف قرن من الزمان في رسائل النور التي لم تقتصر على جهاد النفس والشیطان، بل أصبحت شبيهة بمجموعة كلية واسعة من «المنثوي» تنقذ الحيارى المحتاجين وتنتشل المساقين إلى الضلالة من أهل الفلسفة.

### النقطة الثالثة

إن المناظرة الجارية بين ذينك السعيدين -سعيد القديم والجديد- كانت دافعة للشيطان، قاهرة للنفس، حتى غدت رسائل النور طيبة حاذقة لذوي الجراحات من طلاب الحقيقة، وأصبحت مُلْزِمةً ومُسَكِّةً لأهل الإلحاد والضلالة.

فتبيّن أن هذا «المنثوي العربي» كان نواة لرسائل النور، وغرسا لها، يُخلَصُ الناس من

(١) لأبي الغتاهية في ديوانه، وينسب إلى علي كرم الله وجهه، ونسبه ابن كثير في تفسيره إلى ابن المعتز.

(٢) نشرت ترجمتها ملحقة بمجلد الكلمات تحت عنوان: «اللوامع».

شبهات الشياطين من الإنس والجن.. ولا يخفى أن تلك المعلومات في حكم المشهودات، وأن يقين العلم كعين اليقين، يورث القناعة ويوجب الاطمئنان التام.

### النقطة الرابعة

لما كان أكثر اشتغال «سعيد القديم» بعلمي الحكمة والحقيقة، وينظر عظماء العلماء ويناقشهم في أدق المسائل وأعمقها، ويراعي درجة أفهام طلابه القدامى المطلعين على العلوم الشرعية العالية، فضلا عن أنه يشير إلى ترقياته الفكرية وفيوضاته القلبية، بأدق العبارات وأقصر الجمل التي لا يفهمها إلا هو؛ لذا قد لا يُدرك قسما منها -بعد جهد جهيد- إلا الراسخون في العلم.

فلو كانت تلك الخواطر القلبية مبيّنة بعبارات سهلة مفصّلة وموضحة بإيضاح يقربها إلى الأفهام لكان ذلك «المنثوي العربي» معينا تاما لرسائل النور ومعاونها في وظيفتها.

فتبيّن أن «المنثوي العربي» -وهو مشتل رسائل النور وغراسها- قد سعى كالطرق الخفية إلى المعرفة الإلهية، في تطهير الأنفس والداخل من الإنسان، فوقّق إلى فتح الطريق من الروح والقلب.

بينما رسائل النور -التي هي بستانه البانع- قد فتحت طريقا واسعا إلى معرفة الله، بتوجهها إلى الآفاق الكونية -كالطرق الجهرية- فضلا عن جهادها في الأنفس، حتى وكأنها عصا موسى عليه السلام أينما ضربت فجزت الماء الزلال.

وكلاهما يوصل إلى معرفة الله.. كما قيل:

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحَسْنُكَ وَاحِدٌ      وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ<sup>(١)</sup>

وكذا فإن رسائل النور ليس مسلكها مسلك العلماء والحكماء، بل هو مسلك مقتبس من الإعجاز المعنوي للقرآن يُخرج زلال معرفة الله من كل شيء، فيستفيد السالك في رسائل النور في لحظة ما لا يستفيده سالكو سائر المسالك في سنة.

وذلك سرٌّ من أسرار القرآن يعطيه الله من يشاء من العباد ويدفع به هجوم أهل العناد.

(١) لم ينسب إلى قائله: انظر تفسير الألوسي ٨/ ٤١٧؛ البحر المديد لابن عجيبة ٤/ ١١٣؛ البرهان للزركشي ٢/ ١٦٠.

### النقطة الخامسة

إنك ترى في ثاني «المثنوي» أعني تلك المجموعة العربية، من المسائل والحقائق الدقيقة التي من شأنها أن يكون كلُّ منها موضوعاً لرسالة.. قد ذُكرتْ ضمن ألفاظٍ ضيقة لا تَسعها، وفي سطور معدودة لا تستوعبها.. وأفردت تلك المسائل بذكر: «اعلم.. اعلم» في أوائلها. فلا تظن أن المسائل -التي كل منها موضوعٌ لرسالة ومشيرٌ إلى حقائق متخالفَةٍ بعضُها عن بعض- كلها من فن واحد، أو عائد إلى مقام واحد، أو كاشف عن جواهرٍ صَدِفَ واحد، قائلاً في نفسه: «إنَّ ذِكر «اعلم» وتكراره في رؤوس هذه المسائل مما لا فائدة له ولا طائل تحته»؛ لأن كلا منها عنوان وفهرس لرسائل وحقائق، وتكراره إنما هو للإشارة إلى ما بين تلك المسائل من المغايرة.

فعلى القراء الكرام أن يضعوا هذه النقاط المذكورة آنفاً نصب أعينهم كيلا يبادروا إلى الاعتراض.<sup>(١)</sup>

سعيد النورسي

(١) قد تُرجم المترجم مقدمة هذا «المثنوي» قرب صاحب «المثنوي الأول» -جلال الدين الرومي- في مدينة قونية في تركيا. وهذا ليس من التصادف، بل فيه إشارة وحكمة لا أقدر أن أعبر عنها. (عبد المجيد)

## تنبيه.. إخطار.. اعتذار!

**اعلم** أن هذه الرسالة نوعٌ تفسيرٍ شهوديٍّ لبعض الآيات القرآنية. وما فيها من المسائل أزهيرُ اقتُطفت من جنات الفرقان الحكيم، فلا يوحشك ما في عباراتها من الإشكال والإجمال والإيجاز، فكرر مطالعتها حتى يفتح لك سرُّ تكرار القرآن؛ أمثال:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: ٢).

ولا تخف من تمرد النفس؛ لأن نفسي الأمانة المتمردة المتجربة انقادت وذلت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق! بل شيطاني الرجيم أفرجهم وانخنس.

كُنْ مَنْ شئت، فلا نفسك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانك أغوى وأشقى من شيطاني.

أيها القارئ!

لا تحسبن براهين التوحيد ومظاهره في الباب الأول<sup>(١)</sup> يغني بعضها عن بعضٍ.. مطلقاً. إذ شاهدتُ الاحتياج إلى كل واحدٍ في مقام مخصوص، إذ قد تُلجئ الحركةُ الجهادية إلى موقع لا بد -للخلاص- من فتح بابٍ في ذلك الموقع؛ إذ لا يتيسر في ذلك الآن التحول إلى الأبواب الأخر المفتوحة.

وكذا لا تظنن أني باختياري أشكلتُ عليك عبارة هذه الرسالة؛ إذ هذه الرسالة مكالمات فجائية مع نفسي في وقتٍ مدّش. والكلمات إنما تولدت في أثناء مجادلةٍ هائلةٍ كأعصارٍ يتصارع فيه الأنوار مع النيران، يتدحرج رأسي في آن واحد من الأوج إلى الحضيض، ومن الحضيض إلى الأوج، من الثرى إلى الثريا؛ إذ سلكتُ طريقاً غير مسلوكة، في برزخ بين العقل والقلب،

(١) جاء هذا التنبيه في -الطبعة الأولى- مقدمة لرسالة «قطرة من بحر التوحيد» إلا أن أهميته جعلته يتصدر المجموعة العربية كاملة.

ودارَ عقلي من دهشة السقوط والصعود. فكلما صادفتُ نورا نصبتُ عليه علامة لأتذكره بها. وكثيرا ما أضع كلمةً على ما لا يمكن لي التعبير عنه، للإخطار والتذكير، لا للدلالة.. فكثيرا ما نصبتُ كلمة واحدة على نور عظيم.

ثم شاهدت أن أولئك الأنوار الذين يمدونني في بطون أرض الظلمات ما هم إلا شعاعاتُ شمس القرآن تمثلوا لي مصابيح.

اَللّهُمَّ اجعل القرآن نورا لعقولنا وقلوبنا وأرواحنا، ومرشدا لأنفسنا.. آمين

يا من نظر في كتابي!

إن استفدت منه شيئا لابد أن تفيدني فاتحةً أو دعاءً خالصا في سبيل الله.



الرسالة الأولى

# ملحقات

من شمس التوحيد

[النص العربي للكلمة «الثانية والعشرين»]<sup>(١)</sup>

(١) هذه الرسالة مع الرسالتين الموسومتين بـ«رشحات، لاسيما» عبارة عن رسالة واحدة في الطبعة الثانية، إلا أن كلا منها رسالة مستقلة في المخطوط وفي الترجمة التركية، فأثرنا فصلها إلى رسائل مستقلة.

هذا، وإن الرسائل الثلاث من تأليفات «سعيد الجديد» باللغة العربية ألّفها في «بارلا» بعد نفيه إليها سنة ١٩٢٧.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ بحمدك هذه الكائناتُ السَّيَّالَةُ بتسبيحاتِ لِسَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي تَمُوجُ أَصْدِيئُهُ تَسْبِيحَاتِهِ لَكَ، عَلَى أَمْوَاجِ الْأَجْيَالِ، وَأَفْوَاجِ  
الْأَعْصَارِ، بِمَرِّ الْفُصُولِ وَالْعُصُورِ وَالْأَدْوَارِ.

اَللّهُمَّ فَأَبْدُ عَلَى صَفْحَاتِ الْكَائِنَاتِ وَعَلَى أَوْرَاقِ الْأَوْقَاتِ، أَصْدِيئَةَ تَسْبِيحَاتِهِ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْعَرَصَاتِ.

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ بحمدك الأَرْضُ، سَاجِدَةً تَحْتَ عَرْشِ عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ بِلِسَانِ  
مُحَمَّدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَوَاتِكَ وَأَجْمَلُ تَسْلِيَمَاتِكَ؛ إِذْ هُوَ النَّاطِقُ وَالْمُتَرْجِمُ لَتَسْبِيحَاتِ  
الْأَرْضِ لَكَ بِالسَّنَةِ أَحْوَالِهَا. وَبِرِسَالَتِهِ اسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُ فِي مَسْتَقَرِّهَا فِي مَدَارِهَا.

اَللّهُمَّ فَأَنْطِقِ الْأَرْضَ بِأَقْطَارِهَا إِلَى نِهَايَةِ عَمْرِهَا بِتَسْبِيحَاتِ لِسَانِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.  
سبحانك يا مَنْ يُسَبِّحُ بحمدك جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فِي جَمِيعِ الْأَمَكْنَةِ وَالْأَوْقَاتِ،  
بِلِسَانِ مُحَمَّدِهِمْ عَلَيْهِ أَكْمَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَاتِ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي تَتَظَاهَرُ أَنْوَارُ تَسْبِيحَاتِهِ  
لَكَ مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

اَللّهُمَّ فَأَنْطِقِ بَنِي آدَمَ إِلَى آخِرِ عَمْرِ الْبَشَرِ بِتَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ لَكَ، عَلَيْهِ صَلَاتُكَ  
وَسَلَامُكَ كَمَا يَلِيقُ بِحَرَمَتِهِ وَبِرَحْمَتِكَ، وَارْحَمْنَا وَارْحَمْ أُمَّتَهُ. آمِينَ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في بيان جواهر من خزائن هذه الآيات: <sup>(١)</sup>

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ (الزمر: ٦٢، ٦٣).

﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٣)

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (الحجر: ٢١)

﴿مَّا مِنْ دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦).

يا أيها الغافل المنغمس في الأسباب! إنّ الأسباب حجابٌ تصرّف القدرة؛ إذ العزة والعظمة تقتضيان الحجاب، لكنّ المتصرّف الفعّال هو القدرة الصمدانية؛ إذ التوحيد والجلال هكذا يقتضيان. إذ سلطان الأزل له مأمورون، لكن ليسوا وسائط الإجراء حتى يكونوا شركاء سلطنة الربوبية، بل هم من الدلائل الذين يعلنون إجراءات الربوبية، ومن النظار الذين يشاهدون ويشهدون، ويكتسبون - في الانقياد للأوامر التكوينية - عبادات تناسب استعداداتهم. فهذه الوسائط لإظهار عزة القدرة وحشمة <sup>(٢)</sup> الربوبية.

وأما السلطان الإنساني، فلعجزه واحتياجه يحتاج إلى وسائط ومأمورين يشتركون في سلطنته. فلا مناسبة <sup>(٣)</sup> بين المأمور الإلهي والإنساني.

نعم، إن نظر أكثر الغافلين لا يدرك حسن الحادثات ولا يعرف حكمتها، فيشتكي بلا حق، ويعترض جهلاً. فوضعت الأسباب لتوجه الشكاوى إليها. وإذا وفق أحدٌ لدرك الحكمة والحق ارتفعت الأسباب عن نظره.

وقد قيل بتمثيل معنوي: إنّ عزرائيل عليه السلام اشتكى إليه تعالى: بأن عبادك

(١) الدرس الرابع عشر من كتاب «المدخل إلى النور» (Nurun İlk Kapısı) الذي يعدّ أول مؤلفات «سعيد الجديد» بالتركية.

(٢) الحشمة: عند المؤلّدين بمعنى الأدب، المهابة، الجلال. (لسان العرب)

(٣) أي لا موازنة ولا مقايضة.

يشكون منّي في قبض الأرواح، فألقي إليه: إني أضع بينك وبينهم، وسائط المصيبات حتى يتوجّه شكواهم إليها لا إليك.<sup>(١)</sup>

الحاصل: إنّ العزّة والعظمة تقتضيان وضع الأسباب الظاهرية لردّ الشكايات الباطلة، ولثلا يرى العقل الظاهري مباشرة يد القدرة بالأمور الخسيسة الجزئية. ولكن التوحيد والجلال يردّان أيدي الأسباب عن التأثير الحقيقي.

### تنبيه

إنّ التوحيد توحيدان:

الأول: توحيد عامي يقول: «لا شريك له، ليس هذه الكائنات لغيره» فيمكن تداخل الغفلات بل الضلالات في أفكار صاحبه.

والثاني: توحيد حقيقي يقول: «هو الله وحده، له الملك، وله الكون، له كل شيء» فيرى سيّته<sup>(٢)</sup> على كل شيء ويقرأ خاتمه على كل شيء، فيثبت له إثباتاً حضورياً. لا يمكن تداخل الضلالة والأوهام في هذا التوحيد.

فنحن نُسمِعُك لمعاتٍ من هذا التوحيد التي استفدناها من القرآن الحكيم:

### اللمعة الأولى

إنّ للصانع جل جلاله على كل مصنوع من مصنوعاته سكةٌ خاصةٌ بمن هو خالق كل شيء.. وعلى كل مخلوق من مخلوقاته خاتمٌ خاصٌ بمن هو صانع كل شيء.. وعلى كل منشور من مكتوبات قدرته طغراء<sup>(٣)</sup> غراء لا تُقلد، خاص بسلطان الأزل والأبد.

مثلاً: انظر مما لا يُعدّ من سكاته، إلى هذه السكة التي وضعها على «الحياة». انظر إلى الحياة كيف يصير فيها شيءٌ كلّ شيءٍ. وكذا يصير كلّ شيءٍ شيئاً.

نعم، يصير الماء المشروب - بإذن الله - ما لا يُعدّ من أعضاء وجهازات حيوانية، فصار شيءٌ بأمر الله كلّ شيءٍ. وكذا يصير جميع الأطعمة المختلفة الأجناس - بإذن الله - جسماً

(١) انظر: أبو الشيخ، العظمة ٣/ ٨٩٧؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ٥/ ٥١؛ تفسير بحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٣٨٢؛

الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٥٤٣؛ الحكيم الترمذي، نوادر الأصول ١/ ١٧٧-١٧٨.

(٢) السكة: شارة الدولة الموضوعة على مسكوكاتها.

(٣) الطرة أو الطغراء: علامة ترسم على النماشير السلطانية.

خاصا وجلدا مخصوصا وجهازا بسيطا، فيصير كل شيء شيئا لأمر الله. فمن كان له عقل وشعور قلب يفهم: أن جعل شيء كل شيء وجعل كل شيء شيئا سكة خاصة بصانع كل شيء وخالق كل شيء جلّ جلاله.

### اللمعة الثانية

انظر إلى خاتم واحد من الخواتم الغير المعدودة الموضوعة على «ذوي الحياة» وهو: أن الحيّ بجامعيته كأنه مثال مصغر للكائنات، وثمر مُزهر لشجرة العالم، ونواة منورة لمجموع الكون، أدرج الفاطر فيه أنموذج أكثر أنواع العالم، فكأن الحيّ قطرة محلوبة من مجموع الكون بنظومات حكيمة معينة، وكأنه نقطة جامعة مأخوذة من المجموع بموازين حساسة علمية، فلا يمكن أن يخلق أدنى ذي حياة إلا من يأخذ في قبضة تصرفه مجموع الكائنات. فمن كان له عقل لم يفسد، يفهم: أن من جعل النحل -مثلا- نوع فهرست<sup>(١)</sup> لأكثر الأشياء، ومن كتب في ماهية الإنسان أكثر مسائل كتاب الكائنات، ومن أدرج في نواة التينة هندسة شجرة التين، ومن جعل قلب البشر أنموذجا ومرصادا لآلاف عوالم، ومن كتب في حافظة البشر مفصل تاريخ حياته وما يتعلق به.. ليس إلا خالق كل شيء، وأن هذا التصرف خاتم مخصوص برب العالمين.

### اللمعة الثالثة

انظر إلى نقش طغرائه المضروب على «الإحياء، وإعطاء الحياة»..

نذكر مما لا يُعد واحدا وهو أنه: كما أن للشمس على كل شفاف -أو كشاف- من السيارات، إلى القطرات، إلى الذرات الزجاجية، والزجاجات الثلجية<sup>(٢)</sup> سكة مثالية من جلواتها، وطغراء غراء خاصة بها.. كذلك إن للشمس الأحدية السرمدية<sup>(٣)</sup> على كل ذي حياة -من جهة الإحياء وإفاضة الحياة- طرة وسكة من تجلي الأحدية تظهر بخصوصية، لو اجتمع الأسباب -بفرض الاقتدار والاختيار لها- على أن يقلدوا ويأتوا بمثلها لم يفعلوا ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

(١) فهرس أو فهرست: كلمة معربة، وفهرسته هنا للأفراد.

(٢) البلورات الثلجية.

(٣) الشمس السرمدية تعبير مألوف في الأدب التركي والفارسي بحق الله جلّ جلاله المنور لكل شئ بخلاف الأدب العربي.

فكما أنه لو لم تُسند تماثيل الشمس<sup>(١)</sup> المتلألئة في القطرات، إلى تجلي الشمس، يلزم عليك أن تقبل شُمُيسة حقيقية وبالأصالة في كلّ قطرة قابلتها الشمس وفي كل زجاجة أضواءها الشمس، بل في كل ذرة شفافة تشمست. وما هذا الفرض إلا بلاهة من أعجب البلاهات.

كذلك إنك لو لم تُسند كلّ حي وحياة وإحياء بواسطة تجلي الأحذية الجامعة، وبواسطة كون الحياة نقطة مركزية لتجلي الأسماء - التي هي أشعة شمس الأزل والأبد - لزم عليك أن تقبل في كل ذي حياة - ولو ذبابة أو زهرة - قدرة فاطرة بلا نهاية وعلمًا محيطًا وإرادة مطلقة، وكذا صفات لا يمكن وجودها إلا في الواجب الوجود. حتى تضطر أن تعطي لكل ذرة ألوهية مطلقة، إن أسندت الشيء إلى نفسه، أو تقبل لكل سبب من الأسباب الغير المحدودة ألوهية مطلقة إن أسندت الشيء إلى الأسباب، وتقبل شركاء غير متناهية في الألوهية التي شأنها الاستقلالية التي لا تقبل الشركة أصلاً.

إذ إن كل ذرة - لاسيما إذا كانت من البذرة والنواة - لها وضعية منتظمة عجيبة، ولها مناسبة مع أجزاء الحي الذي هي جزء منه، بل لها مناسبات مع نوعه، بل مع الموجودات، ولها وظائف في نسبها كالنفر<sup>(٢)</sup> في الدوائر العسكرية. فلو قطعت نسبة الذرة عن التقدير المطلق، لزمك أن تقبل في الذرة عينا ترى كل شيء وشعورا يحيط بكل شيء.

الحاصل: كما أنه لو لم تُسند الشُمُيسات المشهودة في القطرات إلى جلوة الشمس في ضيائها، لزمك قبول شمس غير محصورة في أشياء صغيرة تضيق عن نجمة الذبيبة التي تطير في الليل... كذلك لو لم تُسند كلّ شيء إلى التقدير المطلق الذي تساوى بالنسبة إلى قدرته الذرات والشموس، والجزء والكل، والجزئي والكلي،<sup>(٤)</sup> والصغير والكبير. لزمك قبول آلهات<sup>(٥)</sup> غير متناهية وسقطت في بلاهة من أشنع البلاهات.

(١) أي صورتها المرتسمة في القطرة حيث إنها صورة مثالية.

(٢) الجندي الفرد.

(٣) المقصود البراع أو الحُجاب وهي حشرة تطير ليلاً كأنها نار.

(٤) من الاصطلاحات المستعملة في علم المنطق والكلام، وللتوضيح نقول: إن اليد والعين كلاهما «جزء» من الجسم الذي هو «كل». أما الإنسان الذي هو اسم للنوع أو للجنس الشامل لأفراد كثيرة فهو «كلي»، وكل فرد من الناس «جزئي». وكذا «الكائن الحي» الذي يندرج تحته كل ذي حياة هو «كلي» بينما نملة أو نحلة مثلاً «جزئي».

(٥) جمع ألهة التي هي جمع قلة.

## اللمعة الرابعة

فكما أن الكتاب لو كان مكتوباً يكفي له قلمٌ واحدٌ لواحدٍ، ولو كان مطبوعاً يلزم لطبعه أقلامٌ بعدد حروفه - على شكل حروفه - واشترأك كثيرين لتصنيع تلك الأقلام، أي الحروف الحديدية. ولو كتب بخط دقيق أكثر الكتاب في بعض الكلمات - كما قد تكتب سورة «يس» في كلمة «يس»<sup>(١)</sup> - فحينئذ لا بد لطبع تلك الكلمة الواحدة أقلامٌ حديدية بعدد حروف أكثر الكتاب.

كذلك هذه الكائنات إذا قلت إنها مكتوبة بقلم الواحد الأحد، سلكت طريقاً سهلاً معقولاً في نهاية السهولة بدرجة الوجوب، وإذا أسندتها إلى الطبيعة وإلى الأسباب، سلكت طريقاً في نهاية الصعوبة بدرجة الامتناع وفي نهاية عدم المعقولة بدرجة المحالية؛ لأنه يلزم على الطبيعة إن تُحضّر لطبع كل حيٍّ كل ما يلزم لأكثر الكائنات. فهذه من الخرافات التي تمجّجها الأوهام. بل لا بد أن تُوجد في كل جزء من التراب والماء والهواء؛ إمّا ملايين مطبوعاتٍ معنوية وماكيناتٍ مستترةٍ فيه حتى بعدد الأزهار والأثمار، ليُمكن تشكّل هاتيك الأزهار والثمرات المتخالفة للجهازات والماهيات.. وإمّا فرض وجود قدرةٍ قادرةٍ على تصنيع جميع النباتات، ووجود علمٍ بلا نهاية محيطٍ بتفاصيل جميع خواص جميع الأشجار والمتزهات وجهازاتها وموازينها، في كل جزء من التراب والماء والهواء؛ إذ كل جزء من هذه الثلاثة يصلح أن يصير منشأً لتشكّل كل النباتات أو أكثرها.

فافرض قصعةً تراب، ثم افرض دخول كل بذر ونواة فيها على التعاقب، ثم أفرغ القصعة واملأها من صُبْرة<sup>(٢)</sup> التراب حتى تكيل كل التراب، ترى النتيجة واحدة. على أن المشهود يكفيك؛ إذ تُشاهد في سيرك في الأرض مَنشِئَةً أكثر أجزاء التراب لأكثر النباتات، مع أن تشكّل كل واحدٍ واحدٍ من النباتات المزهرة والثمرة مخالفٌ لكل واحدٍ واحدٍ منها؛ وكل واحد منها له من الانتظام والاتزان والامتيان طرز خاص وخصوصية تستلزم جهازاتٍ مخصوصةً، وماكينة خاصة، ومطبعة تخصه، بل تستلزم وجود كل جهازاتٍ تشكيلٍ تمام الشجرة والنبات في كل واحد من نواته وبذره، مع بساطة البذور والنوات<sup>(٣)</sup> وتشابهاها. فيلزم

(١) كما كتب خطاطون بارعون لوحات فنية فيها سورة «يس» كاملة في كلمة «يس».

(٢) صُبْرة: ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن.

(٣) تجمع النواة: نوى، ونويات، وأنواء، ونوى. أما هنا فقد جمعت جمعاً مؤنثاً سالماً.

على الطبيعة أن تُحضر -معنى- جهازات تُشكّل كل الأشياء وماكيناتها المعنوية وأسبابها في كل شيء شيء. فهذه سفسطة يتنّفّر منها السوفسطائي أيضاً، وخرافةٌ ينجّل منها من يُضحكُ الناس بنقل الخرافات.

### اللمعة الخامسة

انظر! كما أن كل حرف من كتاب يدل على نفسه بمقدار حرف وبوجه واحد، لكن يدّل على كاتبه بوجوه ويعرّف نقّاشه بمقدار سطر..<sup>(١)</sup>؛ كذلك كل حرف مجسم من كتاب الكائنات يدل على نفسه بمقدار جرّمه ويظهر ذاته بمقدار صورته، لكن يدل على صانعه بوجوه كثيرة، إفراداً وتركيباً بدخوله في المركبات، ويظهر أسماء صانعه ويُشدد في بيانها بمقدار قصيدة طويلة.

فعلى هذا لو تحمّق أحدك «هبتقة»<sup>(٢)</sup> فأنكر نفسه وأنكر الكائنات، ينبغي أن لا يتجاسر بإظهار نهاية البلاهة على إنكار الصانع.

### اللمعة السادسة

انظر! كما أن الصانع سبحانه وضع على كل جزئي جزئي خاتمه الخاص، وضرب على كل جزء جزء سكّته المخصوصة -كما مر-؛ كذلك وّضع على كلّ نوع نوع وعلى كلّ كلّ خاتمه الخاص، وختم أقطار السماوات والأرض بخاتم الواحدة، وضرب على مجموع العالم سكةً الأحدية بصورة جليلة واضحة.

فانظر إلى خاتمه الذي أشارت إليه آية ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠)، إذ في كيفية إحياء الأرض حشرٌ عجيب، ونشر غريب، يُحشّر في إحيائها أزيد من ثلاثمائة ألف نوع، تُساوي أفراد نوع واحد -من كثير من تلك الأنواع- في السنة مجموع أفراد الإنسان في الدنيا؛ لكن لحكمة خفية لا تعاد في الأكثر بأعيانها، بل بأمثالها بمثلية كالعينية! وكيفما كان فلا بأس في دلالتها على سهولة حشر البشر، وفي كونها أمثلة النشر وإشارات الحشر.

(١) أي كأن يقول: إن كاتبه يتقن اللغة ويحسن الكتابة ويملك القلم.. وهكذا.

(٢) أحمق من هبتقة مثل يضرب لشدة الحاققة. حيث «هبتقة» ما كان يعرف إلا نفسه، ولا يعرف نفسه إلا بقلنسوته، وإذا ما رآها على رأس أحد ظنّ أنه نفسه! (مجمع الأمثال للميداني)



فإحياء تلك الأنواع الكثيرة المختلطة المشتبكة في نهاية الاختلاط والاشتباك بنهاية الامتياز، وإعادتها في كمال التمييز، بلا خطأ ولا خلط، بلا غلط ولا سقط، خاتمٌ خاص بمن له قدرة بلانهاية وعلم محيط.

وكذا كتابة ثلاثمائة ألف كتاب مختلفة بل أزيد في صحيفة سطح الأرض؛ مختلطة لكن في نهاية الانتظام بلا سهو ولا مزج، ومشتبكة لكن في نهاية الانتظام بلا نقص ولا بخس، وممتزجة لكن في نهاية التمييز والتشخيص بلا قصور ولا فطور.. سكة خاصة بمن بيده ملكوت كل شيء، وبيده مقاليد كل شيء، ولا يُشغله شيء عن شيء.

فيا مَنْ يَسْتَبعد الحشر مستنكرا له! انظر كيف ترى في كيفية إحياء الأرض مائة ألف أمثله وإشاراته في ستة أسابيع! فمثلك في استبعادك الإنكاري، كمثل: مَنْ يرى ذاتا ذا معجزات يكتب في آن واحد في صحيفة واحدة كتبا كثيرة مندرسة بقيت<sup>(١)</sup> في حافظته، أو يؤلفها جديدة أمثال المدرسة، فقليل له: سيكتب هذا الكاتب كتابك الذي هو ألفه فمَحاه الماء، في صحيفة في طرفه عين. فقال: كَلّا، كيف يمكن كتابة كل ما اندرس من حروفاته في آن واحد؟! ففاس الكاتب الحفيظ القدير ذا الإعجاز على نفسه الجاهلة العاجزة.

ومَنْ يقول لمن يرفع الجبال -بالإشارة- لإظهار عظمته أو سلطته: هو لا يرفع هذه الصخرة العظيمة التي سدّت الطريق على المسافرين الذين دعاهم إلى بستان نَعْمِه.. ما هو إلّا مجنون أبله.

نعم، للربوبية في هذا التصرف العظيم الربيعي خاتمٌ عالٍ عظيم دقيق النقش، هو الإتقان المطلق في الانتظام المطلق، في الجود المطلق في الوُسعة<sup>(٢)</sup> المطلقة، في السرعة المطلقة في السهولة المطلقة، في الامتياز المطلق مع الاشتباك المطلق. فهذا الخاتم يختص بمن لا يمنعه فعل عن فعل، ولا يغيب عنه شيء، ولا يثقل عليه شيء.

نعم، نشاهد في الربيع في وجه الأرض فعالية حكيمة بصيرة كريمة، وصنعة خارقة في آن واحد، في كل مكان، بطرزي واحد، في كل فرد، وإيتقان ممتاز، في جُود مطلق، بانتظام مكمل،

(١) في الأصل: بقت. وهي صحيحة على لغة طيء لأنهم يرجعون ماضي الأفعال الثلاثية المعتلة إلى وزن «فَعَل» بفتح العين. إلّا أننا جعلناها «بقيت» المستعملة كما وردت في «إشارات الإعجاز».

(٢) الوُسعة والسعة والتوسعة بمعنى: الاتساع.

في سرعة مطلقة، بإبرازِ خوارقَ منتظمةٍ، في سهولة مطلقة، في وسعة مطلقة، فما هذه الفعالية  
إلا خاتمٌ مَنْ «كما أنه ليس في مكانٍ، هو في كل مكانٍ، حاضرٌ ناظرٌ بقدرته وعلمه لا يؤوده  
شيء ولا يستعين بشيء».

### اللمعة السابعة

انظروا! كما يُشاهدُ على صحيفة الأرض، ويُترأى على أقطار السماوات والأرض خاتمُ  
الأحد الصمد، كذلك يشاهدُ على «مجموع العالم» خاتم التوحيد واضح النقش بدرجة كُبره؛  
إذ هذا العالم كالقصر المحتشم، ك«الفأريقة»<sup>(١)</sup> المنتظمة، كالبلد المكمل، فيما بين أجزائه  
- كأجزائها وأفرادها - معاونةٌ حكيمة ومجاوبة كريمة؛ إذ يُسرّع بعض الأجزاء لمعاونة بعض،  
في الطرق الطويلة المعوّجة بلا انحراف وبانتظام، وفي وقت الحاجة، ومن حيث لا يحتسب.  
فانظر ترها قد مدَّ بعضٌ يدَّ المعاونة لحاجة بعض، وفي هذا التعاون تجاوبٌ ب: «ليبك، ليبك!»  
بأسنة الأحوال لأسئلة الأغيار والأمثال.. قد أخذ بعضٌ يدَّ بعضٍ، فيسعون ويعملون  
بالانتظام يدا في يد، ويخدمون ذوي الحياة رأساً مع رأس، ويتوجهون إلى غاية، ويطيعون  
مدبراً واحداً كتفا بكتف.

فانظر إلى دستور «التعاون» كيف يجري من الشمس والقمر ومن الليل والنهار  
ومن الصيف والشتاء، إلى سعى النباتات لإمداد الحيوانات بحمل أرزاقها وأخذها من  
خزينة الرحمة.. ثم إمداد الحيوانات للبشر للخدمة، حتى النحل والدود يأخذان العسل  
والحرير من خزينة الرحمن، ويوصلانها إلى الإنسان.. ثم إمداد الذرات الغذائية للثمرات،  
مع تحالف أغذيتها، وإمداد المواد الطعامية لتغذية حُجيرات البدن بكمال الانتظام  
والعناية والحكمة!

فمظهرية هذه الأشياء لاسيّما الجامدة لهذا التعاون الحكيم المنتظم الكريم المكمل  
دليلٌ واضح وبرهان ساطع على أنها خدامٌ مربّ حكيم وعملة مدبرٍ كريمٍ يتحركون بأمره  
وإذنه وقوته وحكمته.

(١) العمل أو المصنع.

### اللمعة الثامنة

انظر! إن ما يشاهد من «الرزق» الموزع على المرتزقين على قدر حاجاتهم، بطرز يناسب كل واحدٍ واحدٍ منهم.. وهذا الرزق العام في هذه الرحمة الواسعة المشهوددة المتضمنة للتودد والتعريف.. وهذه الرحمة الواسعة في هذه العناية التامة المتضمنة للتلطيف والإكرام.. وهذه العناية المشهوددة في هذه الحكمة العامة المتضمنة للقصد والشعور.. وهذه الحكمة المشهوددة في هذا الانتظام المشهود.. وهذا الانتظام في ضمن هذه المسخرية المشهوددة.. وهذه المسخرية في ضمن هذا التعاقب مع التجاوب.. وفي ضمن هذا التساند مع التعاون فيما بين أجزاء الكائنات.. خاتم خاص بمن هو رب كل شيء ومربي كل شيء ومدبر كل شيء.. وسكة مخصوصة بمن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (السجدة: ٧). ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

### اللمعة التاسعة

فكما رأيت خاتم الأهمية على الجزئيات، وعلى الأرض، وعلى العالم؛ فانظر تر ذلك على الأنواع المنشورة، وعلى العناصر المحيطة.

فكما أن زرع بذر في مزرعة يدل على أن المزرعة في تصرف صاحب البذر، وأن البذر لمتصرف المزرعة؛ يشهد هذا لذاك، وذاك لهذا.. كذلك، إن هذه العناصر التي هي مزرعة المصنوعات، بلسان واحدتها وبساطتها في كليتها وأحاطتها بطرز متعين بعلم، وبصورة مُحكمة بحكمة.. وإن هذه المخلوقات التي هي ثمرات الرحمة ومعجزات القدرة وكلمات الحكمة، بلسان انتشارها الحكيم، مع الماثلة في الأشخاص، وبلسان توطنها في الأطراف المتباعدة، بتوزيع عجيب حكيم مع المشابهة في الأفراد.. تشهدان على أن المحيط والمحاط والمزارع والبذور، في قبضة تصرف صانع واحد. فكل نوع وكل عنصر يشهد لكل ولللك؛ بأنكم مأل من أنا مأل! فيصير كل زهرة وكل ثمرة وكل حيوان وحويثة سكة ناطقة وخاتما متكلم وطرة متلفظة بلسان انتظام الحال وحكمة المأل؛ بأن هذا المكان: مُلك من أنا مُلكه! وصنع من أنا صنعه! ومكتوب من أنا حرفه! ونسج من أنا نقشه!

فعلى هذا، فكما أن التصرف الحقيقي في أدنى مخلوق، والربوبية على أضعف موجود

يُخَصَّن بَمَنْ دَخَلَ فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِهِ جَمِيعُ الْعُنَاصِرِ.. كَذَلِكَ إِنْ تَدَبَّرَ أَيْ عُنْصَرَ كَانَ وَتَدَوَّرَهُ، يُخَصَّن بَمَنْ يَرْبِّي جَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَيُدَبِّرُهَا وَيَأْخُذُهَا فِي قَبْضَةِ رَبِّوِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ! فَهَذَا خَاتَمُ تَوْحِيدِ يُبْصِرُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنِهِ غَيْنٌ<sup>(١)</sup> وَعَلَى قَلْبِهِ رَيْنٌ.

أَيُّهَا الْمَتَفَرِّعُ! جَرِّبْ نَفْسَكَ، هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تَمْلِكَ شَيْئًا مِنَ الْكُونِ؟ فَادْهَبْ وَاسْتَمِعْ مَا يَقُولُ كُلُّ فَرْدٍ جَزْئِيٍّ. إِذْ يَقُولُ بِلِسَانِ الْمِثْلِيَّةِ: مَنْ تَمْلِكُ مَجْمُوعَ نَوْعِي يُمْكِنُ أَنْ يَدَّعِيَ التَّمْلُكَ عَلَيَّ وَإِلَّا فَلَا.. ثُمَّ اذْهَبْ إِلَى النَّوْعِ تَرَكُّلًا يَقُولُ بِلِسَانِ الْإِنْتِشَارِ: مَنْ تَمْلِكُ الْأَرْضَ ظَهَرًا وَبَطْنًا يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَدَّعِيَ التَّمْلُكَ عَلَيَّ وَإِلَّا فَلَا.. ثُمَّ اذْهَبْ إِلَى الْأَرْضِ تَرَاهَا تَقُولُ بِلِسَانِ التَّسَانُدِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُخْتِهَا السَّمَاءِ: مَنْ تَمْلِكُ مَجْمُوعَ الْكَائِنَاتِ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَدَّعِيَ التَّمْلُكَ عَلَيَّ وَإِلَّا فَلَا.

### اللمعة العاشرة

فَإِذَا رَأَيْتَ مَا أَشْرَنَا إِلَيْهِ مِنْ بَعْضِ خَوَاتِمِ التَّوْحِيدِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَى الْجُزْءِ وَالْجُزْئِيِّ وَالْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ، وَكُلِّ الْعَالَمِ، وَعَلَى الْحَيَاةِ وَذِي الْحَيَاةِ وَالْإِحْيَاءِ، فَانْظُرْ إِلَى سَكَّةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا لَا تَعُدُّ مِنْ سِكَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَى «الْأَنْوَاعِ وَالْكَلِّيَّاتِ».

نَعَمْ، كَمَا أَنَّ كَمِيَّةَ كَلْفَةِ تَرْبِيَةِ الشَّجَرَةِ الْمُثْمَرَةِ تَسَاوِي كَلْفَةَ ثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي السَّهُولَةِ؛ لَوْحَدَةِ التَّرْبِيَةِ وَاتِّحَادِ التَّدْبِيرِ، إِذْ لَا تَحَادُ الْمَرْكَزُ وَوَحْدَةُ الْقَانُونِ وَوَحْدَانِيَّةُ التَّرْبِيَةِ تَخَفَّفَتِ الْكَلْفَةُ وَالْمَشَقَّةُ وَالْمَصْرَفُ، وَتَسَهَّلَتِ بَدْرَجَةٍ لَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّجَرَةِ ذَاتِ الثَّمَرَاتِ الْغَيْرِ الْمَعْدُودَةِ وَهِيَ فِي يَدِ الْوَحْدَةِ، وَبَيْنَ الثَّمَرَةِ الْوَاحِدَةِ وَهِيَ فِي يَدِ الْكَثْرَةِ. فَالشَّرَكَةُ وَالْكَثْرَةُ وَتَعَدُّدُ الْمَرْكَزِ تَحْتَاجُ -لِتَرْبِيَةِ ثَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ- إِلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ تِمَامُ الشَّجَرَةِ بِأَثْمَارِهَا مِنْ جِهَةٍ كَمِيَّةِ الْجِهَازَاتِ، وَلَا فَرْقَ إِلَّا فِي الْكَيْفِيَّةِ. كَمَا أَنَّ كُلَّ الْفَائِزِيَّاتِ وَالْمَاكِينَاتِ الَّتِي تَعْمَلُ لِاسْتِحْصَالِ الْجِهَازَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِلجَيْشِ الْعَظِيمِ تَلْزَمُ بِتِمَامِهَا لِتَجْهِيْزَاتِ نَفَرٍ<sup>(٢)</sup> وَاحِدٍ وَالْفَرْقُ فِي الْكَيْفِيَّةِ فَقَطْ. وَكَمَا أَنَّ أُجْرَةَ طَبْعِ أُلُوفٍ نَسَخٍ فِي الْمَطْبَعَةِ الَّتِي طُبِعَتْ كِتَابُكَ تَسَاوِي -بَلْ أَقْلَ مِنْ الْأَجْرَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا- لَطَبْعِ نَسْخَةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِذَا تَرَكْتَ الْمَطْبَعَةَ الْوَاحِدَةَ وَذَهَبْتَ إِلَى الْكَثْرَةِ اضْطَرَّرْتَ إِلَى إِعْطَاءِ أُلُوفٍ أَجْرٍ.

(١) المقصود: غشاوة.

(٢) جندي واحد.

الحاصل: إذا تركت إسناد الكثرة الغير المحدودة إلى الواحد - فمع أنك تضطر لإسناد شيء واحد إلى الكثرة الغير المحدودة - تتزايد الكلفةُ بعدد الأفراد. فما يشاهد في إنشاء كل نوع منتشر من السهولة الخارقة فإنها هي من يُسر الوحدة والتوحيد.

### اللمعة الحادية عشر

كما أن توافق كل أفراد النوع وتشابه كل أنواع الجنس في الأعضاء الأساسية، يدلّان على اتحاد السكة ووحدة القلم، الشاهدين على أن جميع المتوافقات والمتشابهات صُنِعَ واحد.. كذلك هذه السهولة المطلقة المشهودّة وخفة الكلفة، تستلزمان بدرجة الوجوب أن يكون الجميع آثار صانع واحد؛ وإلا لذهبت الصعوبة الصّاعدة إلى درجة الامتناع بذلك الجنس وبذلك النوع إلى العدم. فكما يتمتع شريك ذاته سبحانه، - وإلا لفسد العالم بالخروج عن الانتظام.. - كذلك يتمتع شريكه في فعله، وإلا لانعدم العالم ولم يوجد.

### اللمعة الثانية عشر

انظر! كما أن الحياة برهان الأحدية، ودليل وجوب الوجود، فالموت دليل السرمدية والبقاء. إذ كما أن ظهور قطرات النهر الجاري وحبابات<sup>(١)</sup> البحر المتموج وشفافات وجه الأرض المتجددة شاهداتٌ على الشمس بإراءة تماثيلها وضيائها، وأن زوال تلك القطرات والحبابات والشفافات وغروبها وأفولها وفناءها وموتها مع استمرار تجلي الضياء على أمثالها الآتية عقيها، ودوام جلوات التماثيل على كل قافلة سيارة خلفها، شاهداتٌ على بقاء الشمس في تجلياتها ودوام الضياء في جلواتها وعلى أن كل هذه التماثيل والأشعّات آثارُ شمسٍ واحدة، فيظهرون وجودها بوجودهم وبقائها ووحدتها بعدمهم، مع انعدام أسبابهم الظاهرية معهم.

كذلك هذه الموجودات تشهد بوجودها على وجوب وجود الواجب الوجود، وتشهد بزوالها مع أسبابها ومجيء أمثالها عقيها على أزليته وسرمديته وواحديته؛ إذ إن تجدّد مصنوعات الجميلة وتبدّل الموجودات اللطيفة وغروبها في طلوع أمثالها وأفولها في ظهور أشباهها عند اختلاف الليل والنهار وعند تحول الفصول وتبدل العصور، تشهدُ شهادةً قاطعةً على وجود ذي جمالٍ مجردٍ سرمدٍ عالٍ دائم التجلي، وعلى بقائه ووحدته.. وإن زوال

(١) الحباب: الفقاقع التي تعلقو الماء.

الأسباب السفلية مع المسببات في الانقلابات السنوية والعصرية، ثم إعادة أمثال المسببات مع الأسباب، يشهد قطعاً على أن الأسباب كالمسببات عاجزة مصنوعة قورنت بينها وبينها لحكم دقيقة، بل تدل على أن كل هذه المصنوعات اللطيفة السيالة وهاتيك الموجودات الجميلة الجوّالة إنما هي صنعة متجددة للذات الأحدية ذي الجلال والجمال -الذي جميع أسمائه قدسية جميلة- ونقوشه المتحولة ومراياه المتحركة وسكاته المتعاقبة وخواتمه المتبدلة.

### اللمعة الثالثة عشر

انظر! إن كل شيء، من الذرات إلى السيارات، ومن النفوس إلى الشمس؛ بلسان عجزه في ذاته، يدل على وجوب وجود خالقه، ويشهد بلسان حمله -مع عجزه- وظائف عجيبة في النظام العمومي على وحدة خالقه.

ففي كل شيء له شاهدان على أنه واجب واحد.. وفي كل حي له آيتان على أنه أحد صمد.

ولقد فهمت من فيض القرآن الحكيم أن كل جزء من أجزاء الكائنات يشهد للواجب الوجود الواحد الأحد الصمد بقريب من خمسة وخمسين لساناً فذكرتها إجمالاً في رسالة عربية تسمى «قطرة». فإن شئت فراجعها.

### اللمعة الرابعة عشر

اعلم أن هذه الموجودات كما تشهد على وجوبه ووحدته سبحانه.. كذلك تشهد على جميع أوصافه الجلالية والجمالية والكمالية.. وكذلك تشهد على كمال ذاته، وعلى أنه لا نقص ولا قصور لا في ذاته ولا في شؤونه ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، إذ إن كمال الأثر يدل على كمال الفعل بالمشاهدة، وكمال الفعل يدل على كمال الاسم بالبداهة، وكمال الاسم يدل على كمال الصفة بالضرورة، وكمال الصفة يدل على كمال الشأن الذاتي بالحدس اليقيني، وكمال الشأن يدل على كمال الذات بحق اليقين.

فكما أن مكملة نقوش تزيينات قصر بلا قصور، تظهر لك مكملة أفعال الصانع المهندس المستتر تلك الأفعال تحت النقوش، والمتحركة تحت التزيينات.. ومكملة

تلك الأفعال تصرّح لك بمكملية أسماء ذلك الفاعل، أي هو صانع ماهر، ومهندسٌ عليم، ونقاش حكيم، وهكذا.. ومكملية أسمائه تُفصح لك عن مكملية صفات المسمى، أي له علم وحكمة وصنعة وهندسة.. ومكملية صفاته تشهد على مكملية شؤون ذاته، أي له قابلية فائقة واستعداد جيد.. ومكملية الشؤون تكشف عن وجه مكملية ذات ذلك النقاش بوجه يليق به ويناسب مقامه.. كذلك إن مكملية هذه الآثار المشهودة في هذه الكائنات بلا قصور ولا فطور، تشهد بالمشاهدة الحدسية على مكملية أفعالٍ مسترة خلفها.. ومكملية هذه الأفعال التي هي كالمشهود، تشهد بالبداهة على كمال أسماء ذلك الفاعل.. وكمال تلك الأسماء، يشهد بالضرورة على كمال الصفات؛ إذ الأسماء ناشئة من نسب الصفات.. وكمال الصفات يكشف باليقين عن كمال الشؤون الذاتية التي هي مبادئ الصفات القدسية.. وكمال الشؤون يشهد بحق اليقين على كمال الذات بما يليق بجناحه سبحانه. بل مجموع ما في الكائنات من الكمال والجمال إنما هو ظل ضعيف مفاض بالنسبة إلى كماله عزّ كماله، وإلى جماله جلّ جماله.





الرسالة الثانية <sup>(١)</sup>

# رَشَاحَاتُ

مِنْ بَحْرِ مَعْرِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) ترجم الأستاذ النورسي هذه «الرشحات» إلى التركية وجعلها «الكلمة التاسعة عشرة» ونحن بدورنا نسقناها في ضوءها.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تنبيه

إنَّ ما يُعرَفُ لنا ربَّنَا لا يعد ولا يحُد، ولكن البراهين الكبيرة والحجج الكلية ثلاثة:

إحداها: هذه الكائنات، وقد سمعتَ بعض آيات هذا الكتاب الكبير.

وثانيتهما: الآية الكبرى من هذا الكتاب، وهي خاتم ديوان النبوة، ومفتاح الكنوز الخفية عليه الصلاة والسلام.

وثالثتها: مفسر كتاب العالم، وحجة الله على الأنام، أي القرآن الحكيم.

فلا بد أن نعرف هذا البرهان الثاني الناطق ثم نستمع إليه.. فنذكر من بحر معرفته

رشحات:

### الرشحة الأولى

**اعلم** أن ذلك البرهان الناطق له شخصية معنوية عظيمة.

فإن قلت: ما هو؟ وما ماهيته؟

قيل لك: هو الذي لعظمته المعنوية صار سطح الأرض مسجده، ومكة محرابه، والمدينة منبره.. وهو إمام جميع المؤمنين يأتون به صافين خلفه.. وخطيب جميع البشريين لهم دساتير سعادتهم.. ورئيس جميع الأنبياء، يزكيهم ويصدقهم بجامعة دينه لأساسات أديانهم.. وسيد جميع الأولياء، يرشدهم ويربيهم بشمس رسالته.. وقطب في مركز دائرة حلقة ذكر تركبت من الأنبياء والأخيار والصديقين والأبرار المتفقين على كلمته الناطقين بها.. وشجرة نورانية عروفتها الحيوية المتينة هي الأنبياء بأساساتهم السماوية، وأغصانها الخضرة الطرية وثمراتها اللطيفة النيرة، هي الأولياء بمعارفهم الإلهامية. فما من دعوى يدعيها إلا ويشهد لها جميع الأنبياء مستندين بمعجزاتهم، وجميع الأولياء مستندين بكراماتهم. فكأن على كل دعوى من دعاويه خواتم جميع الكاملين؛ إذ بينما تراه قال: «لا إله إلا الله» وادعى التوحيد، فإذا نسّمع من

الماضي والمستقبل من الصّفيّين النورانيين (أي شمس البشر ونجومه القاعدين في دائرة الذكر) عين تلك الكلمة؛ فيكرونها، ويتفقون عليها، مع اختلاف مسالكهم وتباين مشاربهم. فكأنهم يقولون بالإجماع: «صَدَقَتْ وبالْحَقِّ نَطَقَتْ».

ولا حدّ للوهم أن يمدّ يده لردّ دعوى تأييدت بشهاداتٍ مَنْ لا يُحدّد من الشاهدين الذين تزكّيتهم معجزاتهم وكراماتهم.

## الرشحة الثانية

اعلم أن هذا البرهان النوراني الذي دلّ على التوحيد وأرشد البشر إليه، كما أنه يتأيد بقوة ما في جناحيه: نبوة وولاية من الإجماع والتواتر.. وكذا تُصدّقه إشاراتُ الكتب السماوية من بشارات التوراة والإنجيل والزيور وزُبر الأولين.. وكذلك تُصدّقه رموزات الإرهافات الكثيرة المشهودة.. وكذا تُصدّقه بشاراتُ الهوائف الشائعة المتعددة.. وكذا تُصدّقه شهادات أهل الكهانة المنقولة بالتواتر.. وكذا تُصدّقه دلالات ألفٍ معجزات من أمثال شق القمر، وتَبْعانِ الماء من الأصابع كالكوثر، ومجيء الشجر بدعوته، ونزول المطر في آن دعائه، وشبّع الكثير من طعامه القليل، وتكلم الضب والذئب والطبي والجمال والحجر.. إلى ألفٍ مما بيّنه الرواة الثقة والمحدثون المحققون.. وكذا تُصدّقه شريعته الجامعة لسعادات الدارين.

وقد سمعتَ ورأيت في الدروس السابقة شعاعاتٍ من شمس شريعته المفيضة للسعادات. فيكيفك إن لم يكن على عينك غين وفي قلبك رين، فلا تطول هنا.

## الرشحة الثالثة

اعلم أنه كما تُصدّقه الدلائل الآفاقية، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته، فتُصدّقه الدلائل الأنفسية؛ إذ اجتماع أعالي جميع الأخلاق الحميدة في ذاته بالاتفاق.. وكذا جمعُ شخصيته المعنوية في وظيفته أفاضل جميع السجايَا الغالية والخصائل النزيهة.. وكذا قوة إيمانه بشهادة قوة زهده وقوة تقواه وقوة عبوديته.. وكذا كمال وثوقه بشهادة سيره وكمال جدّيته وكمال متانته.. وكذا قوة أمنيته في حركاته بشهادة قوة اطمئنانه، تُصدّقه في دعوى تمسّكه بالحق وسلوكه على الحقيقة، كما تُصدّق الأوراقُ الخضرة والأزهار النضرة والأثمار الطرية حياةَ شجرتها.

## الرشحة الرابعة

اعلم أنَّ للمحيط الزماني والمكاني تأثيراً عظيماً في محاكمات العقول.. فإن شئت فتعال، نخلع هذه الخيالات الزمانية والعصرية والمحيطية، ونتجرّد من هذا اللباس الملوّث؛ ثم نخوض في بحر الزمان السّيال، ونَسَج فيه إلى أن نخرج إلى عصر السعادات التي هي الجزيرة الخضراء فيما بين العصور والدهور، فلننظر إلى جزيرة العرب التي هي المدينة الشهباء في تلك الجزيرة الزمانية، ولنلبس ما نَسَج لنا ذلك الزمان، وخاطه لنا ذلك المحيط، حتى نزور -ولو بالخيال- قطبَ مركزِ دائرة الرسالة، وهو على رأس وظيفته يعمل.

فافتح عينيك وانظر! فإن أول ما يتظاهر لنا من هذه المملكة: شخصٌ خارقٌ، له حسنُ صورةٍ فائقة، في حُسن سيرةٍ رائقة؛ فها هو آخذ بيده كتاباً مُعجزاً كريماً، ولسانه خطاباً موجزاً حكيماً يبلغ خطبةً أزليةً ويتلوها على جميع بني آدم، بل على جميع الجن والإنس، بل على جميع الموجودات.

فيا للعجب! ما يقول؟ نعم، يقول عن أمرٍ جسيم، ويبحث عن نبأٍ عظيم؛ إذ يشرح ويحل المعتمى العجيبة في سرِّ خَلْقِ العالم، ويفتح ويكشف الطلسم المغلق في سرِّ حكمة الكائنات، ويوضح ويبحث عن الأسئلة الثلاثة المعضلة التي أشغلت العقول وأوقعتها في الحيرة؛ إذ هي الأسئلة التي يسأل عنها كلُّ موجود، وهي: مَنْ أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟

## الرشحة الخامسة

انظر إلى هذا الشخص النوراني، كيف ينشر من الحقيقة ضياءً نَوَّاراً، ومن الحق نُوراً مضيئاً! حتى صيرَّ ليل البشر نهارةً وشتاءه ربيعاً، فكان الكائنات تبدّل شكلها فصار العالم ضاحكاً مسروراً بعدما كان عبوساً قمطرياً.

إذ إذا لم نستضئ بنوره نرى في الكائنات مأتماً عمومياً، ونرى موجوداتها كالأجانب والأعداء، لا يعرف بعضٌ بعضاً، بل يعاديه، ونرى جامداتها جنازٍ دهاشةً، ونرى حيواناتها وأناسيها أيتاماً باكين بضربات الزوال والفراق، ونرى الكائنات بحر كاتها وتنوعاتها وتغيّراتها ونقوشها ملعبةً التصادف مُنجرّةً إلى العبثية مهملةً لا معنى لها، ونرى الإنسان قد صار -بعجزه

المزعج وفقره المعجز وعقله الناقل لأحزان الماضي ومخاوف المستقبل إلى رأس الإنسان - أدنى وأخسر من جميع الحيوانات. فهذه هي ماهية الكائنات عند من لم يدخل في دائرة نوره.

فانظر الآن بنوره، وبمرصاد دينه، وفي دائرة شريعته، إلى الكائنات كيف تراها؟ انظر! قد تبدل شكلُ العالم، فتحول بيتُ المآثم العمومي مسجدَ الذكر والفكر، ومجلسُ الجذبة والشكر.. وتحولُ الأعداء الأجانب من الموجودات أحباباً وإخواناً.. وتحولُ كلُّ من جامداتها الميتة الصامتة حياً مؤنساً مأموراً مسخراً، ناطقاً بلسان حاله آياتِ خالقه.. وتحولُ ذوو الحياة منها - الأيتامُ الباكون المشتكون - ذاكرين في تسبيحاتهم، شاكرين لترخيصاتهم عن وظائفهم.. وتحولت حركات الكائنات وتنوعاتها وتغيراتها من العبيية والمُهملية وملعبة التصادف إلى صيرورتها مكتوباتٍ ربانية وصحائف آيات تكوينية ومرايا أسماء إلهية، حتى ترقى العالمُ وصار كتابَ الحكمة الصمدانية.

وانظر إلى الإنسان كيف ترقى من حضيض الحيوانية العاجزة الفقيرة الذليلة إلى أوج الخلافة، بقوة ضعفه، وقدرة عجزه، وسوق فقره، وشوق فاقته، وشوكة عبوديته، وشعلة قلبه، وحشمة إيمان عقله. ثم انظر كيف صارت أسبابُ سقوطه من العجز والفقر والعقل أسبابَ صعوده بسبب تنورها بنور هذا الشخص النوراني!

ثم انظر إلى الماضي، ذلك المزار<sup>(١)</sup> الأكبر في ظلماته، كيف استضاء بشمس الأنبياء وبنجوم الأولياء! وإلى الاستقبال تلك الليلة الليلية في ظلماته، كيف تنور بضياء القرآن وتكشف عن بساتين الجنان!

فعلى هذا؛ لو لم يوجد هذا الشخص لسقطت الكائنات والإنسان وكل شيء إلى درجة العدم، لا قيمة ولا أهمية لها، فيلزم لمثل هذه الكائنات البديعة الجميلة من مثل هذا الشخص الخارق الفائق المعرف المحقق، فإذا لم يكن هذا فلا تكن الكائنات، إذ لا معنى لها بالنسبة إلينا. فما أصدق ما قال من ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ (الانعام: ٧٣) «لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَهَا خَلَقْتُ الْأَفلاك»<sup>(٢)</sup>.

(١) المقبرة.

(٢) أي إن هذا حديث قدسي. وقد تكلم علماء محققون حول هذا الحديث، فمنهم من أقره، ومنهم من ضعفه ومنهم من أنكروه ولعل قول علي القاري في شرح الشفا (٦/١) يعد خلاصة جيدة، إذ يقول: «إنه صحيح معنى ولو ضعف مبنى» وأيده ابن تيمية من حيث صحة معناه في مجموع الفتاوى (٩٦/١١-٩٨).

## الرشحة السادسة

فإن قلت: مَنْ هذا الشخص الذي نراه قد صار شمساً للكون، كاشفاً بدينه عن كمالات الكائنات، وما يقول؟

قيل لك: انظر واستمع ما يقول! ها هو يخبر عن سعادة أبدية ويشرّ بها، ويكشف عن رحمة بلا نهاية، ويعلنها ويدعو الناس إليها. وهو دلالٌ محاسنٍ سلطنة الربوبية ونظّارُها، وكشافٌ مخفيات كنوز الأسماء الإلهية ومعرفُها.

فانظر إليه من جهة وظيفته؛ تَرَه برهانَ الحق وسراجَ الحقيقة وشمس الهداية ووسيلة السعادة.

ثم انظر إليه من جهة شخصيته تَرَه مثالَ المحبة الرحمانية، وتمثالَ الرحمة الربانية، وشرفَ الحقيقة الإنسانية، وأنورَ أزهرِ ثمراتِ شجرة الخلقة.

ثم انظر، كيف أحاط نورُ دينه بالشرق والغرب في سرعة البرق الشارق، وقد قَبِلَ بإذعان القلب قريباً من نصف الأرض ومن خُمس بني آدم هديةً هدايته بحيث تفدي لها أرواحها.

فهل يمكن للنفس والشيطان أن يناقشا بدون مغالطة في مدّعيات مثل هذا الشخص، لاسيما في دعوى هي أساس كل مدّعياته وهو «لا إله إلا الله» بجميع مراتبه؟!

## الرشحة السابعة

فإن شئت أن تعرف أن ما يحركه إنما هو قوّة قدسية، فانظر إلى إجراءاته في هذه الجزيرة الواسعة! ألا ترى هذه الأقوام الوحشية في هذه الصحراء العجيبة، المتعصبين لعاداتهم، المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، القاسية قلوبهم بدرجة يدفن أحدهم بنته حيةً بلا تأثر! كيف رفع هذا الشخص جميع أخلاقهم السيئة والوحشية، وقَلَعَهَا في زمان قليل! وجهّزهم بأخلاق حسنة عالية، فصيرهم معلّمي العالم الإنساني وأساتيد<sup>(١)</sup> الأمم المتمدنة. فانظر، ليست سلطنته على الظاهر فقط، بقوة الخوف كسائر الملوك، بل ها هو يفتح القلوب والعقول،

(١) جمع أستاذ.

ويسخرُّ الأرواح والنفوس حتى صار محبوبَ القلوب ومعلمَ العقول ومربي النفوس  
وسلطان الأرواح.

### الرشحة الثامنة

من المعلوم أن رفعَ عادةٍ صغيرة كـ«التتون»<sup>(١)</sup> مثلاً، من طائفة صغيرة بالكلية قد يَعْسُرُ  
على حاكم عظيم بهمة عظيمة، مع أننا نرى هذا الذات ها هو قد رفع بالكلية عاداتٍ عظيمة  
كثيرة، من أقوام عظيمة متعصبين لعاداتهم، معاندين في حسياتهم، بقوة جزئية، وهمة قليلة  
وفي زمان قصير، وغرسَ بدلها برسوخ تام في سجيّتهم عاداتٍ عالية، وخصائل غالية. فانظر  
إلى «عمر» رضي الله عنه قبل الاهتداء وبعده، تَرَهُ نواةً قد صار شجرةً باسقة. وهكذا يترأى  
لنا من خوارق إجرائه الأساسية ألوفٌ ما رأينا، فمن لم يرَ هذا العصر نُدخل في عينه هذه  
الجزيرة! فليجرب نفسه فيها. فليأخذوا مائة من فلاسفتهم وليذهبوا إليها وليعملوا مائة  
سنة هل يتيسر لهم أن يفعلوا بالنسبة إلى هذا الزمان جزءاً من مائة جزءٍ مما فعل سيدنا في سنةٍ  
بالنسبة إلى ذلك الزمان؟!

### الرشحة التاسعة

اعلم - إن كنت عارفاً بسجية البشر - أنه لا يتيسر للعاقل أن يدّعي في دعوى فيها  
مناظرة كذبا ينجل بظهوره، وأن يقوله بلا حجاب<sup>(٢)</sup> وبلا مبالاة وبلا تأثير يشير إلى حيلته،<sup>(٣)</sup>  
وبلا تصنع وتهيج يُوميان إلى كذبه، في أنظار خصومه النقادة، ولو كان شخصاً صغيراً، ولو في  
وظيفة صغيرة، ولو بحيثية حقيرة، ولو في جماعة صغيرة، ولو في مسألة حقيرة. فكيف يمكن  
تداخل الحيلة ودخول الخلاف<sup>(٤)</sup> في مدّعات مثل هذا الشخص الذي هو موظف عظيم،  
في وظيفة عظيمة، بحيثية عظيمة، مع أنه يحتاج لأمنية عظيمة، وفي جماعة عظيمة، وفي مقابلة  
خصومة عظيمة، وفي مسألة عظيمة، وفي دعوى عظيمة؟ وها هو يقول ما يقول بلا مبالاة  
بمعتري، وبلا تردد وبلا حجاب وبلا تخوف وبلا تأثير، وبصفوة صميمية، وبجدية خالصة،

(١) التتون: التبغ والتدخين.

(٢) أي بلا خجل.

(٣) أي إلى خداعه.

(٤) أي خلاف الواقع.



وبطرزٍ يحرك أعصاب خصومه بتزييف عقولهم وتحقير نفوسهم وكسر عزّتهم، بأسلوب شديد علوي. فهل يمكن تداخل الحيلة في مثل هذه الدعوى من مثل هذا الشخص في مثل هذه الحالة المذكورة؟ كلاً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٤).

نعم، إن الحق أغنى من أن يُدلس، ونظر الحقيقة أعلى من أن يُدلس عليه! نعم، إن مسلكه الحق مستغنٍ عن التدليس، ونظره النقّاد منزّه من أن يلتبس عليه الخيال بالحقيقة.

## الرشحة العاشرة

انظر واستمع ما يقول! ها هو يبحث عن حقائق مذهشة عظيمة، ويُنذر البشر ويبحث عن مسائل جاذبة للقلوب، لازمة جالبة للعقول إلى الدقة<sup>(١)</sup> فيشّر البشر. ومن المعلوم أن شوق كشف حقائق الأشياء قد ساق الكثيرين من أهل «المَرَق»<sup>(٢)</sup> إلى فداء الأرواح. ألا ترى أنه لو قيل لك: إن أديت نصف عمرك أو نصف مالك، لنزل من القمر أو المشتري شخصٌ يخبرك بغرائب أحوالهما ويخبرك بحقيقة استقبالك، أظنك ترضى بالفداء؟ فيا للعجب! ترضى لدفع «مَرَقك» بترك نصف العمر والمال، ولا تهتم بما يقول هذا ويصدّقه إجماع أهل الشهود وتواتر أهل الاختصاص من الأنبياء والصدّيقين والأولياء والمحقّقين؛ فيبحث عن شؤون سلطان: ليس القمر في مملكته إلّا كذابٍ يطير حول فراشٍ، يطير ذلك الفراش حول سراجٍ من القناديل التي أسرجها في منزلٍ أعدّه لضيوفه المسافرين من ألوف منازل! وكذا يخبر عن عالم هو محل الخوارق والعجائب، وعن انقلاب عجيب، فرضا لو انفلقت الأرض وتطايرت جبالها كالسحاب ما ساوت عشر معشار عُشير غرائب ذلك الانقلاب.

فإن شئت فاستمع من لسانه أمثال ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ و ﴿الْفَكَارَةُ﴾ .. وكذا يخبر بتحقيقٍ عن استقبال ليس الاستقبال الدنيوي بالنسبة إليه إلّا كقطرة سرابٍ بلا طائل بالنسبة إلى بحر بلا ساحل.. وكذا يشّر عن شهودٍ بسعادةٍ ليست السعادة الدنيوية بالنسبة إليها إلّا كبرق زائل بالنسبة إلى شمسٍ سرمدية.

(١) أي الملاحظة والتدبر وإنعام النظر.

(٢) أي الولع واللهفة والرغبة الملحة والاهتمام والفضول. ويستعملها الأستاذ في أماكن متفرقة ويعقبها بمعناها العربي.

نعم، تحت حجاب هذه الكائنات -ذاتِ العجائب- عجائبٌ، تنتظرنا وتنظر إلينا. ولا بد لإخبار تلك العجائب والخوارق [من] شخصٍ عجيبٍ خارق يشاهد ثم يشهد، ويُبصر ثم يُخبر.

نعم، نشاهد من شؤونهِ وأطواره أنه يشاهد ثم يشهد، فينذر ويبشّر. وكذا يخبر عن مرضيات رب العالمين ومطالبه منا وهكذا.. من عظام مسائل لا مفرّ منها، وعجائب حقائق لا منجاة منها، ولا سعادة بدونها.

فيا حسرةً على الغافلين! ويا خسارةً على الضالين! ويا عجباً من بلاهة أكثر الناس! كيف تعاموا عن الحق وتصاموا عن هذه الحقيقة! لا يهتمون بمثل هذا الذات في عجائبهِ، مع أن من شأن مثله أن تُفدى له الأرواحُ ويُسرّع إليه بترك الدنيا وما فيها.

### الرشحة الحادية عشرة

**اعلم** أن هذا الشخص، المشهود لنا بشخصيته المعنوية، المشهور في العالم بشؤونه العلوية؛ كما أنه برهانٌ ناطقٌ صادقٌ على الوحدانية، ودليلٌ حقٌّ بدرجة حقانية التوحيد.. كذلك هو برهان قاطع ودليل ساطع على السعادة الأبدية؛ بل كما أنه بدعوته وبهدايته سببٌ حصول السعادة الأبدية ووسيلةٌ وصولها.. كذلك هو بدعائه وعبوديته سببٌ وجود تلك السعادة ووسيلةٌ إيجادها.

فإن شئت فانظر إليه وهو في الصلاة الكبرى، التي بعظمة وسعّتها صيّرت هذه الجزيرة -بل الأرض- مصلين بتلك الصلاة الكبرى.. ثم انظر، إنه يصلي تلك الصلاة بهذه الجماعة العظمى، بدرجة كأنه هو إمام في محراب عصره واصطف خلفه مقتدين به جميع أفاضل بني آدم، من آدم إلى هذا العصر إلى آخر الدنيا، في صفوف الأعصار مؤتمنين به ومؤمنين على دعائه.. ثم استمع ما يفعل في تلك الصلاة بتلك الجماعة؛ فهذا هو يدعو لحاجة شديدة عظيمة عامة بحيث يشترك معه في دعائه الأرض، بل السماء، بل كل الموجودات، فيقولون بألسنة الأحوال: «نعم يا ربنا تقبل دعاءه، فنحن أيضاً نطلبه، بل مع جميع ما تحلى علينا من أسلاك، نطلب حصول ما يطلب هو..». ثم انظر إلى طوره في طرز تضرعاته كيف يتضرّع بافتقارٍ

عظيم في اشتياق شديد وبحزن عميق في محبوبة حزينة، بحيث يهيج بكاء الكائنات فيبكيها فيُشركُها في دعائه.. ثم انظر، لأيّ مقصدٍ وغاية يتضرع؛ ها هو يدعو لمقصدٍ لولا حصول ذلك المقصد لسقط الإنسان بل العالم بل كل المخلوقات إلى أسفل سافلين لا قيمة لها ولا معنى. وبمطلوبه تترقى الموجودات إلى مقاماتٍ كمالاتها.. ثم انظر، كيف يتضرع باستمدادٍ مديد، في غياث شديد، في استرحام بتودد حزين، بحيث يُسمع العرش والسموات، ويهيج وجدّها، حتى كأنه يقول العرش والسموات: «آمين أَللَّهُمَّ آمين».. ثم انظر، ممّن يطلب مسؤوله؟ نعم، يطلب من القدير السميع الكريم ومن العليم البصير الرحيم، الذي يسمع أخفى دعاءٍ من أخفى حيوانٍ في أخفى حاجة، إذ يحببه بقضاء حاجته بالمشاهدة، وكذا يبصر أدنى أملٍ في أدنى ذي حياة في أدنى غاية؛ إذ يوصله إليها من حيث لا يحتسب بالمشاهدة، ويكرم ويرحم بصورة حكيمة، وبطرز منتظم؛ لا يبقى ريب في أن هذه التربية والتدبير من سميعٍ عليم ومن بصيرٍ حكيم.

### الرشحة الثانية عشرة

فيا للعجب! ما يطلب هذا الذي قام على الأرض وجمع خلفه جميع الأنبياء، أفاضل بني آدم، ورَفَعَ يديه متوجّها إلى العرش الأعظم، ويدعو دعاءً يؤمّن عليه الثقلان، ويُعلم من شؤونه أنه شرفُ نوع الإنسان، وفريدُ الكون والزمان، وفخرُ هذه الكائنات في كل آن؛ ويستشفع بجميع الأسماء القدسية الإلهية المتجلية في مرايا الموجودات، بل تدعو وتطلب تلك الأسماء عينَ ما يطلب هو. فاستمع! ها هو يطلب البقاء واللقاء والجنة والرضاء. فلو لم يوجد ما لا يُعد من الأسباب الموجبة لإعطاء السعادة الأبدية من الرحمة والعناية والحكمة والعدالة المشهودات -المتوقّفات كونها رحمة وعناية وحكمة وعدالة على وجود الآخرة، وكذا جميع الأسماء القدسية، أسبابٌ مقتضية لها- لكفى دعاء هذا الشخص النوراني لأن يبيّن ربّه له ولأبناء جنسه الجنة، كما يُنشئ لنا في كل ربيع جنانا مزينة بمعجزاتٍ مصنوعاته.

فكما صارت رسالته سببا لفتح هذه الدار الدنيا للامتحان والعبودية، كذلك صار دعاؤه في عبوديته سببا لفتح دار الآخرة للمكافأة والمجازاة.

فهل يمكن أن يتداخل في هذا الانتظام الفائق، وفي هذه الرحمة الواسعة، وفي هذه الصنعة الحسنة بلا قصور، وفي هذا الجمال بلا قبح، بدرجة أنطق أمثال الغزالي بـ«ليس في الإمكان أبدع مما كان».. وأن تتغير هذه الحقائق بقبح خشين، وبظلم مُحش، وبتشوش عظيم؛ إذ سماعُ أدنى صوت في أدنى خلق في أدنى حاجة وقبولها بأهمية تامة، مع عدم سماع أرفع صوت ودعاء في أشد حاجة، وعدم قبول أحسن مسؤول، في أجمل أمل ورجاء؛ قبحٌ ليس مثله قبح، وقصورٌ لا يساويه قصور، حاشا ثم حاشا وكلاً.. لا يقبل مثل هذا الجمال المشهود بلا قصور مثل هذا القبح المحض، وإلا لانقلب الحقائق بانقلاب الحُسن الذاتي قبحاً ذاتياً.

### الرشحة الثالثة عشرة

يا رفيقي في هذه السباحة العجيبة، ألا يكفيك ما رأيت؟ فإن أردت الإحاطة فلا يمكن، بل لو بقينا في هذه الجزيرة مائة سنة ما أحطنا ولا مللنا من النظر بجزء واحد من مائة جزء من عجائب وظائفه، وغرائب إجراءاته.. فلنرجع قهقريا، ولننظر عصرا عصرا، كيف اخضرت تلك العصور واستفادت من فيض هذا العصر؟

نعم، نرى كلَّ عصرٍ نمُرُّ عليه قد انفتحت أزهيره بشمس عصر السعادة، وأثمر كلَّ عصرٍ من أمثال أبي حنيفة،(\*) والشافعي،(\*) وأبي يزيد البسطامي،(\*) والجنيد البغدادي،(\*) والشيخ عبد القادر الكيلاني(\*) والإمام الغزالي، ومحبي الدين بن عربي،(\*) وأبي الحسن الشاذلي،(\*) والشاه النقشبند،(\*) والإمام الرّبّاني ونظائرهم ألوف ثمرات منوراة من فيض هداية ذلك الشخص النوراني.

فلنؤخر تفصيلات مشهوداتنا في رجوعنا إلى وقت آخر.

ونصلي ونسلم على هذا الذات النوراني، ذي المعجزات، أعني سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام:

اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى هٰذَا الذَّاتِ التَّوْرَانِيَّ الَّذِي اُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْحَكِيْمُ  
مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ مِنَ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، اُعْنِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا  
اَلْفَ اَلْفِ صَلَاةٍ وَاَلْفَ اَلْفِ سَلَامٍ بِعَدَدِ حَسَنَاتِ اَمَّتِيْهِ.

عَلٰى مَنْ بَشَّرَ بِرِسالَتِهِ التَّوْرَةُ وَالْاِنْجِيْلُ وَالزَّبُوْرُ وَبَشَّرَ بِبُيُوْتِهِ الْاِرْهَاصَاتُ وَهَوَاتِفُ  
الْحِجْنِ وَاَوْلِيَاءُ الْاِنْسِ وَكَوَاهِنُ الْبَشَرِ، وَاَنْشَقَّ بِاِشَارَتِهِ الْقَمَرُ..  
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ اَلْفُ اَلْفِ صَلَاةٍ وَاَلْفُ اَلْفِ سَلَامٍ بِعَدَدِ اَنْفَاسِ اَمَّتِيْهِ.

عَلٰى مَنْ جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّجَرُ، وَنَزَلَ سُرْعَةً بِدُعَائِهِ الْمَطَرُ، وَاظْلَلَتْهُ الْغَمَامَةُ مِنَ الْحَرِّ،  
وَسَبَّحَ مِنْ صَاعٍ مِنْ طَعَامِهِ مِثْلُ مَنْ بَشَّرَ، وَتَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ اَصَابِعِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كَالْكُوْتَرِ،  
وَسَبَّحَ فِيْ كَفِّيْهِ الْحَصَاةُ وَالْمَدْرُ، وَاَنْطَقَ اللهُ لَهُ الضَّبُّ وَالطَّبْيُ وَالذَّنْبُ وَالْجِدْعُ وَالذَّرَاعُ  
وَالْجَمَلُ وَالْجَبَلُ وَالْحَجَرُ وَالشَّجَرُ صَاحِبِ الْمِعْرَاجِ وَمَا رَاَعَ الْبَصَرُ... سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا  
وَشَفِيْعِنَا مُحَمَّدٍ اَلْفُ اَلْفِ صَلَاةٍ وَاَلْفُ اَلْفِ سَلَامٍ بِعَدَدِ كُلِّ الْحُرُوفِ الْمُتَشَكِّلَةِ فِي الْكَلِمَاتِ  
الْمُتَمَسِّكَةِ بِاِذْنِ الرَّحْمٰنِ فِي مَرَايَا تَمَوُّجَاتِ الْهَوَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ قَارِئٍ  
مِنْ اَوَّلِ التَّنْزِيْلِ اِلَى آخِرِ الزَّمَانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَاَرْحَمْنَا يَا اِلَهَنَا بِكُلِّ صَلَاةٍ مِنْهَا اَمِيْنٌ اَمِيْنٌ.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن دلائل النبوة الأحمدية لا تعد ولا تحصى، وقد ذكرنا قسماً منها في «الكلمة  
التاسعة عشرة» و«المكتوب التاسع عشر». فمع شهادة «معجزاته» البالغة إلى ألف، ومع شهادة  
«القرآن» البالغ وجوه إعجازه إلى أربعين، السابق تفصيلها في «الكلمة الخامسة والعشرين»  
على رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.. كذلك تشهد هذه «الكائنات» بآياتها على نبوته؛  
إذ كما أن في هذه المصنوعات المبتوثة في الكائنات آيات لا تُحد تشهد على وحدانية الذات  
الأحمدية.. كذلك فيها بينات لا تعد، تشهد على رسالة الذات الأحمدية عليه الصلاة والسلام؛  
منها: كمال حسن الصنعة؛ إذ كمال حسن الصنعة في هذه المصنوعات يدل على الرسالة  
الأحمدية دلالة قطعية؛ لأن جمال هذه المصنوعات المزيّنة يُظهر للناظر حسن صنعة وزينة

(١) هذا البحث القيم في دلالة الكائنات بحث مستقل عن «الرشحات» ترجمه الأستاذ النورسي إلى التركية وجعله «النقطة  
الثالثة من الكلمة الثامنة عشرة».

بالمشاهدة.. وأن حسن الصنعة وزينة الصورة يدلان بالبداهة على أن في صانعها إرادة تحسينٍ وطلبَ تزيينٍ في غاية القوة.. وأن إرادة التحسين وطلبَ التزيين يدلان بالضرورة على أن في صانعها محبةً علويةً لصنعتة، ورغبةً قدسية لإظهار كمالاتِ صنعتة.. وأن تلك المحبة والرغبة تدلان بالقطع على أن الإنسان الذي هو أكمل المصنوعات وأبدعها وأجل المخلوقات وأجمعها، هو المظهرُ الجامعُ والمدارُ البارِعُ لتلك المحبة والرغبة، وهو الذي تتمركزان فيه.. وأن الإنسان لكونه أجمع وأبدع المصنوعات فهو الثمرة الشعورية لشجرة الخلقة، أي هو لها كثمرة ذات شعور.. فلكونه كالثمرة، فهو ما بين أجزاء الكائنات جزء أجمع وأبعد من جميع الأجزاء.. فلكونه أجمع وأبعدَ وذات شعور، فله نظرٌ عام وشعور كلي.. فلكون نظره عاما يرى مجموع شجرة الخلقة.. ولكون شعوره كلياً يعرف مقاصد الصانع، فهو المخاطبُ الخاص للصانع.. فلكون عموم النظر وكلية الشعور سبباً لخصوصية الخطاب، فالفرد الذي يصرف كلَّ نظره العام وعموم شعوره الكلي إلى التعبد للصانع والتحبُّبِ إليه والمحبة له، ويوجّه تمام شعوره ودقة نظره إلى استحسان صنعة الصانع وتقديرها وتشهيرها، ويستعمل جميعَ نظره وشعوره ومجموع قوّته وهمتّه إلى شكر نعمة ذلك الصانع الذي يطلب الشكر في مقابلة إنعامه، وإلى دعوة الناس كافةً إلى التعبد والاستحسان والشكر. فبالبداهة يكون ذلك الفردُ الفريد هو المخاطبُ المقربَ والحبيبَ المحبَّب..

فيا أيها الناس! هل يمكن عندكم أن لا يكون محمّد عليه الصلاة والسلام ذلك الفردُ الفريد؟ وهل يستطيع تاريخكم أن يُظهر فرداً آخر أليقَ بهذا المقام من محمّد عليه الصلاة والسلام؟ فيا مَنْ له بصر بلا رَمَد، وبصيرة بلا عمى! انظر إلى عالم الإنسان في هذه الكائنات، حتى تشاهد بالعيان دائرتين متقابلتين، ولوحين متناظرين:

فأما إحدى الدائرتين، فدائرةٌ ربوبيةٌ محتشمة منتظمة في غاية الاحتشام والانتظام. وأما أحد اللوحين فلوح صنعةٍ مصنّعٍ مرصّعٍ في غاية الإتقان والاتزان.

وأما الدائرة الأخرى فهي دائرة عبودية منورة مزهرة في غاية الانقياد والاستقامة. وأما اللوح الآخر، فهو لوحُ تفكيرٍ واستحسانٍ في غاية الوُسعة، وصحيفةٌ تشكُّرٍ وإيمانٍ في غاية الجمع.

فإذ شاهدت هاتين الدائرتين وهذين اللوحين، فانظر إلى مناسبة الدائرتين واللوحين حتى تشاهد بالعيان أن دائرة العبودية تتحرك جميع جهاتها باسم الدائرة الأولى، وتعمل بجميع قوتها بحسابها، وحتى تشاهد بأدنى دقة أن لوح التفكير والتشكر والاستحسان والإيمان ينظر بجميع معانيه وإشاراته إلى لوح الصنعة والنعمة.

فإذ شاهدت عينك هذه الحقيقة فهل يمكن لعقلك أن ينكر أعظم المناسبة بين رئيس دائرة العبودية وصاحب دائرة الربوبية؟ وهل يجوز لقلبك أن لا يوقن بأن ذلك الرئيس الذي يخدم بالإخلاص لمقاصد الصانع في تشهير صنعته وتقديرها، له مناسبة عظيمة مع الصانع، وانتساب قوي إليه، وله معه مكاملة، ومنه إليه رسالة؟ نعم، فبالبداهة يُعَلَّم أنه محبوبٌ مقبولٌ عند مالك الملك بل أحب الخلق إليه وأقربهم منه.

فيا أيها الإنسان! هل يمكن في عقلك أن لا يبالي ولا يهتمَّ صانعُ هذه المصنوعات المزيّئات بأنواع المحاسن، ومُنْعِمُ هذه النعم، المُراعِي لدقائق الأذواق في أفواه الخلق، بمثل هذا المصنوع الأجل الأكمل المتوجه إليه بكمال الاشتياق والتعبد والتعجب، وبمثل هذا المخلوق الذي أطرب الفرش والعرش بولولة استحساناته، ودمدمة تقديراته، لمحاسن صنعة ذلك الصانع، واهتز البرُّ والبحرُ جذبةً من زَمَرَمَة تشكراته لإحسانات ذلك الفاطر، ومن شَعْشَعَة تكبيراته لعظمة ذلك الخالق النعم؟

فهل يمكن أن لا يبالي مثل ذلك الصانع المُحسن المقتدر بمثل هذا المصنوع المستحسن المتشكر؟ وهل يمكن أن لا يتوجه إليه؟ وهل يمكن أن لا يتكلم معه؟ وهل يمكن أن لا يحبه؟ وهل يمكن أن لا يقربه إليه؟ وهل يمكن أن لا يريد سراية وَضْعِيَّتِهِ الحَسَنَة وحالته الجميلة إلى عموم الخلق؟ وهل يمكن أن لا يجعله قدوةً للناس حتى ينصبغوا بصبغته ووضعيته وحالته؟ وهل يمكن أن لا يجعله رسولا إلى الناس كافة؟

أم هل يمكن أن لا يكون لصانع هذه المصنوعات المنتظمة الدالة نقوش صنعتها على علم بلا نهاية وعلى حكمة بلا غاية، شعورٌ وإطلاع على الفرد الأكمل والأجل من مصنوعاته..؟ أم هل يمكن أن يعلم ويبصر ولا يتكلم معه..؟ أم هل يمكن أن يتودد ويتعرف بتزيينات مصنوعاته، ولا يودّ ولا يعرف مَنْ يودّه كما يحق، ويعرفه كما يليق، ويتودد إليه بالصدق، ويتعبد له بالحق..؟

## الرشحة الرابعة عشرة

المتضمنة لقطرات من بحر المعجزة الكبرى

### القطرة الأولى

**اعلم** أن دلائل النبوة الأحمدية لا تعد ولا تحصى؛ ولقد صَنَّفَ في بيانها أعاضُمُ المحققين. وأنا مع عجزِي وقصورِي قد بينتُ شعاعاتٍ من تلك الشمس في رسالة تركية مسماة بـ«شعاعات». وكذا بينتُ -إجمالاً- وجوه إعجاز معجزته الكبرى (أي القرآن)؛ وقد أشرتُ بفهمي القاصر إلى مقدار أربعين وجهاً من وجوه إعجاز القرآن في «لمعات»،<sup>(١)</sup> وقد بينتُ من تلك الوجوه واحداً وهو البلاغة الفائقة النظامية في مقدار أربعين صحيفة من تفسيري العربي المسمى بـ«إشارات الإعجاز». فإن شئت فارجع إلى هذه الكتب الثلاثة.

### القطرة الثانية

**اعلم** أنك قد تفهمت من الدروس السابقة أن القرآن الذي جاء من خالق هذه السماوات والأجرام العلوية وهذه الأرض والموجودات السفلية، ويعرّف لنا ربَّنا ربَّ العالمين، له مقامات ووظائف كثيرة.

فإن قلت: القرآن ما هو؟

قيل لك: هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألستها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المُضمّرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية.. وكذا هو أساسٌ وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الإسلامي.. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي.. وكذا هو قولٌ شارحٌ وتفسير واضحٌ وبرهان قاطعٌ وترجمان ساطعٌ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه.. وكذا هو مربّبٌ للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المُهدي إلى ما خُلِقَ البشر له.. وكذا هو للإنسان كما أنه كتابٌ شريعة، كذلك كتابٌ حكمة.

(١) وترجمت إلى رسالة «الوابع» المنشورة ملحقاً بمجلد الكلمات.



وكما أنه كتاب دعاء وعبودية، كذلك هو كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر، كذلك هو كتاب فكر. وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلِك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين، رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل.

### القطرة الثالثة

في بيان لمعة الإعجاز في تكرارات القرآن.<sup>(١)</sup> وفي هذه اللمعة ستة نقاط:

النقطة الأولى: **اعلم** أن القرآن لأنه كتابٌ ذكرٍ وكتابٌ دعاء وكتابٌ دعوة يكون تكرارُه أحسن وأبلغ بل ألزم. إذ الذكر يُكرَّر، والدعاء يُرَدَّد، والدعوة تُؤكَّد. إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد.

النقطة الثانية: **اعلم** أن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر؛ من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء؛ ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء؛ ومن الموفقين المُجِدِّين الفارغين من الدنيا إلى المخدولين المتهاولين المشغولين بالدنيا. فإذا لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت. فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سور؛ لاسيما الطويلة، حتى صار كل سورة قرآنا صغيرا، فسَهِّل السبيل لكل أحد. وينادي مشوقا: ﴿ وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر: ١٧).

النقطة الثالثة: **اعلم** أنه كما أن الحاجات الجسدية مختلفة في الأوقات؛ فإلى بعض في كل آن كالهواء، وإلى قسم في كل وقت حرارة المعدة كالماء، وإلى صنف في كل يوم كالغذاء، وإلى نوع في كل أسبوع كالضياء، وإلى طائفة في كل شهر، وإلى بعض في كل سنة كالدواء، كلها في الأغلب، وقس عليها.. كذلك إن الحاجات المعنوية الإنسانية أيضا مختلفة الأوقات؛ فإلى قسم في كل آن كـ «هو» و«الله»، وإلى قسم في كل وقت كـ «بسم الله»، وإلى قسم في كل ساعة كـ «لا إله إلا الله» وهكذا فقس.

(١) المسألة العاشرة من «الشعاع الحادي عشر» توضح حكمة التكرار إيضاحا وافيا.

فتكرار الآيات والكلمات للدلالة على تكرر الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاه الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية.

النقطة الرابعة: **اعلم** أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين ولأساساته، وأساسات هذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدؤها. ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن التريد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

وكذا إن القرآن فيه أجوبة لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة البشرية بالسنة الأقوال والأحوال.

النقطة الخامسة: **اعلم** أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها. فلا بد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة.

النقطة السادسة: **اعلم** أن لكل آية ظهرا وبطنا وحدًا ومطلعًا، ولكل قصة وجوها وأحكاما وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورة لمقصد وفي أخرى لآخر وهكذا، فعلى هذا لا تكرر إلا في الصورة..

### القطرة الرابعة

في بيان لمعة الإعجاز في إهمال القرآن في بعض المسائل الكونية الفلسفية، وإبهامه في بعض آخر منها، وإجماله في قسم منها، وفي هذه اللمعة ست نكت:

النكتة الأولى: فإن قلت: لأي شيء لا يبحث القرآن عن الكائنات كما يبحث عنها فن الحكمة والفلسفة؟

قيل لك: لأن الفلسفة عدلت عن طريق الحقيقة فاستخدمت الموجودات لأنفسها بـ«المعنى الاسمي». وأما القرآن فبالحق أنزل وبالحق نزل، وإلى الحقيقة يذهب، فيستخدم الموجودات بالمعنى الحرفي لا لأنفسها بل لخالقها.

فإن قلت: لأي شيء أبهم القرآن وأجمل في أمثال ماهية الأجرام العلوية والسفلية وشكلها وحركتها على ما بينها الفن؟<sup>(١)</sup>

قيل لك: لأن الإبهام أهم والإجمال أجمل:

فأولا: لأن القرآن إنما يبحث عن الكائنات استطرادا للاستدلال على ذات الله وصفاته، ومن شرط الدليل أن يكون ظاهرا وأظهر من النتيجة، والنتيجة معرفة ذات الله وصفاته وأسمائه. فلو قال على ما يشتبهه أهل الفن: «يا أيها الناس، انظروا إلى الشمس في سكونها، وإلى الأرض في حركتها لتعرفوا عظمة قدرة خالقها»، لصار الدليل أخفى وأغمض من النتيجة، وأبعد بمراتب من فهم أكثر البشر في أكثر الأزمان والأعصار، مع أن حق الأكثر المطلق أهم في نظر الإرشاد والهداية. فمراعاة فهمهم لا تنافي استفادة المتفلسفين المتعمقين القليلين. ولكن في مراعاة هذا الأقل محرومية الأكثر في أكثر الأوقات.

وثانيا: إن من شأن البلاغة الإرشادية مماشة نظر العموم، ومراعاة حس العامة وموانسة فكر الجمهور؛ لئلا يتوحش نظرهم بلا طائل ولا يتشوش فكرهم بلا فائدة، ولا يتشرد حسهم بلا مصلحة. فأبلغ الخطاب معهم والإرشاد أن يكون ظاهرا بسيطا سهلا لا يُعجزهم، وجيزا لا يملهم، مُجَمِّلا فيها لا يلزم تفصيله لهم.

وثالثا: إنَّ القرآن لا يذكر أحوال الموجودات لها، بل لمُوجِّدها.. فالأهم عنده أحوالها الناضرة إلى مُوجِّدها. وأما فن الحكمة فتبحث عنها لها. فالأهم عنده أحوالها الناضرة إلى نفسها.. فشتان ما بين الثريا والثرى.

وكذا إنَّ التنزيل يخاطب كل الناس ويراعى فهم الأكثر ليعرفوا تحقيا لا تقليدا.. والفن يتكلم بالأصالة مع أهل الفن، وأما مع العموم فللتقليد. فما فضَّل فيه الفن - بشرط الصدق - لا بد أن يُجمل فيه القرآن أو يُبهم أو يُهمل على درجات نفع العامة.

ورابعا: إنَّ القرآن لأنه مرشد لكل طبقات البشر تستلزم بلاغة الإرشاد أن لا يذكر ما يوقع الأكثر في المغلطة والمكابرة مع البدهيات في نظرهم الظاهري، وأن لا يغيّر بلا لزوم ما هو من المتعارفات المحسوسة عندهم، وأن يُهمل أو يُجمل ما لا يلزم لهم في وظيفتهم الأصلية.

(١) أي العلوم الحديثة وتفصيل المسألة في «الشعلة الثانية من الكلمة الخامسة والعشرين».

مثلاً: يبحث عن الشمس، لا للشمس ولا من ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجاً، وعن وظيفتها بصيرورتها زنبكاً انتظام صنعاً، ومركز نظام خلقه، ومكوك انسجام صنعة في نسج النقاش الأزلي لهذه المنسوجات بخيوط الليل والنهار، في اختلاف الفصول، المفروشات تلك المنسوجات على وجه الأرض والسماء. ليعرفنا القرآن بإراءة نظام النسج وانتظام المنسوجات كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم. وحركة الشمس سواء كانت ظاهرية أو حقيقية، لا تؤثر في مقصد القرآن. إذ المقصد إراءة نسج النظام الحكيم في ضمن إراءة جريان الشمس المشهود. فالنسج مشهود بكمال حشمته فلا يضره سكون الشمس في الحقيقة على ما يزعمه الفن..

النكتة الثانية: إنَّ القرآن يقول: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦) و ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ (يس: ٣٨).

فإن قلت: لأي شيء عبّر عن الشمس بالسراج، مع أنها عند الفن أعظم من أن تكون تابعة للأرض، بل هي مركز الأرض مع السَّيَّارات؟

قيل لك: إن في التعبير بالسراج تصوير العالم بصورة قصر؛ وتصوير الأشياء الموجودة فيه في صورة لوازمات ذلك القصر ومزيّناته ومطعماته لسكان القصر ومسافريه، وإحساس أنه قد أحضرته لضيفه وخدامه يد كريم رحيم. وما الشمس إلا مأمورٌ مسخرٌ وسراج منور. ففي تعبير السراج إخطارٌ رحمة الخالق في عظمة ربوبيته، وإفهامٌ إحسانه في وسعة رحمته، وإحساسٌ كرمه في حشمة سلطنته، وإعلان وحدانيته بإراءة أعظم ما يتوهمه المشرّك معبوداً؛ أنه ما هو إلا سراج مسخرٌ. إذ أين السراج المسخر الجامد وأين لياقة العبادة؟

وفي تعبير الجريان إخطارٌ التصرفات المتّظمة العجيبة في ما بين اختلاف الليل والنهار ودوران الصيف والشتاء.. وفي إخطارها إفهامٌ عظمة قدرة الصانع في إنفراده في ربوبيته.

فمن نقطتي الشمس والقمر يوجه الذهن إلى صحائف الليل والنهار، والصيف والشتاء، ومنها إلى سطور الحادثات المكتوبة في أجوافها. فتعبير الجريان عنوان لهذه المعاني، فيكفي ظاهر العنوان ولا تعلق للمقصد بحقيقته.

فانظر إلى كلمات القرآن مع كونها سهلةً بسيطةً معروفةً؛ كيف صارت أبواباً ومفاتيح

لخزائن لطائف المعاني. ثم انظر إلى مُطَنَّنَاتِ كلماتِ الحكمة الفلسفية كيف أنها مع شَعَشَعَتِهَا لا تفيدك كما لا علميا ولا ذوقا روحيا، ولا غاية إنسانية ولا فائدة دينية. بل إنها تفيدك حيرة مدهشة ودهشة موحشة. وتسقطك من سماء التوحيد المضيء في أودية الكثرة المظلمة. فاستمع بعض ما يقول الفيلسفي في الشمس يقول:

«هي كتلة عظيمة من المائع الناري أعظم من أرضنا بمليون وثلاثمائة ألف مرة، تدور على نفسها في مستقرها، تطايرت منها شرارات وهي أرضنا وسيارات أخرى. فتدور هذه الأجرام العظيمة المختلفة في الجسامة، والقرب من الشمس والبعد منها، بالجاذب العمومي حول الشمس في الفضاء الخالي. فإن خرج أحدها من مداره بالتصادف بحادثة سماوية كمرور النجم ذي الذنب به لحصل هزج ومزج في المنظومة الشمسية، وفي الدنيا بدرجة تتدهش منه السماوات والأرض».

فانظر إلى نفسك ما أفادتك هذه المسألة؟.. فيا سبحان الله! كيف تَقَلِّبُ الضلالة شكلَ الحقيقة، وما «الشمس مع سياراتها، إلّا مصنوعة موظفة ومخلوقة مسخرة بأمر فاطرها الحكيم وبقوة خالقها القدير. وما هي -مع عظمتها- إلّا قطرة متلمعة في وجه بحر السماء يتجلى شعاع من اسم «النور» عليها».

والفلاسفة لو أدرجوا في مسائلهم قبسا من القرآن فقالوا: «يفعل الله بهذه الأجرام المدهشة الجامدة وظائف في غاية الانتظام والحكمة، وهي في غاية الإطاعة لأمره»، لكان لِعِلْمِهِمْ معنى، وإلّا بأن أسندوا إلى أنفسها وإلى الأسباب صاروا كما قال القرآن: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١) وقس على هذه المسألة سائر المسائل.

**النكتة الثالثة:** اعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية. فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب. ومن القواعد: عدم التعمق في تفصيل الوسائل، لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد. فلهذا قد أبهم وقد أهمل وقد أجمل القرآن في بعض المسائل الكونية. وكذا إن الأكثر المطلق من مخاطبي القرآن عوام، وهم لا يقتدرون على فهم الحقائق الغامضة الإلهية بدون

توسيط التمثيل والتقريب بالإجمال، ولا يستعدون في كل وقت لمعرفة مسائل لم يصل إليها بعد القرون الطويلة إلا قليلاً من الفلاسفة. فلهذا أكثر القرآن من التمثيل. ومن التمثيل بعض المتشابهات فإنها تمثيلات لحقائق غامضة إلهية. وأجمل فيما كشفه الزمان بعد عصور وبعد حصول مقدمات مرتبة.

**النكتة الرابعة: اعلم** أنه كما أن الساعة غير ثابتة بل متزلزلة مضطربة الآلات، كذلك الدنيا التي هي ساعة كبرى أيضاً متزلزلة. فبإدراج الزمان فيها صار «الليل والنهار» كميلين يعدّان ثوانيهما، و«السنة» إبرة تعدّ دقائقها، و«العصر» كإبرة تعدّ ساعاتها. وبإدراج المكان فيها صار «الجو» - بسرعة تغييره وتحوّله وتزلزله - كميل الثواني، و«الأرض» - بتبدل وجهها نباتا وحيوانا، موتا وحياة - كميل الدقائق، وتزلزل بطنها وتولّد «جبالها» كميل الساعات، و«السماء» - بتغيراتها بحركات أجرامها وظهور ذوي الأذنان، والكسوفات والشهابات - كالميل الذي يعدّ الأيام.

فالدنيا المبنية على هذه الأركان السبعة - مع أنها واصفة لشؤونات الأسماء ولكتابة قلم القدرة والقدر - فانية هالكة متزلزلة راحلة كالماء السيل في الحقيقة، لكن تجمدت صورةً بالغفلة، وتكدرت بالطبيعة فصارت حجاباً عن الآخرة. فالفلسفة السقيمة والمدنية السفهية تزيدان جمودتها وكدورتها بالتدقيقات الفلسفية والمباحث الطبيعية. وأما القرآن فينفّس الدنيا كالعن بآياته، ويشفّها<sup>(١)</sup> ببيناته، ويذيبها بنيراته، ويمزّق أبديتها الموهومة بنعياته، ويفرّق الغفلة المولدة للطبيعة برعدهاته. فحقيقة الدنيا المتزلزلة تقرأ بلسان حالها المذكورة آية ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

فلهذا أجمل القرآن فيما فصلت فيه الفلسفة من ماهيات الأشياء وخواصها. وفصل فيما أجملت أو أهملت فيه من وظائفها في امتثال الأوامر التكوينية، ودلالاتها على أسماء فاطرها وأفعاله وشؤونه.

الحاصل: أن القرآن يبحث عن معاني كتاب الكائنات ودلالاتها، أما الفلسفة فإنها تبحث عن نقوش الحروف ووضعياتها ومناسباتها. ولا تعرف أن الموجودات كلمات تدل

(١) أي يجعلها شافة.

على معانٍ. فإن شئت أن ترى فرق حكمة الفلسفة، وحكمة القرآن فراجع ما في بيان آية ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

النكتة الخامسة: [تحال إلى الأنوار الثلاثة من الشعلة الثانية للكلمة الخامسة والعشرين (المعجزات القرآنية) حيث تتضمن هذه النكتة آيات كثيرة جداً والمقام هنا ليس مقام إيضاح].<sup>(١)</sup>

النكتة السادسة: **اعلم** أنه يفهم من هذه النكتة السابقة أن القرآن إنما ينظر إلى وجوه دلالات الآثار على أفعاله تعالى، وإلى وجوه إظهار الأفعال لأسماؤه سبحانه، وإلى صور انصباب الأفعال إلى الأسماء أو جريانها من الأسماء، وإلى وجوه إحاطة الأسماء التي هي أشعة الصفات بالأشياء.

الحاصل: أن القرآن إنما ينظر من الموجودات إلى وجوهها النازرة إلى فاطرها؛ وأما الفلسفة فإنها تنظر من الموجودات إلى وجوهها النازرة إلى أنفسها وأسبابها، وغايتها النازرة إلى مصالح جزئية فلسفية أو صناعية. فما أجهل من اغتر بالفنون الفلسفية، وصيرها محكاً لمباحث القرآن القدسية. ولقد صدق من قال: «إن الفنون جنون كما إن الجنون فنون».<sup>(٢)</sup>

### القطرة الخامسة

**اعلم** أن من لمعات إعجاز القرآن كما ذكرت في «حبة» أنه جمَعَ السلسلة الرائقة والسلامة الفائقة، والتساند التين والتناسب الرصين، والتعاون بين الجمل وهيئاتها، والتجاوب بين الآيات ومقاصدها، بشهادة علم البيان وعلم المعاني، مع أنه نزل في عشرين سنة نجماً نجماً لمواقع الحاجات، نزولاً متفرقاً متقاطعا مع كمال التلاؤم كأنه نزل دفعة، ولأسباب نزول مختلفة متباينة مع كمال التساند كأن السبب واحد. وجاء جواباً لأسئلة مكررة متفاوتة مع نهاية الامتزاج والاتحاد كأن السؤال واحد. وجاء بيانا لحداثات أحكام متعددة متغيرة مع كمال الانتظام كأن الحادثة واحدة. ونزل متضمناً لتنزلات إلهية في أساليب تناسب أفهام المخاطبين، لاسيما فهم المنزل عليه عليه السلام بحالات في التلقي متنوعة متخالفة مع حسن التماثل والسلسلة؛ كأن الحالة واحدة. وجاء متكلماً متوجهاً إلى أصناف مخاطبين متعددة

(١) هذه النكتة الخامسة موجودة بكاملها في الرسالة الأخيرة: «أنوار من نجوم القرآن».

(٢) تَذَكَّرْ نَجْدًا والحديث شُجُونٌ \* فَجَرَّ اشْتِيقًا وَالْجُنُونُ قُتُونٌ. (مجمع الأمثال، ١/ ٣٠١).

متباعدة مع سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام، كأن المخاطب واحد، بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب بالأصالة. ونزل مُهديا وموصلا لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة مع كمال الاستقامة والموازنة والنظام كأن المقصد واحد. فمن كانت له عين سليمة في بصيرته، فلا ريب أنه يرى في القرآن عينا ترى كل الكائنات ظاهرا وباطنا كصحيفة مبصرة واضحة يقبلها كيف يشاء، فيعرف معانيها على ما يشاء.

### القطرة السادسة

في بيان أنه لا يقاس القرآن على سائر الكلام، كما ذكرت في رسالة «قطرة».

**اعلم** أن منابع علو طبقة الكلام وقوته وحسنه وجماله أربعة: المتكلم، والمخاطب، والمقصد، والمقام، لا المقام فقط كما ضلّ فيه الأدباء. فانظر إلى مَنْ قال؟ ولمن قال؟ ولم قال؟ وفيمْ قال؟ فالكلام إن كان أمرا ونهيا فقد يتضمن الإرادة والقدرة بحسب درجة المتكلم، فتضاعف علويته وقوته.

نعم، أين صورة أمر فضولي ناشئ أمره من أمني التمني وهو غير مسموع، وأين الأمر الحقيقي النافذ المتضمن للقدرة والإرادة؟ فانظر، أين ﴿يَتَّأَرَضُ أَتْلَعِي مَاءَ لِي وَيَسْمَأُ أَقْلَعِي﴾ (هود: ٤٤). ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)، وأين خطاب البشر للجحادات بصورة هذيانات المبرسمين<sup>(١)</sup> في المرض: «اسكني يا أرض وانشقي يا سماء وقومي أيها القيامة»؟. وكذا، أين أمر أمير مطاع لجيش عظيم مطيع بـ«آرش!»<sup>(٢)</sup> واهجموا على أعداء الله، وأين هذا الأمر إذا صدر من حقير لا يُبالى به وبأمره؟ أين ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، وأين كلام البشر؟ وكذا أين تصوير مالك حقيقي، وأمر مؤثر أمره، ونافذ حكمه، وبيان صانع وهو يصنع، ومنعم وهو يحسن قد شرع في آن الصنعة والإحسان يصور أفاعيله؛ يقول: فعلتُ كذا وكذا، وأفعلُ هذا وذاك. انظر إلى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ \* وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ \*

(١) المبرسم: الذي أصيب بالبرسام، والبرسام - بالكسر: علة يُهدى فيها. وعن علي رضي الله عنه: «لا يجوز طلاق مَعْتَوْه ولا مُبْرَسَم ولا صاحب هذيان».

(٢) آرش: إيعاز عسكري يعني تقدّم للهجوم.



وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ \* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ \* رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١-٦﴾. ثم أين تصوير فضولي في بحثه عن أفاعيل لا تماس له بها؟

نعم، أين أعيان النجوم؛ ثم أين تماثيلها الصغيرة السيالة - التي لا هي موجودة ولا معدومة - المرئية في الزجاجات؟

نعم، أين ملائكة كلمات كلام خالق الشمس والقمر الملهمه لأنوار الهداية؛ ثم أين زنايب مزورات البشر النفاثات في عقد الهوسات؟

نعم، أين ألفاظ القرآن التي هي أصداف جواهر الهداية، ومنبع الحقائق الإيمانية، ومعدن الأساسات الإسلامية المنبثة من عرش الرحمن مع تضمن تلك الألفاظ للخطاب الأزلي وللعلم والقدرة والإرادة؛ ثم أين ألفاظ الإنسان الهوائية الواهية الهوسية؟

نعم، أين القرآن الذي هو كشجرة تفرعت وأورقت وأزهرت وأثمرت هذا العالم الإسلامي بمعنوياته وشعائره وكمالاته ودساتيره وأصفيائه وأوليائه، حتى انقلب كثير من نواة تلك الشجرة الطوبائية دساتير عملية وأشجارا مثمرة الذي قيل في حقه: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨) وقد أفحم بجزالة نظمه وبلاغة معناه، وبداعة أسلوبه، وبراعة بيانه، وفصاحة لفظه، في جامعية اللفظ لوجوه كثيرة مقبولة، وحسن دلالاته في جامعته لبحر هذه الشريعة المتضمنة للحقيقة والطرائق بمأخذ المجتهدين، وأذواق العارفين، ومشارب الواصلين، ومسالك الكاملين، ومذاهب المحققين.. وبطراوة شبابيته في كل عصر، ولبايقته وموافقته في كل عصر لكل طبقة. وألزم مصاقع الخطباء ونوابغ العلماء، بل أعجز جميع البشر أن يأتوا بسورة من مثله؛ ثم أين كلام البشر؟ أين الثرى من الثريا!

اَللّٰهُمَّ بحق القرآن وبحق مَنْ اُنزل عليه القرآن نور قلوبنا بنور القرآن، واجعل القرآن شفاءً  
لنا من كل داءٍ، ومونساً لنا في حياتنا وبعد مماتنا، واجعله لنا في الدنيا قريناً، وفي القبر مونساً،  
وفي القيامة شفيعاً، وعلى الصراط نورا، ومن النار سترًا وحجاباً، وإلى الجنة رفيقاً، وإلى  
الخيرات دليلاً وإماماً، بفضلِكَ وحمدِكَ وكرمِكَ وإحسانِكَ ورحمتِكَ،

يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.

وصل وسلم على من أنزلت عليه القرآن وأرسلته رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه صلاةً  
تُرْضِيكَ وترْضِيهِ وترْضَى بها يا رب العالمين..

فيا منزل القرآن، بحق القرآن اجعل هذا الكتاب نائباً عني ناطقاً بهذا الدعاء بدلاً عني إذا  
أسكتَ الموتُ لساني آمين. ألف آمين..

## الرسالة الثالثة

# الاسْمَاءُ

[المقام الثاني العربي من الكلمة الثامنة والعشرين]

[وأساس «الكلمة العاشرة»<sup>(١)</sup>]

---

(١) هذه الرسالة عبارة عن خلاصة قيمة لرسالة «الحشر» وهي «الكلمة العاشرة» التي فصلت فيها مسائل هذه الرسالة بأمثلة كثيرة، وتنسيق جديد وفق تجليات الأسماء الحسنی بعد تمهيد للأذهان بحوار لطيف وبيان صور الحشر.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شهدَتْ على وجوب وجوده ووحدته ذرأتُ الكائنات ومركباتها بلسان عجزها وفقرها. والصلاة والسلام على نبيِّه الذي هو كشاف طلسم الكائنات ومفتاحُ آياتها، وعلى آله وصحبه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى الملائكة المقربين، وعلى عباد الله الصالحين من أهل السماوات والأرضين.

**اعلم** يا من سَدَّتْ عليه الطبيعةُ والأسباب بابَ الشكر، وفتحتْ له بابَ الشكر! إِنَّ الشُّركَ والكفر والكُفْرانَ تأسست على محالاتٍ غير محدودة، فانظر من تلك المحالات إلى هذا المحال الواحد:

وهو أن الكافر إذا ترك سُكْرَ الجهالة ونظر إلى كفره بعين العلم، يَضْطَرُ -للإذعان بكفره- أن يحمل على ظهر ذرّةٍ واحدةٍ أَلْفَ قنطار، وأن يقبل في كل ذرّةٍ ذرّةٍ ملايين مطبوعاتٍ للطبيعة، واطلاعا -مع مهارة- على جميع دقائق الصنعة في جميع المصنوعات؛ إذ كُلُّ ذرّةٍ من الهواء -مثلا- تصلُّح أن تمرَّ على كل نباتٍ وزهرة وشجرة وثمرّة، وأن تعمل في بنيتها، فلا بد لهذه الذرة والقوة البسيطة المستترة فيها -إن لم تكن مأمورة، تعمل باسم مَنْ بيده ملكوت كل شيء- أن تعرف كيفيةَ جهازاتِ كلِّ ما دخلت الذرّةُ في بنيتها وكيفيةَ صنعته وتشكيله، مع أن الثمرة -مثلا- متضمنةٌ لمثال مصغر للشجر، وأن نواتها كصحيفةِ أعمال الشجر، وفيها تاريخُ حياته. فالثمرّة تنظر إلى كل الشجرة بل إلى نوعها بل إلى الأرض أيضا. ومن هذه الحيثية فالثمرّة -بعظمة صنعتها ومعناها- في جسامة صنعة الأرض بوجه، فَمَنْ بناها بهذه العظمة المعنوية الصنعوية، لا بد أن لا يعجزَ عن حمل الأرض وبنائها.

فيا عجبا للكافر المنكر كيف يدّعي العقل والذكاوة مع أنه يتبطن -بكفره- في قلبه مثل هذا الحمق والبلاهة!

### واعلم أن لكل شيء صورتين:

أما إحداهما: فهادية محسوسة كقميصة قُدَّتْ على مقدار قامة الشيء بتقدير القَدَر بغاية الانتظام.

وأما الأخرى: فمعقولة مركبة من أشتاتِ صُور الشيء في حركته في بحر الزمان، أو مرور نهر الزمان عليه، كصورة الدائرة النورانية المخيَّلة الحاصلة من جولان الشعلة، فهذه الصورة المعنوية للشيء هي تاريخ حياة الشيء، وهي مدارُ القَدَر المشهور، وهي المسماة بـ«مُقَدَّرَات الأشياء». فكما أن الشيء -كالشجرة مثلاً- في الصورة المادية، له نهايات منتظمة مشمرة، وله غايات موزونة متضمنة لمصالح حَكَمية، كذلك له في صورته المعنوية أيضاً نهايات منتظمة متضمنة لمصالح، وله حدود معينة تعينت لحِكم خفية. فكان القُدرة في الصورة الأولى كالباني، والقَدَر كالهندسة، وفي الثانية كالمصدر، والقَدَر كالمِسْطَر. <sup>(١)</sup> فتكتب القدرة كتاب المعاني على رسوم مِسْطَر القدر.

فيا أيها الكافر! تضطر في كفرانك وكفرك -عند المراجعة إلى العلم والحقيقة- أن تقبل في كل ذرة وقوتها الجزئية الصغيرة معرفة صنعة خياطة بدرجة تقتدر تلك الذرة -وطبيعة السببية- على أن تقدّ وتخيّط ألبسة وأقمصة مختلفة متنوعة بعدد أشتات الأشياء التي يمكن أن تذهب إليها الذرة، مع اقتدارها على تجديد الصور المتخرقة بأشواك الحادثات في مرور الزمان، مع أن الإنسان -الذي هو ثمرة شجرة الخلقة وأقدر الأسباب -بزعمه- وأوسعها اختياراً- لو جمع كلّ قابلية صنعة خياطته ثم أراد أن يخيط قميصاً لشجرة ذات أشواك على مقدار أعضائها، ما اقتدر. مع أن صانعها الحكيم يلبسها في وقت نَمائها أقمصة متجددة منتظمة طرية لا تشققها الشمس، وحللاً خضرة متزينة موزونة، بكمال السهولة والسرعة بلا كلفة ولا معالجة. فسبحان مَنْ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿فَسُبْحْنَ الَّذِي يَبْدِئُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢-٨٣).

**اعلم** أن للأحد الصمد على كل شيء سَكَّة وخاتماً وآية، بل آيات تشهد بأنه له وملكه وصُنعُه. فإن شئت فانظر -مما لا يحد ولا يعد من سكاتِ أحديته وخواتمِ صمديته- إلى هذه

(١) المِسْطَر: ما يُسْطَر به الكتاب.

السكة المضروبة على صحيفة الأرض في فصل الربيع بمرصاد هذه الفقرات الآتية المتسلسلة المتعاقبة المتداخلة، لترى السكة كالشمس في رابعة النهار.

وهي: أنا نشاهد في صحيفة الأرض إيجادا بديعا حكيما: في جُودٍ واسع عظيم في سخاوة مطلقة في إتقان مطلق، في سهولة مطلقة في انتظام مطلق، في سرعة مطلقة في اتزان مطلق، في وسعة مطلقة في حُسن صُنع مطلق، في رخيصة مطلقة وقيمتُه في غلو مطلق، في خِلطة مطلقة في امتياز مطلق، في بُعْدَة مطلقة في اتفاق مطلق، في كثرة مطلقة في أحسن خلقة.

على أن كلا من هذه الفقرات بانفرادها تكفي لإظهار السكة؛

إذ نهاية السخاوة نوعا مع غاية الإتقان وحسن الصنعة في فردٍ فردٍ، تختص بمن لا يُشغله شيء عن شيء، وله قدرة بلا نهاية.

وكذا إن نهاية السهولة مع غاية الانتظام، تختص بمن لا يُعجزه شيء، وله علم بلا نهاية.

وكذا إن نهاية السرعة مع غاية الاتزان والموزونية، تختص بمن استسلم كل شيء لقدرته وأمره.

وكذا إن نهاية وسعة التصرف - بانتشار النوع - مع غاية حسن صنع كل فردٍ فردٍ، تختص بمن ليس عند شيء، وهو عند كل شيء بقدرته وعلمه.

وكذا إن نهاية الرخيصة والمبدولية مع غاية غلو قيمة الفرد باعتبار الصنعة، تختص بمن له غناء بلا غاية وخزائن بلا نهاية.

وكذا إن نهاية الاختلاط والاشتباك - في أفراد الأنواع المختلفة - مع غاية الامتياز والتشخيص بلا مَرَج<sup>(١)</sup> ومزج وبلا خلط وغلط، تختص بمن هو بصير بكل شيء، وشهيد على كل شيء لا يمنعه فعل عن فعل، ولا يختلط عليه سؤال بسؤال.

وكذا إن الفعالية؛ مع نهاية التباعد بين الأفراد المنتشرة في أقطار الأرض، مع غاية التوافق في الصورة والتشكيل والإيجاد والوجود، حتى كأن أفراد كل نوع نوعٍ منتظرٍ أمرًا يخصها من مدبرٍ واحد، تختص بمن الأرض جميعا في قبضة تصرفه وعلمه وحُكمه وحِكمته.

(١) مَرَج الشيء بالشيء: خَلَطَهُ.

وكذا إن نهاية الكثرة في أفراد النوع مع غاية مُكَمِّلِيَّةٍ خَلْقَةٍ فَرْدٍ وَحُسْنٍ إِيْجَادٍ جزء جزء، تختص بالقدير المطلق الذي تتساوى بالنسبة إليه الذرات والنجوم والقليل والكثير.

على أن في كل فقرة آيةً أخرى على صنع القدير المطلق وهي التضاد بين السخاوة والإتقان الاقتصادي، وبين السرعة والموزونية، وبين الرخيصة وعلو القيمة، وبين الاختلاط الأظم والامتياز الأتم... وهكذا.

فإذا كان كل فقرة بانفرادها كافية لإظهار خاتم الأحدية، فكيف إذا اجتمعت متداخلة متآخدة في فعالية واحدة؟! ومن هذا ترى سرَّ ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (الزمر: ٣٨) أي إِنَّ المنكِر المتعَدِّ إذا سُئِلَ منه -بتنبيه عقله- يضطر لأن يقول: «الله»..

**اعلم** أن بين الإيمان بالله والإيمان بالنبى والإيمان بالحشر والتصديق بوجود الكائنات تلازما قطعيا، وارتباطا تاما؛ للتلازم في نفس الأمر بين وجوب الألوهية وثبوت الرسالة، ووجود الآخرة وشهود الكائنات بدون غفلة.

إذ كما لا يمكن وجود كتاب -لا سيما إذا تضمن كل كلمة منه كتابا وكل حرف قصيدة منتظمة- بلا كاتب.. كذلك لا يمكن شهود كتاب الكائنات -بدون سُكر- بلا إيمان بوجود وجود نقاشه الأزلي.

وكما لا يمكن وجود بيت -لا سيما إذا اشتمل على خوارق الصنعة وعجائب النقوش وغرائب التزيينات حتى في كل حجر منه- بلا بانٍ وصانع، بلا منشئ وصاحب.. كذلك لا يمكن التصديق بوجود هذا العالم -بدون سُكر الضلالة- بلا تصديق بوجود صانعه.

وكما لا يمكن شهود تلمعات الحبابات في وجه البحر، وتلاؤ القطرات المائية وتشعشع الزُّجيجات الثلجية في وسط النهار مع إنكار وجود الشمس، إذ يلزم حينئذ قبول وجود شُمسيات بالأصالة بعدد الحبابات والقطرات والزجيجات الثلجية.. كذلك لا يمكن -لمن له عقل لم يفسد- شهود هذه الكائنات -المتحولة دائما في انتظام، المتجددة في انسجام- بلا تصديق بوجود وجود خالقها وبانيها، الذي أسس ذلك البيت المحتشم، والشجر المعظم،



بأصول مشيئته وحكمته، وفصله بدساتير قضائه وقدره، ونظمه بقوانين عاداته وسنته، وزينه بنواميس عنايته ورحمته، ونوره بجلوات أسماؤه وصفاته..

نعم، وبعدم قبول الخالق الواحد يُضطر إلى قبول آلهات غير متناهية بعدد ذرات الكائنات ومركباتها، بحيث يقتدر إله كل واحد على خلق الكل؛ بسر أن كل جزئي ذي حياة كأنموذج للكل؛ فخالقه لا بد أن يقتدر على خلق الكل!

ثم إنه كما لا يمكن وجود الشمس بلا نشر ضياء.. كذلك لا يمكن الألوهية بلا تظاهر بإرسال الرسل..

ولا يمكن جمال في نهاية الكمال بلا تبارز وبلا تعرف بواسطة رسول معرف..

ولا يمكن كمال صنعة في غاية الجمال بلا تشهير بواسطة دلال ينادي عليه..

ولا يمكن سلطنة ربوبية عامة، بلا عبودية كلية، بإعلان وحدانيته وصمديته في طبقات الكثرة بواسطة مبعوث ذي الجناحين..

ولا يمكن حُسن لانهية له، بلا طلب ذي الحسن، ومحبة لمشاهدة محاسن جماله ولطائف حسنه في مرآة، وبلا إرادته لإشهاد أنظار المستحسنين عليه وإراءته لهم بواسطة عبد حبيب يتجنب إليه، ورسول يجيبه إلى الناس. أي هو بعبوديته مرآة لشهود ذي الجمال جمال ربوبيته، وبرسالته مدار إشهاد..

ولا يمكن وجود كنوز مشحونة بعجائب المعجزات وغرائب المرصعات، بلا إرادة صاحبها ومحبة لعرضها على الأنظار وإظهارها على رؤوس الأشهاد، لتبين كمالاته المستورة بواسطة معرف صراف ومُشهر وصاف.

فإذ هذا هكذا، فهل ظهر في العالم أجمع لهذه الأوصاف من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ كلا، بل هو أجمع وأكمل وأرفع وأفضل. فهو سلطان الرسل المظهرين المبلغين المعرفين المشهرين الدلائل العابدين المعلنين المرشدين الشاهدين المشهدين المشهودين المحبوبين المحبين المهابدين المهتدين، عليه وعليهم وعلى آلهم أفضل الصلوات وأجل التسليّات، مادامت الأرض والسموات.

ثم انظر إلى قوة حقانية الحشر والآخرة، وهي أنه:

كما لا يمكن سلطان بلا مكافأة للمطيعين وبلا مجازاة للعاصين:

لاسيما: إذا كان له كرمٌ عظيم يقتضي الإحسان، وعزّةٌ عظيمة تقتضي الغيرة..

ولاسيما: إذا كان له رحمة واسعة تقتضي فضلا يليق بوسعة رحمته، وله جلالٌ حيثية تقتضي تربيةً مَنْ يستخف به، ولا يوقره..

ولاسيما: إذا كان له حكمة عالية، تقتضي حمايةً شأنِ سلطنته بتلطيف الملتجئين إلى جناحه، وله عدالة محضة تقتضي محافظةً حشمةً مالكيته بمحافظه حقوق رعيته..

ولاسيما: إذا كان له خزائن مشحونة مع سخاوة مطلقة، تقتضي وجود دار ضيافةٍ دائمة، وتقتضي دوام وجود محتاجين بأنواع الحاجات فيها. وكذا له كمالاتٌ مستورة تقتضي التشهير على رؤوس المشاهدين المقدرين المستحسنين. وكذا له محاسنٌ جمال معنوي بلا مثل، وله لطائفٌ حُسن مخفي بلا نظير، تقتضي الشهود لحُسنه بنفسه في مرآة، والإشهادَ لغيره، والإراءة بوجود مستحسنين متنزّهين ومشتاقين متحيرين بل دوام وجودهم؛ إذ الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل!

ولاسيما: إذا كان له شفقة رحيمة في إغاثة الملهوف وإجابة الداعي، بدرجة يُراعي أدنى حاجةٍ من أدنى رعية، تقتضي تلك الشفقة اقتضاءً قطعياً يقينا أن تُسَعَفَ أعظم الحاجة من مقبول السلطان، وبالخاصة إذا كانت الحاجة عامة مع أنها يسيرة سهلة عليه، ومع اشتراك العموم في تضرع مقبول السلطان.

ولاسيما: إذا شوهده من إجراءاته آثارُ سلطنته في نهاية الاحتشام، مع أن ما يُرى من رعيته إنما اجتمعوا في منزلٍ مُعدٍّ للمسافرين، يُملأ ويُفرغ في كل يوم، وحضروا في ميدانٍ امتحانٍ يتبدل في كل وقت، وتوقفوا قليلا في مشهرٍ قد أُعدَّ لإراءة أنموذجٍ غرائبِ صنعة المَلِك، ونموناتٍ<sup>(١)</sup> إحساناته؛ وهذا المشهر يتحول في كل زمان. فهذه الحالة تقتضي بالضرورة أن يوجد خلفَ هذا المنزل والميدان والمشهر وبعدها قصورٌ دائمة، ومساكن مستمرة، وخزائن مفتحة الأبواب، مشحونة بجيّداتِ أصول الأنموذجات المغشوشات.

(١) نماذج وعينات.

ولاسيما: إذا كان الملك في نهاية الدقة في وظيفة الحاكمية، بحيث يكتب ويستكتب أدنى حاجة وأهونَ عمل وأقل خدمة، ويأمر بأخذ صورة كل ما يجري في ملكه، ويستحفظ كل فعل وعمل. فهذه الحفيظية تقتضي المحاسبة، وبخاصة في أعظم الأعمال من أعظم الرعية.

ولاسيما: إذا كان الملك قد وعد وأوعد مكررا، بما إيجادُه عليه هين يسير، ووجودُه للرعية في نهاية الأهمية، وخُلف الوعد في غاية الضدية لعزّة اقتداره.

ولاسيما: إذا أخبر كل من ذهب إلى حضور ذلك الملك، أنه أعدّ للمطيعين والعاصين دار مكافأة ومجازاة، وأنه يعدّ وعدا قويا ويُوعدّ وعيدا شديدا، وهو أجلّ وأعز من أن يذل ويتنزل بخُلف الوعد، مع أن المخبرين متواترون، قد أجمعوا على أن مدار سلطنته العظيمة إنما هو في تلك المملكة البعيدة عنا. وما هذه المنازل في ميدان الامتحان إلّا مؤقتة، سيبدّلها -البتة- بقصور دائمة؛ إذ لا يقوم مثل هذه السلطنة المستقرة المحتشمة على هذه الأمور الزائلة الواهية المتبدلة السiale.

ولاسيما: إذا أظهر ذلك الملك في كل وقت في هذا الميدان المؤقت، كثيرا من أمثال ذلك الميدان الأكبر ونمونات. فَيُعلم من هذه الكيفية، أن ما يُشاهد من هذه الاجتماعات والافتراقات ليست مقصودة لذاتها، بل إنما هي تمثيل وتقليد لتؤخذ صورها، وتُرَكَّب وتُحفظ نتائجها، وتُكتب لتدوم، وتدور المعاملة في المجمع الأكبر والمشاهدة في ذلك المحضر عليها، فتثمر الفانية صورا ثابتة وأثارا باقية.

ولاسيما: إذا أظهر ذلك الملك في تلك المنازل الزائلة والميادين الهائلة والمشاهر الراحلة آثارَ حكمة باهرة، وعناية ظاهرة، وعدالة عالية، ومرحمة واسعة، بدرجةٍ يَعْرِفُ باليقين من له بصيرة أنه لا يمكن أن يوجد أكمل من حكمته، وأجمل من عنايته، وأشمل من مرحمته، وأجل من عدالته. فلو لم يكن في دائرة مملكته أماكن دائمة عالية ومساكن قائمة غالية، وسواكن مقيمة خالدة لتكون مظاهرَ حقيقة تلك الحكمة والعناية والمرحمة والعدالة، لَزم حينئذ إنكار هذه الحكمة المشهوددة، وإنكار هذه العناية المبصرة، وإنكار هذه المرحمة المنظورة، وإنكار هذه العدالة المرئية؛ وللزم قبول كون صاحب هذه الأفاعيل الحكيمة الكريمة سفيها لعبا وظالما غدارا. فيلزم انقلاب الحقائق بأضدادها، وهو محال باتفاق جميع أهل العقل غير السوفسطائي الذي ينكر وجود الأشياء حتى وجودَ نفسه.

وهكذا مما لا يعد ولا يحصى من دلائل، أنه سينقل رعيته من هذه المنازل المؤقتة إلى مقر سلطنته الدائمة، ومما لا يحصى ولا يستقصى من أمارات، تبدلُهُ هذه المملكة السيارة بتلك المملكة المستمرة.

كذلك<sup>(١)</sup> لا يمكن -بوجه من الوجوه قطعاً وأصلاً- أن يوجد هذا العالم ولا يوجد ذلك العالم، وأن يدع الفاطر هذه الكائنات ولا يُبدع تلك الكائنات، وأن يخلق الصانع هذه الدنيا ولا يخلق تلك الآخرة؛ إذ شأن سلطنة الربوبية يقتضي المكافأة والمجازاة.

ولاسيما: يُعلم بالآثار أن لصاحب هذه الدار كرماً عظيماً، ومثل هذا الكرم يقتضي كمال الإحسان وحسن المكافأة. وأن له عزة عظيمة تقتضي كمال الغيرة وشدة المجازاة؛ مع أن هذه الدار لا تفي بعشر معشار عشير ما يقتضيه ذلك الكرم وتلك العزة..

ولاسيما: أن لصاحب هذا العالم رحمةً وسعت كل شيء، ومن لطائف تلك الرحمة شفقةُ الوالدات مطلقاً، حتى النباتات على أولادها، وسهولةُ أرزاق أطفال الحيوانات وضعفائها، وهذه الرحمة تقتضي فضلاً وإحساناً يليقان بها. انظر أين مقتضى هذا الرحمة، ثم أين هذه التمتع الزائلة المنغصة في هذه الدنيا الفانية -في هذا العمر القصير- التي لا تفي بقطرة من بحر تلك الرحمة؟ بل الزوال بلا إعادة يصير النعمة نقمةً، والشفقة مصيبةً، والمحبة حرقه، والعقل عقاباً، واللذة ألماً، فتقلب حقيقة الرحمة. فتلزم المكابرة بإنكار الرحمة المشهودة، كإنكار الشمس مع شهود امتلاء النهار من ضيائها. وكذا يُعلم من تصرفات صاحب هذا العالم أن له جلالاً حيثيةً وعزةً، يقتضيان تأديب من لا يوقره وقهر من يستخف به، كما فعل بالقرون السالفة في هذه الدنيا، ما يدل على أنه لا يهمل وإن أهمل. وكذا يُفهم من إجراءاته أن له غيرةً عظيمة على استخفاف أوامر ونواهيه.

نعم، ومن شأن من يتعرف إلى الناس بأمثال هذه المصنوعات المنظومات، ويتودد إليهم بأمثال هذه الأزاهير الموزونات، ويتدحرج عليهم بأمثال هذه الثمرات المزينات، ثم لا يعرفونه بالإيمان، ولا يتحببون إليه بالعبادة، ولا يحترمونه بالشكر إلا قليلاً.. أن يُعَدَّ لهم في مقر ربوبيته الأبدية دار مجازاة ومكافأة.

(١) جواب: كما لا يمكن سلطان بلا مكافأة...

ولاسيما: أن لمتصرّف هذا العالم حكمةً عامةً عالية، بشهاداتٍ رعاية المصالح والفوائد في كل شيء، وبدلالات الانتظامات والاهتمامات وحسن الصنعة في جميع المخلوقات. فهذه الحكمة الحاكمة في سلطنة الربوبية، تقتضي تلطيف المطيعين المتلجئين إلى جناحها.

وكذا يشاهد أن له عدالة محضة حقيقية بشهادات وضعه كل شيء في الموضع اللائق، وإعطاء كل ذي حق حقه الذي يستعده؛ وإسعاف كل ذي حاجة حاجته التي يطلبها - لوجوده أو حفظ بقائه - وإجابة كل ذي سؤال سؤاله. وبالخاصة: إذا سُئِلَ بلسان الاستعداد أو بلسان الاحتياج الفطري أو بلسان الاضطرار.. فهذه العدالة تقتضي محافظة حشمة مالكه وربوبيته، بمحافظه حقوق عباده في محكمة كبرى؛ مع أن هذه الدار الفانية أقل وأحق وأضيق وأصغر من أن تكون مظهرًا لحقيقة تلك العدالة؛ فلا بد حينئذ لهذا الملك العادل والرب الحكيم ذي الجلال الجليل والجلال الجميل من جنة باقية وجهنم دائمة.

ولاسيما: أن لصاحب هذا العالم والمتصرّف فيه بهذه الأفعال، سخاوةً وجوداً عظيماً، وخزائن مشحونة. ومن ظرائف ظروف تلك الخزائن هذه الشمسُ المملوءة من الأنوار، وهاتيك الأشجار المشحونة من الثمار.. وهذه السخاوة السرمدية مع هذه الثروة الأبدية تقتضيان وجود دارٍ ضيافةً أبدية، ودوام وجود محتاجين بأنواع الحاجات فيها؛ إذ الكرم بلا نهاية يقتضي الامتنان والتنعيم بلا نهاية؛ وهما يقتضيان قبول المنّة والتنعيم بلا نهاية؛ وهما يقتضيان دوام وجود الشخص المكرم عليه، ليقابل بدوامه في التمتع شكر المنّة الدائمة، وإلاّ لانحصر مقابلة كل واحد في دقائق عمره الزائل، ولصار بحيث لا يهتم بها لا يرافقه، بل يتنغص عليه ذلك التمتع الجزئي أيضاً.

وكذا لفاعل هذه الأفعال الحكيمة الكريمة كمالات مستورة، يُفهم من تظاهره بهذه المعجزات المزيّنات أنه يجب أن يشهر تلك الكمالات على رؤوس الأشهاد المستحسنين المقدّرين.

نعم، إن من شأن الكمالات الدائم التظاهر بالدوام، ووجود نظر المستحسن الدائم.. فالناظر الذي لا يدوم يسقط من نظر محبته قيمة الكمالات.

وكذا لصانع هذه المصنوعات الجميلات المليحات المزيّنات المنورات، محاسن جمال

مجرد معنوي بلا مثل، وله لطائف حُسن مخفي يليق به بلا نظير؛ بل في كل اسم من أسمائه كنوز مخفية من جلوات ذلك الحسن المنزه والجمال المجرد.

نعم، أين عقولنا وأين فهم جمالٍ مَنْ مِنْ بعض مرآياه الكثيفة وجه الأرض المتجددة التي تُظهر وتصف لنا في كل عصر - بل في كل فصل، بل في كل وقت - ظلالَ جلوات ذلك الجمال الدائم التجلي، مع تفاني المرايا وسَيَّالية المظاهر.. ومن بعض أزاهيره ونقشه: الربيع؟

ثم إنه من الحقائق المستمرة الثابتة أن كل ذي جمال فائق يُحب أن يشاهد جماله بنظره، وينظر غيره؛ وينظر إلى محاسنه بالذات، وبالواسطة؛ ويشتاقي إلى مرآة فيها جلوة جماله المحبوب، وإلى مشتاقٍ فيه مقاييس درجاتِ حُسنه المرغوب. فالحُسن والجمال يقتضيان الشهود والإشهاد؛ وهما يقتضيان وجود مستحسين متنزهين في مناظرهما، ووجود مشتاقين متحيرين في لطائفهما. ثم لأن الجمال سرمدي، يقتضي أبدية المستحسن المتحير؛ إذ الجمال الدائم الكامل لا يرضى بالمشتاق الزائل الأقل؛ إذ بسرُّ أن الشخص المقيّد بنفسه، له نوع عداوة لما لا يصل إليه فهمه أو يده، ولمن يرده أو يطرده من دائرة حضوره. فيحتمل حينئذ أن يقابل هذا الشخص ذلك الجمال - الذي يستحق أن يقابل بمحبة بلا نهاية، بشوق بلا غاية واستحسانٍ بلا حد - بعداوة وحقد وإنكار.

الحاصل: أن هذا العالم كما يستلزم صانعه بالقطع واليقين، كذلك يستلزم صانعه الآخر بلا شك ولا ريب..

ولاسيما: أن لمالك هذا العالم رحيمية شفيقة في سرعة إغاثة الملهوف المستغيث، وفي إجابة الداعي المستجير؛ إذ قد نرى أنه يراعي أدنى حاجةٍ من أدنى خلقه، بدليل قضائها وقت وجودها من حيث لا يحتسب، وأنه يسمع أخفى نداءٍ من أخفى خلقه، بدليل إسعاف مسؤوله ولو بلسان حاله.

فانظر إلى حُسن تربية أطفال ذوي الحياة وضعفائها، كي ترى هذه الشفقة كالشمس في ضيائها. فهذه الشفقة الرحيمة الكريمة تقتضي اقتضاء ضروريا قطعيا أن تسعف أعظم حاجة وأشدها، من أعظم عبادته وأحب خلقه إليه..

وبالخاصة إذا كانت الحاجة عامة بحيث يؤمن على دعاء ذلك الحبيب جميع الخلق

بألسنة الأقوال والأحوال.. وبالخاصة إذا كانت مهمةً عند كل شيء، لكونها سببا لصعود قيمة الأشياء إلى أعلى عليين، وبدونها تسقط قيمة كل شيء إلى أسفل سافلين. فحينئذ يشترك في تضرع ذلك الحبيب جميع الموجودات بألسنة استعداداتها.. وبالخاصة إذا كانت مطلوبة لكل الأسماء المتجلية في الكائنات.

نعم، تلك الحاجة كمخزن الغايات لتلك الأسماء ولكمالها في ظهورها بإجراء أحكامها، فحينئذ تشفع جميع الأسماء عند مسماها لإسعاف حاجة ذلك الحبيب.. وبالخاصة إذا كانت تلك الحاجة كلمح البصر سهلة يسيرة على مالکها الكريم.. وبالخاصة إذا تضرع ذلك الحبيب بأنواع التضرعات الحزينة، متذلا بأنواع الافتقارات المشفوعة، متحيا بأنواع العبادات المقبولة. وقد اصطف خلقه -مؤتمين به مؤتمين على دعائه- جميع أفاضل ثمرات شجرة الخلقة من الأنبياء والأولياء والأصفياء، وهو إنما يطلب من ربه الكريم الجنة والبقاء والسعادة الأبدية والرضا.

فبالضرورة لا يمكن بوجه من الوجوه أن يقبل جمال هذه الشفقة الشاملة المشهودة بآثارها، قبحا غدارا بعدم قبول مثل هذا المطلوب المعقول، من مثل ذلك المحبوب المقبول!

نعم، كما أن ذلك الحبيب الذي هو مدار الشهود والإشهاد للشاهد الأزلي رسول؛ وبرسالته كاشف طلسم الكائنات، ودلال الوحدة في غمرات الكثرة، وسبب لوصول السعادة في الجنة.. كذلك عبد؛ فعبوديته كشاف خزائن الرحمة، ومראה لجمال الربوبية، وسبب لحصول مدار السعادة، وسبب لوجود الجنة. فلو فرض عدم جميع الأسباب الغير المحصورة المقتضية للجنة إلا مثل هذا الطلب من مثل ذلك الحبيب، لكفى لإيجاد هذه الجنة ووجودها من جود جواد يوجد في كل ربيع جنانا مزينة كأنمودجات تلك الجنة. فما هذه بأسهل من تلك، وما هي بأصعب عليه من هذه. فكما يحق -وحق أن يقال، وقد قيل:- «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك»، يستحق أن يقال: لو لم يكن إلا دعاؤك لخلقت الجنة لأجلك.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَبِيبِ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَفَخْرُ الْعَالَمَيْنِ وَحَيَاةُ الدَّارَيْنِ  
وَوَسِيلَةُ السَّعَادَتَيْنِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ وَرَسُولُ الثَّقَلَيْنِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ  
وَعَلَى إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، آمِينَ.

ولاسيما: أنه يُشاهد في جريان هذا العالم آثارُ سلطنةٍ محتشمةٍ في تسخير الشموس والأقمار والأشجار والأنهار، فيعلم أن لمصرف هذه الموجودات سلطنةً محتشمةً في ربوبيةٍ معظمةٍ؛ مع أن هذه الدار -بسرعةٍ تحوّلها أو زوالها- كمنزلٍ في خانٍ أعدّ للمسافرين، يُملأ ويُفْرغ في كل يوم، وكميدانٍ امتحان يتبدل في كل وقت، وكَمَشْهرٍ أُحْضِرَ لإراءة أنموذجاتٍ غرائبٍ صنعَةٍ صاحبِ الموجودات، ونموناتٍ إحساناته. وهذا المشهر يتحول في كل زمان، مع أن الخلق والعباد الذين هم كالرعية ومدار السلطنة اجتمعوا في ذلك المنزل، وهم على جناح السفر في كل آن، وحضروا ذلك الميدانَ مستمعين ناظرين بمقدارِ سؤالٍ وجواب، وهم على نية الخروج في كل زمان، وتوقفوا قليلا في ذلك المشهر وهم على قصد التفرق في كل وقت وأوان.

فهذه الحالة تقتضي بالضرورة أن يوجد خلف هذا المنزل الفاني والميدان المتغير وبعد هذا المشهر المتبدل، قصورٌ دائمةٌ ومساكنٌ أبديةٌ وخزائنٌ مفتحة الأبواب مشحونة من جيدات أصول تلك الأنموذجات المغشوشات لتقوم تلك السلطنة السرمدية المشهودة عليها؛ إذ من المحال أن يكون قيام هذه الربوبية المحتشمة بأمثال هذه الفانيات الوانيات<sup>(١)</sup> الزائلات الدليلات!

نعم، كما يتفطن مَنْ له أدنى شعور إذا صادف في طريقه منزلا أعده ملكٌ كريم في الطريق لمسافريه الذين يذهبون إليه، ثم إن الملك قد صرف ملايين الدنانير لتزيين المنزل لتَنزُّه ليلة واحدة، ثم رأى أن أكثر المزيينات صور وأنموذجات! ثم رأى المسافرين يذوقون من هذا وذلك للطعم<sup>(٢)</sup> لا للشبع، إذ لا يشبعون من شيء، ويأخذ كل واحد بـ«فُوطُوغْرَافِه» المخصوص صورَ ما في المنزل، ويأخذ خُدَّامُ الملك أيضا صور معاملاتهم بغاية الدقة.. ثم رأى أن الملك يخرّب في كل يوم أكثر تلك المزيينات الغاليات القيمة، ويجدد لضيفه الجديدين مزييناتٍ أخرى.. ويتفهم بلا شك أن لصاحب هذا المنزل المؤقت منازلَ عالية دائمة، وثروةً غالية مخزونة، وسخاوة عظيمة كريمة؛ وهو يريد أن يشوّق إلى ما عنده ويرغبهم فيما أدّخره لهم..

(١) ونى: فَتَرَ وضعف قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْيَا فِي ذِكْرِي﴾ (طه: ٤٢).

(٢) أي للتدوق.



كذلك؛ لابد أن يفتطن الإنسان أن هذه الدنيا ليست لذاتها وبذاتها، بل إنها هي مَنْزِلٌ تُمَلَأ وتُفْرغ بحلول وارتحال، وأن ساكنيها مسافرون، يدعُوهم رب كريم إلى دار السلام.. وأن هذه التزيينات ليست للتلذذ بالتنزه فقط، بدليل أنها تُبْلِغُك أنَا، ثم تُولِّمُك بفراقها أزمانا، وتُذَبِّق وتُفْتَح اشتهاك، ثم لا تشبعك لِقْصَر عُمرها أو قِصَر عُمرِك، بل إنها هي للعبرة وللشكر، وللشوق إلى أصولها الدائمة ولغايات عُلوِّية.. وأن هذه المزيينات صور وأنموذجات لِمَا اذخره الرحمن في الجنان لأهل الإيمان، وأن هذه المصنوعات الفانيات ليست للفناء، بل اجتمعت اجتماعا قصيرا لتؤخِّد صُورُها وتمائيلُها ومعانيها ونتائجها، فيُنْسَج منها مناظر دائمة لأهل الأبد، أو يصنع منها مُحَوَّلُها ما يشاء في عالم البقاء.

ومن الدليل على أن الأشياء للبقاء لا للفناء، بل الفناء الصوري تمام الوظيفة وترخيص له، أن الفاني يفنى بوجهه ويبقى بوجه غير محصورة! مثلا: انظر من كلمات القدرة إلى هذه الزهرة التي تنتظر إلينا في وقت قصير، ثم تفنى؛ تراها كالكلمة التي تزول لكن تودعُ بإذن الله في الأذان ألوفَ تماثيلها، وفي العقول -بعدد العقول- معانيها؛ إذ هي وقت تمام الوظيفة تُبْقِي وتُودِع في حافظتنا وفي حافظة كل مَنْ رآها في الشهادة، وفي بذورها في الغيب صُورُها ومعانيها؛ حتى كأن حافظة كلِّ مَنْ نظر إليها وكلَّ بُذيراتِها (فوطوغرافات) لحفظ زينة صُورِها، ومنازلُ لبقائها. وقس عليها ما فوقها وما فوق ما فوقها من ذوي الأرواح الباقية.

وإن الإنسان ليس سدى غاربه على عنقه: <sup>(١)</sup> يسرح كيف يشاء، بل تؤخذ صور أعماله، وتُكْتَب وتُحْفَظ نتائج أفعاله ليحاسب؛ وإن التخريبات الخريفية للمصنوعات الجميلات الربيعية، إنها هي ترخيصات بتمام الوظائف وتفرغات لوفود مخلوقات جددات، وإحضارات لنزولِ مصنوعاتٍ موظفات، وتنبهات للغفلات والسكرات. وإن لإصانع هذا العالم عالما آخر باقيا يسوق إليه عباده ويشوقهم إليه، وإنه قد أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. <sup>(٢)</sup>

(١) أصل المثل: «جَبَلُك على غاربك»، ويستعمل في كنايةات الطلاق. والغارب: الكاهل. يقال: ألقى جبل الشخص على غاربه: تركه يذهب حيث يشاء (مجمع الأمثال).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «أَعَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧). رواه البخاري ومسلم برقم (٢٨٢٤) ولم يذكر الآية، والترمذي (٣١٩٥) تحقيق أحمد شاكر.

ولاسيما: أن لتصرف هذا العالم حفيظةً تامة بحيث لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا تحفظها في كتاب مبین. ومن أبواب هذا الكتاب المبین النظام والميزان المشهودان، إذ نشاهد أن كل ما تمّ عمره بتمام وظيفته، وذهب عن الوجود في عالم الشهادة، يُثبت فاطرة كثيرا من صوره في ألواح محفوظة، وينقش أكثر تاريخ حياته في نواته ونتائجه، ويُبقيه في مرايا متعددة غيبا وشهادة، حتى كأن كثيرا من الأشياء موظفون بأخذ صورة جريان معاملة الأشياء المجاورين لها.

فإن شئت فانظر إلى حافظة البشر وثمره الشجر ونواة الثمر وبذر الزهر، لتفهم عظمة إحاطة قانون الحفظ والحفيظة، حتى في السبالات الزائلات. فقس من هذا قوة جريان هذه الحفيظة في الأمور المهمة المثمرة في العوالم الغيبية والأخروية. فيفهم من هذه المحافظة التامة أن لصاحب هذه الموجودات اهتماما عظيما بانضباط ما يجري في ملكه، وأن له نهاية دقة في وظيفة حاكميته، وانتظاما تاما في سلطنة ربوبيته، بحيث يكتب ويستكتب أدنى حادثة وأهون عمل وأقل خدمة، ويأمر -بالأمر التكويني- بأخذ صورة كل ما يجري في ملكه، ويحفظ ويستحفظ كل فعل وعمل. فهذه الحفيظة تشير بل تصرح بل تستلزم المحاسبة. وبخاصة في أعظم الأعمال وأهمها من أكرم المخلوقات وأشرفها أي الإنسان، لأن الإنسان كالشاهد على كليات شؤون الربوبية، وكالدلال على الوجدانية الإلهية في دوائر الكثرة، وكالمشاهد والضابط على تسبيحات الموجودات، وهكذا.. مما لا يعد من أسباب تكريمه بالأمانة وتقليده بالخلافة.

فمع هذا ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْرُكَ سُدى﴾ (القيامة: ٣٦) ولا يُسأل غدا؟ كلا.. بل ليحاسب على السبد واللبد،<sup>(١)</sup> وسيذهب إلى الحشر والأبد. وما الحشر والقيامة بالنسبة إلى قدرته إلا كالربيع والخريف. فكل الوقوعات الماضية معجزات قدرته تشهد قطعا على أنه قدير على كل الإمكانيات الاستقبالية.

ولاسيما: أن مالك هذا العالم قد وعد مكررا بما إيجاده عليه هين سهل يسير، ووجوده لخلقه وعباده مهم بلا نهاية، وغال بلا غاية. مع أن خُلف الوعد في غاية الضدية لعزة اقتداره

(١) السبد: ح أسباد: القليل من الشعر، يقال: ماله سبد ولا لبد، أي لا شعر له ولا صوف، يقال لمن لا شيء له (مجمع الأمثال)

ومرحمة ربوبيته؛ إذ خُلف الوعد نتيجة الجهل أولا والعجز آخرا. فخلف الوعد محال على العليم المطلق والقدير المطلق. فليس إيجاد الحشر بانقلاباته وبجثاته بأعسر عليه من إيجاد الربيع بتحولاته وبجثانه. وأما وعده سبحانه فثابت بتواتر كل الأنبياء بإجماع جميع الأصفياء. استمع قوة وعده سبحانه من هذه الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧).. ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ (عبس: ١٧) لا يصدق حديث من هذه الموجودات كلماته الصادقة بالحق، وهذه الكائنات آياته الناطقة بالصدق؛ ويعتمد على هذياناته وهمه وحماقات نفسه وأباطيل شيطانه. نعوذ بالله من الخذلان ومن شر النفس والشيطان..

ولاسيما: أنا نشاهد في هذا العالم تظاهرات ربوبية محتشمة سرمدية، وآثار سلطنة مشعشة مستقرة. وقس عظمة صاحب هذه الربوبية من كون هذه الأرض بسكنتها كحيوان مسخر مذلل تحت أمره يحيا ويميت، ويربها ويدبر. والشمس بسياراتها مسخرة منظمة بقدرته ينظمها ويدور، ويقدرها ويكور. مع أن هذه الربوبية السرمدية المستمرة والسلطنة المستقرة المحيطة - بشهادة تصرفاتها العظيمة المحيرة للعقول - لا تقومان على هذه الأمور الزائلة الواهية المتبدلة السيالة، ولا تبنيان على مثل هذه الدنيا الفانية المغيرة المتخاذلة المنغصة. بل لا يمكن أن تكون هذه الدنيا في سرادقات هذه الربوبية إلا كמידان بُنيت فيها منازل مؤقتة للتجربة والامتحان والتشهير والإعلان، ثم تُخرَّب وتبدل بقصور دائمة ويساق إليها الخلق. فبالضرورة لابد أن يوجد لرب هذا العالم الفاني المتغير عالم آخر باقٍ مستقر. ومع ذلك قد أخبر كل من ذهب من الظاهر إلى الحقيقة من ذوي الأرواح النيرة والقلوب المنورة والعقول النورانية، ودخل في حضور قربهِ سبحانه أنه أعد للمطيعين والعاصين دارَ مكافأة ومجازاة، وأنه يعدُّ وعدا قويا ويوعده وعيدا شديدا، وهو أجل وأقدس من أن يذلل ويتذلل بخلف الوعد، وأعلى وأعز من أن يعجز عن إنجاز الوعيد. مع أن المخبرين الذين هم الأنبياء والأولياء والأصفياء متواترون، وأهل اختصاص لمثل هذه المسألة، وقد أجمعوا واتفقوا - مع تخالفهم في المسالك والمشارب والمذاهب - على هذا الإخبار الذي تؤيده الكائنات بآياتها. فهل عندك أيها الإنسان حديثٌ أصدق من هذا الحديث؟ فهل يمكن أن يكون خبر أصدق من هذا الخبر وأحق؟

ولاسيما: أن متصرف هذا العالم يُظهر في كل وقت -يوما وسنة وقرنا ودورا- في ميدان الأرض الموقت الضيق كثيرا من أمثال ذلك الميدان الأكبر الأوسع، ومن نموناته ومن إشارات.. فإن شئت فتأمل في كيفية إحياء الأرض في الحشر الربيعي، كي ترى قريبا من ثلاثمائة ألف حشر ونشر بكمال الانتظام في مقدار ستة أيام، وبكمال الامتياز والتشخيص مع غاية اختلاط تلك الأموات الغير المحصورة المستبكة المنتشرة، متداخلة في صحيفة الأرض! فمن يفعل هذا كيف يؤوده شيء؟.. وكيف لا يخلق السماوات والأرض في ستة أيام؟.. وكيف لا يكون حشر الإنسان كلمح البصر بالنسبة إليه؟!

نعم، مَنْ يكتب ثلاثمائة ألف كتاب قد انمحت حروفها في صحيفة واحدة معا، ومختلطا بلا غلط ولا مرج ولا مزج، كيف يعجز عن استنساخ كتاب عن حافظته -هو ألفه أولا ثم محاه- كتابة ثانية؟ فإن شئت فانظر إلى آية ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠) لترى في تلك الكيفية حقيقة هذا التمثيل. فيفهم من هذه التصرفات ويتحدث من هاتيك الشؤون، أن ما يشاهد من هذه الاجتماعات والافتراقات، ليست مقصودة لذاتها، لعدم المناسبة بين تلك الاحتفالات المهمة وبين الثمرات الجزئية الفانية في زمان قصير! بل إنها هي تمثيل وتقليد لتؤخذ صورها، وتركب وتحفظ نتائجها، وتكتب لتدور المعاملة في المجمع الأكبر عليها، وتدوم المشاهدة في المحضر الأشهر بها؛ فتثمر هذه الفانيات صورا دائمة وأثارا باقية ومعاني أبدية وتسبيحات ثابتة. فما هذه الدنيا إلا مزرعة، والبيدر الحشر، والمخزن الجنة والنار.

ولاسيما: إذا أظهر ذلك الرب السرمدي والسلطان الأزلي الأبدي، في تلك المنازل الزائلة والميادين الآفلة والمشاهر الراحلة، آثار حكمة باهرة ماهرة، وعناية ظاهرة زاهرة، وعدالة عالية غالية، ومرحمة واسعة جامعة؛ بدرجة يعرف باليقين مَنْ لم يكن على عينه غين وفي قلبه رين، أنه ليس في الإمكان أكمل من حكمته، وأجل من عنايته، وأشمل من مرحمته، وأجل من عدالته. فلو لم تكن في دائرة مملكته -في ملكه وملكوته- أماكن دائمة عالية، ومساكن قائمة غالية، وسواكن مقيمة خالدة، لتكون تلك الأمور مظاهر لتظاهر حقائق تلك الحكمة والعناية والرحمة والعدالة، لزم حينئذ إنكار هذه الحكمة المشهودة لذي عقل، وإنكار هذه العناية المُبصرة لذي بصيرة، وإنكار هذه الرحمة المنظورة لذي قلب، وإنكار هذه العدالة المرئية لذي

فكر؛ وللزم قبول كون صاحب هذه الأفعال الحكيمة الرحيمة الكريمة العادلة -حاشا، ثم حاشا!- سفيها لغابا، وظالما غدارا، فيلزم انقلاب الحقائق بأضدادها، وهو محال باتفاق جميع أهل العقل غير السوفسطائي الذي ينكر وجود الأشياء، حتى وجود نفسه. فمن لم يصدق فهو كالسوفسطائي، أحقق من هبة المشهور الذي كان لا يعرف إلا نفسه، ولا يعرف نفسه إلا بقلنسوته، حتى إذا رآها على رأس أحد ظن أنه نفسه! ففكر المنكر كقلنسوة هذا!

فيا من رافقني بفهمه من أول المسألة إلى هنا! لا تظن انحصار الدلائل فيها سبق. كلا! بل يشير القرآن الحكيم إلى ما لا يعد ولا يحصى من أمارات: أن خالقنا سينقلنا من هذا المشهر المؤقت إلى مقر سلطنة ربوبيته الدائمة.. ويلوح إلى ما لا يحصى ولا يستقصى من علامات: أنه سيبدل هذه المملكة السيالة السيارة بتلك المملكة المستمرة السرمدية..

وكذا لا تحسبن أن ما يقتضي الآخرة والحشر من الأسماء الحسنى، منحصر على: «الحكيم والكريم والرحيم والعدل والحفيظ». كلا، بل كل الأسماء المتجلية في تدبير الكائنات، تقتضيها بل تستلزمها.

الحاصل: إن مسألة الحشر مسألة قد اتفق عليها:

الحق سبحانه بجماله وجلاله وجميع أسمائه..

والقرآن المبين المتضمن لإجماع كل كتب الأنبياء والأولياء والأصفياء..

وأكمل الخلق محمداً الأمين عليه الصلاة والسلام، الحامل لسر اتفاق ذوي الأرواح النيرة الصافية العالية، من الرسل والنبين ومن أهل الكشف والصدّيقين..

وهذه الكائنات بآياتها، حتى إن لكل من هذه الموجودات -كلا وجزءا وكلها وجزئيا- وجهين:

فوجه؛ ينظر إلى خالقه وفي ذلك الوجه السنة كثيرة، تشهد وتشير إلى الوحدانية..

ووجه آخر؛ ينظر إلى الغاية والآخرة، وفي هذا الوجه أيضا السنة كثيرة تدل وتشهد على الدار الآخرة واليوم الآخر.

مثلاً: كما تدل أنت -بوجودك في حُسن صنعةٍ- على وجوب وجود صانعك ووحدته..  
 كذلك تدل -بزوالك بسرعةٍ مع جامعية استعدادك الممتد آماله إلى الأبد- على الآخرة، فتأمل!  
 وقد يتحد الوجهان؛ مثلاً: إن ما يُشاهد على كل الموجودات من انتظام الحكمة،  
 وتزيين العناية، وتلطيف الرحمة، وتوزين العدالة، وحسن الحفظ؛ كما تشهد على الصانع  
 الحكيم الكريم الرحيم العادل الحفيظ، كذلك تشير بل تصرح بحقانية الآخرة وبقرب الساعة  
 وتحقيق السعادة.

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ اَهْلِ السَّعَادَةِ وَاخْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ السُّعَدَاءِ وَاَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ مَعَ السُّعَدَاءِ بِشَفَاعَةِ  
 نَبِيِّكَ الْمُخْتَارِ. فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ كَمَا يَلِيْقُ بِرَحْمَتِكَ وَبِعُزْمَتِهِ

آمِينَ آمِينَ آمِينَ.

والحمد لله رب العالمين.

الرسالة الرابعة

# قَطَاةٌ مِنْ مَحْرِ النَّوْجِ

مفتاح حل هذه الرسالة المستفادة من فيض القرآن

إنما يحصلُ بعد مطالعتها بتمامها مرةً بدقة. <sup>(١)</sup>

---

(١) طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «نجم إستقبال» بإسطنبول سنة ١٣٤٠ هـ  
(١٩٢٢ م)

## إفادة المرام

اقرأ بدقة نَقَرَ عَيْنُكَ بِإِذْنِ اللَّهِ

اعلم

يا أيها الناظرون! إنني قد ساقني القدر الإلهي إلى طريق عجيب، صادفتُ في سيري فيه مهالك ومصائب وأعداء هائلة. فاضطربتُ، فالتجأتُ بعجزي إلى ربي.. فأخذتُ العناية الأزلية بيدي، وعلمني القرآنُ رشدي، وأغاثتني الرحمة فخلصتني من تلك المهالك. فبحمد الله صرْتُ مظفراً في تلك المحاربات مع النفس والشیطان اللذين صارا وكيلين فضولين لأنواع الأهل الضلالات..

فأولاً: ابتدأتُ المشاجرةُ بيننا في هذه الكلمات المباركة وهي:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. فوقع تحت كل من هذه الحصون الحصينة ثلاثون حرباً. فكلُّ جملة، بل كل قيد في هذه الرسالة نتيجة مُظفَريَّةٍ لحرب لم يبقَ للعدوِّ في شيء منها مطمَعٌ وأدنى ممسكٍ.. فما كتبتُ إلا ما شاهدتُ.. بحيث لم يبقَ لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي. فأشيرُ بعضاً إلى حقيقة طويلة مع دليلها بقيدٍ أو صفة اندمج دليلُ الحكم فيها، يُعرف بالدقة. وما صرّحتُ ليُحسَّ بالمرام من احتاج ولا يشتغل مَنْ لم يحتاج فيحتاج..

أظن أن جريان هذا الزمان يلقي العقول والقلوب في المهالك التي أمَرَنِي القدرُ عليها. فهذا الأثرُ يمكن أن يكون نافعا بإذنه تعالى لبعض المصابين. ومن الله التوفيق..

سعيد النورسي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على نبيه

فهذا الأثر على أربعة أبواب وخاتمة ومقدمة.

### المقدمة

**اعلم** أني حصّلتُ في أربعين سنة في سفر العمر، وثلاثين سنة في سير العلم: أربع كلمات، وأربع جمل. سيجيء تفصيلها. أشيرُ هنا إلى الإجمال..  
أما الكلمة فهي:

المعنى الحرفي، والمعنى الاسمي<sup>(١)</sup>، والنية، والنظر.

أعني: أن النظر إلى ما سواه تعالى، لا بد أن يكون بالمعنى الحرفي وبحسابه تعالى، وأن النظر إلى الكائنات بالمعنى الاسمي أي بحساب الأسباب خطأ. ففي كل شيء وجهان: وجهٌ إلى الحق، ووجه إلى الكون. فالتوجه إلى الوجه الكوني لا بد أن يكون حرفياً وعنواناً للمعنى الاسمي الذي هو جهةٌ نسبتُهُ إليه تعالى؛ مثلاً: لا بد أن يُرى النعمة مرآةً للإنعام، والوسائطُ والأسبابُ مرايا لتصرف القدرة..

وكذا، إن النظر، والنية يغيّران ماهيات الأشياء، فيقلبان السيئات حسنات. كما يقلب الأكسيرُ الترابَ ذهباً، كذلك تَقْلِبُ النيةُ الحركاتِ العاديةَ عباداتٍ. والنظرُ يقلبُ علومَ الأكوانِ معارفَ إلهية.. فإن نُظِرَ بحساب الأسباب والوسائط فجهالات، وإن نُظِرَ بحساب الله فمعارف إلهية..

(١) سيرد شرح هذين المصطلحين في ثنايا الكتاب. فالحرف يَعْرِفُ في النحو بأنه ما دلَّ على معنى في غيره، أما الاسم فيَعْرِفُ بأنه ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمان. والمقصود أن النظرة القرآنية إلى الموجودات تجعلها بمثابة حروفٍ تدل على معانٍ في غيرها، فهي تعبّر عن معاني تحليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم سبحانه، فكأنها مكتوباتٌ ربانية تالياتٌ للأسماء الحسنى.

وأما الكلام:

فالأول: «إني لست مالكي» وإن مالكي هو مالك الملك ذو الجلال والإكرام... فتَوَهَّمْتُني مالكا،<sup>(١)</sup> لأفهم صفات مالكي بالمقايضة. ففهمت بالمتناهي الموهوم الغير المتناهي. فجاء الصباح وانطفأ المصباح المتخيل..

الثاني: «الموت حق» فهذه الحياة وهذا البدن ليسا بقابلين لأن يصيرا عمودين تُبنى عليهما هذه الدنيا العظيمة؛ إذ ما هما بأبديين ولا من حديد ولا حجر بل من لحم ودم وعظم. ومتخالفات توافقوا في أيام قليلة هم على جناح التفرق في كل آن.. فكيف يُبنى بالآمال قَصْرٌ يسع الدنيا على هذا الأساس الرخو الفاسد والعمود المدوّد<sup>(٢)</sup> الكاسد..

الثالث: «ربي واحد»: كل السعادات لكل واحد هو التسليم لرب واحد. وإلا لاحتاج إلى الأرباب المتشاكسين من مجموع الكائنات؛ إذ لجامعة الإنسان، له احتياجات إلى كل الأشياء، وعلاقات معها، وتألمات وتأثرات، شعوريا وغير شعوري بكل منها، فهذه حالة جهنمية. فمعرفة الرب الواحد الذي كل هذه الأرباب الموهومة حجابٌ رقيق على يد قدرته هي حالة فردوسية دنيوية..

الرابع: إن «أنا» نقطة سوداء، وواحد قياسي، التفّ على رأسه خطوط الصنعة الشعورية، تشاهد فيها أن مالكة أقرب إليه منه..

سيجيء تفصيل هذه الجمل في خاتمة الباب الأول.

(١) أي توهمت أني مالك.

(٢) المنخور.

## الباب الأول

في

لا إله إلا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أشهد كل شاهد ومشهود بأنني أشهد أن لا إله إلا الله الذي دل على وجوب وجوده، ودل على أوصاف كماله، وشهد على أنه واحد أحد فرد صمد:

الشاهد الصادق المصدق والبرهان الناطق المحقق.. سيد الأنبياء والمرسلين.. الحامل لسر إجماعهم وتصديقهم.. وإمام الأولياء والعلماء المتقين.. الحاوي لسر اتفاقهم وتحقيقهم.. ذو الآيات الباهرة والمعجزات القاطعة المحققة المصدقة.. والسجاي السامية والأخلاق العالية المكملة المنزّهة.. مهبط الوحي الرباني.. سيّار عالم الغيب والملكوت مُشاهد الأرواح ومُصاحب الملائكة.. مرشد الجن والإنس.. أنموذج كمال الكائنات بشخصيته المعنوية المشيرة إلى أنه نصب عين فاطر الكون.. ذو الشريعة التي هي أنموذج دساتير السعادات، المرمزة بأنها نظام ناظم الكون سيدنا ومهدينا إلى الإيمان: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات.. فإنه يشهد عن الغيب في عالم الشهادة على رؤوس الأشهاد بشيرا ونذيرا ومناديا لأجيال البشر خلف الأعصار والأقطار بأعلى صوته، وبجميع قوته وكمال جديته، وغاية وثوقه ونهاية اطمئنانه وكمال إيمانه بأنه:

لا إله إلا الله الذي دل على وجوب وجوده، وصرّح بأوصاف جلاله وجماله وكماله، وشهد على وحدانيته:

الفرقان الحكيم المتضمن لسر إجماع كل كتب الأنبياء المختلفة الأعصار، وكل كتب

الأولياء المختلفة المشارب، وكل كتب الموحدين المبرهين المختلفة المسالك. فقد أجمع الكل - أي العقول والقلوب في هؤلاء - على تصديق حُكم القرآن الكريم المنور جهاته الست: كلام الله، المحافظ لياقته لهذا الاسم على مر الدهور.. محض الوحي بإجماع مهبط الوحي وأهل الكشف والإلهام.. عين الهداية بالهداية.. معدن الإيمان بالضرورة.. مَجْمَع الحقائق باليقين.. موصلٌ إلى السعادة بالعيان.. ذو الثمرات الكاملين بالمشاهدة.. مقبول الملك والإنس والجان بالحدس الصادق المتولد من تفاريق الأمارات.. المؤيّد بالدلائل العقلية باتفاق العقلاء الكاملين.. المصدّق بشهادة الفطرة السليمة عن الأمراض باطمئنان الوجدان.. المعجزة الأبدية بالمشاهدة.. لسان الغيب يشهد في عالم الشهادة شهادات مكررة جازمة بـ ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد: ١٩) الذي دَلَّ على وجوب وجوده ودَلَّ على أوصاف جلاله وجماله وكماله، وشهد على وحدانيته:

العالم، أي هذا الكتاب الكبير بجميع أبوابه وفصوله وصُحفه وسطوره وجمله وحروفه، وهذا الإنسان الكبير بجميع أعضائه وجوارحه وحجراته وذراته وأوصافه وأحواله. أي هذه الكائنات بجميع أنواع العوالم تقول: لا إله إلا الله.. وبأركان تلك العوالم: لا خالق إلا هو.. وبأعضاء تلك الأركان: لا صانع إلا هو.. وبأجزاء تلك الأعضاء، لا مدبر إلا هو.. وبجزئيات تلك الأجزاء: لا مُربّي إلا هو.. وبحجيرات تلك الجزئيات: لا متصرف إلا هو.. وبذرات تلك الحجيرات: لا خالق إلا هو.. وبأثير تلك الذرات: لا إله إلا هو.. فتشهد الكائنات على أنه هو الواجب الوجود الواحد الأحد بجميع أنواعها وأركانها وأعضائها وأجزائها وجزئياتها وحجراتها وذراتها وأثيرها، أفراداً وتركيباً، متصاعداً بتركيبات منتظمة، رافعاتٍ أعلام الشهادة على وجوب وجود الصانع الأزلي.. ومنتازلاً بنقوش غريبة، شهادات على وجوب وجود النَّقَّاش الأزلي.. والكائناتُ كل واحد من مركباتها وأجزائها تشهد بخمس وخمسين لساناً بأنه واجب الوجود الواحد الأحد..

سيجيء تفصيل تلك الألسنة.

أما إجمالها فهي: تنادي باللسنة أفرادها وتركيباتها المنتظمة.. وفقرها وحاجاتها المَقْضِيَّة.. وأحوالها المنتظمة.. وصورها المكَمَّلة العجيبة اللائقة.. ونقوشها المزينة الغريبة

الفائقة.. وحكمها العالية.. وفوائدها الغالية.. وبتخالفاتها الخارقة المتلاحظة.. وتمثلاتها المنتظمة المتناظرة.. وبألسنة نظامها وموازنتها جزءا وكلا.. وبانتظامها واطرادها.. وبإتقان الصنعة الشعورية وكمالها في كل شيء.. وبتجاوب المتخالفات الجامدات بعض لحاجة بعض.. وتساند المتباعدات المتفاوتات.. وبلسان الحكمة العامة.. والعناية التامة.. والرحمة الواسعة.. والرزق العام.. والحياة المنتشرة.. وبلسان الحُسن والتحسين.. والجمال المنعكس الحزين.. والعشق الصادق.. والانجذاب والجذبة.. وظلّة الأكوان.. وبلسان التصرف لمصالح.. والتبديل لفوائد.. والتحويل لحكم.. والتغيير لغايات.. والتنظيم لكِمالات.. وبألسنة إمكانها وحدوثها.. واحتياجاتها وافتقاراتها.. وفقرها.. وضعفها.. وموتها.. وجهلها.. وفنائها.. وتغيرها.. وعباداتها.. وتسييحاتها.. ودعواتها.. والتجآآتها..

فالكائنات -مركباتها وأجزاؤها- بكل هذه الألسنة شاهدات على وجوب وجود خالقها القديم القدير.. ودالات على أوصاف كماله -كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز- شاهدات على وحدانيته تعالى.. وذكريات تاليات لأسماؤه الحسنی.. ومسبّحات بحمده تعالى.. ومفسّرات لآيات القرآن الحكيم.. ومصدقات لإخبارات سيد المرسلين.. ومولّدات لحدس صادق منظم<sup>(١)</sup> إلى نور الإسلام، المنظم إلى التسليم لطور النبوة، المنظم لنور الإيمان بواجب الوجود الواحد الأحد. فإجماع الكائنات بكل ألسنتها تحت أمر الكلام القديم، ورياسة سيد الأنام والمرسلين، قائلات ناطقات: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

فاستمع تفصيل هذه الفقرات المذكورة:<sup>(٢)</sup>

□ (٢، ١) إذ ما يتراءى ويتظاهر في الكائنات مجموعا وأجزاء من نوع «التنظيمات» المتلاحظة والنظامات المتناظرة و«الموازنات» المتساندة، الدالة على وجوب وجود من هذه الكائنات في تصرف قبضتي «نظامه وميزانه»، والشاهدة بالتلاخظ والتناظر والتساند على أن المقتن والأستاذ والنظام واحد.. يفتحان مَنفذا نظارا إلى المطلوب: أي وجوب الوجود والوحدة، تشهد الكائنات فيه بهذا اللسان: الله لا إله إلا هو..

□ (٣، ٤) وإن ما في بيت الكائنات من «الانتظام والاطراد» الدالّين على عدم تداخل

(١) نظم الشيء إلى الشيء: ضمه وآلفه.

(٢) وضعنا أرقاماً أمام الفقرات تسهيلا للقارئ الكريم.

الأيدي المتعددة، وأن الصنعة والنقش والمُلْك لواحد.. يفتحان كوةً نظارةً بطرِزٍ آخر أيضاً،  
تشهد الكائنات فيها بهذا اللسان: الله لا إله إلا هو..

□ (٦،٥) وإن «إتقان الصنعة الشعورية، وكمالها» في كل شيء بما تسعه لياقةً قابليته  
المجعولة بقلم القَدَر من يد الفياض المطلق الدالِّين على اتحاد القلم، وأن كاتبَ صحيفةِ السماء  
بنجومها وشموسها هو كاتبُ صحيفةِ النحل والنمل بحُجيراتِها وذراتِها.. يفتحان مشكاة  
نظارةً بطور آخر أيضاً، تشهد الكائنات فيها بلسان كل مصنوع منادياً: الله لا إله إلا هو..

□ (٨،٧) وإن «تجاوب الأشياء المتخالفة» الجامدة في الطرق الطويلة المعوجة، بعض  
لحاجة بعض؛ كمادة غذاء الحُجيرات والثمرات «وتساند الأشياء المتباعدة المتفاوتة» كالسيارات  
التي هي ثمرات الشمس، الدالُّ ذلك التجاوبُ والتساند على أن الكل خُدامٌ سيدٍ واحد،  
وتحت أمرٍ مديِّرٍ واحدٍ، ومرجعُهم مربٍّ واحدٌ.. يفتحان منفذاً نظاراً أيضاً بمرتبةٍ أخرى،  
تشهد الكائنات فيه بهذا اللسان: الله لا إله إلا هو..

□ (١٠،٩) وإن «تشابُه الآثار» المنتظمة المتناظرة، كنجوم السماوات، «وتناسبُ  
الآثار المتلاحظة» كأزاهير الأرضين، الدالِّين على أن الكلَّ مالٌ مالِكٍ واحد، وتحت تصرّفٍ  
متصرفٍ واحد، ومصدرُهم قدرةٌ واحدٍ.. يفتحان منفذاً نظاراً أيضاً، تشهد الكائنات فيه بهذا  
اللسان: الله لا إله إلا هو..

□ (١١) وإن «مظهرية كل حي لتجليات أسماء كثيرة شعورية» مختلفة الآثار  
والجمال، المتساندة في التأثير، والمتشابهة المشاركة حتى في حُجيرةٍ واحدة، والمتعاكسة كلٌّ  
في كلٍّ، والمتمازجة كالألوان السبعة في ضياء الشمس الدالة هذه الأحوال مع وحدة أثرها،  
على أن مسماها واحد، تدل بالضرورة على أن خالقَ الحيِّ هو بارئُه، ومصورُه، والمنعم  
عليه، ورزاقه، وأن رزاقه هو خالقُ منابع الرزق، وخالقها هو الحاكم على الكل.. فتفتح  
هذه الحقيقة منفذاً نظاراً أيضاً إلى مرتبة الوجوب والوحدة، تشهد الكائنات فيه بلسان  
كل حي: الله لا إله إلا هو..

□ (١٣،١٢) وإن «ارتباط» أمثال عين النحل والنمل ومعدتها بالشمس ومنظومتها،  
مع «المناسبة» في الجزالة الكيفية والتلاحظ والتناظر، الدال ذلك الارتباطُ والمناسبة

على أنهما: كلاهما نَقَشًا نقاشٍ واحد.. فيفتحان منفذا نظارا أيضا، تشهد الكائنات فيه مناديةً: الله لا إله إلا هو..

□ (١٤) وإن «أخوة الجاذبية» المكتوبة المنسوجة المنقوشة بين الذرات والجواهر الفردة «للجاذبة العمومية» المكتوبة المنسوجة الممددة بين النجوم والشموس، الدالة على أنهما: كلاهما كتابةٌ قلمٍ واحدٍ ومدادٍه ونَسَجًا نَسَاجٍ واحدٍ وأسدائه، وشعاعا شمسٍ واحدٍ وفيضه.. تفتح مرصادا نظارا أيضا إلى الوجوب والوحدة، تشهد الكائنات فيه بهذا اللسان الدقيق والعُلوي: الله لا إله إلا هو..

□ (١٥) وإن «نِسَب كل ذرة في المركبات» المتداخلة المنتظمة الموظفة تلك الذرة كالنفر في كل نسبة له وظيفة لفائدة، كذرة العين في مركبات الأعصاب المحركة والحساسة والأوردة والشرابين والباصرة. فتدل بالضرورة على أن خالق عين العين والعين، وعين العالم -أي الشمس- وواضعها موضعها اللائق هو خالق كل المركبات.. فتفتح هذه الحقيقة أيضا مشكاةً نظارةً، تشهد الكائنات فيها بلسان كل ذرة من ذراتها: الله لا إله إلا هو.

□ (١٦) وإن «وُسْعَة تصرف القدرة في النوع الواحد» الذي لا يصدر إلا عن الواحد بالبداهة، مع شمول بعض الأنواع أكثر الكائنات -كالحيات والملك والسمك- يُتحدث منه بأن خالق الفرد هو خالق النوع؛ مثلا: إن القلم الذي رَسَم تشخيص وجه «زيد» لا بد بالضرورة أن يكون كل أفراد البشر منظورا له دفعةً، لمخالفة تعينه لكل فرد، وإلا لوقع التوافق بالتصادف، وخالق النوع بهذا السر هو خالق الأجناس.. فتفتح هذه الحقيقة أيضا منفذا نظارا، تشهد الكائنات فيه: الله لا إله إلا هو..

□ (١٧) وإن «ما يُتوهم -بقصور النظر- من الاستبعاد والاستغراب والحيرة والكلفة» المنجزة إلى الاستنكار في إسناد كل شيء إلى الواجب الوجود الواحد الأحد.. فتلك الاستبعاد والاستغراب والحيرة والكلفة والمعالجات تنقلب حقيقةً عند عدم الإسناد إلى صاحب مرتبة الوجوب والوحدة،<sup>(١)</sup> بل تتضاعف تلك الأمور عند إسناد الآثار إلى جانب الإمكان والكثرة والأسباب وأنفسها، عدد أجزاء الكائنات.. فما يُتوهم في إسناد الكل إلى الواجب يتحقق في إسناد جزء واحد إلى غيره تعالى. بل الأول أسهل وأيسر؛ إذ صدور الكثير عن الواحد أقل

(١) تفصيله في «حباب».

كلفتُ من صدور الواحد عن الكثير المتشاكسين العمي الذين اجتماعهم يُزيدهم عمى؛ إذ النحلة لو لم تخرج من يد قدرة الواجب، لزم اشتراك ما في الأرض والسموات في وجودها! بل ترقى الكلفة والمعالجة في الجزء الواحد من الذرة بالنسبة إلى الوجوب إلى أمثال الجبال، ومن الشعرة إلى أمثال الجبال، لو أُحيل على الأسباب.. إذ الواحد بالفعل الواحد يحصلُ وضعيَّةٌ ومصلحةٌ للكثير لا يصل إلى عين تلك الوضعيَّة والنتيجة الكثيرُ إلَّا بفعل كثير؛ كالأمير بالنسبة إلى نَفَراته، والفؤارة إلى قطراتها، والمركز إلى نقاط دائرته. فبفعل واحدٍ تصل هذه الثلاثة إلى تحصيل وضعيَّةٍ للكثير،<sup>(١)</sup> ونتيجة لا تصلُ النفرات والقطرات والنقاط لو أُحيلت عليها إلَّا بأفعال كثيرة وتكَلُّفات عظيمة. بل الاستغراب والاستبعاد الموهومان في طرف الوجوب، ينقلبان هنا إلى محالات متسلسلة.

من بعض المحالات: فرض صفات الواجب في كل ذرة بضرورة اقتضاء النقش الكامل والصنعة المتقنة.. وكذا، توهُّم شركاء غير متناهية في الوجوب الذي لا يقبل الشركة أصلاً.. وكذا، فرض كل ذرة حاكماً على الكل ومحكوماً لكلٍ من المجموع، وللكلٍ معاً، بضرورة اقتضاء النظام والانتظام.. وكذا، فرض شعورٍ محيط، وعلمٍ تام في كل ذرة، بضرورة اقتضاء التساند والموازنة.

فإسناد الأشياء إلى الأسباب في جانب الإمكان والكثرة يستلزم التزام هذه المحالات المتسلسلة، والممتنعات العقلية، والأباطيل التي تمجّها الأوهام.. وأما إذا أُسند إلى صاحبها الحقيقي، وهو صاحب مرتبة الوجوب والوحدة، لا يلزم إلَّا أن تكون الذرة ومركباتها - كقطرات المطر المتشمّسة المتلمعة بتماثيل الشمس - مظاهرٌ للمعات تجليات القدرة النورانية الأزلية الغير المتناهية المتضمنة للعلم والإرادة الأزليين الغير المتناهيين، فلمعُتها المالكة لخاصيتها أجلُّ من شمس الأسباب تأثيراً بسبب التجزؤ والانقسام في جانب الإمكان والكثرة دون الوجوب والوحدة. فالتّماس مع تلك القدرة في أقلّ من ذرة أكبر تأثيراً من أمثال الجبال في جانب الكثرة، بسبب أن جزء النوراني مالكٌ لخاصية الكل، كأن الكلّ كلي، والجزء جزئيٌّ ولو كان النور ممكناً، فكيف بنور الأنوار المتنور من جانب الوجوب؟..<sup>(٢)</sup> وكذا لا كلفة ولا

(١) سيرد شرح هذا المثال في «ذيل الحباب».

(٢) أي لو كان النور من جانب الإمكان هذا فعلة فكيف بنور الأنوار...



معالجة بالنسبة إلى تلك القدرة؛ إذ هي ذاتية للذات<sup>(١)</sup> محالٌ تداخلُ ضدها فيها، فتساوى بالنسبة إلى لمعتها الذراتُ والشموس والجزء والكل والفرد والنوع، بسر الشفافية والمقابلة والموازنة والتجرد والإطاعة والانتظام<sup>(٢)</sup> بل بالحدس والمشاهدة، إذ تلك القدرة تفعل بأمثال الخيوط الدقيقة الجامدة أمثال العناقيد، تلك الخوارق الحيوية.. لو أُحيلت على الأسباب؛ لاحتيج لتصنيع عنقود واحد - لو أمكن - إلى ملايين قنطارٍ من تلك الكلفة والمعالجات! وكذا إن تلك القدرة تتجلى بجلوات الوجود المنعكس من ظل الوجوب في سَمّ الخياط، على صفحات الشفافات بالتمائيل البرزخية.. لو أُحيلت على الأسباب لامتنت أو احتيجت إلى ما لا يحُد من المعالجات.

**اعلم** أن الحياة والوجود والنور - لشفافية وجهي المُلْك والمملوكِ فيها - ما استترت القدرة عند إيجادها تحت الوسائط الكثيفة. فيترق السبب الظاهري فيها بحيث يترأى تحته تصرفُ القدرة. فمن أمعن النظر في أطوار الحياة والأنوار، يشاهد تصرفات القدرة تحت الأسباب؛ إذ تلك القدرة لا تصريف لتصنيع عنقود العنب إلّا غصنا دقيقا جامدا، ولترسيم شُميسة في زجيجة إلّا إمرار النور في سَمّ الخياط، ولتنوير البيت إلّا توسط شِعْرة في زجاجة.

وكذا إن الأرواح والعقول في اضطرابات مزعجة ناشئة من أمراض وضلالات ناشئة من الاستنكارات الناشئة من الاستبعاد والاستغراب والحيرة في إسناد الأشياء إلى أنفسها وأسبابها الإمكانية.<sup>(٣)</sup> فتُجبر الاضطراباتُ الأرواح للخلاص والتشفي<sup>(٤)</sup> إلى الفرار إلى الواجب الوجود الواحد الأحد الذي بقدرته يحصل إيضاح كل مُشكل، وإرادته مفتاح كل مغلق، وبذكره تطمئن القلوب. فلا ملجأ ولا منجى ولا مناص ولا مخلص، إلّا الالتجاء والفرار إلى الله والتفويض إليه. كما قال الله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات: ٥٠) ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) فتفتح هذه الحقيقة أيضا مشكاة نظارة إلى الحدس الصادق، المنظم إلى نور الإسلام، المنظم إلى التسليم لطور النبوة، المنظم

(١) للذات الإلهية.

(٢) هذه الأسرار الستة مذكورة بالتفصيل في «ذيل الكلمة العاشرة» وفي «الكلمة التاسعة والعشرين». وفي «السانحات» من مجلد «صيقل الإسلام».

(٣) انظر «حباب».

(٤) أي الاستشفاء، مشتقة من الشفاء.

لنور الإيمان بواجب الوجود الواحد الأحد، فتشهد الكائنات بلسان كل جزء من أجزائها:  
الله لا إله إلا هو..

□ (١٨) وإن «بساطة الأسباب» الظاهرية كالخبز واللبن، ومحدوديتها وحصرها وانضباطها وعرضية بعضها وفقرها وضعفها وموتها وجودها في ذاتها وعدم شعورها وعدم إرادتها بالمشاهدة، واعتبارية القوانين، وموهوميتها، وعدم تعيينها إلا بمقتنئها، وعدم وجودها الموهوم إلا بعد رؤيتها، وعدم رؤيتها إلا بعد وجود المسبب «مع خوارق نقش المسببات» وأعجبية صنعتها كتشكيلات نُسج حجيرات البدن بسببية أكل الخبز، وكتابة النقوش الغير المحدودة المنتظمة المكتوبة في خردلة الحافظة، كأن تلك الخردلة سند<sup>(١)</sup> استنسختها يد القدرة من صحيفة الأعمال، وأعطتها ليد الإنسان ليتذكر به وقت المحاسبة، وليطمئن أن خلف هذا الهرج والمرج الوجودي مرايا للبقاء، يرسم العليم فيها الأشياء بانتظام بلا اختلاط - ولو كانت الأشياء كثيرة مختلطة - وكان المرسوم فيه أضيّق الأشياء بسببية وضعية التلايف وتشكيلات الحروف والصور الذهنية في التكلم والتفكر، بسببية قرع الله<sup>(٢)</sup> وحركة الذهن المقتضية هذه المسببات بالضرورة... لقدرة غير متناهية؛ بل علم وإرادة غير متناهيين. فتستلزم هذه الحقيقة أنه لا مؤثر في الكون على الحقيقة إلا خالقٌ قدير لانهاية لقدرته بوجه من الوجوه. وما الأسباب إلا «بهانات»<sup>(٣)</sup> وما الوسائط إلا حجابات ظاهرة، وما الخاصيات والخواص إلا أسماء وعنوانات وزُجيجات جامدة للمعات تجليات القدرة الأزلية النورانية الغير المتناهية، المستندة، بل المتضمنة للعلم والإرادة الأزليين الغير المتناهيين. إذ التماس مع تلك القدرة بأدنى شيء أعظم وأجلّ وأكبر من جبال الأسباب. إذ تفعل لمعة تلك القدرة بأمثال الخيوط الدقيقة الجامدة اليابسة أمثال العناقيد تلك الخوارق الحيوية الطرية، لو أُحيلت على الأسباب واجتمعت الأسباب والوسائط على أن يأتوا بمثله ما فعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وتستلزم هذه الحقيقة أيضا أن ما يسمى بالقوانين والنواميس إنما هي أسماء وزُجيجات لتجليات مجموع العلم والأمر والإرادة على الأنواع. وما القانون إلا أمرٌ ممدود أو أوامر مسرّدة. وما الناموس إلا إرادة مطولة أو تعلقات منصّدة.. فتفتح هذه الحقيقة

(١) أي المستند والدليل والحجة.

(٢) الله: اللّمة المشرفة على الخلق في أقصى سقف الفم والتي تساعد على التصويت والتحكم في مخرج الكلام.

(٣) حجج واهية.

مشكاةً نظّارةً في الإمكان إلى مرتبة الوجوب تشهد الكائنات بلسان كلِّ مسبّب من مسبباتها مناديةً: الله لا إله إلاّ هو.

□ (١٩) وإن «عدم تناهي خوارق نقش صنعة الكائنات وإتقانها» والاهتمام بها، تستلزم قدرةً غير متناهية، بل كل جزء منها أيضاً يستلزم تلك القدرة. فإذاً تستلزم وتقتضي وتدل بالضرورة على أن لهذه الكائنات خالقاً قديراً، له قدرة كاملة لانهاية لتجليات تلك القدرة بوجه من الوجوه. فإذاً استغنى عن الشركاء بالقطع فلا حاجة إليها بالضرورة، مع أن الشركاء الموهومة المُستغنى عنها بالقطع والضرورة ممتنعةٌ بالذات. لا يمكن أن يوجد فرد منها؛ وإلاّ لزم تحديد القدرة الكاملة الغير المتناهية من كل وجه، وانتهاءها في وقت عدم التناهي بالمتناهي بلا ضرورة، بل مع الضرورة في عكسه وهو محال بخمس مراتب بالضرورة. فمن هنا يكون الاستقلال والانفراد خاصيتين ذاتيتين للالوهية. مع أنه لا محلّ ولا موضع ولا مكان للشريك إلّا في الفرض الوهمي؛ إذ ما نزل سلطانٌ قط ولا احتمالٌ عن دليل، ولا إمكاناً ذاتياً<sup>(١)</sup> ولم يوجد أمانة ما قط على وجود الشريك في جهة من جهات الكائنات. وإلى أي جهة روجع واستُفسر عن الشريك، أُعطى جوابٌ ردّ بإراءة سكة التوحيد، مع أنه لا مؤثر في الكون على الحقيقة إلّا واحد أحد؛ بسرّ أن أشرف الكائنات وأوسع الأسباب اختياراً الإنسان، مع أنه ليس في يد البشر من أظهر أفعاله الاختيارية كالأكل والكلام من مائة جزء إلّا جزءً واحد مشكوك فيه. فإذا كان الأشرف والأوسع اختياراً هكذا مغلول الأيدي فكيف بالأسباب الجامدة الميتة؟ فكيف يكون المنديل والظرف الذي لَفَّ فيه السلطانُ هديته، شريكاً للسلطان أو معيناً له؟.. فتتحدث من هنا قطعاً بأن الأسباب حجابُ القدرة فقط؛ ومناطُ الحكمة، ليس إلّا.. فتفتح هذه الحقيقة أيضاً مرصداً ناظراً إلى الوجوب والوحدة؛ فتشهد الكائنات فيه بهذا اللسان منادية: الله لا إله إلاّ هو..

□ (٢٠) وإن «تساند الأسماء المتجلية» في الكائنات، مع شمول بعض الأسماء كلّ شيء بظهور أثرها فيه كالعليم، وتشاركها وتشابكها حتى في ذرة واحدة، وتعاكسها كلا في كل، وتمازجها كالألوان السبعة في ضياء الشمس، تدل هذه الأحوال مع وحدة أثرها على أن مسماها واحد أحد فرد صمد؛ فتفتح مشكاةً نظّارةً إلى الواجب الوجود الواحد الأحد، تشهد الكائنات فيها بهذا اللسان النوراني: الله لا إله إلاّ هو..

(١) أي ولا حتى إمكاناً ذاتياً.

□ (٢١) وإن ما يتظاهر في مجموع الكائنات كلا وأجزاء: من «الحكمة العامة» المتضمنة للقصْد والشعور والإرادة والاختيار، الدالة على وجوب وجود حكيم مطلق؛ لامتناع الفعل بلا فاعل، ولامتناع أن يكون جزء المفعول المنفعل الجامد فاعلا لهذا الفعل العام الشعوري..

□ (٢٢) وما يتلألأ على وجه الكائنات من «العناية التامة» المتضمنة للحكمة واللطف والتحسين، الدالة بالضرورة على وجوب وجود خلاق كريم؛ لامتناع الإحسان بلا محسن..

□ (٢٣) وما انبسط على وجه الكائنات من «الرحمة الواسعة» المتضمنة للحكمة والعناية والإحسان والإنعام والإكرام والتلطيف والتودد والتجيب والتعرف، الدالة على وجوب وجود الرحمن الرحيم؛ لامتناع الصفة بلا موصوف ولامتناع أن يُلبس هذه الحُلَّة التي تسع السماوات والأرض غيرُه تعالى. إذ أين قامة هذه الأسباب الجامدة الميتة القصيرة الحقيرة، وأين قيمة هذه الحُلَّة الغير المحدودة؟..

□ (٢٤) وما وزع على ذوي الحياة -على تنوع حاجاتها- من «الرزق العام» المتضمن للحكمة والعناية، والرحمة والحماية، والمحافظة والتعهد، والتعمد والتودد والتعرف الدال بالضرورة على وجوب وجود رزاق رحيم؛ لامتناع الفعل بلا فاعل، وامتناع أن يكون جزء المفعول فاعلا لهذا الفعل العام..

□ (٢٥) وما انتشر وانتشر في الكائنات من «الحي والحياة» المتضمنتين للحكمة والعناية والرحمة والرزق والصنعة الدقيقة والنقش الرقيق والإتقان والاهتمام المترشحة بتجليات قصد وشعور وعلم وإرادة تامة عليها، الدالة تلك الحياة على وجوب وجود قادر قيوم محيٍ مميت واحد؛ ولأن كلَّ شيءٍ واحدٌ فخالقه واحد؛ إذ «الواحد لا يصدر إلّا عن الواحد» فخالق الكل واحد خلافا لقاعدة الفلسفة الكاذبة المشركة القائلة: «الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد».

فهذه الحقائق الخمسة الممتزجة كالألوان السبعة في الضياء وكالدوائر المتداخلة المتحدة المركز، تدل بالبدهة على أن لهذه الكائنات ربا، قديرا، عليما حكيما، كريما، رحيمًا، رحمانًا، رزاقا، حيًا، قيوما، متصفا بأوصاف الكمال.. فتفتح هذه الخمسة الممتزجة بضياء واحد مشكاة نظارة إلى الحُدس الصادق المنظم إلى نور الإسلام، المنظم إلى التسليم لطور النبوة، المنظم

لنور الإيمان بأنه: هو الله الواجب الوجود الواحد الأحد. فتشهد الكائنات في تلك المشكاة بهذا اللسان ذي النعمات الخمس منادية. الله لا إله إلا هو..

□ (٢٦) وكذا إن ما يتلمع على وجه الكائنات من «الحُسْن العَرَضِي، والتحسين» المشيرين إلى وجوب وجود مَنْ له الحسن الذاتي والإحسان..

□ (٢٧) وما يُرى في خد الكائنات من «الجمال الحزين» المنعكس المرمر إلى وجوب وجود ذي الجمال المجرد..

□ (٢٨) وما يُرى في قلبها من «العشق الصادق» المتادي على المحبوب الحقيقي.

□ (٢٩) وما يُحسّ به في صدرها من «الانجذاب والجذبة» الملوّحين بالحقيقة الجاذبة التي تنجذب إليها الأسرار..

□ (٣٠) وما «يُسمع من كل الكُمَّلين من شهادتهم» بمشاهدتهم كَوْن كل الأكوان ظلالاً أنوار ذاتٍ واحد..

آيات نيرات.. فهذه الحقائق الخمس تدل بالضرورة على أن لهذا الكون ربّاً واجب الوجود، متصفاً بأوصاف الجلال والجمال والكمال. فتفتح كوة نظارة أيضاً تشهد الكائنات فيها بهذا اللسان ذي النعمات الخمس: الله لا إله إلا هو..

□ (٣١) وكذا إن ما يُرى في جزئيات أنواع الكائنات، من «التصرفات المتناظرة» والتصرف لمصالح الدال بالبداهة على وجوب وجود متصرفٍ حكيم واحد؛ لامتناع الفعل بلا فاعل، وامتناع أن يكون جزء المفعول المنفعل الجامد فاعلاً لهذا الفعل العام الشعوري المتلاحظ..

□ (٣٢، ٣٣) وما يُرى في أجزاء الكائنات من أنواع النباتات والحيوانات من «التبديل لفوائد، والتحويل لحِكَم» الدالّين على وجوب وجود رب مدبر حكيم..

□ (٣٤) وما يُرى في أعضاء الكائنات ككرة الأرض بلبّليها ونهارها من «التغيير لغايات» الدال على وجوب وجود فاعل مختار، فعّالٍ لما يريد؛ لامتناع الفعل بلا فاعل، ولا امتناع أن يكون مصدرُ هذه الأفاعيل المتناظرة، غير قدرة الواجب..

□ (٣٥) وما يُرى في العالم من «التنظيم لكمالات» الدال بالبدهة على وجوب وجود القادر القيوم؛ لامتناع التنظيم بلا ناظم، وامتناع أن يكون جزء الكثير الممكن المتفعل فاعلا لهذا الفعل المحيط الشعوري. وأين يدُ العنكبوت من نسج حُلَّةٍ قُدَّت على مقدار قامة الكائنات؟ بل أين الأعمى الأشل الجامد وأين نسجُ قميص مطرّز لهذا العالم؟  
أيضا آيات<sup>(١)</sup> على وجوب الوجود والوحدة..

وهذه الحقائق الخمسة في الفعالية كالألوان السبعة في الضياء، وكالدوائر المتداخلة المتحدة المركز، تدل بالبدهة على أن لهذه الكائنات ربا متصرفا حكيمًا مدبرًا فاعلا مختارًا فاعلا لما يريد قادرا قيوما متصفا بأوصاف الكمال. فتفتح هذه الحقائق الخمسة أيضا بضياء واحد كوة نظارة إلى مرتبة الوجوب والوحدة، فتشهد الكائنات بهذا اللسان ذي الأصوات الخمسة منادية: الله لا إله إلا هو..

□ (٣٦) وكذا إن «حدوث الكائنات» كلاً وجزءاً يستلزم مُحدثاً قديماً.. وإنّ تردد الكائنات مجموعاً وأجزاءً بين «الإمكانات» الغير المحدودة ذواتٍ وصفاتٍ وكيفياتٍ بمقدار تخصصها تتزايد الإمكانات. ثم أخذها هذا الشكل المنتظم المتقن المحكم من بين تلك الطرق العقيمة يستلزم ذلك التردد، ويدل بالضرورة على وجوب وجود رب عليم حكيم قدير.

□ (٣٧) وإن «احتياجات الكائنات» كلاً وأجزاءً وجوداً وبقاءً مادة ومعنى، حياة وفكرًا، مع فقرها وضعفها في ذاتها وقصر يدها عن أدنى حاجاتها، ثم قضاء حاجاتها -على تنوعها- من حيث لا يُشعرُ في أوقاتها المناسبة؛ تستلزم وتقتضي وتدل على وجوب وجود رب مدبر رزاق كريم رحمان رحيم..

□ (٣٨) وإن «افتقارات الكائنات» مجموعاً وأجزاءً وجوداً وبقاءً مادة ومعنى، مع ضعفها في ذاتها وقصر يدها عن أدنى مطالبها، ثم إغناء مطالبها من حيث لا يُحتسب في الأوقات اللائقة؛ تستلزم وتقتضي وتدل على وجوب وجود كريم فياض لطيف ودود.

(١) أي ما ذكر من التصرف والتبديل والتحويل والتغيير والتنظيم.

□ (٣٩) وإن «فقرها في ذاتها» كالشجر والأرض اليابسين في الشتاء «مع تظاهر الاقتدار المطلق» في معدن ضعفها كحياتها في الربيع، يدل على وجوب وجود القدير المطلق الذي تتساوى بالنسبة إليه الذرات والشموس.

□ (٤٠) وإن فقر الكائنات لذاتها، مع تظاهر آثار «الغناء المطلق» كظهور الأرزاق من التراب اليابس، يدل على وجوب وجود الغني المطلق الذي من حجيرات خزائن رحمته: الشمس والشجر، ومن مسيلات حوض رحمته: الماء والضياء.

□ (٤١) وإن «موتها في ذاتها مع تظاهر أنوار الحياة» يدل على وجوب وجود الحي القيوم المحيي المميت.

□ (٤٢) وإن «جودها وجهلها مع تظاهر آثار الشعور المحيط» وإن ذا<sup>(١)</sup> هذا الشعور سميع بصير، يدلان على وجوب وجود عليم خبير.

□ (٤٣) وإن «فناءها وتغيرها على الدوام بالانتظام» يدلان بالحدس القطعي على وجوب وجود المغير، الغير المتغير الدائم الباقي.

□ (٤٤) وإن ما لذوي الأرواح من «العبادات النورانية» المقبولة المثمرة المتضمنة للمشاهدات والمكالمات والفيوضات والمناجاة، تدل على وجوب وجود معبود حقيقي.

□ (٤٥) وإن «تسييحات الكائنات» القالّة والحالية،<sup>(٢)</sup> تدل على وجوب وجود مَنْ ﴿يُسَيِّحُ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحشر: ٢٤) إذ دلالة الفطرة صادقة، وشهادتها الفذة لا تُرد.. فكيف بدلالات غير متناهية وشهادات غير محصورة، قد اتفقت كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز، على وجوب وجود مَنْ ﴿يُسَيِّحُ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالسنة أقوالها وأحوالها وبنقوش جباهها؟.

□ (٤٦) وإن «أدعية ذوي الحاجات» المقبولة والمستجابة، والمؤثرة والمثمرة، تدل بالضرورة على وجوب وجود مَنْ يجيب المضطر إذا دعاه.

(١) صاحب هذا الشعور.

(٢) بلسان الحال والمقال.

□ (٤٧) وإن «التجآآت ذوي البلايا» شعوريا وغير شعوري عند الاضطراب إلى حاميتها المجهول، بل خالقها، تدل على وجوب وجود ملجأ الخائفين، وغيث المستغيثين.

□ (٤٨) وإن «مشاهدة كل الكُتَلين» العابرين من الظاهر إلى الباطن، واتفاقهم بالكشف والشهود والذوق والمشاهدة على أن كل الأكوان ظلالٌ لأنوار ذاتٍ تدل على وجوب وجود شمس الأزل الذي هذه الأكوان ظلالُ أنواره.

□ (٤٩) وكذا إن ما يُعلم بل يُتحدّس بل يُحسّ بل كأنه يُرى ويُشاهد ملء الكون والفضاء، قد توضع على مثل الذرة أمثال الجبال من «الأفاعيل المتجلية، وتجليات الأسماء» السيالة الهابطة من مرتبة الوجوب والوحدة، تدل بالضرورة على أن مبدأ هذه الأفاعيل ليس مرتبة الإمكان، بل هي أشعة مرتبة الوجوب، وتدل على وجوب وجود ذاتٍ مقدس فاعلٍ لهذه الأفاعيل، ومسمى لهذه الأسماء.

□ (٥٠) وإن «اضطرابات الأرواح» من الاستبعاد والاستغراب والحيرة والكلفة المنجرة إلى الاستنكار ثم إلى محالات متسلسلة في تفويض الأكوان إلى أنفسها وأسبابها تلجئ العقول والأرواح، للخلاص من مرض الاضطراب والتشفي منه إلى امتثال أمر: ﴿فَقَرُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات: ٥٠).. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (فاطر: ٤) الذي بقدرته يحصل الإيضاح لكل مشكل ويذكره تطمئن القلوب. نعم، لا مؤثر في الكون حقيقة إلا الله..

□ (٥١) وكذا إن ما يُرى من «القَدَر بالضرورة» في المحسوسات، و«بالنظر» في غيرها، يدلان على وجوب وجود مَنْ خلق كل شيء وقَدَره تقديرا؛ إذ عالم الشهادة مجموعا وأجزاء، لكل شيء منه غاياتٌ منتظمة، ونهاياتٌ مثمرة وحدود كأنها آجال منتظمة، التي تسمى بالمقادير التي لا تحصل إلا بقوالب؛ وما هي إلا القضاء والقدر، التي هي قوالب القَدَر قُدَّت على مقدارِ قامات الأشياء، تعينت أولا فبنيت الأشياء على هندستها. فإن شئت مثلا فانظر إلى بدنك باعوجاجاته ويدك بأصابعها.. فينتقل بالحدس الصادق، من هذا القَدَر الضروري إلى القَدَر النظري في المعنويات والأحوال؛ إذ لها أيضا نهايات وغايات مثمرة وحدود وآجال منتظمة، هي مقاديرها، هي قوالبها ترسّمت بيد القضاء والقدر، فكتبت القدرةُ كتابَ المعاني



على مِسْطَر القَدَر. فالقُدرة مصدرٌ، تنظر إلى مِسْطَر القدر.<sup>(١)</sup> فهذان القَدَران يدلان بالضرورة على وجوب وجود مَن هذه الكائناتُ خطوط قلم قضائه وقدره. آمناً!

□ (٥٢) وكذا إن «جامعية استعداد الإنسان» تخبرنا بأن البشر ثمرةُ شجرة الخلقة، فيكون أكمل وأبعد، فوجهه الشفاف متوجهٌ إلى الظلمة وفضاء العدم الذي هو باطن الدنيا. وما في جامعية الاستعداد من قابلية العبادة، تخبرنا بأن الإنسان ما خلق هكذا، ليكون منكوس الرأس يخلد إلى الفاني، بل قابلية العبادة لصرف وجهه الشفاف من الظلمة إلى النور، ومن فضاء العدم إلى الوجود، ومن المنتهى إلى المبدأ، ومن الفاني إلى الباقي، ومن الخلق إلى الحق. كأن العبادة حلقة اتصال بين المنتهى والمبدأ في دائرة الخلقة. فتشهد الفطرة بهذا اللسان على وجوب وجود مَن خلق الخلق ليُعرف، وخلق الجن والإنس ليُعبد. آمناً..

□ (٥٣) وكذا إن ما يُشاهد في الكون من مرتبة «الإمكان والكثرة والانفعال» يستلزم بالبداية الأولوية مرتبة الوجود والوحدة والفاعلية، فيدل بالضرورة على وجوب وجود الواجب الوجود الواحد الأحد الفعال لما يريد. آمناً..

□ (٥٤) وكذا يُشاهد في الكائنات أن «الأشياء تتحرك قبل الوصول إلى نقطة الكمال لها» ثم تسكن بعد الوصول وتستقر. فيتحدث من هنا بأن الوجود يقتضي الكمال؛ والكمال يقتضي الثبات، فوجود الوجود بالكمال، وكمال الكمال بالدوام، فالواجب السرمدى، هو الكامل المطلق. فكل كمالات الممكنات ظلالٌ لتجليات أنوار كماله. فتدل هذه الحقيقة على أن الله هو الكامل المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله. آمناً..

□ (٥٥) وكذا إن «ألطفية باطن الشيء من ظاهره» كما يدل على أن صانعه ليس خارجاً بعيداً منه، كذلك «محافظة لنسب النظام والموازنة» مع سائر الأشياء يدل على أنه ليس داخلها في الشيء أيضاً. فالنظر إلى المصنوع في ذاته كما يدل على أن صانعه عليم حكيم.. فالنظر إليه مع الغير يدل على أن صانعه سميع بصير، فوق الكل يراه مع الغير يرسم بهما نقشاً لمصلحة. فتدل هذه الحقيقة على وجوب وجود الصانع الذي ليس داخلها في العالم ولا خارجاً، كما هو في أبطن البطون كذلك فوق الفوق، كما يرى شيئاً يرى معه كل الأشياء. آمناً..

(١) أي إن تجليات القدرة المطلقة تنضبط وفق مقادير القدر كما هو في علم الله.

فهذه الحقائق العشرون المتمازجة كألوان القوس القُزح وكالدوائر المتداخلة المتحدة المركز، آياتٌ نيرات تدل بالضرورة على أن هذه الكائنات ربًّا، قديما واجب الوجود، عليما، حكيما، مريدا، قديرا، رحمان، رحيمًا، رزاقا، كريما، قادرا، غنيا، حيا، قيوما، عليما، خيرا، دائما، باقيا، معبودا ﴿يُسَبِّحُ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحشر: ٢٤).. ﴿يُحْيِي الْمُتْصِرَ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢) ملجأ الخائفين، غياث المستغيثين، الذي هذه الكائنات ظلال أنواره وتجليات أسمائه وآثار أفعاله.. الذي بذكره تطمئن القلوب.. وإليه ترجع الأمور.. خلق الجن والإنس ليعبدوه.. نظم الكائنات بقوانين قضائه وقدره.. وهو الواجب الوجود الواحد الأحد.. الكامل المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله.. وهو اللطيف الخبير السميع البصير..

فتفتح هذه العشرون من الحقائق المتمازجة، بأنوار مخططة كواتٍ نظارةً بوجوهٍ وجهاتٍ ومراتبٍ إلى الحدس الصادق المنظم لنور الإسلام المنظم إلى التسليم لطور النبوة المنظم إلى الإيمان؛ بأنه هو الله الواجب الوجود الواحد الأحد. فتشهد الكائنات بهذا اللسان ذي النعمات العشرين منادية: الله لا إله إلا هو.

□ واعلم أن «الله لا إله إلا هو» بكل دلائله المزبورة<sup>(١)</sup> مثبت «لا حول ولا قوة إلا

بالله».

وكذا فاعلم أن «لا إله إلا الله» بكل براهينه المذكورة، يستلزم «محمد رسول الله». فمحمد رسول الله كما يتضمن من الإيمان خمسة أركانه، كذلك هو مظهرٌ ومرآةٌ لصفة الربوبية. فبهذا السر صار قرينا موازيا لـ «لا إله إلا الله» في ميزان الإيمان، فتأمل. ولأن النبوة مظهر لصفة الربوبية تكون جامعةً وكليةً، والولاية خاصة وجزئية، فنسبتها إليها كنسبة صفة «رب العالمين» إلى «ربي»... ونسبة العرش إلى القلب.. ونسبة المعراج الممتد من الأرض إلى ما فوق العرش المار على طوائف المُلُك والملوك إلى معراج المؤمن في سجوده.. بالوجه الخاص..

(١) أي المكتوبة.

## تنبيه

□ **اعلم** أن هاتيك البراهين على هذا المطلب العالي، كالدائرة المحيطة بالمركز، وكل نقطة من المحيط كمنفذ ينظر بلونه المخصوص إلى المركز، وبين النقاط تساندٌ يزِيلُ ضعف الأفراد الخصوصية، ويتولد من مجموع البراهين حدسٌ صادقٌ ينظّم إلى نور الإسلام، ثم يُنظّم إلى التسليم لطور النبوة، ثم يُنظّم لنور الإيمان القيوم للمطلوب. وما البراهين إلا منافع لتحلّب هذا الحدس، فضعف الفرد يزول بسرّ التساند.. ومع فرض عدم زواله لا يسقط الفرد عن الجزئية وعن الاعتبار، بل عن الاستقلالية والبرهانية.. ومع فرض إبطال الفرد لا تبطل الدائرة بل تتصاغر.. وبفرض إبطالها لا يزول الحدس الصادق.. وبفرض زواله فلا بأس أيضاً.. إذ نور الإسلام قائم، وبعده التسليم لطور النبوة لا يتزلزل.. وبعده نور الإيمان الموهوب قيوم. فطلب قوة وضوح المطلوب المترتب على مجموع البراهين من كل فردٍ على حدة بجزئية الذهن من مرض النفس، الذي يزيد مرضها ويلقنها ملكة الرد والإنكار.. أَلَلَّهَمَّ احفظنا! فالبرهان الواحد أولاً يُنظر به إلى المطلوب، ثم يتشرب أنموذج المجموع فتساقط عنه الأوهام.

□ **اعلم** أيضاً أن من البراهين ما هو كالماء، ومنها ما هو كالهواء، ومنها ما هو كالضياء، لا بد من التوجه بلطفٍ ووسعةٍ نظرٍ في لينة؛ وإلا فبالحرص والتعمق والجسّ بأصابع التحري يسيلٌ ويزولٌ ويختفي.<sup>(١)</sup>

□ ثم **اعلم** أن النظر إلى شجرة ذات أغصان وفروع وثمرات لمعرفة حياتها وطعمها ودرجة قوتها على قسمين:

نظرٌ من طرف الأصل والجُثرُوم،<sup>(٢)</sup> فهذا نظر سهل وبسيط مستقيم متين.

والثاني: من طرف الثمرات والفروع، فهذا النظر بدون النظر الأول سقيم موصلٌ إلى الضلالات.

كذلك إن شجرة الإسلامية جُثرُومها في السماء، أغصانها منتشرة في آفاق الكثرة، فلمعرفتها نظران؛ وللدخول في دائرتها طريقان:

(١) تفصيل هذه البراهين في «زهرة من رياض القرآن»، وفي «المذكرة العاشرة من اللمعة السابعة عشرة».

(٢) بمعنى الأصل.

فالنظر الأول: هو النظر من جانب الأصل، فإذا نظر الموقِّق إلى الجرثوم يرى فيها حوضاً عظيماً منبعه الصافي هو الوحي المحض، فتزايد الحوض بتحلُّب الآيات الأفقية والأنفسية. فمن ذلك الحوض الممتزج مادة حياة الثمرات وغذائها. فإثبات حياة ثمرة واحدة تكفي لإثبات سائر أخواتها، بل -وكذا- تدل على حياة شجرتها، مع أن إثبات حياة الثمرة سهلٌ سريع يحصل برؤية الاتصال فقط، وإبطالها وزوالها عسيرٌ بطيء، لا يقتدر على إبطالها مع بقاء الاتصال وعلى منع<sup>(١)</sup> سريان الحياة إليها ما لا يقتدر على قلع الأصل. ولو صادف هذا النظر بين الثمرات ميتةً يابسةً حَكَمَ بأنها دخيلةٌ ويُحيل موتها على الأسباب الخارجية. هذا النظر هو النظر الإيماني والإسلامي والمستقيم السهل والمنقاد لطور النبوة.. أَللَّهُمَّ ارزُقنا وثبتنا عليه.

والنظر الثاني: السقيم الذي هو منشأ الضلالات ومعدن الاضطرابات، هو النظر من جانب الثمرات بنظر تنقيدي.. وفي هذا النظر يحتاج في كل ثمرة إلى الإثبات والذوق، لفقد الاتصال هنا، مع أن إثبات ثمرة فردة وإيصال مادة غذائها عسيرٌ يحتاج إلى ما يحتاج إليه تمام الأصل، مع أن زوالها وبطلانها سريع يحصل بأدنى شيء. ولو صادف بينها ميتةً يابسةً أحالها على موت الأصل.. أعاذنا الله من هذا النظر، لكن لو كان هذا النظر تابعاً للنظر الأول كان حسناً وسبباً لا طمئنان للنفس.

سعيد النورسي

(١) وفي نسخة: ومنع سريان الحياة.

## خاتمة هذا المبحث

في أربعة أمراض<sup>(١)</sup>

## الأول: اليأس

اعلم أنك إذا تدهشت من العذاب وما وُفِّتَ للعمل، تتمنى عدم العذاب، فتتحري ما ينافيه، فترى الأمارات المنافية براهين، فتخطفك الشياطين؛ فاستمع بقلب شهيد قوله تعالى:

﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

## والثاني: العُجب

نعم يا نفس!<sup>(٢)</sup> أيستَ ثم تحرّيتَ ما تستند إليه في مقابلة العذاب، فرأيت محاسنك، فوقعت في ضلالةٍ من باب العُجب، مع أنه لاحقٌ لك قطعاً في شيء من الكمالات، فتأمل..

يا نفسي! هذا الوجود الذي سكتته ما هو صنعتُك حتى تُتملِّك، وما هو لقيطة التقطتها حتى يُتملِّك، وما هو نتيجة تصادفٍ أعمى واتفاقية عوراء وأسباب جامدة حتى يُقْتَطَف ويُتملِّك، وليس شيئاً رخيصاً بلا أهمية تافها سدىً أعرض عنه مالكه حتى تأخذه وتتملِّكه، بل هذا الوجود -بعجائب صنعتته وغرائب نقشه- يدل على أنه خرج من يد صانع حكيم، مهيمن عليه دائماً..

ألا ترى أنه ليس في يدك من تصاريف هذا الوجود من ملايين تصرفاتٍ إلا تصرفٌ واحد مشكوكٌ هو حجته عليك..

وكذا ألا ترى أنك أشرفُ الأسباب وأوسعها اختياراً وأظهرُ أفعالك الاختيارية الأكل والكلام، مع أنه ليس في يدك من مائة جزءٍ منها إلا جزءٌ واحد..

وكذا إن أضيّقَ خاصياتك الاختيار وأوسع حواسك الخيال، مع أن الخيال لا يحيط بالعقل وثمراته، فكيف تُدخِله تحت دائرة الاختيار فتفتخر به؟

(١) في (ط) أربعة أمراض مضلة.

(٢) ذكر النفس لأن المقصود منه الإنسان وفي (ت) ٥٩ يا أخي.

وكذا تجري فيك وعليك أفاعيلُ لا يلحقها شعورك مع أنها شعورية، فصانعهما ذو شعور سميعٌ بصير، لا أنت ولا الأسباب العُمي الصُّم. فلا بد أن تتبرأ من دعوى المالكية وتوهم مصدرية المحاسن، وتتعترف بأنه ليس إليك منك إلا التقصان والقصور؛ إذ بسوء اختيارك تُغيّر صورة فيض الكمال المُفاض عليك.. وبأنّ الجسد الذي هو منزلك عاريةً وأمانة وأنت مسافر، ومحاسنك هذه موهوبةٌ وسيئاتك مكسوبة لك، فلا بد أن تقول: له الملك وله الحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله..

### والثالث: الغرور

وكذا من مرضك غرورك، فبحُكمه نظرتَ إلى الأسلاف العظام من بُعدٍ فتصاغروا في عينك، فحرمتَ محاسنَ إرشاداتهم، وابتليتَ بالأوهام المتطايّرة من تحت أقدامهم في سلوكهم مع أوهامك. فانظر إليهم من قُربٍ ترهم أعظمَ كشفوا في أربعين يوماً ما لم تقتدر على كشفه إلا في أربعين سنة.

### والرابع: سوء الظن

وكذا من مرضك سوء الظن، فبحُكم أن الجائع يتوهم الناسَ جياعا، أسأتَ الظن -بسبب مرضك وريائك- بأولئك الأسلاف العظام. فقد رأيت أنك بغمض عينك جعلتَ النهارَ ليلا على نفسك فقط.

اللَّهُمَّ احفظنا من اليأس وسوء الظن والعجب والغرور، آمين..

ثم قد شاهدت في سياحة تحت الأرض المعنوية وفي بطنها حقائق:

الحقيقة الأولى: اعلم أن الغفلة عن المالك الحقيقي جلّ جلاله، سببٌ لفرعونية النفس، فتوهم نفسك مالكةً لها، فيتشكل في وهما دائرةً لحاكميتها، ثم تقيس الناسَ بل الأسباب على نفسها، فتقسّم مآل الله عليها، فتعارض الأحكامَ الإلهية، وتبارز مع مقدرات خالقها؛ مع أن الحكمة في إعطاء أنانية لها أن تصير واحدا قياسيا لفهم صفات الألوهية، فأساءت بسوء الاختيار، فصرفتها في غير ما وُضعت له..

يا أيها الناظر!

إن هذه الحقيقة الدقيقة الرقيقة صارت مشهودةً لي بتهايم ظهورها، فرأيت أن ما في النفس من «أنا» المتنبّت بقاء الغفلة هو «نقطة سوداء» تصير واحداً قياساً لفهم صفات خالقها الذي لا شريك له لا في ملكه ولا في ربوبيته ولا في ألوهيته.

إذ معرفة الناس للأشياء أولاً نسبية وقياسية، وتفهم الصفات المحيطة التي لا حد لها يحصل بتوهم الحد.

ف«أنا» يتجاوز عن حدّه.. فيتوهم الحدّ، فيقيس، فيفهم.. فيرجع إلى حدّه، فيزول الحد الموهوم.. فيصير أولاً سمكاً، وثانياً حباباً.

فقد مرّ: أن النفس ليست مالكة لنفسها ولا لجسمها، إذ ما هو<sup>(١)</sup> لقيطة ولا نتيجة تصادف، ولا شيء تافه، ولا متشكّل بنفسه؛ بل هو ماكينة دقيقة عجيبة إلهية يعمل فيه في كل وقت قلم القدرة بيد القضاء والقدر.

فيا أيها النفس! تفرّغي من هذه الدعوى الباطلة، وسلّمي المُلْك إلى مالكه، وكُوني أمانةً على هذه الأمانة. فإذا خنتِ في درهمٍ وأسندته لذاتك، تُشرعين -بسرّ قياس النفس- تعطين من مال الله لأبناء جنسك، ثم للأسباب قناطيرٍ مقنطرة، كما فعلته الفلاسفة.

أيها النفس! لستِ مالكة لك وإلّا لا بد أن تكوني صانعةً وموجدةً لهذا البدن، أو صنعتها الأسباب فاغتصبته منها.

كيف تكونين صانعةً وأنت أخت الغنم؟

فالغنم كيف يدعي أنه صانع جسمه؛ والغنم أخو الرمان؟

وكيف تكون صبغةً الرمان صانعةً حبّاته؟

وكيف تكون الثمرة المتوضّعة على رأس الشجرة خالقةً وصانعةً لشجرتها؟

فإن صحّت هذه، صحّت لك المالكية.

(١) أي الجسم.

## وأما على الشق الثاني:

فالمصنوع ينادي بأعلى صوته بأي صنعةٍ عليمٍ حكيمٍ، سميعٍ بصيرٍ، بنظامٍ وميزانٍ. مع أن الأسباب عميٌّ صمٌّ جامدةٌ ميتةٌ؛ كلما اجتمعت واختلطت -فضلاً عن حصول صنعةٍ بصير- يتزايد العمى والأصمّة؛ إذ اختلاط العمي الصم لا يزيدهم إلا عمياً وأصمّة، مع أن الأسباب بالنسبة إلى ذلك البدن كنسبة زجاجات الأدوية في «أَجَزْ خَاتِيَّة»<sup>(١)</sup> بالنسبة إلى معجونٍ ذي خاصيةٍ عجيبةٍ يؤخذ من كلِّ مقدارٍ معينٍ بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ بميزانٍ مخصوصٍ، إن زاد أو نقص درهمٌ من مثاتٍ من الزجاجات، فانتُ خاصيةُ المعجون؛ فإن أمكن أن يخرج من كل زجاج مقدارٌ مخصوصٍ بنفسه بلا حكيمٍ مع تفاوت المقادير، ثم يتحصل ذلك المعجون بنفسه، أمكن أن تدعى: أن هذا البدن اختطفتَه من أيدي الأسباب، فتملكته.

الحاصل: توهم المالكية إنما نشأ من حُمقِكِ وبلا هتِكِ.

الحقيقة الثانية: اعلمي يا أيتها النفس الأمارّة! أن لك دنيا هي قصر، واسعةٌ مبنيةٌ بآمالك وتعلقاتك واحتياجاتك إلى الأكوان، فالحجرُ الأساس في ذلك القصر، والأصلُ الأول والعمود الفريد، هو وجودك وحياتك، مع أن هذا العمود مدوّد، وهذا (التمل جوروك) والأساس فاسدٌ ضعيفٌ مهياً للخراب في كل آن. فليس هذا الجسم بأبدِيٍّ ولا من حديدٍ ولا حجرٍ؛ بل من لحمٍ ودمٍ مهيمٍ لأن يتفرّق في كل آن، فبانحلاله تنفلق عنك هذه الدنيا بحذافيرها، فتخرب على رأسك دنياك. فانظري إلى الماضي إذ هو قبرٌ واسعٌ خرب على رأس كل ميتٍ كان مثلك في دنياه، والمستقبل أيضاً قبرٌ واسعٌ يكون مثله، وأنت الآن بين ضغطة القبرين، كما أن أمس قبرٌ أبي، وغدا قبري، وأنا أيضاً بين ضغطة القبرين. فالدنيا مع أنها واحدة؛ تداخلتْ واندججت فيها -لكل أحد- دُنْيا بتمامها، فهي شخصيةٌ كلية، مَن مات قامتْ قيامتهُ..

الحقيقة الثالثة: قد شاهدتُ أن الدنيا بجميعٍ لذائذها حملٌ ثَقِيلٌ، وقيدٌ لا يرضى بها إلا المريضُ الفاسدُ الروح؛ فبدلاً من التعلقات بالكائنات، والاحتياجات إلى كل الأسباب، والتملق لكل الوسائط، والتذبذب بين الأرباب المتشاكسين الصم العمي؛ لابد من الالتجاء إلى الرب الواحد السميع البصير الذي إن توكلت عليه فهو حسبك.

(١) الصيدلية.



الحقيقة الرابعة: **اعلموا** يا «أنا»، أن ما التفتُّ على رأسك من سلاسل الإيجاد العلمية، واتصلت بأنانيتك من سطور الصنائع الشعورية، وما أخذت بأيدي حوائج ذاتك من وسائل المدد والإجابة، تدل على أن موجِّدك وصانِعك ومغيثك يسمع أنينات<sup>(١)</sup> فاقاتك، فيتحنن لها، ونداء حاجاتك ويتودد بقضائها، ويرى أشكال احتياجاتك وآمالك، فيتعرف بتعهدها؛<sup>(٢)</sup> إذ ذلك الصانع والموجد يغيث ويلبي نداء حاجة حجيراتك الصغيرة بالمشاهدة؛ فكيف لا يجيب ولا يغيث -وهو السميع البصير- لدعائك.

أيتها الحجيرة الكبرى المعبرة بـ«أنا»، المركَّبة من تلك الحجيرات! فقل<sup>(٣)</sup> يا إلهي، يا ربي، يا خالقي، يا مصوري، يا مالكي، يا سيدي، يا مولاي لك الملك ولك الحمد: أنا مسافر في وديعتك وأمانتك ومملوكك الذي هو هذا الجسم بمشتملاته.

فيا «أنا» لِمَ تملك ما لا يصير لك مُلكاً؟ فتفرَّغ من هذه الدعوى الباطلة، إذ توهُمُ التملك يوقعك في ألم اليم. فانظر إلى الشفقة التي هي من مزيّنات الروح ومراوحه،<sup>(٤)</sup> لو بُنيت على توهمك هذا لانقلبت نكالا مزعجا للروح.

مثلاً: إذا رأيت يتيماً واحداً ضعيفاً فقيراً له بيتٌ صغير ومُلك قليل يتهاجم عليه ألوفٌ من القاسية القلوب، كيف تتألم بألمه؟! ولو تزايد مثل هذه الواقعة إلى ما لا حدَّ له تزايد الآلام المنعكسة إليك بنسبته. وأما إذا رأيت أحدَ نفرِ العسكر للسلطان، قد احترق مسكنه أو غُصِبَ مَرَكَبه -بغير قصورك وبإذن السلطان- لا تتوجع على النفر؛ إذ المأل للسلطان الذي لا يتأثر بمثل هذا النقصان، ولا يتأثر العساكر بضياعه تأثراً عميقاً؛ إذ ليس هو ملكه، وهو فقير، بل ملكٌ غني خُرب ماله بواسطة أخرى، بل تترحم بحساب السلطان وينظر رحمة السلطان. فالشفقة على خلق الله -من حيث هو خلق الله- كلما تزايدت تنبسط الروحُ. والشفقة الناشئة من الغفلة والمبينة على توهم المالكية بتزايدها ينقبض الروحُ ويتألم القلب بظلمة الغموم.

(١) الأئين: صوت توجع وألم.. ج: أنات. والمقصود هنا أنين كل فاقة.

(٢) أي بتعهده وتفضله سبحانه لتلك الحاجات يتعرف إليه الإنسان.

(٣) فقل يا أنا..

(٤) مروح: مطّيب.

كذلك: إن النظر الإيماني والتوحيدي يرى كلّ ذي حياة يتصرف في وجوده، كالأمير المستأجر على السفينة للسلطان الذي يتصرف في ملكه كيف يشاء. فهذا النظر لا يرى النملة ولا النحلة الصغيرة الفقيرة تُصارع الأسباب الظالمة المهاجمة، بل يرى النملة والنحلة تتصرفان في سفينة برية وطيارة هوائية، زمامتهما وناصيتُهما تصل بيد قدرةٍ قدير، تتصاغر الأسباب الهاجمة في نظر راكبهما. إنها النملة وكذا النحلة تصارع الأسباب -ولو عظمت- بالاستناد بهالكه الحقيقي.

وإذا قيل عند المصيبة: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) فمعناه: المألّ له، وأنا في أمره، وإليه أذهب، ما عليّ لو لم أقصّر في حفظه. مثله كمثل نفر هجم على ما في يده من مال السلطان بعض الناس. يقول نفر: أنا وما معي للسلطان وإليه أذهب، فإن كان بإذنه فلا عليّ.. وأما إذا نظر بنظر توهم التملك انقلبت الشفقة نارا محرقة لمن له قلب؛ إذ يصير كل الحيوانات مثل اليتيم المذكور ويرى في الكون مأتماً عمومياً..

## الباب الثاني<sup>(١)</sup>

في

### سبحان الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَادِرِ الْمَطْلُوقِ بِالْقُدْرَةِ الْذَاتِيَّةِ، وَالْغَنِيِّ الْمَطْلُوقِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزَّهِ عَنِ الْعَجْزِ وَالْاِحْتِيَاجِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ الْكَامِلِ الْمَطْلُوقِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزَّهِ عَنِ الْقُصُورِ وَالنَّقْصَانِ؛ إِذْ كَمَالَ آثَارُهُ دَالٌّ عَلَى كَمَالِ أَعْمَالِهِ، وَهُوَ عَلَى كَمَالِ أَسْمَائِهِ، وَهُوَ عَلَى كَمَالِ أَوْصَافِهِ، وَهُوَ عَلَى كَمَالِ ذَاتِهِ جَلُّ جَلَالِهِ. بَلْ مَجْمُوعُ مَا فِي الْكَائِنَاتِ وَالْمَصْنُوعَاتِ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ؛ إِنَّمَا هُوَ ظَلٌّ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ لِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ، وَبِالْبَرْهَانِ الْقَاطِعِ، وَبِإِجْمَاعِ جَمَاعَاتٍ عَظَامٍ مُتَوَاتِرِينَ مُتَّفِقِينَ بِالْكَشْفِ وَالذُّوقِ وَالشَّهُودِ وَالْمُشَاهَدَةِ: عَلَى ظِلِّيَّةِ كَمَالِ الْكَائِنَاتِ بَلْ كُلِّ الْأَكْوَانِ لِأَنْوَارٍ وَاجِبِ الْوُجُودِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزَّهِ عَنِ الشُّرَكَاءِ، لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَا فِي مَلَكِهِ لَوْاحِدَانِيَّةِ الْأَثَرِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَةِ الْمُؤَثَّرِ، وَلَا فِي رَبُّوبِيَّتِهِ لِاتِّحَادِ الْقَلَمِ، وَلَا فِي أُلُوْهِيَّتِهِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِلْإِنْفِرَادِ وَالِاسْتِقْلَالِ بِالذَّاتِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيرِ الْأَزَلِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزَّهِ عَنِ الْمُعِينِ وَالْوُزَرَاءِ؛ لِامْتِنَاعِ التَّحْدِيدِ وَالِانْتِهَاءِ فِي الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ الْغَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ بِوَسْطَةِ الْمُمْكِنِ الْمُنْتَاهِيِ..

سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزَّهِ عَنِ مِمَّا ثَلَّةِ الْمَحْدَثَاتِ..

(١) [إيضاح هذا الباب الثاني الذي يخص «سبحان الله» في اللمعة العربية «التاسعة والعشرين» وفي مواضع عدة من رسائل النور، لذا جاء هنا مختصراً] (المؤلف).

سبحان الله الواجب الوجود المتقدس المتنزه عن لوازم ماهيات الممكنات..

سبحان الله الذي له المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم المتقدس المتنزه عما تصفه العقائد الباطلة الخاطئة، وعما تتصوره الأوهام الباطلة القاصرة، وعن كل النقائص؛ إذ هي إما من الأعدام<sup>(١)</sup>، أو إلى الأعدام. فكيف تصل إلى ذيل الوجود الواجب؟!

سبحان الله السرمدي الأبدي المتقدس المتنزه عن التغير والتبدل اللازمين للكثرة والإمكان والمنافين للوجوب والوحدة..

سبحان الله خالق الكون والمكان، المتقدس المتنزه عن التحيز والتجزئ المنافيين للغناء الذاتي.

سبحان الله القديم الباقي المتقدس المتنزه عن الحدوث والزوال.

سبحان الله الواجب الوجود المتقدس المتنزه عما لا يليق بجناحه من الحلول والاتحاد -ما للتراب ولرب الأرباب!- ومن الحصر والتحديد المستلزمين للمحكومية؛ ومن الوالد والولد تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

سبحان الله الذي تسبح له الملائكة كلهم ويسبح له ما في السماوات وما في الأرض، بما على جباهها من نقوش قلم القدر..

(١) جمع العدم.

## الباب الثالث<sup>(١)</sup>

في

الحمد لله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تَحَمَّدَ له وتُشني عليه بإظهار صفاته الكمالية هذه العوالمُ بجميع أَلْسنتها الحالية والقالية؛ إذ العوالم بأنواعها وأركانها وأعضائها وأجزائها وذراتها وأثيرها؛ بألسنة حدوثها وإمكاناتها واحتياجاتها وافتقاراتها وحكمتها وصنعتها ونظامها وموازنتها وإتقانها وكَمالاتها وعباداتها وتسبيحاتها.. أَلْسَنَاتُ مَسْبُوحَاتٍ تَالِيَاتٍ لأوصاف جلاله بأنه هو الله الواجب الوجود القديم السرمدي الأبدي الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز الجبار المتكبر القهار.. وكذا حامداتُ تَالِيَاتٍ لأوصاف جماله قائلات بأن خالقنَا رَحْمَن، رَحِيمٌ، رَزَاق، كَرِيم، جَوَاد، ودود، فَيَاض، لطيف، محسن، جميل.. وكذا ذاكرات تَالِيَاتٍ لأوصاف كَماله ناطقات -قالا وحالا- بأن خالقنا ومالِكنا: حَيٌّ، قَيُوم، عَلِيم، حَكِيم، قَدِير، مَرِيد، سَمِيع، بَصِير، مُتَكَلِّم، شَهِيد.. وكذا أَلْسَنَاتُ تَالِيَاتٍ لأَسْمَاءِ الْحُسْنَى المتجلية في الكائنات.

ثم الحمد لله الذي تحمده وتسبح له وتُشني عليه بإظهار صفاته الكمالية هذه الكائناتُ بجميع ما فيها؛ إذ هذا الكتاب الكبير بجميع أبوابه وفصوله وصحفه وسطوره وجُمَله وحروفه؛ بحكمتها وصنعتها بصفاتها ونقوشها، كُلُّ بِقَدْرِ نِسْبَتِهِ مَظَاهِرُ مُتَفَاوِتَةٍ ومَرَايَا مُتَنَوِّعَةٍ لتجليات بوارق أوصاف جلاله، وأضواء أوصاف جماله وأنوار أوصاف كَماله وأشعَاتُ أَسْمَاءِ الْحُسْنَى..

الحمد لله على نعمة الوجود الذي هو الخير المحض، وعلى نعمة الحياة التي هي كمال الوجود، وعلى نعمة الإيمان الذي هو كمال الحياة بل حياة الحياة..

الحمد لله على نور الإيمان المزيل عنا ظلمات الجهات الستة، والمنور للجهات الآفاقية

(١) [لقد كتب هذا الباب المهم في «الحمد لله» كتابةً مفصلة في الرسالة العربية «التفكير الإيماني الرفيع» (اللمعة التاسعة والعشرين) لذا جاء هنا مختصراً]. (المؤلف).

والأنفسية، والنير الذي فيه الأنوار الستة ومنه الأضواء الثلاثة المنعكس من شمس معرفة سلطان الأزل.

الحمد لله على الإيمان بالله، إذ به يخلص الروح من ظلمات الأعدام ووحشة الأكوان ومن المأتم العمومي، ومن، ومن، ومن، ومن إلى ما لا يحد من الأهوال المحرقة للروح.. الحمد لله على نور الإيمان الذي أَرانا ملجأ، محسناً، كريماً، ودوداً، رؤوفاً، رحيماً؛ إذ الإيمان هو المنور لنا الحياة الأبدية، والمبشر المضيء لنا السعادة الأبدية، وهو المحتوي على نقطتي الاستناد والاستمداد، وهو الدافع لحجاب المأتم العمومي عن وجه الرحمة المرسلّة على وجه الكائنات، وهو المزيل للآلام الفراقية عن اللذائذ المشروعة بإراءة دوران الأمثال، ويديم النعم معنى بإراءة شجرة الإنعام..

وكذا يُبدّل نورُ الإيمان ما يُتوهم من الكائنات أعداءً أجنباً أمواتاً موحشين؛ ويحوّلها أوداءً إخواناً أحياءً مؤنسين.

وكذا يصور ذلك النور كلّ الكائنات ومجموع الدارين مملوءاً من الرحمة هدية لكل مؤمن حقاً - بلا مزاحم - يستفيد من جميعها بوسائطها وحواشها المتنوعة الكثيرة الموهوبة، فحق له وعليه أن يقول: «الحمد لله على كل مصنوعاته». ولازم له وواجب عليه أن لا يرضى بمن ليس كل الكائنات في يده يهديها لمن يشاء، ربا ومعبوداً ومحبوا ومقصوداً..

الحمد لله رب العالمين على رحمته على العالمين التي هي سيدنا محمد ﷺ، إذ به وبرسالته استثبت واستقر ما انطفأ تحت كثافة الفلسفة ما في سائر الأديان من أنوار فكر الألوهية.. وكذا برسالته تظاهر للبشر مرضيات رب العالمين.. وكذا به اهتدى البشر إلى الإيمان الذي هو نور الكون والوجود..

الحمد لله على نعمة الإسلام التي هي مرضيات رب العالمين؛ إذ الإسلام هو الذي أَرانا ما يرضى به ويريده ويحبه ربنا ورب العالمين ورب السماوات والأرضين.

الحمد لله على نور الإيمان المستضيء بضياء: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لا بد للحامد أن ينظر من النعمة إلى الإنعام، ليرى أن المنعم أبصر به وأقرب منه إليه؛ يتعرف بالإنعام، ويتوَدّد بالإحسان، ويتحجب بالإكرام إلى الإنسان. فالإنسان إنما يكون شاكراً إذا استشعر ذلك التعرف والتوَدّد.

## الباب الرابع

في

### الله أكبر

هذا الباب قسمان: هذا القسم الأول بغاية الإجمال، والقسم الثاني فيه إيضاح تام.

## القسم الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الله أكبر.. من كل شيء، إذ هو القدير على كل شيء، بقدرة لانهاية لها بوجه من الوجوه، تتساوى بالنسبة إليها الذرات والنجوم والجزء والكل والفرد والنوع بسر: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨).

نعم، إن الذرة والجزء والفرد ليست بأقلّ جزالة من النجم والنوع والكل.

الله أكبر.. إذ هو العليم بكل شيء بعلم لانهاية له بوجه من الوجوه، لازم ذاتي<sup>(١)</sup> للذات، فلا يمكن أن ينفك عنه شيء، بسر الحضور.. وما في الكائنات من الحكمة العامة، والعناية التامة، والشعور المحيط، والأقضية المنتظمة، والأقدار المثمرة، والآجال المعينة، والأرزاق المقنّنة، والرحمات المتنوعة، والإتقانات المفنّنة، والاهتمام المزين.. شاهدات على إحاطة علمه تعالى بكل شيء، بسر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) جل جلاله.

الله أكبر.. إذ هو المريد لكل شيء؛ إذ تردّد الكائنات بين الإمكانيات الغير المحدودة، ثم تنظيمها بهذا النظام وموازنتها بهذا الميزان، وخلق المختلفات المنتظمة - كالشجر بأوراقها وأزهارها وثمراتها مثلاً - من البسيط الجامد.. شاهدات على عموم إرادته تعالى، ومستلزمة لـ: «ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن». جلّ جلاله..

(١) كلزوم الضياء المحيط للشمس، والله المثل الأعلى.

الله أكبر.. إن قلت: لِمَ، وَمَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو الشمس الأزلي الذي هذه الكائنات ظلال أنواره وتجليات أسائه وآثار أفعاله باتفاق أهل الشهود.

الله أكبر.. من كل شيء.. إن قلت: لِمَ، وَمَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو السلطان الأزلي الذي هذه العوالم بتمامها في تصرف قبضتي نظامه وميزانه جلّ جلاله.

الله أكبر.. إن قلت: لِمَ، وَمَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو الحاكم الأزلي الذي نظم الكائنات بقوانين سنته، ودساتير قضائه وقدره، ونواميس مشيئته وحكمته، وجلوات عنايته ورحمته، وتجليات أسائه وصفاته. وما القوانين والنواميس إلّا أسماء لتجلي مجموع العلم والأمر والإرادة على الأنواع.

الله أكبر.. إن قلت: لِمَ، وَمَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو الصانع الأزلي الذي هذا العالم الكبير إبداعه وإنشاؤه وصنعه، وهذا العالم الصغير إيجاده وبنائه وصبغته.. وعلى جوانبهما بل على كل جزء من أجزائهما سكته.

الله أكبر.. إن قلت: لِمَ، وَمَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو النقاش الأزلي الذي هذه الكائنات خطوط قلم قضائه وقدره، ونقوش بركار<sup>(١)</sup> حكمته، وثمرات فياض<sup>(٢)</sup> رحمته، وتزيينات يد بيضاء عنايته، وأزاهير لطائف كرمه، ولمعات تجليات جماله.

### تنبيه

أحكام هذه الأبواب الثلاثة<sup>(٣)</sup> تشربت براهينها. تُعرف بالدقة، في قيودها دلائل الأحكام.

الله أكبر.. إن قلت: مَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو القدير الأزلي الذي هذه الموجودات معجزات قدرته. تشهد تلك المعجزات على أنه على كل شيء قدير. لم يخرج ولن يخرج عن حكم قدرته شيء، تتساوى بالنسبة إليه الذرات والشموس..

الله أكبر.. إن قلت: مَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى.

(١) بركار: آلة هندسية معروفة لرسم الدوائر.

(٢) الفيّاض: الكثير الماء.

(٣) أي «سبحان الله والحمد لله والله أكبر».



الذي هذه الأجرام العلوية نيرات براهين ألوهيته وعظمته، وشعاعات شواهد ربوبيته وعزته جلّ جلاله..

الله أكبر.. إن قلت: مَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو الخالق لكل شيء، إذ هو الرزاق لكل حي، وهو المنعم لكل النعم، وهو الرحمن في الدارين؛ مِنْ عَظِيمِ رَحْمَتِهِ سَيِّدُنَا «محمد» عليه الصلاة والسلام، و«الجنة». وهو الرب لكل شيء، وهو المدبّر لكل شيء وهو المربي لكل شيء..

الله أكبر.. إن قلت: مَنْ هو؟ قيل لك: إذ هو المصور لكل شيء، وهو المتصرف في كل شيء، وهو النظام لهذا العالم.

الله أكبر.. وأعظم وأجلّ مَنْ أن يحيط به الأفكار والعقول، وأرفع وأعلى وأجلّ وأنزه من أن يناله العجز والقصور..

الله أكبر من كل شيء؛ أي ما يكون لأجله أكبر، وأعلى، وأحسن، وأولى.. وما يكون به أعظم وأجلّ..

### تنبيه

هذه الكلمات المباركة التي تتكرّر بعد الصلوات؛ شاهدت أنها ليست تكراراً، بل تأسيس - كما أُشير إليه في الأبواب - أو تأكيد في تأسيس، معانيها متساندة لا متحدة.

مثلاً: رميت حجراً في وسط حوضٍ كبير تقول للدائرة المتشكلة من وقوع الحجر: واسعة.. واسعة.. واسعة.. كلما تلفظ بـ«واسعة» تتظاهر دائرة أوسع. وكذا تأكيد في المعنى، تأسيس في المقاصد والثمرات.

إن قلت: ما معنى «الله أكبر» من كل شيء. ما قيمة «الممكن» حتى يقال: «الواجب» أكبر منه؟ أين «الخالقين.. والراحمين» غيره تعالى حتى يقال: «أحسن الخالقين» و«أرحم الراحمين»؟ قيل لك: أي ما كان منه أكبر وأعلى، وما كان له أحسن وأولى، وما كان به أعظم وأجلّ.

وهو في ذاته أكبر من كل ما يتصوره العقول.. وكذا لا بد أن يكون أكبر في قلوبكم وأهم من كل مقاصدكم ومطالبكم.. وكذا أكبر وأعظم من أن يستره ويحجبه حجاب الكائنات.

وأما «أحسن الخالقين»! أي هو في ذاته أحسن من الخالقين الذين في مرايا العقول بتجلي صفة الخالقية فيها، كالشمس في المرايا. يقال: الشمس في ذاتها أنور من تماثيلها المنورين في المرايا.. وكذا أحسن في مرتبة وجوبه من الخالقين الموهومين في فرض الأوهام.. وأيضاً نظرنا الوهمي الظاهري لما يرى الآثار من الأسباب ويتوهم الخالقية، أي هو أحسن خالقاً بلا حجاب الأسباب، فلا بد أن يتوجه إليه بالذات، ولا يُبالى بالأسباب الظاهرية.. وكذا إن نسبة المفاضلة تنظر إلينا وإلى الأشياء التي تتعلق بنا، لا في نفس الأمر، كما يُقال لنفر في وظيفة جزئية: السلطان أحسن وأعظم. أي مدخله في وظيفتك هذه أزيد؛ فلا بد أن تلاحظه أزيد من سائر أمرائك الظاهرية.

الله أكبر وأجل من أن تحيط به الأفكار والعقول.. وأرفع وأنزه من أن يناله العجز والقصور.. وهو الكامل المطلق في ذاته، وصفاته، وأفعاله، جل جلاله..

## الباب الرابع المفصل

في مراتب

الله أكبر

### القسم الثاني

[سنذكر سبعة من ثلاث وثلاثين مرتبة لهذا الباب، حيث قد ذكر قسم مهم من تلك المراتب في المقام الثاني من «المكتوب العشرين»، وفي نهاية الموقف الثاني من «الكلمة الثانية والثلاثين»، وبداية الموقف الثالث منها، فمن شاء أن يطلع على حقيقة هذه المراتب فليراجع تلك الرسائل].

### المرتبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ١١١). لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ.

جلّ جلاله، الله أكبر من كل شيء قُدْرَةً وَعِلْمًا، إذ هو الخالق البارئ المصور الذي صنّع الإنسان بقُدْرَتِهِ كَالْكَائِنَاتِ، وَكَتَبَ الْكَائِنَاتِ بِقَلَمٍ قُدْرِهِ كَمَا كَتَبَ الْإِنْسَانَ بِذَلِكَ الْقَلَمِ. إذ ذاك العالم الكبير، كهذا العالم الصغير مصنوع قُدْرَتِهِ، مكتوب قُدْرِهِ. إبداعه لَذَلِكَ صَيَّرَهُ مُسَجِّدًا، إيجاده لهذا صَيَّرَهُ سَاجِدًا. إنشأؤه لَذَلِكَ صَيَّرَ ذَاكَ مُلْكًا، بناؤه لهذا صَيَّرَهُ مَمْلُوكًا. صنّعه في ذاك تَظَاهَرَتْ كِتَابَاتُهُ، صِبْغَتُهُ فِي هَذَا تَزَاهَرَتْ خِطَابَاتُهُ. قُدْرَتُهُ فِي ذَاكَ تُظْهِرُ حِشْمَتَهُ، رَحْمَتُهُ فِي هَذَا تَنْظِمُ نِعْمَتَهُ. حِشْمَتُهُ فِي ذَاكَ تَشْهَدُ: هُوَ الْوَاحِدُ. نِعْمَتُهُ فِي هَذَا تُعْلِنُ: هُوَ الْأَحَدُ. سَكَنَتُهُ فِي ذَاكَ فِي الْكُلِّ وَالْأَجْزَاءِ سُكُونًا حَرَكَةً. خَاتَمَتُهُ فِي هَذَا فِي الْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ، حُجْبَرَةٌ دَرَّةً..

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِهِ الْمُتَسِفَةِ كَيْفَ تَرَى - كَالْفَلَقِ - سَخَاوَةً مُطْلَقَةً مَعَ انْطِطَامٍ مُطْلَقٍ، فِي سُرْعَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ اتِّزَانٍ مُطْلَقٍ، فِي سُهُولَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ إِتْقَانٍ مُطْلَقٍ، فِي وُسْعَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ حُسْنِ صُنْعٍ مُطْلَقٍ، فِي بُعْدَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ اتِّفَاقٍ مُطْلَقٍ، فِي خِلْطَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ امْتِنَانٍ مُطْلَقٍ، فِي رُخْصَةٍ مُطْلَقَةٍ مَعَ غُلُوٍّ مُطْلَقٍ. فَهَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْمَشْهُودَةُ شَاهِدَةٌ لِلْعَاقِلِ الْمُحَقِّقِ، مُجْبِرَةٌ لِلْأَحْمَقِ الْمُتَنَاقِ، عَلَى قَبُولِ الصَّنْعَةِ وَالْوَحْدَةِ لِلْحَقِّ ذِي الْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْمُطْلَقُ.

وَفِي الْوَحْدَةِ سُهُولَةٌ مُطْلَقَةٌ، وَفِي الْكَثْرَةِ وَالشَّرَكَةِ صُعُوبَةٌ مُنْعَلِقَةٌ. إِنْ أُسْنِدَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ لِلوَاحِدِ؛ فَالْكَائِنَاتُ كَالنَّخْلَةِ وَالنَّخْلَةُ كَالثَّمَرَةِ سُهُولَةٌ فِي الْإِبْدَاعِ.. وَإِنْ أُسْنِدَ لِلْكَثْرَةِ فَالنَّخْلَةُ كَالْكَائِنَاتِ وَالثَّمَرَةُ كَالشَّجَرَاتِ صُعُوبَةٌ فِي الْاِمْتِنَاعِ؛ إِذِ الْوَاحِدُ بِالْفِعْلِ الْوَاحِدِ يُحْصَلُ نَتِيجَةٌ وَوَضْعِيَّةٌ لِلْكَثِيرِ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مُبَاشَرَةٍ؛ لَوْ أُحِيلَتْ تِلْكَ الْوَضْعِيَّةُ وَالنَّتِيجَةُ إِلَى الْكَثْرَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا إِلَّا بِتَكَلُّفَاتٍ وَمُبَاشَرَاتٍ وَمُسَاجِرَاتٍ، كَالْأَمِيرِ مَعَ النَّفَرَاتِ، وَالْبَانِي مَعَ الْحَجَرَاتِ، وَالْأَرْضِ مَعَ السِّيَارَاتِ، وَالْفَوَارَةِ مَعَ الْقَطَرَاتِ، وَنُقْطَةِ الْمَرْكَزِ مَعَ النُّقْطِ فِي الدَّائِرَةِ:

بِسَرٍّ أَنْ فِي الْوَحْدَةِ يَقُومُ الْاِنتِسَابُ مَقَامَ قُدْرَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ. وَلَا يُضْطَرُّ السَّبَبُ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ، وَيَتَعَاطَمُ الْأَثَرُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ. وَفِي الشَّرَكَةِ يُضْطَرُّ كُلُّ سَبَبٍ لِحَمْلِ مَنَابِعِ قُوَّتِهِ، فَيَتَصَاغَرُ الْأَثَرُ بِنِسْبَةِ جُزْمِهِ. وَمِنْ هُنَا غَلَبَتِ النَّمْلَةُ وَالذَّبَابَةُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ، وَحَمَلَتِ النَّوَاهُ الصَّغِيرَةُ شَجَرَةً عَظِيمَةً.

وَبِسَرٍّ أَنْ فِي إِسْنَادِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ الْإِبْجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ، بَلْ يَكُونُ الْإِبْجَادُ عَيْنَ نَقْلِ الْمَوْجُودِ الْعِلْمِيِّ، إِلَى الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ. كَنَقْلِ الصُّورَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْمِرْآةِ، إِلَى الصَّحِيفَةِ الْفُوطُوغَرَفِيَّةِ لِتَثْبِيتِ وُجُودِ خَارِجِيٍّ لَهَا بِكَمَالِ السُّهُولَةِ، أَوْ إِظْهَارِ الْخَطِّ الْمَكْتُوبِ بِمِدَادٍ لَا يُرَى بِوَاسِطَةِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ لِلِكِتَابَةِ الْمَسْتُورَةِ..

وَفِي إِسْنَادِ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْكَثْرَةِ يُلْزَمُ الْإِبْجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ؛ وَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا يَكُونُ أَضْعَبَ الْأَشْيَاءِ! فَالسُّهُولَةُ فِي الْوَحْدَةِ وَاصِلَةٌ إِلَى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ، وَالصُّعُوبَةُ فِي الْكَثْرَةِ وَاصِلَةٌ إِلَى دَرَجَةِ الْاِمْتِنَاعِ.. وَبِحِكْمَةٍ أَنْ فِي الْوَحْدَةِ يُمَكِّنُ الْإِبْدَاعُ وَإِبْجَادُ «الْأَيْسِ مِنَ الْاَلَيْسِ»<sup>(١)</sup> يَعْنِي إِبْدَاعَ الْمَوْجُودِ مِنَ الْعَدَمِ الصَّرْفِ بِلَا مُدَّةٍ وَلَا مَادَّةٍ، وَإِفْرَاقَ الذَّرَاتِ فِي الْقَالِبِ

(١) الْاَيْسِ: الْمَوْجُود. وَالْاَلَيْسِ: الْمَعْدُوم.

الْعِلْمِيَّ بِلَا كُفَّةٍ وَلَا خِلْطَةٍ.. وَفِي الشُّرَكَةِ وَالْكَثْرَةِ لَا يُمَكِّنُ الْإِبْدَاعُ مِنَ الْعَدَمِ بِاتِّفَاقٍ كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ. فَلَا بُدَّ لَوْجُودِ ذِي حَيَاةٍ جَمْعُ ذَرَّاتٍ مُتَشَرِّعَةٍ فِي الْأَرْضِ وَالْعَنَاصِرِ، وَبِعَدَمِ الْقَالِبِ الْعِلْمِيَّ يَلْزَمُ لِمُحَافَظَةِ الذَّرَّاتِ فِي جِسْمِ ذِي الْحَيَاةِ وَجُودُ عِلْمٍ كُلِّيٍّ وَإِرَادَةٌ مُطْلَقَةٌ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّ الشُّرَكَاءَ مُسْتَغْنِيَةٌ عَنْهَا وَمُمْتَنِعَةٌ بِالذَّاتِ بِخَمْسَةِ وَجُوهِ مُتَدَاخِلَةٍ، وَالشُّرَكَاءُ الْمُسْتَغْنِيَةُ عَنْهَا وَالْمُمْتَنِعَةُ بِالذَّاتِ تَحْكُمِيَّةٌ مُحَضَّةٌ، لَا أَمَارَةَ عَلَيْهَا وَلَا إِشَارَةَ إِلَيْهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، إِذْ خَلَقَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَسْتَلْزِمُ قُدْرَةً كَامِلَةً غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ بِالضَّرُورَةِ، فَاسْتَغْنِي عَنِ الشُّرَكَاءِ.. وَلَا لَزِمَ تَحْدِيدُ وَانْتِهَاءُ قُدْرَةٍ كَامِلَةٍ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ فِي وَقْتِ عَدَمِ التَّنَاهِي بِقُوَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ، بِلَا ضَرُورَةٍ، مَعَ الضَّرُورَةِ فِي عَكْسِهِ. وَهُوَ مُحَالٌ فِي خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: فَامْتَنَعَتِ الشُّرَكَاءُ، مَعَ أَنَّ الشُّرَكَاءَ الْمُمْتَنِعَةَ بِتِلْكَ الْوُجُوهِ لَا إِشَارَةَ إِلَى وَجُودِهَا، وَلَا أَمَارَةَ عَلَى تَحَقُّقِهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ.

فَقَدْ اسْتَفْسَرْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ مِنَ الرَّسَالَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ: مِنَ الذَّرَّاتِ إِلَى السِّيَّارَاتِ، وَفِي الْمَوْقِفِ الثَّانِي: مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى التَّشْخِصَاتِ الْوَجْهِيَّةِ، فَأَعْطَتْ جَمِيعُهَا جَوَابَ رَدِّ الشُّرْكِ بِإِرَاءَةِ سِكَّةِ التَّوْحِيدِ.

فَكَمَا لَا شُرَكَاءَ لَهُ، كَذَلِكَ لَا مُعِينَ وَلَا وُزَرَءَ لَهُ. وَمَا الْأَسْبَابُ إِلَّا حِجَابٌ رَقِيقٌ عَلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ لَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ إِيْجَادِيٌّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ إِذْ أَشْرَفُ الْأَسْبَابِ وَأَوْسَعُهَا اخْتِيَارًا هُوَ الْإِنْسَانُ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهِ الْاخْتِيَارِيَّةِ - كَالْأَكْلِ وَالْكَلَامِ وَالْفِكْرِ - مِنْ مِثَالِ أَجْزَاءِ إِلَّا جُزْءٌ وَاحِدٌ مُشْكُوكٌ. فَإِذَا كَانَ السَّبَبُ الْأَشْرَفُ وَالْأَوْسَعُ اخْتِيَارًا مَغْلُوكٌ الْأَيْدِي عَنْ التَّصَرُّفِ الْحَقِيقِيِّ كَمَا تَرَى، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْبَهِيمَاتُ وَالْجَمَادَاتُ شَرِيكَاً فِي الْإِيْجَادِ وَالرُّبُوبِيَّةِ لَخَالَتِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَكَمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الظَّرْفُ الَّذِي وَضَعَ السُّلْطَانَ فِيهِ الْهَدِيَّةَ، أَوِ الْمَنْدِيلُ الَّذِي لَفَّ فِيهِ الْعَطِيَّةَ، أَوِ النَّفَرُ الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى يَدِهِ النِّعْمَةَ إِلَيْكَ؛ شُرَكَاءَ لِلْسُّلْطَانِ فِي سُلْطَتِهِ.. كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْأَسْبَابُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى أَيْدِيهِمُ النِّعَمَ إِلَيْنَا، وَالظَّرُوفُ الَّتِي هِيَ صَنَادِيقُ لِلنِّعَمِ الْمُدْخَرَةِ لَنَا، وَالْأَسْبَابُ الَّتِي التَّقَّتْ عَلَى عَطَايَا إِلَهِيَّةٍ مُهْدَاةٍ إِلَيْنَا؛ شُرَكَاءَ أَعْوَانَا أَوْ وَسَائِطَ مُؤَثَّرَةٍ.

## المرتبة الثانية

جَلَّ جَلَالُهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا، إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ الْأَرْضِيَّةُ وَالْأَجْرَامُ الْعُلَوِيَّةُ فِي بُسْتَانِ الْكَائِنَاتِ مُعْجَزَاتُ قُدْرَةِ خَلَّاقٍ عَلِيمٍ بِالْبِدَاهَةِ. وَهَذِهِ النَّبَاتَاتُ الْمُتَلَوَّنَةُ الْمُتَزَيَّنَةُ الْمَشْوَرَةُ، وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ الْمُتَبَرِّجَةُ الْمَشْوَرَةُ فِي حَدِيقَةِ الْأَرْضِ خَوَارِقُ صَنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ بِالضَّرُورَةِ. وَهَذِهِ الْأَزْهَارُ الْمُتَبَسِّمَةُ وَالْأَنْثَامُ الْمُتَزَيَّنَةُ فِي جَنَّاتٍ هَذِهِ الْحَدِيقَةُ هَذَايَا رَحْمَةً رَحْمَنٍ رَحِيمٍ بِالمُشَاهَدَةِ.. تَشْهَدُ هَاتِيكَ، وَتُنَادِي تَاكَ، وَتُعْلِنُ هَذِهِ بِأَنَّ خَلَّاقَ هَاتِيكَ، وَمُصَوِّرَ تَاكَ، وَوَاهِبَ هَذِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، تَسَاوَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ، وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْمُنْتَاهِي وَغَيْرِ الْمُنْتَاهِي، وَكُلُّ الْوُقُوعَاتِ الْمَاضِيَةِ وَغَرَائِبِهَا مُعْجَزَاتُ صَنْعَةِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، تَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ الصَّانِعَ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ الْإِمْكَانَاتِ الْاِسْتِبْطَالِيَّةِ وَعَجَائِبِهَا، إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ حَدِيقَةَ أَرْضِهِ مَشْهَرَ صَنْعَتِهِ، مَحْشَرَ فِطْرَتِهِ، مَظْهَرَ قُدْرَتِهِ، مَدَارَ حِكْمَتِهِ، مَزْهَرَ رَحْمَتِهِ، مَزْرَعَ جَنَّتِهِ، مَمَرَّ الْمَخْلُوقَاتِ، مَسِيلَ الْمَوْجُودَاتِ، مَكِيلَ الْمَصْنُوعَاتِ.

فَمَزَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ، مُنَقَّشَ الطُّيُورَاتِ، مُثَمَّرَ الشَّجَرَاتِ، مَزْهَرَ النَّبَاتَاتِ؛ مُعْجَزَاتٍ عِلْمِهِ، خَوَارِقُ صُنْعِهِ، هَذَايَا جُودِهِ، بَرَاهِينُ لُطْفِهِ.

تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ مِنْ زِينَةِ الْأَنْثَامِ، تَسْجُعُ الْأَطْيَارِ فِي نَسَمَةِ الْأَسْحَارِ، تَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ عَلَى خُدُودِ الْأَزْهَارِ، تَرْحُمُ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْأَطْفَالِ الصَّغَارِ، تَعْرِفُ وَدُودُ، تَوَدُّدُ رَحْمَنَ، تَرْحُمُ حَنَانٍ، تَحْنُنُ مَنَانٍ، لِلْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ، وَالرُّوحِ وَالْحَيَوَانِ وَالْمَلَكِ وَالْجَانِّ. وَالْبُدُورُ وَالْأَنْثَامُ، وَالْحُبُوبُ وَالْأَزْهَارُ مُعْجَزَاتُ الْحِكْمَةِ.. خَوَارِقُ الصَّنْعَةِ.. هَذَايَا الرَّحْمَةِ.. بَرَاهِينُ الْوَحْدَةِ.. شَوَاهِدُ لُطْفِهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ... شَوَاهِدُ صَادِقَةٌ بِأَنَّ خَلَّاقَهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ بِالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالصَّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ. فَالْشَّمْسُ كَالْبَذْرَةِ، وَالنَّجْمُ كَالزَّهْرَةِ، وَالْأَرْضُ كَالْحَبَّةِ، لَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالصَّنْعِ

والتَّصْوِيرِ. فَالْبُدُورُ وَالْأَثْمَارُ مَرَايَا الْوَحْدَةِ فِي أَقْطَارِ الْكَثْرَةِ، إِشَارَاتُ الْقَدَرِ، رُمُوزَاتُ الْقُدْرَةِ؛ بِأَنَّ تِلْكَ الْكَثْرَةَ مِنْ مَنَبِعِ الْوَحْدَةِ، تَصْدُرُ شَاهِدَةً لَوْحَدَةِ الْفَاطِرِ فِي الصَّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ. ثُمَّ إِلَى الْوَحْدَةِ تَنْتَهِي ذَاكِرَةُ لِحِكْمَةِ الصَّانِعِ فِي الْخَلْقِ وَالتَّنْدِيرِ.. وَتَلْوِيحَاتُ الْحِكْمَةِ بِأَنَّ خَالِقَ الْكُلِّ -بِكُلِّيَّةِ النَّظَرِ إِلَى الْجُزْئِيِّ- يَنْظُرُ ثُمَّ إِلَى جُزْئِهِ، إِذْ إِنْ كَانَ ثَمَرًا فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ مِنْ خَلْقِ هَذَا الشَّجَرِ. فَالْبَسَرُ ثَمَرٌ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ لِمَخْلُوقَاتِ الْمَوْجُودَاتِ. وَالْقَلْبُ كَالنُّوَاةِ، فَهُوَ الْمِرَاةُ الْأَنْوَرُ لِصَانِعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ فَالْإِنْسَانُ الْأَصْغَرُ فِي هَذِهِ الْكَائِنَاتِ هُوَ الْمَدَارُ الْأَظْهَرُ لِلنُّشْرِ وَالْمَحْشَرِ فِي هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ، وَالتَّخْرِيبِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّجْدِيدِ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ.

الله أكبر: يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي الْعُقُولَ لِكُنْهٍ عَظَمَتِهِ..

كه «لا إله إلا هو برابر می زند هر شیء

داماد مجوید: یا حق، سراسر کوید: یا حی»<sup>(١)</sup>

### المرتبة الثالثة<sup>(٢)</sup>

إيضاحها في رأس «الموقف الثالث من الرسالة الثانية والثلاثين».

جَلَّ جَلَالُهُ، اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا، إِذْ هُوَ الْقَدِيرُ الْمُقَدَّرُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْمُصَوِّرُ الْكَرِيمُ اللَّطِيفُ الْمَزِينُ الْمُنْعِمُ الْوَدُودُ الْمُتَعَرِّفُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمُتَحَنِّنُ الْجَمِيلُ ذُو الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ، النَّقَاشُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي: مَا حَقَائِقُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ كُلًّا وَأَجْزَاءً، وَصَحَائِفَ وَطَبَقَاتٍ، وَمَا حَقَائِقُ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيًّا وَجُزْئِيًّا وَجُودًا وَبَقَاءً.. إِلَّا خُطُوطُ قَلَمٍ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ بِتَنْظِيمٍ وَتَقْدِيرٍ وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ.. وَلَا تُقَوِّشُ بَرَكَارِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ بِصُنْعٍ وَتَصْوِيرٍ.. وَلَا تَزِينَاتٍ يَدُ بَيَاضٍ صُنْعِهِ وَتَصْوِيرِهِ وَتَزِينِهِ وَتَنْوِيرِهِ بِلُطْفٍ وَكَرَمٍ.. وَلَا أَزَاهِيرَ لَطَائِفِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَتَعْرِفِهِ وَتَوَدُّدِهِ بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ.. وَلَا ثَمَرَاتٍ قِيَاضٍ عَيْنِ رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ

(١) [الذي لا إله إلا هو يقابل كل شيء.. دائما يطلبون الحق، وأبدا يقولون: يا حي].

(٢) [هذه المرتبة الثالثة تأخذ بعين الاعتبار زهرة جزئية وحسنة جميلة، فالربيع الزاهر كذلك الزهرة والجنة العظيمة مثلها؛ إذ هما مظهران من مظاهر تلك المرتبة، كما أن العالم إنسان جميل وعظيم، وكذا الحور العين والروحانيات وجنس الحيوان وصف الإنسان.. كل منها كأنه في هيئة إنسان جميل يعكس صفحاته هذه الأسوأ التي تعكسها هذه المرتبة].  
(المؤلف).

وَتَرَحُّمِهِ وَتَحَنُّنِهِ بِجَمَالٍ وَكَمَالٍ.. وَلَا لَمَعَاتُ جَمَالٍ سَرْمَدِيٍّ وَكَمَالٍ دِيمُومِيٍّ بِشَهَادَةِ تَفَانِيَّةِ  
الْمَرَايَا وَسَيَالِيَّةِ الْمَظَاهِرِ، مَعَ دَوَامِ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ عَلَى مَرِّ الْفُصُولِ وَالْعُصُورِ وَالْأَدْوَارِ، وَمَعَ  
دَوَامِ الْإِنْعَامِ عَلَى مَرِّ الْأَنْتَامِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ.

نعم، تَفَانِي الْمِرْآةِ، زَوَالِ الْمَوْجُودَاتِ مَعَ التَّجَلِّيِ الدَّائِمِ مَعَ الْفَيْضِ الْمُلَازِمِ، مِنْ أَظْهَرِ  
الظُّوَاهِرِ، مِنْ أَبْهَرِ الْبَوَاهِرِ أَنَّ الْجَمَالَ الظَّاهِرَ، أَنَّ الْكَمَالَ الرَّاهِرَ لَيْسَا مُلْكُ الْمَظَاهِرِ، مِنْ  
أَفْصَحِ تَبْيَانٍ، مِنْ أَوْضَحِ بُرْهَانٍ لِلْجَمَالِ الْمُجَرَّدِ، لِلإِحْسَانِ الْمُجَدَّدِ، لِلوَاجِبِ الْوُجُودِ،  
لِلْبَاقِي الْوُدُودِ.

نعم، فَلَا تَرُ الْمُكْمَلُ، يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْمُكْمَلِ، ثُمَّ الْفِعْلُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ  
بِالضَّرُورَةِ عَلَى الْاسْمِ الْمُكْمَلِ، وَالْفَاعِلُ الْمُكْمَلُ. ثُمَّ الْاسْمُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِلا رَيْبٍ عَلَى  
الْوَصْفِ الْمُكْمَلِ. ثُمَّ الْوَصْفُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِلا شَكٍّ عَلَى الشَّأْنِ الْمُكْمَلِ. ثُمَّ الشَّأْنُ الْمُكْمَلُ  
يَدُلُّ بِالْيَقِينِ عَلَى كَمَالِ الذَّاتِ بِمَا يَلِيْقُ بِالذَّاتِ، وَهُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ.

### المرتبة الرابعة

جَلَّ جَلَالُهُ اللَّهُ أَكْبَرُ؛ إِذْ هُوَ الْعَدْلُ الْعَادِلُ الْحَكَمُ الْحَاكِمُ الْحَكِيمُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي أَسَّسَ  
بُيْنَانَ شَجَرَةِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ بِأُصُولٍ مَسِيئَةٍ وَحَكْمَتِهِ، وَفَصَّلَهَا بِدَسَاتِيرِ قَضَائِهِ  
وَقَدَرِهِ، وَنَظَّمَهَا بِقَوَانِينِ عَادَتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَزَيَّنَهَا بِنَوَامِيسِ عِنَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَنَوَّرَهَا بِجَلَوَاتِ  
أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: بِشَهَادَاتِ انْتِظَامَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ، وَتَزْيِّنَاتِ مَوْجُودَاتِهِ وَتَشَابُهِهَا وَتَنَاسُبِهَا  
وَتَجَاوُزِهَا وَتَعَاوُنِهَا وَتَعَانُقِهَا، وَاتِّقَانِ الصَّنْعَةِ الشُّعُورِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، عَلَى مِقْدَارِ قَامَةِ قَابِلِيَّتِهِ  
الْمُقَدَّرَةِ بِتَقْدِيرِ الْقَدَرِ.

فَالْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ فِي تَنْظِيمَاتِهَا، وَالْعِنَايَةُ النَّامَةُ فِي تَرْيِّنَاتِهَا، وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِي  
تَلَطِيفَاتِهَا، وَالْأَرْزَاقُ وَالْإِعَاشَةُ الشَّامِلَةُ فِي تَرْبِيَّتِهَا، وَالْحَيَاةُ الْعَجِيبَةُ الصَّنْعَةُ بِمَظْهَرِ بَيْتِهَا  
لِلشُّوْنِ الدَّائِيَّةِ لِفَاطِرِهَا، وَالْمَحَاسِنُ الْقَضِيَّةُ فِي تَحْسِينَاتِهَا، وَدَوَامُ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ الْمُعْكَسِ  
مَعَ زَوَالِهَا، وَالْعَشْقُ الصَّادِقُ فِي قَلْبِهَا لِمَعْبُودِهَا، وَالْإِنْجِدَابُ الظَّاهِرُ فِي جَذَبَتِهَا، وَاتِّفَاقُ  
كُلِّ كُمْلِهَا عَلَى وَحْدَةِ فَاطِرِهَا، وَالتَّصَرُّفُ لِمَصَالِحِ فِي أَجْزَائِهَا، وَالتَّنْذِيرُ الْحَكِيمُ لِنَبَاتَاتِهَا،



والتَّربِيَةُ الكَرِيمَةُ لِحَيَوَانَاتِهَا، وَالانْتِظَامُ الْمُكْمَلُ فِي تَغْيِرَاتِ أَرْكَانِهَا، وَالْغَايَاتُ الْجَسِيمَةُ فِي انْتِظَامِ كُلِّيَّتِهَا، وَالْحُدُوثُ دَفْعَةً مَعَ غَايَةٍ كَمَالٍ حُسْنِ صَنْعَتِهَا، بِلا احتِياجٍ إِلَى مُدَّةٍ وَمَادَّةٍ، وَالتَّشَخُّصَاتُ الْحَكِيمَةُ مَعَ عَدَمِ تَحْدِيدِ تَرَدُّدِ امْكَانَاتِهَا، وَقَضَاءُ حَاجَاتِهَا عَلَى غَايَةٍ كَثُرَتْهَا وَتَنَوَّعَتْ فِي أَوَقَاتِهَا اللَّائِقَةِ الْمُنَاسِبَةِ - مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ - مَعَ قَصْرِ أَيْدِيهَا مِنْ أَصْغَرِ مَطَالِبِهَا، وَالْقُوَّةُ الْمُطْلَقَةُ فِي مَعْدِنِ ضَعْفِهَا، وَالْقُدْرَةُ الْمُطْلَقَةُ فِي مَنَبَعِ عَجْزِهَا، وَالْحَيَاةُ الظَّاهِرَةُ فِي جُمُودِهَا، وَالشُّعُورُ الْمُحِيطُ فِي جَهْلِهَا، وَالانْتِظَامُ الْمُكْمَلُ فِي تَغْيِرَاتِهَا الْمُسْتَلَزِمِ لَوْجُودِ الْمُغْيِرِ الْغَيْرِ الْمُتَغَيِّرِ. وَالْإِتْقَانُ فِي تَنْسِيحَاتِهَا - كَالدَّوَائِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ الْمُتَّحِدَةِ الْمَرْكَزِ - وَالْمَقْبُولِيَّةُ فِي دَعَوَاتِهَا الثَّلَاثِ: بِلِسَانِ اسْتِعْدَادِهَا وَبِلِسَانِ احْتِيَاجَاتِهَا الْفِطْرِيَّةِ وَبِلِسَانِ اضْطِرَارِهَا، وَالْمُنَاجَاتِ وَالشُّهُودَاتِ وَالْفُيُوضَاتِ فِي عِبَادَاتِهَا، وَالانْتِظَامُ فِي قَدَرِهَا، وَالْأُطْمِئْنَانُ بِذِكْرِ فَاطِرِهَا، وَكَوْنُ الْعِبَادَةِ فِيهَا خَيْطَ الْوُصْلَةِ بَيْنَ مُنْتَهَايَا وَمَبْدَئِهَا، وَسَبَبُ ظُهُورِ كَمَالِهَا، وَلِتَحَقِّقَ مَقَاصِدَ صَانِعِهَا وَهَكَذَا.. بِسَائِرِ سُؤْوَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا.. شَاهِدَاتٌ بِأَنَّهَا كُلُّهَا بِتَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ وَاحِدٍ، وَفِي تَرْبِيَةِ مُرَبِّ كَرِيمٍ أَحَدٍ صَمَدٍ، وَكُلُّهَا خُدَامُ سَيِّدٍ وَاحِدٍ، وَتَحْتَ تَصَرُّفٍ مُتَصَرِّفٍ وَاحِدٍ وَمَصْدَرُهُمْ قُدْرَةُ وَاحِدٍ، الَّذِي تَظَاهَرَتْ وَتَكَاثَرَتْ خَوَاتِيمُ وَخُدَّتِهِ عَلَى كُلِّ مَكْتُوبٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ مَوْجُودَاتِهِ.

نَعَمْ، فَكُلُّ زَهْرَةٍ وَتَمَرٍ، وَكُلُّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، بَلْ كُلُّ حَيَوَانٍ وَحَجَرٍ، بَلْ كُلُّ دَرٍّ وَمَدَرٍ، فِي كُلِّ وَادٍ وَجَبَلٍ، وَكُلُّ بَادٍ وَقَفِرٍ.. خَاتَمٌ بَيْنَ النَّقْشِ وَالْأَثَرِ، يُظْهِرُ لِدَقَّةِ النَّظَرِ أَنَّ ذَا ذَاكَ الْأَثَرُ هُوَ كَاتِبُ ذَاكَ الْمَكَانِ بِالْعَبْرِ، فَهُوَ كَاتِبُ ظَهْرِ الْبَرِّ وَبَطْنِ الْبَحْرِ، فَهُوَ نَقَّاشُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي صَحِيفَةِ السَّمَاوَاتِ ذَاتِ الْعَبْرِ جَلَّ جَلَالُ نَقَّاشِهَا اللَّهُ أَكْبَرُ.

كه لا إله إلا هو برابر می زند عالم<sup>(١)</sup>

### المرتبة الخامسة<sup>(٢)</sup>

جَلَّ جَلَالُهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ؛ إِذْ هُوَ الْخَالِقُ الْقَدِيرُ الْمُصَوِّرُ الْبَصِيرُ الَّذِي هَذِهِ الْأَجْرَامُ الْعُلَوِيَّةُ وَالْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ نَسِيبَاتُ بَرَاهِينِ أُلُوهِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَشُعَاعَاتُ شَوَاهِدِ رَبُّوبِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ، تَشْهَدُ

(١) [حيث إن «لا إله إلا هو» أعظم من العالم].

(٢) [لقد وضحت هذه المرتبة في ذيل الموقف الأول من «الكلمة الثانية والثلاثين» وفي المقام الثاني من «المكتوب العشرين» (المؤلف).]

وَتُنَادِي عَلَى شَعْشَعَةِ سُلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَتُنَادِي عَلَى وَسْعَةِ حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَلَى حِشْمَةِ عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ.

فَاسْتَمِعْ إِلَى آيَةٍ: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا.. ﴾ (ق:٦) إلخ.. ثُمَّ انْظُرْ إِلَى وَجْهِ السَّمَاءِ: كَيْفَ تَرَى سُكُوتًا فِي سُكُونَةٍ، حَرَكَةً فِي حِكْمَةٍ، تَلَأُلُوهَا فِي حِشْمَةٍ، تَبَسُّمًا فِي زِينَةٍ؛ مَعَ انْتِظَامِ الْخِلْقَةِ مَعَ اتِّزَانِ الصَّنْعَةِ.. تَشْعُشُعُ سِرَاجِهَا لِتَبْدِيلِ الْمَوَاسِمِ، تَهْلُهْلُ مُضَابِحِهَا لِتَنْوِيرِ الْمَعَالِمِ، تَلَأُلُو نُجُومِهَا لِتَزِينِ الْعَوَالِمِ.. تُعْلِنُ لِأَهْلِ النُّهَى سُلْطَنَةَ بِلَا انْتِهَاءٍ لِتَدْبِيرِ هَذَا الْعَالَمِ.

فَذَلِكَ الْخَلْقُ الْقَدِيرُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ شَامِلَةٍ «مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ». وَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ذَاتِيَّةٍ. وَكَمَا لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ هَذِهِ الشَّمْسِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِلَا ضِيَاءٍ وَلَا حَرَارَةٍ، كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ إِلَهٍ خَالِقٍ لِلْسَّمَاءَاتِ بِلَا عِلْمٍ مُحِيطٍ وَبِلَا قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ.. فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لَا زِمَ ذَاتِيٍّ لِلذَّاتِ يَلْزِمُ تَعَلُّقَ ذَلِكَ الْعِلْمِ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْفَكَ عَنْهُ شَيْءٌ؛ بِسِرِّ الْحُضُورِ وَالشُّهُودِ وَالنُّفُوذِ وَالْإِحَاطَةِ التَّوْرَانِيَّةِ.

فَمَا يُشَاهَدُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ: مِنَ الْإِنْتَظَامَاتِ الْمَوْزُونَةِ، وَالْإِتْرَانَاتِ الْمُنْظُومَةِ، وَالْحِكْمِ الْعَامَّةِ، وَالْعِنَايَاتِ التَّامَّةِ، وَالْأَقْدَارِ الْمُنتَظِمَةِ، وَالْأَقْصِيَّةِ الْمُثْمِرَةِ، وَالْأَجَالِ الْمُعَيَّنَةِ، وَالْأَرْزَاقِ الْمُقَنَّنَةِ، وَالْإِتْقَانَاتِ الْمُقَنَّنَةِ، وَالْإِهْتِمَامَاتِ الْمُزَيَّنَةِ، وَغَايَةِ كَمَالِ الْإِمْتِيَازِ، وَالْإِتْرَانِ، وَالْإِنْتَظَامِ، وَالْإِتْقَانِ، وَالشُّهُولَةِ الْمُطْلَقَةِ.. شَاهِدَاتٌ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِ عَلَامِ الْغُيُوبِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّ آيَةَ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك:١٤). تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوُجُودَ فِي الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِهِ، وَتَوَرُّ الْوُجُودِ فِي الْأَشْيَاءِ يَسْتَلْزِمُ تَوَرُّ الْعِلْمِ فِيهَا. فَنِسْبَةُ دَلَالَةٍ حَسَنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى شُعُورِهِ، إِلَى نِسْبَةِ دَلَالَةِ خِلْقَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى عِلْمِ خَالِقِهِ، كَنِسْبَةِ لُمِيعَةِ نُجَيْمَةِ الذُّبْيَةِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّهْمَاءِ إِلَى شَعْشَعَةِ الشَّمْسِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى وَجْهِ الْغُبَرَاءِ.

وَكَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ مُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ شَيْءٌ بِدُونِ مَشِيئَتِهِ. وَكَأَنَّ الْقُدْرَةَ تَوَثَّرَتْ وَأَنَّ الْعِلْمَ يُمَيِّزُ، كَذَلِكَ إِنَّ الْإِرَادَةَ تُخَصِّصُ ثُمَّ يَتَحَقَّقُ وُجُودُ الْأَشْيَاءِ.

فَالشَّوَاهِدُ عَلَى وُجُودِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى وَاخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ بِعَدَدِ كَيْفِيَّاتِ الْأَشْيَاءِ وَأَحْوَالِهَا وَشُرُُونَاتِهَا.

نعم، فَتَنْظِيمُ الْمَوْجُودَاتِ وَتَخْصِيصُهَا بِصِفَاتِهَا مِنْ بَيْنِ الْإِمْكَانَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الطَّرِيقِ الْعَقِيمَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمُشَوَّشَةِ، وَتَحْتَ أَيْدِي السُّيُولِ الْمُتَشَاكِسَةِ، بِهَذَا النِّظَامِ الْأَدَقِّ الْأَرَقِّ، وَتَوَازِينِهَا بِهَذَا الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ الْجَسَّاسِ الْمُشْهُودِينَ.. وَأَنَّ خَلْقَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمُنتَظِمَاتِ الْحَيَوِيَّةِ مِنَ الْبَسَائِطِ الْجَامِدَةِ - كَالْإِنْسَانِ بِجِهَازَاتِهِ مِنَ النُّطْفَةِ، وَالطَّيْرِ بِجَوَارِحِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَالشَّجَرِ بِأَعْضَائِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ مِنَ النَّوَاءِ - تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَخْصِصَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَعْيِينَهُ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ.

فَكَمَا أَنَّ تَوَافُقَ الْأَشْيَاءِ مِنْ جِنْسٍ وَالْأَفْرَادِ مِنْ نَوْعٍ، فِي أُسَاسَاتِ الْأَعْضَاءِ، يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلَى أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ.. كَذَلِكَ إِنَّ تَمَازِيْرَهَا فِي التَّشْخِصَاتِ الْحَكِيمَةِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى عِلَامَاتٍ فَارِقَةٍ مُنْتَظِمَةٍ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ هُوَ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ مُرِيدٌ.. يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. جَلَّ جَلَالُهُ.

وَكَمَا أَنَّ ذَلِكَ الْخَلْقَ الْعَلِيمَ الْمُرِيدَ؛ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَمُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَهُ عِلْمٌ مُحِيطٌ وَإِرَادَةٌ شَامِلَةٌ وَاخْتِيَارٌ تَامٌ.. كَذَلِكَ لَهُ قُدْرَةٌ كَامِلَةٌ ضَرُورِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ نَاشِئَةٌ مِنَ الذَّاتِ وَلَا زِمَةٌ لِلذَّاتِ. فَمُحَالٌ تَدَاخُلُ ضِدُّهَا، وَإِلَّا لَزِمَ جَمْعُ الضَّدِّيْنِ الْمُحَالِ بِالِاتِّفَاقِ، فَلَا مَرَاتَبَ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ، فَتَتَسَاوَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ، وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكُلِّيُّ، وَالْجُزْءُ وَالْكُلُّ، وَالْإِنْسَانُ وَالْعَالَمُ، وَالنَّوَاءُ وَالشَّجَرُ؛ بِسِرِّ الثَّوَرَانِيَّةِ، وَالشَّفَافِيَّةِ، وَالْمُقَابَلَةِ، وَالْمُوَازَنَةِ، وَالِاتِّظَامِ، وَالِامْتِثَالِ؛ بِشَهَادَةِ الْإِنْتِظَامِ الْمُطْلَقِ، وَالِاتِّزَانِ الْمُطْلَقِ، وَالِامْتِيَازِ الْمُطْلَقِ، فِي السَّرْعَةِ وَالسَّهُولَةِ وَالْكَثَرَةِ الْمُطْلَقَاتِ. بِسِرِّ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ، وَيُسْرِ الْوَحْدَةِ، وَتَجَلِّيِ الْأَحَدِيَّةِ؛ بِحِكْمَةِ الْوُجُوبِ، وَالتَّجَرُّدِ، وَمُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ. بِسِرِّ عَدَمِ التَّقْيِيدِ، وَعَدَمِ التَّحْزِيرِ، وَعَدَمِ التَّجْزُؤِ. بِحِكْمَةِ انْقِلَابِ الْعَوَاقِبِ وَالْمَوَانِعِ إِلَى الْوَسَائِلِ فِي التَّسْهِيلِ إِنْ احْتِيَاجَ إِلَيْهِ. وَالحَالُ أَنَّهُ لَا احْتِيَاجَ كَأَعْصَابِ الْإِنْسَانِ وَالْخُطُوطِ الْحَدِيدِيَّةِ لِنَقْلِ السِّيَّالَاتِ اللَّطِيفَةِ؛ بِحِكْمَةِ أَنَّ الذَّرَّةَ وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ وَالْقَلِيلَ وَالصَّغِيرَ وَالْإِنْسَانَ وَالنَّوَاءَ لَيْسَتْ بِأَقْلَ جَزَائِلَ مِنَ النَّجْمِ وَالنَّوْعِ وَالْكُلِّ

وَالْكُلِّيَّ وَالْكَثِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالْعَالَمَ وَالشَّجَرِ. فَمَنْ خَلَقَ هَؤُلَاءِ لَا يُسْتَبَعَدُ مِنْهُ خَلْقُ هَذِهِ؛ إِذِ الْمُحَاطَاتُ كَالْأَمَثَلَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ أَوْ كَالنَّقْطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعَصَّرَةِ؛ فَلَا بُدَّ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الْمُحِيطُ فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِ خَالِقِ الْمُحَاطِ، لِيُذَرِّجَ مِثَالَ الْمُحِيطِ فِي الْمُحَاطَاتِ بِدَسَاتِيرِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَغْصِرَهَا مِنْهُ بِمَوَازِينِ حِكْمَتِهِ. فَالْقُدْرَةُ الَّتِي أَبْرَزْتَ هَاتِكَ الْجُزْئِيَّاتِ لَا يَتَعَسَّرُ عَلَيْهَا إِبْرَارُ تَاكَ الْكُلِّيَّاتِ.

فَكَمَا أَنَّ نُسخَةَ قُرْآنِ الْحِكْمَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ بِذَرَّاتِ الْأَثِيرِ؛ لَيْسَتْ بِأَقْلَ جَزَائِلَ مِنْ نُسخَةِ قُرْآنِ الْعِظَمَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى صَحَائِفِ السَّمَاوَاتِ بِإِمْدَادِ النُّجُومِ وَالشُّمُوسِ.. كَذَلِكَ لَيْسَتْ خِلْقَةُ نَخْلَةٍ وَتَمْلِئَةُ بِأَقْلَ جَزَائِلَ مِنْ خِلْقَةِ النَّخْلَةِ وَالْفِيلِ، وَلَا صَنْعُهُ وَرْدِ الزُّهْرَةِ بِأَقْلَ جَزَائِلَ مِنْ صَنْعَةِ دُرِّيِّ نَجْمِ الزُّهْرَةِ. وَهَكَذَا فَيَقْسُ. فَكَمَا أَنَّ غَايَةَ كَمَالِ السُّهُولَةِ فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ أَوْقَعَتْ أَهْلَ الصَّلَاةِ فِي التَّيَّاسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشْكُلِ، الْمُسْتَلْزِمِ لِلْمَحَالَّاتِ الْخُرَافِيَّةِ الَّتِي تَمْجُهَا الْعُقُولُ، بَلْ تَتَنَفَّرُ عَنْهَا الْأَوْهَامُ.. كَذَلِكَ أَثْبَتَتْ بِالْقَطْعِ وَالضَّرُورَةِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ تَسَاوِي السِّيَارَاتِ مَعَ الذَّرَّاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ. جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ شَأْنُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

### المرتبة السادسة<sup>(١)</sup>

جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ شَأْنُهُ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا؛ إِذْ هُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ الْقَادِرُ الْعَلِيمُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ السُّلْطَانُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي هَذِهِ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا فِي تَصَرُّفِ قَبْضَتِي نِظَامِهِ وَمِيزَانِهِ، وَتَنْظِيمِهِ وَتَوْزِينِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَظْهَرُ سِرِّ وَاحِدِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ، بَلْ بِالْمُشَاهَدَةِ؛ إِذْ لَا خَارِجَ فِي الْكَوْنِ مِنْ دَائِرَةِ النِّظَامِ وَالْمِيزَانِ، وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ. وَهُمَا بَابَانِ مِنْ «الْإِمَامِ الْمُبِينِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ»، وَهُمَا عُنَوَانَانِ لِعِلْمِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ وَأَمْرِهِ، وَقُدْرَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَإِرَادَتِهِ. فَذَلِكَ النِّظَامُ مَعَ ذَلِكَ الْمِيزَانِ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَعَ ذَلِكَ الْإِمَامِ بُرْهَانَانِ نَبِيِّنِ؛ لِمَنْ لَهُ فِي رَأْسِهِ إِذْعَانُ وَفِي وَجْهِهِ عَيْنَانِ؛ أَنْ لَا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَوْنِ وَالزَّمَانِ، يَخْرُجُ مِنْ قَبْضَةِ تَصَرُّفِ رَحْمَنِ، وَتَنْظِيمِ حَنَّانٍ وَتَرْزِينِ مَنَّانٍ وَتَوْزِينِ دَيَّانٍ.

(١) [لو كتبت هذه المرتبة السادسة كسائر المراتب لطالت جدا، لأن «الإمام المبين والكتاب المبين» لا يمكن بيانها باختصار، وحيث إننا ذكرنا نبذة منها في «الكلمة الثلاثين» فقد أجلنا هنا، إلا أننا سردنا بعض الإيضاحات أثناء الدرس]. (المؤلف).

الحَاصِلُ: أَنَّ تَجَلِّيَ الْإِسْمِ «الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ» فِي الْخَلَاقِيَّةِ، النَّاطِرِينَ إِلَى الْمَبْدِإِ وَالْمُنْتَهَى، وَالْأَصْلِ وَالنَّسْلِ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَالْأَمْرِ وَالْعِلْمِ، مُشِيرَانِ إِلَى «الإمام المُبِينِ». وَتَجَلِّيَ الْإِسْمِ «الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ» عَلَى الْأَشْيَاءِ فِي ضَمَنِ الْخَلَاقِيَّةِ، يُشِيرَانِ إِلَى «الكِتَابِ الْمُبِينِ».

فَالْكَائِنَاتُ كَشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ، وَكُلُّ عَالَمٍ مِنْهَا أَيْضًا كَالشَّجَرَةِ. فَنُمَثِّلُ شَجَرَةَ جُزْئِيَّةٍ لِمَخْلَقَةِ الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا وَعَوَالِمِهَا. وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ الْجُزْئِيَّةُ لَهَا أَصْلٌ وَمَبْدَأٌ، وَهُوَ النَّوَاءُ الَّتِي تَنْبُتُ عَلَيْهَا. وَكَذَا نَسْلٌ يُدِيمُ وَظِيفَتَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا؛ وَهُوَ النَّوَاءُ فِي ثَمَرَاتِهَا. فَالْمَبْدَأُ وَالْمُنْتَهَى مَظْهَرَانِ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ «الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ»، فَكَأَنَّ الْمَبْدَأَ وَالنَّوَاءَ الْأَصْلِيَّةَ بِالْإِنْتِظَامِ وَالْحِكْمَةِ فَهَرِسَتُهُ، وَتَعْرِفُهُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ دَسَاتِيرِ تَشَكُّلِ الشَّجَرَةِ، وَالنَّوَاتَاتِ فِي ثَمَرَاتِهَا الَّتِي فِي نَهَايَاتِهَا مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ «الْآخِرِ».

فَتِلْكَ النَّوَاتَاتُ فِي الثَّمَرَاتِ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ كَأَنَّهَا صُنَيْدِقَاتٌ صَغِيرَةٌ أودَعَتْ فِيهَا فَهَرِسَتَهُ وَتَعْرِفَتَهُ لِتَشَكُّلِ مَا يُشَابِهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ وَكَأَنَّهَا كُتِبَ فِيهَا بِقَلَمِ الْقَدَرِ دَسَاتِيرُ تَشَكُّلِ شَجَرَاتٍ آتِيَةٍ. وَظَاهِرُ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ «الظَّاهِرِ». فَظَاهِرُهَا بِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ وَالتَّزْيِينِ وَالْحِكْمَةِ كَأَنَّهَا حُلَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ مَرْبَنَةٌ مَرْصَعَةٌ، قَدْ قُدَّتْ عَلَى مِقْدَارِ قَامَتِهَا بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْعِنَايَةِ. وَبَاطِنُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الْإِسْمِ «الْبَاطِنِ»، فَبِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ وَالتَّدْبِيرِ الْمُخْبِرِ لِلْعُقُولِ، وَتَوْزِيعِ مَوَادِّ الْحَيَاةِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ بِكَمَالِ الْإِنْتِظَامِ، كَأَنَّ بَاطِنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَا كَيْنَتْ خَارِقَةٌ فِي غَايَةِ الْإِنْتِظَامِ وَالْإِتْرَافِ. فَكَمَا أَنَّ أَوَّلَهَا تَعْرِفَةٌ عَجِيبَةٌ، وَآخِرُهَا فَهَرِسَتُهُ خَارِقَةٌ يُشِيرَانِ إِلَى «الإمام المُبِينِ».. كَذَلِكَ إِنَّ ظَاهِرَهَا كَحُلَّةٍ عَجِيبَةٍ الصَّنْعَةِ، وَبَاطِنُهَا كَمَا كَيْنَتْ فِي غَايَةِ الْإِنْتِظَامِ، يُشِيرَانِ إِلَى «الكِتَابِ الْمُبِينِ». فَكَمَا أَنَّ الْقُوَّاتِ الْحَافِظَاتِ فِي الْإِنْسَانِ تُشِيرُ إِلَى «اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ» وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، كَذَلِكَ إِنَّ النَّوَاتَاتِ الْأَصْلِيَّةَ وَالثَّمَرَاتِ تُشِيرَانِ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ إِلَى «الإمام المُبِينِ»، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ يَرْمُزَانِ إِلَى «الكِتَابِ الْمُبِينِ». فَقَسَّ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْجُزْئِيَّةِ شَجَرَةَ الْأَرْضِ بِمَاضِيهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا، وَشَجَرَةَ الْكَائِنَاتِ بِأَوَائِلِهَا وَآتِيَا، وَشَجَرَةَ الْإِنْسَانِ بِأَجْدَادِهَا وَأَنْسَالِهَا. وَهَكَذَا جَلَّ جَلَالُ خَالِقِهَا وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.. يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي الْعُقُولَ لَوْصِفِ عَظَمَتِهِ، وَلَا تَصِلُ الْأَفْكَارُ إِلَى كُنْهِ جَبَرُوتِهِ.

## المرتبة السابعة

جَلَّ جَلَالُهُ، اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْفَتَّاحُ الْفَعَّالُ الْعَلَّامُ  
 الْوَهَّابُ الْفَيَّاضُ،<sup>(١)</sup> سَمَسُ الْأَزَلِ الَّذِي: هَذِهِ الْكَائِنَاتُ بِأَنْوَاعِهَا وَمَوْجُودَاتِهَا ظِلَالٌ أَنْوَارُهُ،  
 وَأَثَارُ أَفْعَالِهِ، وَأَلْوَانُ نُقُوشِ أَنْوَاعِ تَجَلِّيَّاتِ أَسْمَائِهِ، وَخُطُوطُ قَلَمِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَمَرَايَا تَجَلِّيَّاتِ  
 صِفَاتِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ؛ بِاجْتِمَاعِ الشَّاهِدِ الْأَزَلِيِّ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ وَأَيَاتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ  
 وَالْقُرْآنِيَّةِ، وَبِاجْتِمَاعِ الْأَرْضِ مَعَ الْعَالَمِ بِافْتِقَارَاتِهَا وَاحْتِيَاجَاتِهَا فِي ذَاتِهَا وَذَرَائِهَا مَعَ تَظَاهِرِ  
 الْغِنَاءِ الْمُطْلَقِ وَالثَّرْوَةِ الْمُطْلَقَةِ عَلَيْهَا؛ وَبِاجْتِمَاعِ كُلِّ أَهْلِ الشُّهُودِ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ النَّيِّرَةِ،  
 وَالْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ، وَالْعُقُولِ النُّورَانِيَّةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ بِجَمِيعِ تَحْقِيقَاتِهِمْ  
 وَكُشُوفَاتِهِمْ وَفُيُوضَاتِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ. قَدْ اتَّفَقَ الْكُلُّ مِنْهُمْ، وَمِنْ الْأَرْضِ وَالْأَجْرَامِ الْعُلُويَّةِ  
 وَالسُّفْلِيَّةِ بِمَا لَا يُحَدُّ مِنْ شَهَادَاتِهِمْ الْقَطْعِيَّةِ وَتَصْدِيقَاتِهِمْ الْبَقِينِيَّةِ بِقُبُولِ شَهَادَاتِ الْآيَاتِ  
 التَّكْوِينِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ وَشَهَادَاتِ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ السَّمَائِيِّ الَّتِي هِيَ شَهَادَةُ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ  
 عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ: أَثَارُ قُدْرَتِهِ وَمَكْتُوبَاتِ قَدْرِهِ وَمَرَايَا أَسْمَائِهِ وَتَمَثُّلَاتِ أَنْوَارِهِ.

جَلَّ جَلَالُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..

(١) [يمكن الانتقال إلى المسمى ذي الجلال والإكرام بالنظر بمنظار هذه الأسماء المباركة إلى مظاهر الأفعال والآثار الإلهية وراء هذه الموجودات]. (المؤلف)

## خاتمة

في مسائل مشهودة متفرقة

## المسألة الأولى

اعلم أني أقول مادمتُ حيا، كما قال مولانا جلال الدين الرومي قدس سرّه:

من بنده قرآء آكر جان دارم من خاك راه محمد مختاره م<sup>(١)</sup>

لأنني أرى القرآن منبع كل الفيوض، وما في آثاري من محاسن الحقائق ما هو إلا من فيض القرآن. فلهذا لا يرضى قلبي أن يخلو أثر من آثاري من ذكر نبذ من مزايا إعجاز القرآن. ولقد ذكرتُ في [اللوامع] أنواع إعجاز القرآن البالغة إلى نيف وأربعين نوعا. أذكرُ هنا تبركا مسألة فقط؛ هي هذه:

انظر إلى مَنْ قال؟ ولَمْ قال؟ وفيم قال؟

نعم، إن متابع علو طبقة الكلام؛ وقوّته وحسنه وجماله أربعة: المتكلم، والمخاطب، والمقصد، والمقام. لا المقام فقط.. كما ضلّ فيه الأدباء. وكذا إن الكلام لفظه ليس جسدا بل لباس له، ومعناه ليس روحا بل بدن له. وما حياته إلا من نية المتكلم وحسّه. وما روحه إلا معنى منفوخ من طرف المتكلم. فالكلام إن كان أمرا أو نهيا فقد يتضمن الإرادة والقدرة بحسب درجة المتكلم، فتتضاعف علويّة الكلام وقوته.

نعم؛ أين صورة أمر فضولي ناشئ من أمني التمني وهو غير مسموع، وأين الأمر الحقيقي النافذ المتضمن للإرادة والقدرة؟ فانظر أين: ﴿يَا أَرْضُ أَبْلَغِي مَاءِي وَنَسَمَاءِي أَقْلِي﴾ (هود: ٤٤) وأين خطاب البشر للجّمادات كهذيانات المبرسمين: «اسكني يا أرض وانشقي يا سماء وقومي يا أيتها القيامة».. وكذا أين أمر أميرٍ مطّاعٍ لجيش عظيم مطيع بـ«آرش!». واهجموا على أعداء الله، فهجموا وغلبوا، ثم أين هذا الأمر إذا صدر من حقير لا يُبالى به وبأمره.. وكذا أين تصوير مالِكٍ حقيقي، وأمرٍ مؤثّرٍ أمره، نافذٍ حكمه، وصانع وهو يصنع،

(١) [مادمتُ حيا فأنا خادِم القرآن.. وأنا تراب سبيل محمد المصطفى].

ومُنعمٌ وهو يُحسن قد شرع يصوّر أفاعيله، يقول: فعلتُ كذا وكذا.. فعل هذا وذاك.. صيرتُ لبيكم الأرضَ فرشاً والسماءَ سقفاً، ثم أين تصويرُ فضولي وبحثه عن أفاعيلٍ لا تماسَّ له بها.. وكذا أين أعيانُ النجومِ ثم أين ثائيلها الصغيرة السيالة -التي لا هي موجودة ولا معدومة- المريئيةُ في الزُجيجات؟ نعم، أين ملائكةُ كلماتِ كلامِ خالقِ الشمس والقمر، ثم أين زناييرُ مزاميرِ مزوَّراتِ البشر؟.. وكذا أين ألفاظُ القرآن التي هي أصدافُ الهدى والحقائق الإيانية والأساسات المنبثّة من عرش الرحمن مع تضمن اللفظ للخطاب الأزلي وللعلم والقدرة والإرادة، ثم أين ألفاظُ الإنسان الهوائية الواهية الهوسية؟<sup>(١)</sup>.. وكذا أين شجرةُ تفرعت وأورقت وأزهرت وأنثرت، ثم أين المعجونُ الذي اتخذهُ أحدٌ من بعض ثمراتها بتغيير صورة الثمرات وإزالة العقدة الحياتية منها مع مزجها بيهادة أخرى؟

نعم، إن القرآن أنبتَ شجرةً هكذا فانقلبت كلُّ نوياته دساتيرَ عملية وأشجاراً مثمرةً، تشكّل وتركّب منها هذا العالمُ الإسلامي بمعنوياته وأعماله، فأخذ منها كلُّ الأفكار فتصرّف فيها إلى الآن حتى صارت حقائقهُ العلوية العالية علوماً متعارفةً ومُسَلِّماتٍ، فيقوم أحدٌ ويأخذ من تلك الحقائق ويتصرف فيها بتغيير الصورة، فتزيل منها العقدة الحياتية. ثم على زعمه يزينها بتهوسه، فيوازن ذوقهُ الفاسد بينه وبين الآيات. فكيف يمكن الموازنة بين الصورة العرَضية التابعة المنحوتة بهوس الصبيان في جواهر منتظمة ودرر متشورة، وبين تلك الجواهر والدرر نفسها؟

ولقد شاهدتُ أن مشاهدة جمال القرآن تابعةٌ لدرجة سلامة القلب وصحته؛ فمريضُ القلب لا يشاهد إلّا ما يشوّه له مرضه. فأسلوب القرآن والقلبُ كلاهما مرآتان ينعكس كلُّ واحدٍ في الآخر.

### نكتة (٢) ..... (٣)

- (١) الهوس: مصدر هاس: وهو طرف من الجنون وخفة العقل.  
 (٢) النكتة: هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها (التعريفات للجرجاني).  
 (٣) في (ط ١): نكتة: اعلم أن ما يُرى على كل شئ من أثر الشعور والعلم والبصر فيه إطلاق يشير إلى عدم التناهي، لا يتيسر للمقيّد المنتهي -من الشعور والعلم والبصر- ذلك التأثير. وإن ذرة الإطلاق وعدم التناهي أجل وأعظم بلا حدٍّ من المحدود المقيّد.. فإن شئت تقرب هذه الحقيقة إلى الفهم فانظر إلى «عالم المثال» الذي هو أقرب إلى الإطلاق من عالم الشهادة المقيّد، ترّذرة من جرم شفاف -الذي هو منفذ من هنا إلى عالم المثال- يمكن أن تسع تلك الذرة من الصور المثالية ما لا تسع الأرض من أعيانها.



## نكتة

ولأن الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شيء، لا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن؛ إذ بالدقة يرى أعدى عدوه نوع أخ له.. ولأن الكفر يؤسس أجنبيةً وافتراقاً - لا إلى اتصال - بين كل الأشياء، يشتد في الكافر الحرص والعداوة والتزام النفس والاعتماد عليها. ومن هذا السر صاروا غالبين في الحياة الدنيا. ولأن الكافر يرى في الدنيا مكافأة حسنة في الجملة، والمؤمن يرى جزءاً بعض سيئاته في الدنيا؛ صارت: «سجن المؤمن وجنة الكافر»<sup>(١)</sup> واعلم أن إكسير الإيمان إذا دخل في القلب يصير الإنسان جوهرًا لا ثقلًا للأبدية والجنة، وبالكفر يصير خزفًا خاليًا فانيًا. إذ الإيمان يُري تحت القشر الفاني لبًا لطيفًا رصينا، ويُري ما يُتوهم حبابًا مُشمسًا زائلاً، ألماسًا متنورا. والكفر يُري القشر لبًا فيتصلب فيه فقط، فتنزل درجة الإنسان من الألماس إلى الزجاجة بل إلى الجمد بل إلى الحباب، هكذا شاهدت..

## نقطة

قد شاهدت ازدياد العلم الفلسفي في ازدياد المرض، كما رأيت ازدياد المرض في ازدياد العلم العقلي. فالأمراض المعنوية توصل إلى علوم عقلية، كما أن العلوم العقلية تولد أمراضا قلبية.

وكذا شاهدت الدنيا ذات وجهين:

وجه: ظاهره مأنوس في الجملة مؤقتا، باطنه موحش إلى ما لا يحد.

ووجه: ظاهره موحش في الجملة، وباطنه مؤنس إلى ما لا نهاية.

فالقرآن يوجه الأنظار إلى الوجه الثاني، الذي يتصل بالآخرة. والوجه الأول الذي يتصل بالعدم ضد الآخرة، وضرته ومعكوسته حسنه قبيحها، قبيحه حسنها.

وكذا شاهدت أن ما في الممكن من وجه الوجود؛ بالأنانية يوصل إلى العدم وينقلب إليه، وما فيه من وجه العدم بترك الأنانية ينظر إلى الوجود الواجب. فإن أحبيبت الوجود فأنعدم لتجد الوجود..

(١) مسلم، الزهد ١؛ الترمذي، الزهد ١٦؛ ابن ماجه، الزهد ٣؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢/١٩٧، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥.

## نكتة

اعلم أن النية إحدى الكلمات الأربعة التي ذكرت في المقدمة أنها محصورة أربعين سنة من عمري!

نعم، إن النية إكسير عجيب تقلب بخاصيتها العادات الترابية والحركات الرملية<sup>(١)</sup> إلى جوهر العبادة.. وكذا هي روح نافذة تحيا بها الحالات الميتة، فتصير عبادات حيوية.. وكذا فيها خاصية تقلب السيئات حسنات.

فالنية روح، وروحها «الإخلاص» فلا خلاص إلا بالإخلاص. ويمكن بالنية - بسبب هذه الخاصية - عمل كثير في زمان قليل، فيمكن شراء الجنة بما يعمل في هذا العمر القليل بهمة تلك الخاصية.

وبالنية يصير المرء شاكرا دائما؛ لأن ما في الدنيا من اللذائذ والنعم يقتطف بوجهين: الوجه الأول: يقول المرء بسبب النية: هذه النعمة مدتها إلي يد رحيم محسن، فينتقل نظره من النعمة إلى الإنعام، فيتلذذ به أزيد من نفس النعمة.

والوجه الثاني: يتحرى اللذة بتهوؤ النفس، فلا يتخطر الإنعام، إنها ينحصر نظره على النعمة واللذة فيتلقى اللذة غنيمَةً فيقتطفها بلا مئة، بل يغتصبها.

ففي الوجه الأول: تموت اللذة بالزوال ويبقى روحها، أي إن رحمة المُنعم تَحْطَرُّني، فلا تنساني. فهذا التخطر رابطة ومناسبة في الخاطر!

وفي الوجه الثاني: لا تموت اللذة الموقته ليبقى روحها، بل تنطفئ ويبقى دخانها. والمصيبة يَحْمد دخانها ويبقى نورها، ودخان اللذة زوالها وإثمها.

وإذا نُظِرَ بنور الإيمان إلى اللذائذ المشروعة في الدنيا والنعم في الآخرة، يُرى فيها حركة دورية ووضعية تتعاقب فيها الأمثال، فلا تنطفئ الماهية، وإنما يحصل الفراق والافتراق عن الشخصات الجزئية. فلهذا لا يَنُغْص - بألم الزوال والفراق - اللذائذ الإيمانية بخلاف الوجه الثاني. فإن لكل لذّة زوالا، وزوالها أَلَمٌ، بل تَصَوُّرُ الزوالِ أيضا أَلَمٌ؛ إذ في الوجه الثاني، ليست الحركة دورية بل حركة مستقيمة، ففيها اللذة محكومة بالموت الأبدي..

(١) أي العادات الأرضية.

## نقطة

**اعلم** أن التعلّق بالأسباب سبب الذلّة والإهانة؛ ألا ترى أن الكلب قد اشتهر بعشر صفاتٍ حسنة، حتى صارت صداقته ووفاءه تُضربُ بهما الأمثال؟! فمن شأنه أن يكون بين الناس مباركا. فضلا من المباركية ينزل على رأس المسكين من طرف الإنسان ضربة الإهانة بالتنجيس؛ مع أن الدجاجة والبقر حتى السنور، الذين ليس فيهم حسّ شكرانٍ وصداقةٍ في مقابلة إحسانِ البشر، يُشَرّفون بين الناس بالمباركية. أقول - بشرط أن لا ينكسر قلبُ الكلب ولا يصير غيبةً - إن سببه: أن الكلب بسبب مرض الحرص اهتم بالسبب الظاهري، بدرجة أغفلته - بجهة - عن المنعم الحقيقي، فتوهم الواسطة مؤثرة. فذاق جزاء غفلته بالتنجيس، فتطهر.. وأكل ضرب الإهانة كفارة للغفلة، فانتبه! أما سائر الحيوانات المباركة فلا يعرفون الوسائط ولا يقيمون لها وزنا، أو يقيمون لها وزنا خفيفا. مثلا: إن السنور يتضرع حتى يأخذ الإحسان، فإذا أخذ فكأنه لا يعرفك ولا تعرفه، ولا يحس في نفسه شكرانا لك، بل إنما يشكر المنعم الحقيقي ب: يا رحيم.. يا رحيم.. يا رحيم.. فقط<sup>(١)</sup>؛ إذ الفطرة تعرف صانعها وتعبده شعوريا وغير شعوريا..

## نكتة

ولقد شاهدت: أنه لو لم يُسند كل شيء إليه تعالى لزم إثبات آلهة - كل منها ضد للكل، ومثل في آن واحد - غير متناهية.. يزيد عددها على عدد ذرات العالم ومركباتها، بوجه يكون كل إله يمدّ يده إلى مجموع العالم ويتصرف فيه.

مثلا: إن القدرة الخالقة لفرد نحلة أو حبة عنب، لا بد أن ينفذ ويجري حكمها في عناصر الكائنات؛ إذ هما أنموذجان أخذت أجزاءهما من جميع الكون، مع أنه لا محل في الوجود إلا للواجب الأحد، وأما لو أُحيلت الأشياء على أنفسها لزم إثبات الألوهية لكل ذرة؛ ألا ترى أن الأحجار التي في قبة «آيا صوفيا»<sup>(٢)</sup> إذا انتفى الباني، لزم أن يكون كل حجرٍ منها مثل «معمار سنان»<sup>(\*)</sup>. فدلالة الكائنات على خالقها الواحد أظهر وأنور وأجلى وأولى وأفصح وأوضح من دلالتها على وجود نفسها بمراتب. فيمكن إنكار الكون ولا يمكن إنكار الواحد الأحد القدير على كل شيء..

(١) للأستاذ المؤلف خاطرة لطيفة حول هذا، في «الكلمة الرابعة والعشرين من مجلد الكلمات».

(٢) كنيسة قديمة حوّلها السلطان محمد الفاتح إلى جامع، وظل هكذا طوال قرون عدة حتى حوّل إلى متحف سنة ١٩٣٤.

## نقطة

ما أعجب شأن الضلالة بسبب الغفلة! كيف استخرجت العلية من المقارنة الساذجة والدوران الطردية بين المصنوعات! مع ارتكاب محالات متسلسلة، مع أنه لم يتبين ولم يتحقق قط في شيء من الأشياء أمانة صادقة على وجود شريك صانع لذلك الشيء، بل تحت صنعة كل شيء مجهولية تتكشف عن قدرة غير متناهية لتقدير واجب الوجود. فيا خسارة الإنسان ويا جهالة! كيف أخذ الشرك لنفسه موقعا في نفسه وفي عقله!

## نكتة

وما في نون «نعبُدُ» من سر الجماعة، يصوّر للمصلي المتنبه سطح الأرض مسجدا، اصطفت فيه -مع المصلي- جميع المؤمنين، ويرى نفسه في تلك الجماعة العظمى. وبها في إجماع الأنبياء والأولياء على ذكر «لا إله إلا الله» من توافقي الأصوات يتيسر للذاكر أن يرى الزمان «حلقة ذكر» تحت رئاسة «إمام الأنبياء».. في يمين الماضي «الأنبياء» قاعدون.. في يسار الاستقبال «الأولياء» جالسون.. يذكرون الله بصوت يسمعه من ألقى السمع وهو شهيد. فإن كان حديد السمع والبصيرة استمع الذكر من مجموع المصنوعات أيضا ورأى نفسه في حلقة ذكرها..

## نقطة

**اعلم** أن محبة ما سواه تعالى على وجهين:

وجه ينزل من علو، أي يحب الله فبحبه يحب من يحبه الله، فهذه المحبة لا تنقص من محبة الله بل تزيدها.

والوجه الثاني: يعرج من سفلى، أي يحب الوسائل، فيتدرج في محبتها ليتوصل إلى محبة الله، فهذه المحبة تتفرق، وقد تصادف وسيلة قوية فتقطع عليها الطريق فتهلكها، وإن وصلت وصلت بنقصان.

## نكتة

**اعلم** أن الرزاق جل شأنه تعهد بآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦) رزق كل دابة، إلا أن الرزق قسمان:

حقيقي ومجازي، فالمتكفل بالآية هو الحقيقي. وأما المجازي الصنعي اللازم بالتزام ما لا يلزم وبالاختيارات السيئة والاعتيادات المضرة، حتى صارت الحاجات الغير الضرورية ضرورية، فلبست الحاجات الكاذبة صورة الرزق، فهذا الرزق غير متكفل بالآية. ومن تأمل في الباذنجان التي هي أسماك البر وفي الأسماك التي هي باذنجان البحر كيف أسمتها القدرة الفاطرة؛ إذ كلها سمينة - ما فيها هزيلة - يأتيها رزقها رغدا من حيث لا تحسب.. علم أن الوسوسة في الرزق واتهام الرزاق من البلاءة.

### نكتة

**اعلم** أن المصائب التي تصيب المعصوم من الحيوان والإنسان، يجوز أن يكون لها أسباب تدق عن فهم البشر؛ مثلا: إن الشريعة الفطرية التي هي دساتير المشيئة، لا تنظر إلى العقل حتى يسقط التكليف بها عند عدم العقل، بل تنظر إلى القلب والحس، بل والاستعداد أيضا، فتجازي على أفاعيلها.. وقد نشاهد الحيوان كاملا في حس النفس، والصبي بالغاً في حس القلب، بل حس طفلك، أكمل من عقلك وأشد تيقظاً؛ إذ تظلم يتيماً بالضرب ولا يمنعك عقلك، وصبيك الناظر إليك يبكى حس شفقته.. لو كان هو لانزجر.

فإذ كان هذا هكذا؛ فالصبي الذي يمزق للتهوس والتلهي نحلة مسكينة، ولم يسمع نهى حس شفقته الحساسة، فأصيب بأن انكسر رأسه.. استحق.

مثلا: إن النمرة تحس في نفسها على شبلها شفقة شديدة ومع رفيقها حس حماية، فلا يمنعها هذان الحسان من تمزيق الطيبة المسكينة.. فمزقتها، ثم أصيبت هي ببندقية<sup>(١)</sup> الصياد مثلا، أفلا تكون مستحقة؟ إذ رزقها الحلال أموات الحيوانات لا أحياءها! على أن هذا مبني على توهم مالكية الحيوانات لأنفسها، والحق أن هذا باطل كما مر سابقا، وأن المالك الحقيقي هو مالك الملك ذو الجلال والإكرام يتصرف في ملكه كيف يشاء، وهو الفاعل المختار الفعال لما يريد ﴿لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

(١) البندق: كل ما يرمي به رصاص كروي وغيره، ومنه البندقية المعروفة.

## ذيل القطرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

### رمز

**اعلم** أن الصلاة في أول الوقت، والنظر إلى الكعبة خيالاً مندوبٌ إليهما، ليرى المصلي حول بيت الله صفوفاً كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز، فكما أحاط الصفُّ الأقربُ بالبيت، أحاط الأبعدُ بعالم الإسلام، فيشتاق إلى الانسلاک في سلكهم، وبعد الانسلاک يصير له إجماعٌ تلك الجماعة العظمى وتواترهم حجةً وبرهاناً قاطعاً على كلِّ حُكمٍ ودعوى تتضمنها الصلاة. مثلاً: إذا قال المصلِّي «الحمد لله» كأنه يقول كلُّ المؤمنين المأمومين في مسجد الأرض: نعم صدقت. <sup>(١)</sup> فيتضاءل ويضمحل تكذيبُ الأوهام ووسوسة الشياطين. وكذا يستفيض كلُّ من الحواس واللطائف حصّةً وذوقاً وإيماناً، ولا يعوقها لِم؟ وكيف؟ ففي أول الوقت تنعقد الجماعةُ العظمى «للمتقين»، ولاتفاق الصلوات الخمس في الأقوال والأركان لا يخلُّ اختلافُ المطالع بخیال المصلي.. ولينظر المصلي وهو في مكانه إلى الكعبة وهي في مكانها لا يجذبها إليه ولا يذهب إليها ليتظاهر الصفوف، لا يشتغل بها قصداً، بل يكفي شعورٌ تبعية. وما يُدريك لعل القدر الذي لا يُهمَلُ شيئاً من الأشياء يكتب بأشكال هذه الصفوف المباركة المنتظمة في حركاتها سطوراً على صحائف عالم المثل الذي من شأنه حفظ ما فيه دائماً..

### رمز

**اعلم** أنني شاهدتُ في سيري في الظلمات السُّنن السَّنية نجوماً ومصابيح، كلُّ سُنَّةٍ، وكلُّ حَدٍّ شرعي يتلمع بين ما لا يُحصر من الطرق المظلمة المضلّة. وبالانحراف عن السُّنة يصير المرء لعبة الشياطين، ومركب الأوهام، ومعرض الأهوال، ومطية الأثقال - أمثال الجبال - التي تحملها السُّنة عنه لو اتبعها.

وشاهدتُ السُّننَ كالجبال المتدلّية من السماء، من استمسك ولو بجزئي استصعد

(١) حيث يقولون جميعاً: الحمد لله، مثله.

واستسعد. ورأيتُ مَنْ خَالَفَهَا واعتمدَ على العقل الدائر بين الناس، كَمَنْ يريد أن يبلغَ أسباب السهوات بالوسائل الأرضية فيتحقق كما تحمقَ فرعونُ بـ

﴿يَنْهَمْنُ ابْنَ لِي صَرَحًا﴾ (غافر: ٣٦).

### رمز

**اعلم** أن في النفس عقدة مغلقة مدهشة تُصير الضدَّ مولدَ الضدِّ، وترى ما عليها كأنه لها.

مثلاً: إن الشمس تصل يدها إليك تمسحُ أو تضربُ وجهك، ولا تصل يدك إليها ولا يؤثر «كيفك»<sup>(١)</sup> فيها. فهي قريبةٌ إليك، بعيدة منك! فكما أنَّ جعلَ وجهِ البُعديَّة دليلاً على عدم تأثيرها فيك، ووجه القُريَّة دليلاً على تأثرها منك، جهلٌ.. كذلك نظرُ النفس -بعين الهوى والأناية- إلى خالقها القريب إليها، البعيد منها سببُ ضلالتها.

وكذا ترى النفسُ عظمةَ المكافأة، فمن شدة الحرص تقول: ليت، وأنى، وهيهات. وتسمع دهشة المجازاة، فمن شدة الخوف تتسلى بالتعامي والإنكار.

فيا أيتها النقطة السوداء الحمقاء<sup>(٢)</sup> إن أفعاله تعالى إنما تليق به وتنظر إليه تعالى، لا بك ولا إلى حوصلتك الضيقة، ولا بنى هندسة الكائنات على هوسك، ولا أشهدك خلقها. ولقد صدق الإمام الرباني في قوله: «لا يحمل عطايا المَلِك إلَّا مطايا»<sup>(٣)</sup>.

### رمز

**اعلم** أن مَنْ يُزَيِّن رأسك ويُحسنه، ويعلق به زينة البصر أبصر بك منك. فالصانعُ الذي زينَ رأسك بفصي العينين، وصدف الأذنين، وعلقَ مرجانَ اللسان في مغارة وجهك -يتلقت- هو أبصر بك منك، وأقربُ إليك منك، وأشفقُ عليك منك، وأسمعُ لك منك..

### رمز

**اعلم** أنَّ الدعاء لاسيما من المضطرين، له تأثيرٌ عظيم، يسخرُ بسببه أقوى الأشياء وأعظمها لأضعف الأشياء وأصغرها، كسكوتِ غضب البحر لأجل معصومٍ على لوح منكسر دعا بقلبٍ منكسر؛ فيدلَّ على أن المجيبَ يحكم على الكلِّ فهو ربُّ الكلِّ.

(١) الكيف: المزاج والسرور، والمقصود هنا: ما تشتهي وترغبه.

(٢) أي «أنا».

(٣) الإمام الرباني، المكتوبات في مواضع عدة منها: ج/ ١ المكتوب ١٨، ١١٣، ٢٢١، ٢٧٧، ٢٨٧.

## رمز

**اعلم** أن من أهم مرض ضلالة النفس؛ طلبُ شوكةِ الكلِّ من الجزء، وحِشمةِ السلطان من نَفَرٍ، فإذا لم تجده فيه تَرُدُّه. مثلاً: تطلب تمام تجليات الشمس في غماتها المرتسم في حَبَابٍ، فإذا لم تجد بالتمام تُنكرُ أنه منها.

أيها النفس! وحدةُ الشمس لا تستلزم وحدة التجليات، وإن الدلالة لا تستلزم التضمن، وإن ما يصف لا يلزم أن يتَّصف؛ فالذرةُ الشفافة تصفُ الشمس، والنحلة تصف الصانعَ الحكيم.

## رمز

**اعلم** أن الذهاب في طريق الكفر كالذهاب في الجَمَد بل تحت التراب بل الحديد، مع دفع الدافعة، مشكَّلٌ عسير على مَنْ توجَّه إليه قصداً وبالذات. وهذا الإشكال يستتر تحت النظر التَّبَعي.

وفي سبيل الإيمان كالذهاب في الماء بل الهواء بل الضياء، مع جذبة الجاذبة، سهلٌ يسير للمُوفِّق.

مثلاً: تريد أن تقابل الشمس جهاتك الستة، فإما أن تتحول أنت بلا كُلفة فيحصل المقصود، وإما أن تُكَلِّفَ الشمسَ قطع مسافةٍ مدهشةٍ لمقصد جزئي. فالأول: مثال التوحيد سهولةً. والثاني: مثال الشرك إشكالا. هكذا شاهدتُ. وبرهان هذا الرمز في «قطرة».

فإن قلت: فكيف يُقبَل الكفرُ مع هذا الإشكال ويُترك الإيمانُ مع هذه السهولة؟..

قيل لك: إن الكفر لا يُقبَل قصداً، بل يُزَلَق بسوء الهوى ويُسَقَط فيه ويُتلوث به. وأما الإيمان فيُقَصَد فيقبَل ويُوضع في القلب.

## رمز

**اعلم** أنه كما أن الكلمة الفردة مسموعةٌ لألوفٍ من المخاطبين كواحدٍ لا فرق بين الواحد والملايين، كذلك نسبةُ الأشياء إلى القدرة الأزلية، لا فرق بين الفرد والنوع..



## رمز

**اعلم** أن جامعية القرآن ووسعته، ومراعاته لحسيات طبقات المخاطبين، لاسيما: تَنَزُّلاته لتأنيس العوام-الذين هم الأكثر المطلق والمخاطبون أولا وبالذات- مع أنها سببُ لِكَماله. فالنفس المريضة تَضَلُّ بها؛ إذ تتحرى في أدنى طرزِ تفهيمه المناسب للمقام أعلى وأزینَ صور الإفادة، وتصیر الأسلوب -الذي هو ميزانٌ ومَعكسٌ لحسّ المخاطب وفهمه- ميزانا ومرصادا تنظرُ منه إلى المتكلم، فتضل ضلالا بعيدا!

## رمز

كيف السكون إلى الدنيا بالوجه الثالث والفرح بها؟.. إن الدنيا لها وجوه ثلاثة:  
وجه: ينظر إلى أسماء الله.

ووجه: هو مزرعة الآخرة.. فهذان الوجهان حَسَنان.

والوجه الثالث: الدنيا في ذاتها بالمعنى الاسمي، مدار للهوسات الإنسانية ومطالب الحياة الفانية.

أنا رُكِبْتُ نقطة مِيتة، وترَكِبْنِي جيفةٌ مِيتة. ويومي تابوتي، بين أمسٍ وغدٍ قَبْرِي أبي وابنه.  
فأنا بين تضيقِ مِيتتين وضغطة القبرين. إلّا أن الدنيا من جهة أنها مزرعة الآخرة والنظر إليها بنور الإيمان تصير كجنةٍ معنوية.

## رمز

**اعلم** أن وجودك كالبندقة المبرية<sup>(١)</sup> أو الفرس المبري في يد عسكر. كما أن العسكر مكلف بتعهد بندقته وفرسه السلطانيين، كذلك أنت مكلف بحفظ أمانتك وتعهدها..

**اعلم** أن السائق لهذا القول، أنى رأيت نفسي مغرورةً بمحاسنها. فقلت: لا تملكين شيئا! فقالت: فإذا لا أهتم بما ليس لي من البدن.. فقلت: لا بد أن لا تكوني أقل من الذباب.. فإن شئتِ شاهدا فانظري إلى هذا الذباب، كيف ينظفُ جناحيه برجليه ويمسحُ عينيه ورأسه بيديه! سبحان من ألهمه هذا، وصيره أستاذًا لي وأفحم به نفسي!

(١) أي التي تملكها الدولة.

## رمز

**اعلم** أن من المزالق للأقدام: خلط أحكام الاسم «الباطن» بأحكام الاسم «الظاهر» وسؤالها منه.. ولوازم «القدرة» بلوازم «الحكمة» وطلب رؤيتها فيها.. ومقتضيات دائرة «الأسباب» بمقتضيات دائرة «الاعتقاد والتوحيد» وطلبها منها.. وتعلقات «القدرة» بجلوات «الوجود» أو تجليات سائر الصفات، وملاحظة نوااميسها وحكمها فيها.. مثلاً: وجودك هنا تدريجي، ووجودك في المرايا البرزخية دفعي آني؛ لتمايز الصفات الإلهية في التعلقات.. وللفرق بين الإيجاد والتجلي.

## رمز

**اعلم** أن الإسلامية رحمة عامة، حتى إن الكفار سعادة حياتهم الدنيوية وعدم انقلاب لذائهم إلى الآلام الأليمة، سببها الإسلامية! إذ الإسلامية قلبت الجحود والكفر المطلق، والإنكار المحض المتضمنين للأس الأليم والألم الشديد إلى الشك والتردد. فالكافر بسبب تولد احتمال الحياة الأبدية في ذهنه بصيحة القرآن يستريح من الألم المنغص، وبعدد اليقين يستريح من الكلفة اللازمة للديانة. فهو كالنعامة (إبل الطير) إذا قيل له: طر يقول: أنا إبل.. إذا قيل له: احمِل الحمل. يقول: أنا طير! فهذه الدسيسة الشيطانية هي التي صيرت الكافر والفاسق مسعودين ظاهراً في الحياة الدنيوية بالنسبة إلى الكافر المطلق والمؤمن الخالص..

## رمز

**اعلم** أن النفس لا تريد أن تعترف وتتصور صدور ما هو أصغر أو أقل قيمة منها من يد قدرة الخالق، لتحافظ على دائرة ربوبية نفسها، فتعطي للخالق ما فوقها، وتتغافل عما تحتها. فما دامت لم تر نفسها أصغر الأشياء أو لا شيء، لا تخلص من ميل نوع تعطيل<sup>(١)</sup> أو شرك خفي.

## رمز

**اعلم** أن النفس بسبب تكاسلها في وظيفتها، تريد أن لا يكون عليها رقيب، فتحبُّ التستر. فتلاحظ عدم المالك مكرراً، فتعتقد حريتها؛ فأولا تتمنى، ثم ترجى، ثم تلاحظ، ثم

(١) أي إنكار صفات الخالق.

تتصور، ثم تعتقد العدم. ثم تمرق من الدين! ولو استشعرت بما تحت الحرية والراحة وعدم المسؤولية من الأحوال المدهشة المحرقة واليتم الحزين الأليم؛ لما مالت أدنى ميل، بل لقرت وتبرأت وتابت أو ماتت.

### رمز

**اعلم** أن الأشياء تتفاوت بتفاوت مدار الاستناد؛ مثلاً: إن النفر المستند بسلطانٍ عظيم يفعل ما لا يقتدر عليه «شاه»<sup>(١)</sup> عظيم، فالنفر يزيد بسبع مراتب على من زاد عليه بسبعين مراتب؛ فالبعوضة المأمورة من طرف القدرة الأزلية تغلب نمرود النهايد المتمردة. فالنواة المأذونة من طرف فالق الحب والنوى، تتضمن وتسع كل ما تحتاج إليه النخلة الباسقة، ولا تسعه «فابريقات» تسع قرية..

**اعلم** أن الفرق بين طريقي في «قطرة» الاستفادة من القرآن؛ وطريق أهل النظر والفلاسفة، هو أنني أحفر أينما كنتُ، فيخرج الماء، وهم تشبثوا بوضع ميازيب وأنابيب لمجيء الماء من طرف العالم ويسلسلون سلاسل وسلاسل إلى ما فوق العرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملايين من حفظة البراهين في تلك الطريق الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الأوهام. وأما ما علّمنا القرآن فما هو إلا أن أعطينا مثل «عصا موسى» أينما كنتُ -ولو على الصخرة- أضرب عصاي فينفجر ماء الحياة، ولا أحتاج إلى السفر الطويل إلى خارج العالم، وتعهد الأنابيب الطويلة من الانثلام والانكسار..

### رمز

(أي واه) وا اسفا! إن وجود النفس عمى في عينها، بل عين عَمَاهَا، ولو بقي من الوجود مقدار جناح الذباب يصير حجاباً يمنع رؤيتها شمس الحقيقة. فقد شاهدتُ أن النفس بسبب الوجود ترى على صخرة صغيرة في قلعة عظيمة مرصوفة من البراهين القاطعة ضعفا ورخاوة، فتكر وجود القلعة بتمامها. فقس من هنا درجة جهلها الناشئ من رؤيتها لوجودها..

(١) رتبة عظيمة قريبة من السلطان.

## رمز

**اعلم** يا «أنا» قد علمت أنه ما في يدك منك من الألف، إلا جزءٌ مشكوك؛ فابنِ على ذلك الجزء الاختياري الضعيف ما يطيق حمْلَه، ولا تحمل على الشعرة الشعورية الصخورَ العظيمة، ولا تحمل على ما ليس إليك، إلا بإذن مالكه. فإذا تكلمت بحسابك - بالغفلة - فلا تتجاوز عن حدِّك، وميدان جولانك شعرة فقط.

وإذا تكلمت بحساب مالك الملك فاحمل ما ترى كيفما أمر، وكيفما يشاء لا كيفما تشاء وإذنُ المالكِ ومشيتُهُ تُعرَف من شريعته.

## رمز

يا من يطلب الشهرة المسماة في العرف بـ«شان وشرف»! اسمع مني. فقد شاهدتُ الشهرةَ عينَ الرياء وموتَ القلب، فلا تطلبها لثلا تصير عبدَ الناس، فإن أُعطيَتْها فقل:

﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).

## تقريظ

الشيخ صفوت أفندي<sup>(\*)</sup>

رئيس مجلس تدقيق المصاحف الشريفة والمؤلفات الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## وبه ثقتي

أحمد الله سبحانه وأصلي وأسلم على نبيه الذي أنزل عليه قرآنه وعلى آله وأصحابه الذين  
شيدوا معالم الدين ومهدوا بنيانه.. وبعد:

فقد تجلّى لعيني هذه «القطرة من بحر التوحيد» فرأيت لا فرقَ بينها وبينه، لأنها أظهرت  
وأفاضت في دين الإسلام عينه، وفي الحقيقة منه بدت وإليه تعود، فشكر الله تعالى سعيَ أخي  
في رضاءة ثدي الإسلام المغترف من بحار التوحيد «بديع الزمان العلامة سعيد» والغريب  
في هذه الأيام.. فطوبى للغرباء..<sup>(١)</sup> كما قال عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين.  
والحمد لله رب العالمين.

الفقير إليه سبحانه

تراب أقدام العلماء

صفوت

(١) مسلم، الإيمان ٢٣٢؛ الترمذي، الإيمان ١٣؛ ابن ماجه، الفتن ١٥؛ الدارمي، الرقاق ٤٢؛ المسند ١/٣٩٨، ٢/١٧٧،  
٣٨٩، ٢٢٢.



الرسالة الخامسة

# حَبَابُ

## مِنْ عُمَانَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

(١)

خدای برکرمخود ملک خودرامی خرد از تو  
برای تونکه دارد بهاء بی کران داده (٢)

(١) عمان: المقصود: البحر العظيم

(٢) [[ إن الله ذا الكرم الواسع يشتري ملكه منك، ويحافظ عليه لأجلك، وقد أعطى قيمة غالية... ]]

طُبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «علي شكري» بأنقرة سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ. وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

**اعلم** أيها المؤمن المصلي الذاكر، إذا قلت: «أشهد أن لا إله إلا الله» أو «محمدٌ رسولُ الله» أو «الحمد لله».. مثلاً: حكمتَ بحكم، ادعيتَ دعوى، وأعلنت اعتقاداً، يشهد لك في دعواك في أن تلفظك ملائین، وقبلك ملائین ملائین من المؤمنین المتكلمين بها تكلمت به؛ كأنهم يصدّقونك.. وكذا يؤيدك في دعواك ويثبت حكمك ويزكي شهداءك كل ما قام على صدق الإسلامية، وكل ما أثبت حُكمها من أحكامها، وكل ما استند عليه جزءٌ من أجزاء قَصر الإسلام من الشواهد والبراهين ومسامير الدلائل.. وكذا اندمج في ملفوظك وتوضّع عليه أمرٌ عظيم، ويُمْنٌ جسيمٌ من الفيوضات والبركات القدسية.. وكذا اتصل بملفوظك وأحاطَ به معنىٌ جاذب، وروحٌ جالب من شرارات جذّبات توجهات جمهور المؤمنین، ومن رشاشات رشحات رشفات قلوب الموحّدين الشاربين ماء الحياة من عيون تلك الكلمات المباركة..

**اعلم** أنه قد تقرر في الأصول: «أن المَثْبِتَ يرجّح على النافي». وسرّه: أن النفي ينحصر في موضعه، والإثبات يتعدى. ولو نفى ألفٌ، وأثبت ألفٌ كان كلٌّ من المثبتين كالألف. بسرّ: أنه إذا رأى واحدُ الشمس من مشكاةٍ، وآخر من أخرى، وهكذا؛ فكلٌّ يؤيد كلاً، لاتحاد المرئي والمشهود مع تعدد المناظر.. وإذا لم يره واحدٌ لعدم المشكاة، وآخر لضعف البصر، وآخر لعدم النظر، وهكذا.. فقوة كلٍّ في نفسه فقط، والانتفاء عنده، لا يدل على الانتفاء في نفس الأمر، فلا يؤيد أحدٌ أحداً لاختلاف الأسباب مع تعدد المدعى؛ لأن الانتفاء مقيّد عند النافي بـ«عندي» مثلاً.

فإذا تفهّمت هذا السر؛ فاعلم أن اتفاق كلّ أهل الضلالة والكفر على نفي مسألةٍ من المسائل الإيمانية، فاتفاقهم لا تأثير فيه، بل كحكم واحدٍ. مع أنه حجةٌ قاصرة ينحصر على النافي فقط. وأما اتفاق أهل الهدى على المسائل الإيمانية فكلٌّ يتأيد بكلّ، كأن الكلّ شواهد كل واحدٍ.

**اعلم** أنه كما أن الأجزاء والأحجار في البناء المتساند يستند كل واحد بقوة الكل، ويزول ضعف كل بتساند الكل، كأن الكل عَوْنُ كل واحد ومساميره.. وأيضاً كما أن الأغصان والأثمار في الشجرة تستند معرفة صفات كل واحد بالكل، فكل للكل معرف، كأن كل واحد لكل واحد منفذٌ نظار، ولمعرفته معيار.. كذلك إن تفاصيل لمعات الإيوان والإسلام ومسائلهما يستند كل جزئي بقوة الكل، فبازدياد التفاصيل والجزئيات يزداد وضوح فهم كل جزء وقوة معرفة كل جزئي، وإذعان كل حكم، وإيقان كل مسألة. ومع كل ذلك، فالنفس الشيطانية تعكس فتتكس. فتزعم ضعف الجزء سبب ضعف الكل..

**اعلم** أن كل جزء من كل الكون واحد قياسي لإمكانات سائر الأجزاء. وبالعكس؛ فأجزاء الكائنات مقاييس للإمكانات بينها كل لكل..

**اعلم** أن أصغر جزء؛ من أعظم كل، يحتاج إلى ما يحتاج إليه كل الكل كمّا، فالثمرة تحتاج إلى كل ما يحتاج إليه كل الشجرة. فخالق الثمرة بل حُجيرة من حُجراتها لا بد أن يكون خالق الشجرة، بل خالق الأرض، بل خالق شجرة الخلق.

**اعلم** أن المسألة التي طرفاها في غاية التباعد، كل طرف كنواة تَسَنَّبَتْ وأشجرت وتفرعت، لا بد أن لا يتوضع عليها الشكوك والأوهام؛ إذ التباس نواة بنواة ممكن ما بقيت النواة نواةً مستورة. وأما إذا صارت شجرة وأثمرت، ثم شككت في جنس النواة شهدت الثمرات عليها، ولو توهمتها غيرها، كذبتك تلك الثمرات.

مثلاً: لا يتيسر لك فرض النواة التي انقلبت شجرة التفاح نواةً حنظليّة، إلا بتوهمها إياها، أو تبديل كل ما أثمرت من التفاحات حنظلات وهو محال.

النبوة نواة، أنبت شجرة الإسلامية بأزاهيرها وثمراتها، والقرآن شمس أثمرت سيارات أركان الإسلامية الأحد عشر.<sup>(١)</sup>

**اعلم**<sup>(٢)</sup> أنه كما أن من يرى قشر بيضة انقشعت عن طير همامي<sup>(٣)</sup> تكمل وطار في السماء،

(١) أي الأركان الخمسة للإسلام والسنة للإيمان. أفتبقى شبهة في البذرة بعد مشاهدة ثمراتها البانعة؟ حاش وكلا (ت: ٧٨).

(٢) هذه المسألة موضحة في الأساس السادس من الإشارة الرابعة للمكتوب التاسع عشر.

(٣) طير في غاية الجمال كالطاووس (ت: ٧٨)

ثم يتحرى ما يسمع من كمالات ذلك الطير الطائر في فضاء العالم<sup>(١)</sup> في تلك القشرة اليابسة، لا بد أن يغالط نفسه، أو يكذب<sup>(٢)</sup>. وكذا لو نظر إلى فلقتي نواة انكشفت عن شجرة تكملت وأثمرت، ومددت أغصانها في جو السماء، ثم تحرى ما قرع سمعه من عظمتها وثمراتها وأزهارها في تلك القشرة المطروحة في التراب، لا بد أن يتبله أو ينكر..

كذلك إن من نظر إلى صورة ما نقله التواريخ من مبادي ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام نظرا ماديا وسطحيا وصوريا، لا يتيسر له دركه وتقدير قيمته ومعرفة شخصيته المعنوية؛ بل لا بد أن ينظر إلى ما نقله التواريخ والسير بنظر قشر رقيق انشق عن قمري<sup>(٣)</sup> - كقمر - في جو الملكوت. ويرى ما يرى من لوازم البشرية، والأحوال الصورية كقشر نواة انكشفت منها شجرة طوبى المحمدية، التي تُسقى بهاء الفيض الإلهي، وتنمو بإمداد الفضل الرباني على مرّ الدهور. فكلما مرّ على سمعه شيء من الأحوال الصورية والمبدئية، فلا بد أن لا ينحسّ عليه ذهنه، بل ليرفع رأسه بسرعة وفي كل مرة منه إلى ما ترقى وتساعد إليه الآن مما لا يدرك منتهاه.

وكذا إن ممّا يشط النظر لاسيما نظر المتحرّي الشاكّ، أنه لا يفرق بين المصدريّة والمظهرية، بين المنبعية والعكسية، وبين المعنى الاسمي والحرفي، وبين الذاتي والتجليّ. فكونه عليه السلام عبدا محضاً، وأعبّد خلق الله لله؛ يستلزم أن يُنظر إليه بأنه مظهرٌ ومَعكسٌ لتجلياته تعالى. وكلّ ما فيه من الكمالات من فيضه تعالى.

نعم، قد ذكرنا مرارا أن الذرة لاتسع مصدريّةً ولو رأس ذبابة، ولكن تسع مظهريةً ولو نجوم سماوات. ونظرُ الغفلة ينظر أولاً وبالذات إلى الذاتي الاسمي والمصدريّة، فيتوهم الصنعة الإلهية طبيعةً طاغوتيةً..

**اعلم** أن الدعاء أنموذج لأسرار التوحيد والعبادة؛ إذ الداعي في نفسه خُفيةً، لا بد أن يعتقد سماع المدعو لهواجس نفسه وقدرته على تحصيل مطلبه، فيستلزم هذا الاعتقاد، اعتقاد المدعو عليهم بكلّ شيء، وقديرٌ على كلّ شيء.

**اعلم** أنه كما يمكن دخول هذه الشمس - سراج العالم - في عين الذباب بالتجلي فتتنور،

(١) أي إن شهرته وكمالاته أطبقت الآفاق (ت: ٧٨)

(٢) حيث لا يرى ما يسمعه في القشرة (ت: ٧٨)

(٣) لعله القمريّ: وهو طائر يُشبه الحمام القمَرُ البيض.

ولا يمكن دخول شرارة من كبريت في عينها بالأصالة، بل لو دخلت لانطفت العين.. كذلك يمكن بل يجب مظهرية كل ذرة لتجليات أسماء شمس الأزل، ولا يمكن -بل يمتنع- أن تكون ذرة مصدرا وظرفا لمؤثر حقيقي، ولو كان أصغر وأقل من الذرة.

**اعلم** يا «أنا» المتمردُ المغرور المتكبر، انظر إلى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك! إذ يبارزك ويصارحك -فتخرّ صعقا- الحوَيْنُ الذي لا يُرى إلّا بتكبيره مرات ودرجات.

**اعلم** ومن صُغر الإنسان أنه يجول في خردلة حافظته، وتصير تلك الخردلة عليه كصحراء عظيمة يسري دائما ولا يقطعها إلى جانب. فقس درجة مَنْ يسري دائما ولا يتم دَوْر خردلة،<sup>(١)</sup> ومع أن الخردلة الحافظة تصير كصحراء عظيمة على عقل الإنسان، كذلك يصير ذلك العقلُ كبحر يتلع الدنيا.. فسبحان مَنْ جعل الخردلة لعقل الإنسان كالدينا، وجعل الدينا له كخردلة!

**اعلم** أن من أشد ظلم البشر إعطاء ثمرات مساعي الجماعة لشخص، وتوهم صدورهما منه، فيتولد من هذا الظلم شركٌ خفي؛ إذ توهم صدور محصل كسب الجماعة، وأثر جزئهم الاختياري من شخص، لا يمكن إلّا بتصور ذلك الشخص ذا قدرة خارقة ترقى إلى درجة الإيجاد، وما آله اليونانيين والوثنيين، إلّا تولدت من أمثال هذه التصورات الظالمة الشيطانية.

**اعلم** أن الإنسان كدوائر متداخلة متحدة المركز. ففي دائرة: لباسه جسمه، وفي أخرى: بلده، وفي أخرى: وجه الأرض، وفي أخرى: عالم الشهادة وهكذا.. ولكنه لا يفعل ولا تأثير له إلّا في الدائرة الصغرى، وفيها سواها من الدوائر عاجز مسكين، منفعل وقابل لأخذ الفيض فقط. لو تَفَعَّل<sup>(٢)</sup> ما فعل إلّا تغيير صورة الفيض بالقصور والنقصان اللذين هما من ألوان العدم.

**اعلم** أن في الذاكر لطائف مختلفة في الاستفاضة؛ بعضها يتوقف على شعور العقل والقلب، واستفادة بعض لا شعوري تحصل من حيث لا يُشعر. فالذكر مع الغفلة أيضا لا يخلو من الإفاضة.

(١) أي لا يتم دورانا حجم خردلة!

(٢) أي لو أظهر الفعل مع عجزه.

**اعلم** أن الله خلق الإنسان في تركيب عجيب، ووحدة في كثرة؛ بسيطٌ وهو مركب، فردٌ وهو جماعة، له أعضاء وحواس ولطائف، لكلٌ في ذاته ألمٌ ولذة مع تأله وتلذذه من انفعالات الكل وتأثرات إخوانه؛ بدليل سرعة التعاون والإمداد بينها. فمن حكمة هذه الخلقة جعل الإنسان مظهر الأنواع اللذائذ ولأقسام النعم ولأصناف الكمال - لاسيما في الآخرة - إن سلك في سبيل العبودية.. وكذا جعله محلا لأنواع الآلام ولأشكال العذاب ولأقسام النقم، إن ضلَّ في طريق الأنانية. فالألم وجع السنِّ غير ألم وجع الأذن. ولذة العين غير لذة اللسان، واللمس والخيال والعقل والقلب وهكذا..

**اعلم** أن كثرة فوائد عدم تعين الآجال؛ دليلٌ نيرٌ على تعيُّنها في علم الباري، ولو تعينت لتوهم عدم تعيُّنها من جهة العلم بتوهم تفويض تعيُّنها على القانون الفطري، وإذ لم تتعين فيما بين الحدين المعيّنين؛ لا حقٌ للوهم أن يدعي عدم التعيّن.

**اعلم** أن الذكر من شأنه أن يكون من الشعائر، والشعائر أرفع من أن تنالها أيدي الرياء. **اعلم** أن تكرار كلمة التوحيد؛ لتجريد القلب من أنواع العلاقات، وطبقات المعبودات الباطلة، ولأن في الذاكر أنواعا من لطائف وطبقات من حواس؛ لكلٌ توحيدٌ وتجريدٌ من الشرك المناسب له.

**اعلم** أن الفاتحة المقروءة، مثلاً؛ لا تفاوت بين إهداء مثل ثوابها لواحد، ولألوف، أو لملايين، كمثل الكلمة الملفوظة؛ سواءً في استماعها الفرد والألوف، لسرٍ لطيف في سرعة التناسل والاستنساخ في اللطيف.. ولرمز شريف في التكثر مع الوحدة في النوراني، كمصباح قابله مرأة فرد، أو ألوف من المرايا.

**اعلم** أن الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام كإجابة دعوة المُنعم الذي أفاض فيضه، وبسط مائدة إنعامه على مقام صاحب المعراج. وإذا وصف المصلّي النبي بصفه، لا بد أن يتأمل في مناط تلك الصفة ليشاق المصلّي لتصلية جديدة.<sup>(١)</sup>

**اعلم** أيها العالم الديني! لا تحزن على عدم الرغبة في عملك وقلة أجرتك؛ إذ المكافأة الدنيوية تنظر إلى جهة الاحتياج، لا إلى درجة القيمة الذاتية، إذ جهة المزية الذاتية ناضرة إلى المكافأة الأخروية، لا يجوز لك أن تشتري بها ثمنا قليلا من متاع الغرور.

(١) أي بتكرار الصلوات عليه.

**اعلم** أيها المحرّر والخطيب العمومي بلسان الجريدة! لك أن تتواضع وتهضم نفسك وتعلن قصورك تنّداً. ولا حقّ لك أن تمرد بالتجاهر بما يضاد شعائر الإسلام. فأين جاز لك، ومن وكلّك، وبأيّ حقّ تتجاسر على إعلان القصور الديني،<sup>(١)</sup> بل إشاعة الضلالة بحساب الملة وباسم الأمة، وتظنّ الملة على قلبك الضال؟!<sup>(٢)</sup>.. فلا يجوز لأحد -فضولياً- أن يهضم نفس غيره حتى نفس أخيه. فمن أين جاز لك أن تزيف عامة الملة الإسلامية بإساءة الظن بهم بإعراضهم عن الشعائر الإسلامية.. ولا ريب أن نشر ما لا يقبله جمهور المؤمنين في الجرائد العمومية من المستحدثات دعوة إلى الضلالة، فناشرها داعٍ إلى الضلالة، فلا يُجاب بالضرب على فمه فقط، بل يُعَفّ بالأخذ على يده.

**اعلم** أن الكفار لاسيما الأورباثيون ولاسيما شياطين في إنكلترا وأباليس الفرنك،<sup>(٣)</sup> أعداء الداء، وخصماء معاندون أبداً للمسلمين وأهل القرآن.. بسر أن القرآن حَكَم على مُنكري القرآن والإسلام وعلى آبائهم وأجدادهم بالإعدام الأبدي، فهم محكومون بالإعدام أبداً، والحسب في جهنم سرمدنا بنصوص ذلك القرآن الحكيم. فيا أهل القرآن كيف توالون من لا يمكن أن يوالوكم أو يحبوكم أبداً؟.. فقولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الأنفال: ٤٠).

**اعلم** أن الفرق بين مدينة الكافرين ومدينة المؤمنين، أن الأولى: وحشة مستحالة ظاهرها مزين، باطنها مشوّه، صورتها مأنوسة، سيرتها موحشة.. ومدينة المؤمنين باطنها أعلى من ظاهرها، معناها أتم من صورتها، في جوفها أنسية وتجبّب وتعاون. والسر: أن المؤمن بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوة بين كل الكائنات، وأنسية وتجبباً بين أجزائها، لاسيما بين الآدميين ولاسيما بين المؤمنين. ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى، والنتيجة في المستقبل. وأما الكافر فبحكم الكفر له أجنبية<sup>(٤)</sup> ومفارقة بل نوعٌ عداوة مع كل شيء لا نفع له فيه، حتى مع أخيه؛ إذ لا يرى الأخوة إلا نقطة اتصال بين افتراق أزلي ممتد، وفراق أبدي سرمد؛ إلا أنه بنوع حميّة مليّة أو غيرة جنسية تشد تلك الأخوة في زمان قليل، مع أن ذلك

(١) أي إشاعة شبهات باطلة حول الدين (ت: ٨٠).

(٢) فتحسب الأمة جميعاً ضالين مثلك (ت: ٨٠).

(٣) أي الإفرنج الذي أطلق على الفرنسيين أولاً ثم شمل الأوربيين. وفي (ط) ١) أمريقا.

(٤) أي الإحساس بالغربة في هذا الكون.

الكافر لا يحب في محبة أخيه إلا نفس نفسه. وأما ما يرى في مدينة الكفار من المحاسن الإنسانية والمعالى الروحية، فمن ترشحات مدينة الإسلام، وانعكاسات إرشادات القرآن وصيحاته، ومن بقايا لمعات الأديان السماوية.

فإن شئت فاذهب بخيالك إلى مجلس «سيداً»<sup>(١)</sup> قدس سره في قرية «نورشين».. وما أظهرت من المدينة الإسلامية بصحبته القدسية، تر فيها ملوكا في زي الفقراء وملائكة في زي الأناسي. ثم اذهب إلى «باريس» وادخل في لجنة الأعاضم تر فيها عقارب، تلبسوا بلباس الأناسي، وعفاريث تصوّروا بصور الآدميين. وقد بينتُ الفروق بين مدينة القرآن والمدينة الحاضرة في «لمعات»<sup>(٢)</sup> «وسنوحات»<sup>(٣)</sup> فراجعهما لترى فيهما أمرا عظيما تغافل عنه الناس.

**اعلم** يا من يطلب الاجتهاد في مسائل الدين في هذا الزمان! إن باب الاجتهاد مفتوح، لكن لا يجوز لكم الدخول فيه لسته أمور:

فأولا: لأن عند هبوب العاصفات في الشتاء يسد المنافذ الضيقة، فكيف تُفتح الأبواب؟ وعند إحاطة سيل المنكرات والبدعيات وتهاجم المخربات لا يُشقّ الجدار بفتح منافذ.

وثانيا: إن الضروريات الدينية التي لا مجال للاجتهاد فيها، والتي هي في حكم الغذاء والقوت للمسلمين قد أُهمّلت وتزلزلت، فلا بد صرف كلّ الهمة لأقامتها وامتثالها وإحيائها، ثم بعد اللّتيّا<sup>(٤)</sup> تمسّ الحاجة إلى الاجتهاد في النظريات التي توسعت باجتهادات السلف، بحيث لا يضيق عن حاجات كل الزمان.

وثالثا: إن لكل زمان متاعا مرغوبا، يشتهر في سوقه، تُجلب إليه الرغبات وتوجّه وتنجذب الأفكار إليه، كالسياسة وتأمين الحياة الدنيوية الآن.. وكاستنباط مرضيات خالق العالم من كلامه، وتأمين السعادة الأبدية في زمان السلف. فلاجل توجه الأذهان والقلوب والأرواح في الجمهور إلى معرفة مرضيات ربّ السماوات والأرض في ذلك الزمان، صار كل من له استعداد جيد يتدرّس قلبه وفطرته - من حيث لا يشعر - من كل ما يجري في ذلك الزمان

(١) وهو مرادف لكلمة الأستاذ. والمقصود هنا وليّ مشهور من الصالحين في جنوب شرقي تركيا.

(٢) اللوامع - مجلس في عالم المثال - من مجلد «الكلمات».

(٣) السانحات، في مجلد «صيقل الإسلام».

(٤) اللّتيّا والتي: هي الداهية الكبيرة والصغيرة. (مجمع الأمثال للميداني).

من الأحوال والوقوعات والمحاورات، كأن كل شيء معلّم يلقن فطرته استعدادا إحصاريا للاجتهاد، حتى يكاد زيت ذهنه يضيء ولو لم تمسه نار كسب. فإذا توجه إلى الاجتهاد صار له نورٌ على نور. وأما الآن فلتشتت الأفكار والقلوب، وانقسام العناية والهمة، وتحكم السياسة والفلسفة في الأذهان، لا يمكن لمن كان في ذكاء «سفيان ابن عيينه»<sup>(١٠)</sup> مثلاً أن يحصل الاجتهاد إلا بعشرة أمثال وقت ما حصل سفيان الاجتهاد فيه. إذ إن سفيان يتدئ تحصيله الفطري من حيث التمييز، فيتهياً استعداداً كالكبريت للنار. وأما نظيره الآن -فسر ما مرّ أنفاً- يتباعد استعدادُهُ بدرجة تبخره في الفنون الحاضرة و يتقاسى عن قبول الاجتهاد بدرجة تغلغله في العلوم الأرضية.

ورابعا: إنّ ميل التوسيع والاجتهاد إن كان من الداخلين بحق في دائرة كمال الإسلام بمظهرية التقوى الكاملة وامتنال الضروريات، يكون ذلك الميل كما لا وتكملا. وأما إن كان ممن يهمل الضروريات ويرجح الحياة الدنيوية على الآخرة يصير ذلك الميل ميل تخريب، ووسيلة لحل ربكة التكليف عن عنقه.

وخامسا: إنّ المصلحة حكمةٌ مرجّحة، وليست بعلة للحكم. ونظر هذا الزمان يصير المصلحة علة للحكم. وكذا نظر هذا الزمان يتوجه أولا وبالذات إلى السعادة الدنيوية، مع أن نظر الشريعة متوجه أولا وبالذات إلى السعادة الأخروية، وثانيا وبالعرض إلى الدنيا من حيث هي وسيلة الآخرة.. وكذا إن كثيرا من الأمور التي ابتلي الناس بها، وعمت البلية بها حتى صارت من «الضروريات»؛ فلتولدها من سوء الاختيار، ومن الميول الغير المشروعة «لا تبيح المحظورات» ولا تصير مدارا لأحكام الرخصة. كما أن من سكر بشرب حرام لا يُعذر في تصرفاته في حالة السكر.. وهكذا فالاجتهادات بهذا النظر في هذا الزمان تصير أرضية، لا سماوية. فالتصرف في أحكام خالق السماوات والأرض وفي عبادته بلا إذن مردود.

مثلا: يستحسن بعض الغافلين الخطبة بالتركية لتفهم السياسة الحاضرة لعامة المسلمين، فهذا الغافل المسكين لا يعلم أن السياسة الحاضرة -بكثرة الكذب والحيلة والشيطنة فيها- صارت كأنها وسوسة الشياطين، فلا حق لهذه الوسوسة السياسية أن ترتقي إلى مقام تبليغ الوحي. وكذا لا يفهم هذا الجاهل أن أكثر الأمة إنما يحتاجون لإخطار الضروريات وتذكير المسلمين والتشويق على امتثال الحقائق المتعارفة بين المؤمنين، من أركان الإيمان والإسلام



ومراتب الإخلاص والإحسان. فبكثرة التسامع يتساوى العوام والعلماء في التذكر والتخطر بسماع القرآن. إذ العجمي يفهم المال إجمالاً وإن لم يعرف المعنى. وكذا لا يعقل ذلك الغافل أن عربية الخطبة وسُم سماوي مسدّد ومُزّن في سماء وحدة الإسلام، وبالتغيير يصير وشماً مشبّثاً مشيناً.<sup>(١)</sup>

**اعلم** يا من أحاطَ به الغفلة وأظلمت عليه الطبيعة حتى صار «أعمى وأصم» يعبد الأسباب في ظلمات الطبيعة الموهومة! إني أترجم لك لساناً واحداً من خمسة وخمسين ألسنة يتكلم بها كل واحدٍ من مركبات الكائنات وذراتها شاهداتٍ على وجوب وجوده تعالى ووحدته في ألوهيته وربوبيته جل جلاله<sup>(٢)</sup>.. وهو أن اضطرابات الأرواح والعقول الناشئة من ضلالاتها الناشئة من استنكاراتها الناشئة من الاستبعاد والاستغراب والحيرة في إسناد الأشياء إلى أنفسها، وإلى الأسباب الإمكانية.. تلجئ الأرواح والعقول للفرار إلى الواجب الوجود الواحد الأحد الذي بقدرته يحصل إيضاح كل مُشكل، وبإرادته يحصل فتح كل مغلق، ويذكره تطمئن القلوب.

فإن شئت تحقيقه فانظر إلى هذه الموازنة وهي: أن الموجودات إما فاعلها جانبُ الإمكان والكثرة، وإما جانبُ الوجوب والوحدة؛ فما يُتوهم بقصور النظر من الكلفة والاستبعاد، والاستغراب في إسناد كل شيء إلى الواجب الوجود، تصير محققةً عند الإسناد إلى الكثرة، لقصور أي سبب كان، وضعفه عن تحمل أي مسبب كان، في جانب الكثرة دون الوحدة. فما يُتوهم هناك متحقق هنا. ثم بعد هذا تتضاعف الكلفة والاستبعاد والاستغراب عدد أجزاء الكائنات مع أنها في الإسناد الأول كانت واحدةً موهومة وصارت هنا حقيقةً متضاعفة عدد أجزاء الكائنات؛ إذ في الإسناد إليه تعالى نسبةٌ كثير غير محدود إلى واحدٍ مباين الماهية لها، وفي جانب الكثرة نسبةٌ واحدٍ إلى كثير غير محدود متماثلة الماهية؛ إذ النحلة مثلاً، لو لم تُسند إلى الواجب الواحد، لزم اشتراك السماوات والأرض في إيجادها لعلاقتها بأركان العالم. مع أن صدور الكثير عن الواحد أسهلُّ بمراتب من صدور الواحد عن الكثيرين المتشاكسين الصُمِّ العمي الذين لا يزيد اختلاطهم إلا أعميتهم وأصميتهم. ثم مع ذلك إن الكلفة لو كانت في الإسناد الأول مثل ذرة، تترقى في الإسناد الثاني إلى أمثال الجبال؛ إذ الواحد بالفعل

(١) أما الأمر السادس فمذكور ضمناً هنا، وهو موضح في «الكلمة السابعة والعشرين» (رسالة الاجتهاد).

(٢) قد ذكرت تلك الألسنة إجمالاً في «قطرة» وما هنا إيضاح لسانٍ واحدٍ فقط. (المؤلف).

الواحد يحصل وضعية ونتيجة للكثير، لا يتيسر للكثير - لو أُحيلت عليهم - أن يحصلوا تلك الوضعية، أو يصلوا إلى تلك النتيجة إلا بأفعال كثيرة وتكلفت عظيمة؛ كالأمير مع نقراته، والفؤارة مع قطراتها، والمركز مع نقاط دائرته. ثم مع ذلك إن الاستبعاد والاستغراب الموهومين في الإسناد الأول، ينقلبان في الإسناد الثاني إلى محالات متسلسلة.

من بعض المحالات: فرض صفات الواجب في كل ذرة؛ إذ كمال الصنعة ونقوشها وإتقانها تقتضي علما محيطا، وبصرا مطلقا، وقدرة تامة وإرادة شاملة.. ومنها فرض شركاء غير متناهية في الألوهية والوجوب للذين لا يقبلان الشركة أصلا؛ إذ لو لم تُسند الأشياء إلى الواحد الواجب، لزم أن يكون لكل واحد وفي ضمنه واحد من الآلهة.. ومنها فرض كل ذرة حاكما على الكل، ومحكوما للكل ولكل، كالأحجار في البناء المعقد لو انتفى الباني، لزم أن يكون كل حجر كالباني عالما مهندسا بانيا؛ إذ النظام والانتظام والإتقان والحكم هكذا تقتضي، لا محل للتصادف فيها.. ومنها فرض الشعور المحيط والعلم التام والبصر المطلق في كل ذرة وسبب؛ إذ الموازنة والتناظر والتساند والتعاون يقتضي شعورا محيطا وبصرا مطلقا وهكذا.. من الصفات المحيطة.

فلو أُسندت الأشياء إلى أنفسها لزم تصوّر هذه الصفات في أنفسها، ولو أُسندت إلى الأسباب لزم تصور هذه الصفات في أسبابها، بل في كل ذرة من ذراتها.. وهكذا من المحالات المتسلسلة والمتنوعات العقلية والأباطيل التي تمجّتها الأوهام.. وأما إذا أُسندت إلى صاحبها الحقيقي وهو صاحب مرتبة الوجوب والوحدة، لا يلزم إلا أن تصير الذرات ومركباتها - كقطرات المطر الحاملة لثمائل الشمس بالانعكاس - مظاهر لتجليات لمعات القدرة النورانية المطلقة المحيطة الأزلية الغير المتناهية، المستندة بل المتضمنة للعلم والإرادة الأزليين الغير المتناهيين. وهي القدرة التي شهدت عليها معجزات المخلوقات، التي لمعتها الفضة أجل من شمس الإمكان والكثرة بسر التجزؤ والتوزيع والانقسام في جانب الإمكان والكثرة، دون جانب الوجود والوحدة. وإن ذرة تلك القدرة أعظم من جبال الأسباب، بسر أن جزء تجلي النوراني مالك لخاصية الكل، كأن الكل كليّ، ولو في جانب الإمكان، حتى ترى الشمس بتامها في ذرة زجاجية. فكيف نور الأنوار المتظاهر من جانب الواجب الوجود الواحد الأحد؟!

فالفارق بين الإسناد الأول والإسناد الثاني، كالفارق بين تجلي الشمس بخاصيتها في قطرة بل في ذرة بالتجلي وبين دعوى وجود شمس بالأصالة في تلك القطرة؛ ومحالية هذه الدعوى أظهر من أن تخفى.. ومع كل ذلك لا كلفة ولا معالجة ولا تعمّل في عمل تلك القدرة المجهولة الأزلية، بل تتساوى بالنسبة إليها الذرات والنجوم، والجزء والكل، والفرد والنوع، والقليل والكثير، والصغير والكبير، وأنت والعالم، والنواة والشجرة. والسّر في أنه لا كلفة بالنسبة إليها أن تلك القدرة لازمة ذاتية ضرورية ناشئة للذات الأزلي، فلذاتيتها، محالّ تداخل ضدها في ما بينها. فإذا لا عجز فلا مراتب فيها، فإذا لا مراتب فيها، تتساوى بالنسبة إليها أصغر الأشياء وأعظمها.

فإن شئت تقريب هذه الحقيقة إلى الفهم بتمثيلات في دائرة الإمكان والكثرة، فاستمع مثلاً - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - : يتساوى في أخذ تجلي الشمس في تمثالها الذرات الزجاجية، والبحور الأرضية، والسيارات السماوية بسر «الشفافية»..

وإن المصباح المركزي للمرايا المحيطة يتساوى بالنسبة إلى المصباح زجاجيّة من زجاجات أصغر دائرة، ومجموع الزجاجات في أكبر الدائرة، بسر «المقابلة»..

وإن النور والتوراني تتساوى بالنسبة إلى الاستضاءة والاستفاضة الواحد والألوف، لا تَرَاهُ فيه بسر «النورانية». فلنوع نورانية في لطافة الكلمة يتساوى في الاستيعاد الواحد والألوف..

ومثلاً: إن الميزان الحساس بدرجة يتحسس بذرة، لو كان في كفته شمساً أو جوزتان، بين رفع كفة إلى الثريا وكفة إلى الثرى، بوضع جوزة أخرى في كفة بسر «الموازنة»..

ومثلاً: إن أعظم السفن لا يتعسر سوقها وتحريكها على صبي كما لا يتعسر عليه تحريك سفينته التي هي ملعبته في كفه، أو تحريك ساعته بسر «الانتظام»..

ومثلاً: إن «القماندان»<sup>(١)</sup> لا فرق في أمره بـ«آرش» بين نفر وفيلق، يتساوى في التحريك والتحريك النفر، وكلّ العسكر بسر التزام «الامتثال»..

(١) القماندان: القائد العسكري.

ومثلاً: إن الماهية المجردة في الأنواع والكليات، يتساوى بالنسبة إليها فردٌ من أصغر الأفراد وأكبر الأفراد وكل الأفراد الغير المحدودة بسر «التجرد»..

وهكذا من الأمثلة الدالة على أنه يمكن عدم التفاوت بين القليل والكثير والصغير والكبير بالنسبة إلى شيء<sup>(١)</sup>.

فسر «شفافية» الملكوتية في كل شيء، وبسر «مقابلة» وجه كل شيء للقدرة، وبسر «نورانية» تلك القدرة، وبسر «الموازنة» الإمكانية، وبسر «الانتظام» بقوانين القضاء والقدر، وبسر «امتثال» كل ذرة من ذرات الكائنات بكمال الشوق واللذة للأوامر التكوينية المندمجة في أمر «كن»، وبسر «تجرد» الواجب الوجود عن الماديات.. فهذه الأسرار الستة تتساوى بالنسبة إلى قدرته إحياء البعوضة وإحياء الأرض، وخلق النحلة وخلق السماوات والأرض، وإيجاد الذرة وإيجاد الشمس. بل إن التساوي وعدم التفاوت ثابتٌ بالحدس القطعي والمشاهدة؛ إذ تلك القدرة المجهولة بباهيتها، والمعلومة بمعجزاتها تفعل بمثل غصن دقيق - كخيوط رقيق - أمثال العناقيد التمرية والعنبية وغيرهما، تلك الخوارق الحيوية التي لو أحييت صنعتها على الأسباب لاحتاجت إلى ما لا يجد من التكاليف، وتتجلى تلك القدرة بجلوات الوجود في سَم الخياط على الشفافات والعيون النازرة إلى الخيال بالتماثيل البرزخية، لو أحييت على الأسباب لامتنت أو لاحتاجت إلى ما لا يجد من المعالجات.

الحاصل: أن ما يرى من إيجاد القدرة للأشياء الحيوية والوجودية والنورية يدل على أمور ثلاثة:

الأول: أن الوسائط والأسباب الظاهرية حُجِبَتْ ضعيفة وضعت لمحافظة عزة القدرة في المباشرة الظاهرية في وجه المُلْك الكثيف الخسيس فقط..

والثاني: أن الحياة والوجود والنور - لشفافية وجه مُلكها كملكوتيتها - ما وضعت الحُجْب الكثيفة على يد القدرة، بل تفرقت الوسائط فيها..

والثالث: لا تكلف ولا تعمل ولا معالجة في تأثير تلك القدرة؛ إذ مَنْ يصنع بنواة تينة شجرة تينة بعظمتها، وبخيطٍ دقيق عنقوداً من حبات العنب - وكلُّ حبة فيها ما فيها - لا

(١) في «الكلمة العاشرة» و«الكلمة التاسعة والعشرين» وفي السانحات (مجلد صيقل الإسلام) توضيح وافٍ لهذه الأسرار الستة.

يتعسر عليه شيء.. ولا ريب في الحقيقة أن ظهور صاحب تلك القدرة الأزلية أشدُّ بمراتب من ظهور الكائنات. إذ كلُّ مصنوع دلّالته على نفسه بوجوه قليلة مرئية، وعلى صانعه بوجوه كثيرة مشهودة وعقلية وغيرهما. وأيُّ مصنوع كان لو أُحيل على الأسباب، واجتمعت عليه الأسباب الأرضية والسموية لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا. إذ حبة نواة في حبة تينة ليست بأقلَّ جزالة من شجرة تينة، وليس الإنسان أقلَّ جزالة وأدنى صنعة من الأرض. فالقدرة التي أوجدت النواة والإنسان لا يتعسر عليها إبراز الشجر والعالم.

فيا مَنْ ضلَّ بالاستبعاد والاستغراب والحيرة والاستنكاف في جانب الحق! فقد سمعت بهذه التحقيقات أن الاستبعاد بلا نهاية، والاستغراب بلا غاية، والحيرة بلا حد، وتحقق الكلفة بما لا يُحصى مع محالات عجيبة، فقد سمعتها موجودة في جانب باطلك الذي ابتليت به من نسبة الأشياء بالأصالة إلى أنفسها وأسبابها. فاضطرابات الأرواح والعقول الناشئة من هذه الضلالة؛ تُلجئ القلوب إلى الفرار بالتسليم إلى الواجب الوجود الواحد الأحد الذي لا يحصل إيضاح شيء من الأشياء إلّا بإضافته إلى قدرته، ولا يحصل فتح شيء من المغلقات إلّا باتصاله بإرادته، ولا يطمئن قلب ولا يستقر يقين في مسألة من المسائل إلّا بربطها بذكره واسمه جل جلاله..

**اعلم** أن ميدان اشتغال الإنسان، ومسائر جولان الهمة، أوسع من أن يُحاط به. فقد يجول في ذرة، ويسبح في قطرة، وينحس في نقطة، مع أنه قد يضع العالم نصب عينيه، وقد يُدخل الكائنات في عقله حتى يتناول إلى رؤية الواجب الوجود ومشاهدته. فقد يكون الإنسان أصغر من ذرة، وقد يصير أكبر من السماوات، فيدخل في القطرة مع أنه يدخل فيه الفطرة بأنواعها وأركانها..

**اعلم** أن كل ما أنعم الله به على الإنسان، له شرائط ومفاتيح بعضها آفاقي وبعضها أنفسي. مثلا: إن الله أنعم بالضياء والهواء والغذاء والصدى، وعلّق الاستفادة منها على فتح العين والأنف والفم والسمع وهكذا.. مع أن هذه الفتوح الأنفسية من كسبنا، فلا يتحصل إلّا بخلقه وإيجاده تعالى. فلا تتخيلن أيها الغافل هذه النعم سدىً مهملة تسئم<sup>(١)</sup> فيها كيف تشاء

(١) الكلمة مأخوذة من سامت المشاية، أي خرجت إلى المرعى، وليست من سئم، بمعنى ملّ وضجر.

بلا منة ولا حساب. كلا! بل تُساق إليك بقصدٍ مُنعمها فتُلْتَمَمَ باختيارك ثم تنتشر على مظان حاجاتك بإرادة مُحسنها عمّ نواله..

**اعلم** أن أواخر الأشياء ونهاياتها ليست بأقلّ انتظاماً وإتقاناً من أوائلها؛ ولا ظواهرها ولا صورها بأحسن صنعةً وحكمةً من بواطنها. فلا تحسبنّ أواخر الأشياء وبواطنها سدىً مهملةً تلعب بها يدُ التصادف. ألا ترى الثمرة مع الزهرة، أظهرَ حكمةً من الجرثوم النابت من النواة. فالصانع جل جلاله هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

**اعلم** أن إعجازَ القرآن، حفظَ القرآن عن التحريف، فلا يتيسر لكلام مفسّر أو مؤلّف أو مترجم أو محرّف وغيرهم، أن يلتبس بالآيات أو يلبسَ زَيِّها كما التبست واختلطت سائر الكتب المنزلة حتى صارت محرفة..

**اعلم** أن تكرار آية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في مقاطع الآيات التنزيلية المشيرة إلى الآيات التكوينية المتنوعة المختلفة في سورة «الرحمن» يدل على أن أكثر عصيان الجن والإنس وأشدّ طغيانها وأعظم كفرانها يتولد من عدم رؤية الإنعام في النعمة.. والغفلة عن المنعم.. وإسنادِ النعم إلى الأسباب والتصادفات.. حتى يصيرا مكذّبين بآلاء الله. فلا بد للمؤمن من أن يبسمل بدء كلّ نعمةٍ قاصداً بها أنها منه، أنا أخذها باسمه وبحسابه، لا بحساب الوسائط، فله الشكر والمنة.

**اعلم** أيها المتوسوس المتخطر بالآفات الشيطان، وإخطار مرض القلب والخيال، وبإمرار حسنة النفس ولؤمها مزخرفاتٍ<sup>(١)</sup> شتى على عين عقلك عند توجهك إلى الحقائق الإلهية، حتى قد تمر على عينيك سحائبٌ مظلمة ممطرة رذائل وفواحشٍ وشوما تقشعر منها عند نظرك إلى شمس الحقائق، كأنك تمدّ يد التنزيه والتقديس، وترسل عينك للتسبيح والتمجيد؛ والحال أن يدك تتنجّس بأرجاس خيالك، ويستقذر نظرك ممّا يمر عليه من سفاسف خبيث نفسك، ثم تنعكس تلك المستقذرات على المقدسات في نظرك، فتتألم فتتألم في المستقذرات. لا تيأس ولا تتأثر ولا تلقِ نفسك في الغفلة للفرار من هذه الحال، والنجاة من هذا اللوم الأليم؛ إذ لا ضررَ إلّا ضررُ توهم الضرر، فتكرر فتتضرر. ألا ترى أنك إذا نظرت إلى الشمس وضياها، والسماء ونجومها، والجنة وأزاهيرها، في مسامات ثوبٍ مستقذرٍ بمزخرفات شتى، لا

(١) مزخرفات: المقصود بها المستقذرات.

يمكن أن تسري تلك إليها وتتكرر هي بها، بل تفعل أنت منها. فلا تهتم بها لتذهب؛ إذ هذه الوهميات والهوائيات كالهوام والزناير؛ إن دافعته قاتلوك، وإن تركتهم فارقوك..

**اعلم** أيها المتفلسف المرجح للعقل على النقل، فتؤول النقل بل تُحرّف؛ إذ لم يسعه عقلك المتفسخ بالغرور والتغلغل في الفلسفيات! إنني كنتُ في حينٍ كما كنتُ، ثم شاهدتُ قصرا شاهقا شارقا اتصل سطحه بسقف السماء، قد أرسلت متدليةً من شبايكها العالية زنايل<sup>(١)</sup> متفاوتة، حبالها في المبدأ والمنتهى. فبعضها قريبٌ من الأرض فيقذف الإنسانُ الموفق نفسه في ذلك الزنبيل فيرتفع إلى أعلى المنازل، وبعضها أخفض مبدأ وأرفع منتهى. وهكذا.. ثم رأيت بعض الناس الخاسرين المغرورين لا يبالون بتلك الزنايل، فيتشبثون للصعود بجمع الأحجار والأشياء يضعونها تحت أرجلهم، فيتصاعدون قليلا ثم يتساقطون، وأنى لهم الصعود! وشاهدتُ بعض المعتمدين على أنفسهم المتفرعة، يدقون مسامير في جدار القصر فيضعون أرجلهم عليها متصاعدين فيخرون فتندق أعناقهم وهكذا.. ورأيت أن ما جُهِزوا به من مكاسيهم وآلاتهم إنما أعطوها ليستعملوها على قدر الاستعداد والتوفيق في الصعود إلى الزنبيل، لا إلى المنازل. فعقلك عقالك، وبالنقل نقلتك. مَنْ توكل على الله فهو حسبه..

**اعلم** يا من تحير في سبب غلبة الفجار على الأبرار، وتفوق الطالحين على الصالحين في الحياة الدنيوية. أني قد شاهدتُ في واقعة قصورا،<sup>(٢)</sup> في كل قصر سرادقات متداخلة متصاعدة، سكان طبقاتها متفاوتون في اللطافة والعلوية والنورانية، فمن في المركز العالي كالسلطان، وتحت منازل فيها سكان متفاوتون في القيمة والنورانية، وهكذا إلى الباب. ومن عند الباب خادم مظلم كثيف، وقدام الباب كلبٌ متملق. ثم رأيت بعض القصور تلالأت ساحةً بابه، فتأملتُ فيها فرأيت ملك القصر يلعب مع الكلب قدام الباب، والمخدّرات<sup>(٣)</sup> يداعبن مكشوفات رؤوسهن مع الصبيان، وقد تعطلت الوظائف النزيهة في الطبقات، وتشعشت وظائف الكلب والصبيان وسفلة الخدام، فتفتق القصر عن مكنوناته متفسقا، مُشرقاً مقتدرا قويا ظاهر الباب، مظلماً معطلاً ذليلاً في الداخل. وفسوقه كفتوق فلقتي الرمان مثلاً عن حباته. فعلمت

(١) إن إيضاح هذه المسألة قد ذكر في بيان الطرق الثلاثة في آخر «الفاحة» في رسالة «أنا» [الكلمة الثلاثون] وفي [اللوامع] في سباحة خيالية ختام «الكلمات». والزنايل المتدلية إشارة إلى الحقائق القرآنية التي هي الصراط المستقيم.. (المؤلف).  
(٢) الكلمة الثالثة والعشرون توضح هذه الحالة بالتفصيل.  
(٣) أي النساء.

أن تلك القصور هي الأناسي، حتى رأيتُ كل إنسان قصراً، حتى رأيت نفسي العاصية أيضاً قصراً.. وسقوط أهل القصور على مراتب مختلفة نزولاً أدنى فأدنى. فشاهدت أن ما يزعم أهل المدنية ترقياً ما هو إلا سقوط، واقتداراً ما هو إلا ابتذال، وانتباها ما هو إلا انغماس في نوم الغفلة، و«نزاکة»<sup>(١)</sup> ما هي إلا رياءٌ نفاقي، و«ذکاوة»<sup>(٢)</sup> ما هي إلا دسائسة شيطانية، وإنسانية ما هي إلا قلبُ الإنسانية حيوانيةً. لكن يلوح على هذا الشخص الساقط العاصي لوائح اللطافة والجاذبية لاختلاط لطائفه النورانية بنفسه الظلمانية؛ خلافاً للمتدين المطيع الذي عند الباب نفسه المتكررة فقط. إلا أنه قد يتنازل لطائفُ الصالح أيضاً، لا للهوسات السفلية، بل لإرشاد الناس الخارجين من الحدود وإمدادهم بإرجاعهم إلى ما هم خُلقوا لأجله، إن الله سبحانه إذا أحب عبداً لا يحب إليه محاسن الدنيا بل يُكرِّها إليه بالمصائب.

أيواه! وأسفا! قد أظهرت هذه المدينةُ السفيهة خوارقَ جلالة وملاهيَ جذابة، يتساقط إليها سكان قصور الإنسان ومخدراتُها، كتساقط الفَراش على النور المشرق المنقلب إلى النار المحرقة..

**اعلم** أيها السعيد الشقي! ما هذا الغرور والغفلة والاستغناء؟ ألا ترى أن ليس لك من الاختيار إلا شعرة، وليس من الاقتدار إلا ذرة، وليس من هذه الحياة إلا شعلة تنطفئ، وليس من العمر إلا قليل مثل دقيقة تنقضي، وليس من الشعور إلا لمعة تزول، وليس من الزمان إلا أن يسيل، وليس من المكان إلا مقدار القبر! ولك من العجز ما لا يُحدّ، ومن الاحتياج ما لا يتناهي، ومن الفقر ما لا يُحصى، ومن الآمال ما لا غاية لها، وهكذا.. فَمَن كان بهذه الحالة من العجز، وفي هذه الدرجة من الحاجة، هل يتوكل على ما في يده ويعتمد على نفسه.. أو يتوكل على الله الرحمن الرحيم الذي من ظروف خزائن رحمته وصناديق نعمته: هذه الشمس وهؤلاء الأشجار المملوءة من الأنوار والأثمار، ومن موازيب حوض فيضه ومسيلات رحمته: الماء والضياء.

**اعلم** يا من يستعظم النتيجة ويستضعف دليلها! إنه ما من دليل يشهد على حقيقة من الحقائق الإيمانية، إلا ويزكيه ويؤيده ويقويه ويمدّه كُلُّ ما قام على صدق شيء ما من

(١) نزاکة: اللطف والرفقة.

(٢) ذکاوة: الذكاء والفطنة.



الإسلامية. فكان كل ما لا يعد من الشواهد والشهداء والبراهين والأمارات، كل منها يضع إمضاء على سند كل من أخواتها، فيختم كل منها خاتم تصديقه على منشور كل واحد، بسر ما مر - في بداية هذه الرسالة -، خلافا للنافي؛ إذ للمنافاة بين النافي والمثبت يُنفى من النافي ما يُثبت للمثبت. فألف نافي كفرد.

**اعلم** أنه قد تصير شدة محبة الشيء سببا لإنكاره، وكذا شدة الخوف، وكذا غاية العظمة، وكذا عدم إحاطة العقل..

**اعلم** أي قد تيقنت - كأني شاهدت بحدس قطعي - أن جهنم مندمجة بالقوة<sup>(١)</sup> في بذر الكفر كاندماج شجرة الحنظلة في نواتها.. وأن الجنة مندمجة في حبة الإيمان كاندراج شجرة النخلة في نواتها. فكما لا غرابة في استحالة النواة وانقلابها إلى شجرة الحنظلة أو شجرة النخلة، كذلك لا استبعاد في تحول معنى الضلالة متجسما جهنما<sup>(٢)</sup> تعذب، ولا في تمثل أنوار الهداية جنة تستعذب. وفي «اللوامع»<sup>(٣)</sup> نبذة من هذه الشهود في هذا العالم أيضا.

**اعلم** كما أن الحبة من بذور الحبوب ونوى الثمرات إذا نُقبت في قلبها، لا تتكبر بالتنبت. كذلك حبة «أنا» إذا نُقبت بشعاع ذكر: الله.. الله.. لا تتعظم تلك الأناية متفرعة بالانتعاش ومتفرعة بالغفلة، ومستحصنة ومستندة بآثار النوع، ومبارزة بالعصيان لجبار السماوات والأرض. والأولياء النقشبنديون موقفون لفتح حبة القلب وكشف طريق قصير بثقب جبل «أنا» وكسر رأس النفس بمثقاب الذكر الخفي. كما أن بالذكر الجهري تُخرّب طاغوت الطبيعة أو تمرّق..

**اعلم** أن أبعد وأوسع وأرق دوائر الكثرة وطبقاتها يتلأأ عليها أيضا أثر الحكمة والإتقان والاهتمام. فإن شئت فانظر إلى نهاية ما انبسط وانتشر إليه التكثر من جلد الإنسان وصورته، لترى كيف يُحسّي قلم القدرة صحيفةً جبهته ووجهه وكفيه بخطوط ونقوش وآلات دالات على معاني في روح الإنسان، وعلى طائرته المعلق في عنقه المشير إلى القدر المكتوب في فطرته، حتى لم يترك هذه التحشية منفذا لدخول التصادف الأعمى والاتفاقية العوراء..

(١) المقصود بالقوة: بالاستعداد والقابلية الكامنة في الشيء. أما بالفعل فيعني: بالمشاهدة والمائل أمام العين.

(٢) لا تنصرف جهنم إلا إن تكررت فتتصرف.

(٣) يراجع بالتفصيل: كل الآلام في الضلالة وكل اللذائذ في الإيمان - اللوامع من مجلد «الكلمات».

**اعلم** يا من ابتلي بحب هذه الحياة حتى حسبت أن العلة الغائية في الحياة وبقائها، وأن كل ما أودعته القدرة الأزلية في جوهر الإنسانية وذوي الحياة من الجهيزات العجيبة والتجهيزات الخارقة، إنما أعطاها الفاطر الحكيم لحفظ هذه الحياة السريعة الزوال، ولأجل البقاء. كلا ثم كلا! إذ لو كان بقاء الحياة هو المقصود من كتاب الحياة، لصار أظهر وأبهر وأنور دلائل الحكمة والعناية والانتظام وعدم العبثية بإجماع شهادات نظمات الكائنات؛ أعجب وأغرب وأنسب مثال العبثية والإسراف، وعدم الانتظام وعدم الحكمة. كمثل شجر -كجبل- ليس لها إلا ثمرة فردة كخردلة. بل يرجع إلى الحي من ثمرات الحياة وغاياتها بمقدار درجة مالكية الحي للحياة وتصرفه الحقيقي فيها. ثم سائر الثمرات والغايات راجعة إلى المحيي جلّ جلاله بالمظهرية لتجليات أسمائه، وإظهار ألوان وأنواع جلوات رحمته في جنته في الحياة الأخروية التي هي ثمرات بذور هذه الحياة الدنيوية وهكذا..

إذ كما أن الشخص الموظف بأن يجسّ ويضع إصبعه عند اللزوم على الجهيزات التي تتحرك بها السفينة العظيمة للسلطان، لا يرجع إليه من فوائد السفينة إلا بمقدار علاقته وخدمته، أي من الألوف واحد.. كذلك درجة تصرف كل حي في سفينة وجوده. بل هناك يمكن أن يستحق من الألوف واحدا، لكن لا يستحق بالذات هنا من ملايين ملايين واحدا أيضا..

**اعلم** يا قلبي أن لذائد الدنيا وزينتها بدون معرفة خالقنا ومالكنا ومولانا -ولو كانت جنة- فهي جهنم. هكذا ذقتُ وشاهدتُ. حتى في نعمة الشفقة كما في «قطرة». ومعرفته تُغني عن كل ما في الدنيا حتى عن الجنة أيضا.

**اعلم** يا قلبي: إن كل ما يجري في هذه الدنيا له وجهان: وجه إلى الدنيا والنفس والهوى، ووجه إلى الآخرة. فأما الوجه الدنيوي فأعظم الأمور وأثقلها وأثبثها هو في نفس الأمر بدرجة من الصغر والخفة والزوال، بحيث لا يساوي ولا يوازي ولا يليق لأن يُشوّش له القلب «بالمَرَق» والتضجر، والتألم وشدة التأمل..

**اعلم** يا قلبي هل ترى أحمرَ وأبلهَ وأجهلَ ممن يرى تمثالَ الشمس مثلا في ذرة شفافة، أو تجليها في صبغة زهرة؛ ثم يطلب في الشُميسة المرئية في الذرة ومن لون الزهرة وصبغتها

كلّ لوازمات السراج الوهاج في سقف العالم، حتى جذبها للسيارات ومركزيتها للعالم. ثم إذا زال بعارضٍ ما رآه في هذه الذرة والزهرة، شرع - بسبب قصر النظر وانحصاره - ينكر وجود الشمس في وسط النهار، مع وجود شهاداتٍ سائر الذرات وكل «الشبنات»<sup>(١)</sup> والرشاشات والقطرات والحبابات والحياض والبحور والسيارات في ضحوة النهار الصحو.

ثم إن ذلك الأجهل يلتبس عليه «الوجود الظلي» بالتجلي بمقدار لياقة قابلية الشيء المرسمة بالقدر بـ «الوجود بالأصالة». فإذا رأى الشمس في ذرة شفافة يقول: أين عظمة الشمس، وأين حرارتها الخارقة، وكيف وكيف؟. إلى آخر بلاهاته! وقد يريد أن يقتبس من نارها أو يحسها بيده أو يؤثر في ذاتها تأثيراً بوجه ما، ولا يتفطن أن قربها منه بالتأثير فيه، لا يستلزم قربه منها حتى تتأثر الشمس من فعله. ثم إنه يرى في صغار الأشياء وخسائسها إتقاناً عجيباً واهتماماً غريباً وصنعة فائقة وحكمة راقية، فيزعم - بالقياس الباطل - أن صانع هاتيك تكلف في صنعها وتعمّل كثيراً؛ فيقول: ما قيمة الذباب مثلاً، حتى يُصرف له هذا المَصْرَفُ المهم من صانع حكيم؟ حتى يصير ذلك المسكين سوفسطائياً.

فيا هذا ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ (النحل: ٦٠) ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢) لا بد أن تعلم أموراً أربعة ينحل بها الإشكال.

الأول: أن كل شيء - من الذرات إلى الشمس - يصفه تعالى بها<sup>(٢)</sup> في كمال ربوبيته، لكن لا يتصف بها له لأجل مظهره لتجليه..

الثاني: أنه ينفتح من كل شيء إلى نوره تعالى باب، لكن بانسداد باب واحد في نظرٍ قاصر لا ينسد ما لا يُحد من الأبواب، وإن أمكن فتح الكل بفتح واحد.

والثالث: أن القدر المنعكس من العلم المحيط قد قيّد ورسم لكل شيء حصة لائقة من فيض تجلي الأسماء المطلقة النورانية.

والرابع: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢) و ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨) وأما إذا أُسِنِدَ - بالغفلة - الأشياء إلى

(١) الندى.

(٢) يصف الله تعالى بها له من صفات جليلة.

أنفسها وإلى الأسباب الإمكانية، للزم على كل العقلاء أن يقبلوا المحالات الناشئة من حكم ذلك الأجهل الأبله.

**اعلم** أن القرآن المعجز البيان يعبر كثيرا عن تبين الحقائق بضرب المثل، بسر أن الحقائق المجردة الإلهية متمثلة في دائرة الممكنات بقيود الأمثال، فالممكن المسكين ينظر إلى الأمثال في دائرة الإمكان، ويلاحظ من خلفها شؤون دائرة الوجوب - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - .

**اعلم** أن العرش كالقلب، فقلبك فيك مُلكاً<sup>(١)</sup> وأنت في قلبك ملكوتا. ففي دائرة الاسم «الظاهر» العرش العظيم محيط بالكل، وفي دائرة الاسم «الباطن» كالقلب للكون. وفي الاسم «الأول» يشار إليه بـ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود:٧) وفي الآخر يرمز إليه بـ: «وسقف الجنة عرش الرحمن»<sup>(٢)</sup> إذ لعرش من ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد:٣) حصّة الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية..

**اعلم** أن العجز معدن النداء، وأن الاحتياج منبع الدعاء.

فيا ربّي ويا خالقي ويا مالكي! حُجّتي عند ندائي حاجتي. وعُدّتي عند دعائي فاقّتي.  
ووسيلتي انقطاعُ حيلتي. وكنزي عجزِي. ورأسُ مالي آمالي وآلامي. وشفيعي حبيبك  
ورحمتك. فاعف عني واغفر لي وارحمني يا الله، يا رحمن، يا رحيم.

(١) أي كما أن قلبك فيك في حالة مُلك، وأنت في قلبك في حالة ملكوت، أي كما أن الإنسان من حيث الملك ظرف لقلبه ومن حيث الملكوت مظلوف.. (ت: ٩٦).

(٢) الديلمي، المسند ٢ / ٣٣٨؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٤١؛ ابن حجر، فتح الباري ٣ / ٣٥.

هذه المناجاة تحطرت إلى القلب هكذا باللسان الفارسي  
 يَا رَبِّ! بَه شَشْ جِهَتْ نَظَرِ مِی کَرْدَم، دَرِ دُخُودَرَا دَرَمَانْ نَبِی دِیدَم  
 دَر رَاسْتِ مِی دِیدَم کِه: دِی رُوزِ مَرَارِ پَدَرِ مَنَسْت  
 وَدَرِ چَبِ دِیدَم کِه: فَرْدَا قَبْرِ مَنَسْت  
 وَایَمُرُوز: تَابُوتِ جِسْمِ پُرِ اضْطِرَابِ مَنَسْت  
 بَرِ سَرِ عُمَرُ جَنَارِی مَنِ اِیستَادَه اَسْت  
 دَرِ قَدَم: آبِ خَالِکِ خَلَقْتِ مَنِ وَخَا کَسِرَ عِظَامِ مَنِ اَسْت  
 چُونِ دَرِ پَسِ مِیَنکَرَم، بِنَم: اِینِ دُنْیَا بِی بُنِیَادِ هِیچِ دَرِ هِیچَسْت  
 وَدَرِ پِیش: اَنْدَارِی نَظَرِ مِی کُنَم، دَرِ قَبْرِ کُشَادَه اَسْت  
 وَرَاهِ اَبَدِ بَدُورِ دَرَارِ بَدِیدَارَسْت  
 مَرَا جُزْجُزْ اِخْتِیَارِی چِزِی نِیستِ دَرِ دَسْت  
 کِه اَوْجُرْ هَمَ عَاجِرْ، هَمَ کُوتَاه، وَهَمَ کَمَ عِیَارِ اَسْت  
 نَه دَرِ مَاضِیِ مَجَالِ حُلُولْ، نَه دَرِ مُسْتَقْبَلِ مَدَارِ نُفُوزِ اَسْت  
 مِی دَانِ اَوْ اِینِ زَمَانِ حَالْ، وَیَکِ اِنْ سِیَالَسْت  
 بَا اِینِ هَمَه فَقْرَهَا وَضَعَفَهَا، فَلَمْ قُدَرْتِ تُو اَشْکَا رَه  
 نُوشْتَه اَسْت، «دَرِ فِطْرَتِ مَا»: مِی لِ اَبَدِ وَاَمَلِ سَرَمَدِ  
 بَلْکِه هَرْچِه هَسْت، هَسْت  
 دَائِرِی اِحْتِیَاجِ مَانَنْدِ دَائِرِی مَدِ نَظَرِ بُرُکِی دَارَسْت  
 خِیَالِ کَدَامِ رَسَدِ اِحْتِیَاجِ نِی زَرَسَدِ  
 دَرِ دَسْتِ هَرْچِه نِیستِ دَرِ اِحْتِیَاجِ هَسْت  
 دَائِرِی اِقْدَارِ هَمِچُو دَائِرِی دَسْتِ کُوتَاهِ کُوتَاهَسْت

پَسْ فَقَرُّو حَاجَاتِ مَا بَقَدَرِ جِهَانَسْت  
 سَرْمَايَهٗ مَا هَمْچُو: «جُزْءٌ لَا یَبْجُرُ» اَسْت  
 اِیْنِ جُزْءِ کَدَامَ وَاِیْنِ کَاثِنَاتِ حَاجَاتِ کُدَامَسْت؟  
 پَسْ دَرَرَاهِ تُو، اَزَاِیْنِ جُزْءِ نِیَزِ بَارِیْ کُدَشْتَنِ چَارَءِ مَن اَسْت  
 تَا عِنَايَتِ تُو دَسْتِکِیْرِ مَن شَوَد، رَحْمَتِ بِي نِهَايَتِ تُو پَنَاهِ مَن اَسْت  
 اَن کَسِ کِه بَحْرِ بِي نِهَايَتِ رَحْمَتِ یَا فَت اَسْت،  
 تَنَکِیْهٗ نَه کُذِّ بَرَاِیْنِ جُزْءِ اِخْتِیَارِیْ کِه یَکَ قَطْرَهٗ سَرَابَسْت  
 اُیْوَاهِ! اِیْنِ زَنْدِکَا نِیْ هَمْچُو خَابَسْت  
 وِیْنِ عُمَرِ بِي بُنِیَادِ هَمْچُو بَادَسْت  
 اِنْسَانِ بَزَوَالِ دُنْیَا بَقْنَا اَسْت، اَمَالِ بِي بَقَا اَلَا مَبِیْقَا اَسْت  
 بِيَا اَیْ نَفْسِ نَا فَرْجَامَ! وُجُودِ فَا نِیْ خُودِرَا فِدَا کُنْ  
 خَالِقِ خُودِرَا کِه اِیْنِ هَسْتِیْ وَدِیْعَهٗ هَسْتِ  
 وَمُلْکِ اَوْ وَاوَدَادَهٗ فَنَا کُنْ تَا بَقَا یَا بَدَّ، اَزَانْ  
 سِرِّیْ کِه: «نَفِیْ التَّغٰی» اِثْبَاتِ سَت  
 خُدَايِ پُر کَرَمِ خُودِ مُلْکِ خُودِرَا مِی خَرَدِ اَز تُو  
 بَهَايِ بِي گِرَانِ دَادَهٗ بَرَايِ تُو نِیْگَاهٗ دَارَا سَت

ترجمة المناجاة<sup>(١)</sup> التي تخطرت إلى القلب باللسان الفارسي  
 [[ يا رب! لقد بحثت في الجهات كلها (الجهات الست) فلم أجد دواءً لدائي.  
 فنظرت نحو اليمين، وإذا بقبر أبي بالأس.  
 ورنّا بصري نحو اليسار، فإذا قبري في الغد.  
 وهذا اليوم هو تابوت يحمل جسمي المضطرب.  
 فجنازتي ماثلة أمامي فوق رأس عمري.  
 وتحت الأقدام ماءً خلقتي ورميم عظامي ممزوجين.  
 وكلما نظرت إلى الخلف رأيت هذه الدنيا سرايا في سراب.  
 وإذا ما امتد نظري إلى الأمام، فالقبر فاجرٌ فاه. وطريق الأبد يتراءى من بعيد.  
 وإنني لا أملك سوى «الجزء الاختياري» وهو عاجز، قاصر، عديم الجدوى.  
 إذ لا مجال له للحلول في الماضي، ولا النفوذ إلى المستقبل.  
 وإنما ميدان تجواله هو: زمان الحال، وأنّ واحدٌ سيال.  
 وعلى الرغم من هذا الفقر والضعف فقد كتبَ قلَمٌ قدرتك في الفطرة ميلا إلى الأبد وأملا في  
 الخلود.  
 فدائرة الاحتياج واسعةٌ سعةً امتداد النظر، فأينما يصلُ الخيالُ تصلُ الحاجةُ أيضا.  
 بينما دائرة اقتداري قاصرةٌ كاليد.  
 ففقري وحاجتي بسعةِ الدنيا إذن.  
 ورأس مالي مثل «الجزء الذي لا يتجزأ» فأين هذا الجزء من تلك الحاجات التي تسع  
 الكائنات؟

(١) تفضل مشكوراً الأخ الكريم فاروق رسول يحيى بترجمة نص هذه المناجاة. أما ترجمتها الوافية ففي الكلمة السابعة عشرة وفي الرجاء السابع من اللمعة السادسة والعشرين «رسالة الشيوخ».

ولكنني أنطلق في سبيلك من هذا الجزء كي أحظى بعنايتك.

إن رحمتك المطلقة ملاذي.

فالذي يجد فيضاً من الرحمات، لا يعتمد على هذا الجزء الاختياري، الذي هو قطرة من سراب.

يا رب! هذه الدنيا ما هي إلا كالمنام، وهذا العمر يذهب أدراج الرياح.

والإنسان فإن بقاء الدنيا، والآمال الفانية آلام في البقاء.

تعالى أبنتها النفس التي لا حدود لها صَحِّي بوجودكِ الفاني.

فخالقك الذي بيده الوجود... موجود.

له الملك وهو المعطي، فأفنى نفسك كي تجد النفس البقاء.

وذلك بسر: نفى النفي إثبات.

يا إلهي يا ذا الجود والكرم هب لي مُلكاً من عندك.

وأعطني قيمة لا حدود لها، فإنك أنت الحفيظ. [[



## خطاب إلى مجلس الأمة<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣)

يا أيها المبعوثون! إنكم لمبعوثون ليوم عظيم.

أيها المجاهدون! ويا أهل الحل والعقد!

أرجو أن تُعيروا سمعا إلى مسألة يُسديها إليكم هذا الفقير إلى الله في بضع نصائح وفي عشر كلمات:

أولا: إن النعمة الإلهية العظمى في انتصاركم هذا تستوجب الشكر، لتستمر وتزيد، إذ إن لم تُستقبل النعمة بالشكر فستزول وتنقطع. فها دمتم قد أنقذتم القرآن الكريم من إغارة العدو - بفضل الله تعالى - فعليكم إذن الامتثال لأمره الصريح وهو الصلاة المكتوبة، كي يظل عليكم فيضُهُ وتُدوم أنواره بمثل هذه الصورة الخارقة.

ثانيا: لقد أهبجتم العالم الإسلامي بهذا الانتصار، وكسبتم ودَّهم وإقبالهم عليكم، ولكن هذا الودَّ والتوجُّه نحوكم إنما يدومان بالتزام الشعائر الإسلامية؛ إذ يحبكم المسلمون ويؤدُّونكم لأجل الإسلام.

ثالثا: لقد توليتم قيادة مجاهدين وشهداء في هذا العالم وهم بمثابة أولياء صالحين، فمن شأن أمثالكم من الغيارى السعيّ والجدّ لامتثال أوامر القرآن الكريم لنيل صحبة أولئك النورانيين، والتشرفِ برفاقتهم في ذلك العالم. وإلا فستضطرون إلى التماس العون والممدد من أبسط جندي هناك، في حين أنتم قادة هنا. فهذه الدنيا بما فيها من شهرة وشرف لا تستحق أن تكون متاعا تُرْضي كراما أمثالكم، ولا تكون لكم غاية المنى ومبلغ العلم.

(١) أُلقي هذا الخطاب في مجلس الأمة التركي في ١٩/١/١٩٢٣ (١٣٣٩) وهو محفوظ في سجلات المجلس، وكانت الدولة عندئذٍ على مفترق الطرق.. وكان من تأثير هذا الخطاب البالغ أن أُقبل كثير من النواب (المبعوثين) إلى أداء الفرائض. وقد نشر كلّ بالتركية في الكتاب فترجناه كاملا.

رابعاً: إن هذه الأمة الإسلامية مع أن قسماً منهم لا يؤدون الصلاة، إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤسائهم صالحين أتقياء حتى لو كانوا هم فسقة. بل إن أول ما يبادر أهل كردستان (الولايات الشرقية) مسؤوليهم هو سؤالهم عن صلاتهم. فإن كانوا مقيمين لها، فبها ونعمت ويثقون بهم، وإلا فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب رغم كونه مقتدراً في أداء واجباته. ولقد حَدَّثْتُ في حينه اضطرابات في عشائر «بيت الشباب» فذهبتُ لأستقصي أسبابها، فقالوا: إن كان مسؤولنا «القائمقام» لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر، فكيف نطيع أوامر أمثال هؤلاء المارقين من الدين؟ هذا علماً أن الذين قالوا هذا الكلام هم أنفسهم كانوا لا يؤدون الصلاة، بل كانوا قطعاً طرق!

خامساً: إنَّ ظهور أكثر الأنبياء في الشرق وأغلب الفلاسفة في الغرب رمزٌ للقدر الإلهي بأن الذي يستنهض الشرق ويقومه إنما هو الدين والقلب، وليس العقل والفلسفة.. فها دمتم قد أيقظتم الشرق ونبهتموه، فامنحوهم نهجا ينسجم مع فطرته. وإلا فستذهب مساعيكم هباءً منثوراً، أو تظل سطحية موقته.

سادساً: إن خصومكم وأعداء الإسلام الأفرنج قد استغلوا ولا يزالون يستغلون إهمالكم أمور الدين، حتى أستطيع أن أقول: إن الذين يستغلون تهاونكم هذا يضرّون بالإسلام بمثل ما يضرّ به أعداؤكم فينبغي لكم باسم مصلحة الإسلام وسلامة الأمة تحويلُ هذا الإهمال إلى أعمال. ولقد تبين لكم كيف لاقى زعماء «الاتحاد والترقي» نفورا وازدراءً من الأمة في الداخل رغم ما بذلوه من تضحية وفداء وعزم وإقدام، حتى كانوا سبباً - إلى حد ما - في هذه اليقظة الإسلامية، وذلك لعدم اكتراث قسم منهم بالدين وبشعائره، بينما المسلمون في الخارج قد منحوهم التقدير والاحترام لعدم رؤيتهم تهاونهم وإهمالهم في الدين.

سابعاً: على الرغم من تمكن عالم الكفر في الإغارة على العالم الإسلامي منذ مدة مديدة فإنه لم يتغلب عليه دينياً مع جميع إمكاناته وقدراته ووسائله الحضارية وفلسفته وعلمه ومبشره. فبقيت الفرق الضالة جميعها - في الداخل - أقليةً محكومة. لذا ففي الوقت الذي حافظ الإسلام على صلابته ومثابته بأهل السنة والجماعة لن يتمكن تيار بدعي مترشح من الجانب الخبيث للحضارة الأوروبية، أن يجد سبيلاً إلى صدر العالم الإسلامي. أي إن القيام

بحركة انقلابية جوهرية لا يمكن أن تحدث إلا بالانقياد لفساتير الإسلام، وإلا فلا. علما أنه لم يحدث مثل هذه الحركة في السابق، ولو كانت قد حدثت فلقد تلاشت سريعا وأفلت.

ثامنا: ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور وأوشكت الحضارة الأوربية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانهار. أما القيام بعمل سلبي فليس الإسلام بحاجة إليه، كفاء ما تعرض له من جروح ومصائب.

تاسعا: إن الذين يولونكم الحب قلبا ولسانا، ويثمنون خدماتكم وانتصاراتكم في «حرب الاستقلال» هذه هم جمهور المؤمنين، وبخاصة طبقة العوام، وهم المسلمون الصادقون. فهم يحبونكم بجد، ويعتزون بكم بصدق، ويساندونكم بإخلاص، ويقدرّون تضحياتكم، ويمدّونكم بأضخم ما تنبه لديهم من قوة. وأتم بدوركم ينبغي لكم الاتصال بهم والاستناد إليهم اتباعا لأوامر القرآن الكريم ولأجل مصلحة الإسلام، وإلا فإن تفضيل المتجردين من الإسلام والمتوقّي الصلة بالأمة من مقلدي أوروبا المعجبين بها، وترجيحهم على عامة المسلمين منافٍ كلياً لمصلحة الإسلام؛ وسيؤي العالم الإسلامي وجهه إلى جهة أخرى طلبا للمساعدة والعون.

عاشرا: إن كان في طريق تسعة احتمالات للهلاك، واحتمال واحد فقط للنجاة، فلا يسلكها إلا مجنون طائش لا يبالي بحياته.. ففي أداء الفرائض الدينية نجاة بتسع وتسعين بالمائة، علما أنه لا يستغرق -هذا الأداء- إلا ساعة واحدة في اليوم، مقابل ما قد يمكن أن يكون احتمال ضرر واحد فقط يصيب الدنيا ومن حيث الغفلة والكسل. بينما إهمال الفرائض وتركها فيه احتمال تسع وتسعين بالمائة من الضرر مقابل واحد بالمائة من احتمال النجاة من حيث الغفلة والضلالة.. فيا ترى أي مسوغ وأي مبرر يمكن ابتداعه في ترك الفرائض الذي يصيب ضرره الدين والدنيا معا؟ وكيف تسمح حمية الفرد ونخوته بذلك التهاون؟

إن تصرفات هذه القافلة المجاهدة من أعضاء هذا المجلس العالي بالغة الأهمية، إذ إنها سوف تُقلّد.. فالأمة إما أنها تقلّد أخطاءهم أو تنتقدها، وكلاهما مليء بالأضرار والأخطار. فتمسّكهم بحقوق الله وتوجّههم لأداء الفرائض يتضمن حقوق العباد أيضا.

إن عملا جادا لا يُنتج مع أولئك الذين يرضون بأوهام براءة نابعة من سفسطة النفس  
ووسوسة الشيطان ويصمّون آذانهم عن البلاغ المين والبراهين الساطعة بالتواتر والإجماع..  
ألا إن الحجر الأساس لهذا الانقلاب العظيم يجب أن يكون متينا صلدا.

إن الشخصية المعنوية لهذا المجلس العالي قد تعهّدت معنى «السلطنة» بها تتمتع به  
من قوة، فإن لم يتعهد -هذا البرلمان- معنى «الخلافة» وكالة أيضا ولم يقيم بامثال الشعائر  
الإسلامية ولم يأمر الآخرين بالقيام بها، أي إذا أخفق في تقديم «معنى الخلافة» ولم يستوفِ  
حاجة الأمة الدينية -هذه الأمة التي لم تفسد فطرتها والمحتاجة إلى الدين أكثر من حاجتها  
لوسائل العيش- والتي لم تنس حاجتها الروحية تحت كل ضغوط المدنية الحاضرة ولهوها،  
فإنها تضطر إلى منح معنى الخلافة إلى ما ارتضيتموه -تماما- من اسم ولفظ. فتمنح له القوة  
والإسناد أيضا لإدامة ذلك المعنى. والحال أن مثل هذه القوة التي ليست بيد المجلس ولا  
تأتي عن طريقه تسبب الانشقاق، وشق عصا الطاعة يناقض أمر القرآن الكريم الذي يقول:  
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

إنّ هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية -التي هي روح الجماعة- أثبت  
وأمتن من شخصية الفرد. وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية. فشخصية  
ال خليفة تتمكن من القيام بوظائفها استنادا إلى هذه الروح المعنوية. إن الشخصية المعنوية  
تعكس روح العامة فإن كانت مستقيمة فإن إشرافها وتألقها يكون أسطع وألمع من شخصية  
الفرد، أما إن كانت فاسدة فإن فسادها يستشري وفق ذلك. فالشر والخير محددان في الفرد،  
بينما لا يحددهما حدود في الجماعة. فإياكم أن تمحقوا المحاسن التي نلتوها تجاه الخارج  
بإبدالها شرورا في الداخل.

أنتم أعلم بأن أعداءكم الدائمين وخصومكم يحاولون تدمير شعائر الإسلام، مما  
يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها. وإلا فستعينون -بغير شعور منكم-  
العدو المتحفز للانقضاض عليكم.

إنّ التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يُغري العدو  
فيكم ويشجعه عليكم ولا يوقفه عند حدّه.

حسبنا الله ونعم الوكيل.. نعم المولى ونعم النصير.

# فِي الْحَبَابِ

مَنْ كَانَ لِلَّهِ كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ..  
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ، يَكُنْ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ..  
وَالْكُونُ لَهُ بِتَرْكِ الْكُلِّ لَهُ وَالْإِذْعَانِ بِأَنْ الْكُلِّ مَالُهُ وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ..

في (ط ١)

## إفادة مرام

يا أيها الناظر في رسائل العربية الثمان!<sup>(١)</sup>

إني أول ما كتبتها، ما كتبتُ إلّا لنفسي، ثم تخطّرتُ أن هذه النعمة من شكرها نشرها، لعل أن ينتفع بها أناسٌ. ثم بعد تكرار النظر فيها تفتنت فيها سرا ترددتُ في إظهاره من زمان، ولكن أحسّ في قلبي الآن سائقا لإظهاره، وهو:

أنه أرى مسائل تلك الرسائل وسائل وسلام للصعود إلى الزنايل النورانية المتدلّية من عرش الرحمن التي هي الآيات الفرقانية. فما من مسألة منها إلّا ويماسّ رأسها قدم آية من الفرقان. فمسائلها وإن حصلت لي أول ما حصلت شهوديةٌ وحدسية وذوقية، لكن لدخولي في صحراء الجنون مع رفاقة عقلي مفتوح الجفون - فيما يغمض فيه ذوو الأبصار - لفّ عقلي على عادته ما رآه قلبي في مقاييسه ووزّنه بموازينه واستمسكه ببراهينه.. صارت مسائل هذه الرسائل من هذه الجهة كأنها مبرهنة استدلالية.

فيمكن لمن ضلّ من جهة الفكر والعلم أن يستفيد منها ما يُنجيه من مزالق الأفكار الفلسفية.

بل يمكن أن يستخرج منها بالتهذيب والتنظيم والإيضاح عقائد إيمانية وعلم كلام جديد في غاية القوة والرصانة لردّ ضلالات أفكار هذا الزمان.

بل يمكن لمن اختلط عقله بقلبه، أو التحق قلبه بعقله المشتت في آفاق الكثرة أن يستنبط منها طريقة كسكة الحديد متينةً آمنةً يسلك فيها تحت إرشاد القرآن الكريم..

كيف لا، وكل ما في رسائل من المحاسن ما هو إلّا من فيض القرآن..

ولله الحمد كان القرآن هو مرشدي وأستاذي في هذا الطريق.

نعم، من استمسك به استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

(١) وهي: «قطرة وذيلها»، «ذرة»، «شمة»، «حبة وذيلها»، «حباب وذيله»، ويلحق بها: «نقطة» و«شعاعات» و«المعات».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تقدست عن الأشباه ذاته، وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته، الخلاق الذي ذاك العالم الكبير إبداعه.. وهذا العالم الصغير (أي الإنسان) إيجاده.. وذا إنشاؤه وهذا بناؤه.. وذا صنعته وهذا صبغته.. وذا نقشه وهذا زينه.. وذا رحمته وهذا نعمته.. وذا قدرته وهذا حكمته.. وذا عظمتُه وهذا ربوبيته وذا مخلوقه وهذا مصنوعه.. وذا ملكه وهذا مملوكه.. وذا مسجده وهذا عبده.. وعلى جوانبهما بل على كل جزءٍ منهما سكته الناطقة بأن الكل ماله.

اللَّهُمَّ يا قيومَ الأرض والسماء إِنَّا نُشْهِدُكَ ونُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وملائكتك بشهادة جميع أنبيائك وأوليائك وآياتك وجميع مصنوعاتك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ونستغفرُكَ ونتوبُ إليك ونشهد أن محمداً عبدك ورسولك، أرسلته رحمةً للعالمين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عليه كما يناسب حرمة وكم يليق برحمتك وعلى آله وصحبه أجمعين..

**اعلم** أن ما أنعم الله عليك من وجودك وتوابعه، ما هو إلا إباحة وليس بتمليك. فلك أن تتصرف فيما أعطاك كما يرضى مَنْ أعطى، لا كما ترضى أنت. كمن أضاف أحداً، ليس للضيف أن يُسرف أو يُصرف فيما لا إذن للمضيف فيه.

**اعلم** يا من يستغرب الحشر الأعظم ويستبعده! ألا تنظر إلى ما بين يديك مما لا يُحصى من أنواع الحشر والنشر والقيامات الخصوصية! وكيف تستبعد القيامة الكبرى مع مشاهدة ما لا يحد من القيامات في كل سنة، حتى في كل شجرة مثمرة أو مزهرة؟ وإن شئت اليقين الشهودي، فاذهب مع عقلك في آخر الربيع والصيف إلى تحت شجرة التوت أو المشمش، مثلاً.. وانظر كيف حُشرت ونُشرت هذه الثمرات الحلوة الحية.. والمخلوقات الطرية اللطيفة النظيفة. كأنها أعيان الثمرات اللاتي ماتت في السنة الخالية. فهؤلاء الثمرات المنشورة المنشورة اللاتي يضحكن في وجهك، ما هي إلا أخوات الميتات الخاليات وأمثالها كأنها هي. ولو كانت لها «الوحدة الروحية» كالإنسان كانت هي إياها، أي عينها، لا مثلاً! ثم تأمل في

الشجرة مع يسها وجهودها وحقاتها وصغرها، مع ضيق مجاريها واشتباك مسيل حَمَلَة أرزاق الأزهار والأثمار.. كيف صارت تلك الشجرة برأسها عالماً عجيباً، يصور للمدقق تمثال: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ (الانفطار: ٤). الحق أن القدرة التي تنشر من الشجرة اليابسة هذه المصنوعات اللطيفة لا يتعسر عليها شيء ما في الإمكان. آمناً.

**اعلم** أن تضمين كل سورة سورة من القرآن مجمل ما في كل القرآن وسائر السور من المقاصد وأهم القصص، لأجل أن لا يُحرَمَ مَنْ يقرأ سورة فقط عما أنزل له التنزيل؛ إذ في المكلّفين الأمي أو الغبي، ومن لا يتيسر له إلا قراءة سورة قصيرة فقط، فمن هذه اللمعة الإعجازية تصوير السورة قرآناً تاماً لمن قرأها.

**اعلم** أن الواحد المتصرف في الكثير لا يلزم أن يكون مباشراً مخالطاً متداخلاً فيما بينهم؛ لاسيما إذا كان مباين الماهية، ولاسيما إذا كان غير مادي ولا ممكن، بخلاف الكثير. والفاعل الكثير - كفعل الأمير في النفرات - يحصل بالإرادة والأمر بدون الاختلاط والمعالجة. ولو أُحيلت وظائف الإمارة وأفاعيلها على النفرات، لَزِمَت المباشرة الذاتية والمعالجة، أو انقلاب النفرات إلى ماهية الأمير. فالحق سبحانه مع غاية تقدسه وتنزهه وعلوه وعظمته، ونهاية بُعدنا وخساستنا، يتصرف فينا كما يشاء. وهو سبحانه كالشمس قريب منا.. ونحن بعيدون منه جلّ جلاله.

**اعلم** أن الكثرة تنجر إلى الوحدة بجهة صيرورة الجزء أنموذج الكل، كالشجرة إلى الثمرة؛ فيصيرُ الكل كالكلي، والجزء كالجزئي كضياء الشمس المنبسط في الفضاء، إذ قد تضمن كل من ذرات ذلك الضياء لتمثال من تماثيل الشمس، كأن الذرات المهتزة شُميساتٍ اتصلت فصارت ضياء مثلاً: - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ -.. هكذا تجليات أسماء نور الأنوار الأزلي فتجلي أسماء الله يُري بهذين الوجهين كلا وكليا.

**اعلم** يا مَنْ اطمأن بالدنيا وسكن إليها! إن مثلك كمثل من يتدحرج ساقطاً من أعلى قصر، يتدحرج ذلك القصر في سيلٍ، يتساقط ذلك السيل من أعالي جبل، يتدحرج ذلك الجبل متنازلاً بالزلزلة إلى أعماق الأرض.. إذ قصرُ الحياة ينهدم، وطائرُ العمر يمرّ كالبرق أو شك أن يبيضك في وكر القبر، وسيلُ الزمان تسرع دواليه بدرجة تُدهش العقول، وسفينَةُ الأرض تمرّ



مرَّ السحاب. فَمَنْ كَانَ فِي «شمندوفر»<sup>(١)</sup> يسرع سرعة شديدة، ثم مَدَّ يَدَهُ - في وسط الطريق وفي آن السرعة - إلى أزهير ذات أشواك مفترسة في جانب الطريق، فمزَّقت الأشواكُ يَدَهُ.. فلا يلومنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. فإذا كان هذا هكذا.. فلا تمدنَّ عينيك ولا يديك إلى زهرة الدنيا، فإن أشواكُ آلام الفراق تمزِّق القلوب في آن التلاقي؛ فكيف بوقت الفراق!

فيا نفسي الأمانة بالسوء! اعبدي مَنْ شئت واذعي ما شئت.. وأما أنا فلا أعبدُ إِلَّا الذي فطرني واقتدر على أن سخر لي الشمس والقمر والأرض والشجر، ولا أستمدُّ إِلَّا ممن حَمَلَنِي في طيارة العمر السابح في فضاءٍ محيط القدر، وسخر لي الفلك الدائر الطائر بين النجوم السيارات، وأركبني في «شمندوفر» الزمان المار كالبرق في أخدود الأرض وتحت جبل الحياة إلى باب القبر في طريق أبد الآباد.. وأنا قاعد بإذنه وتذكرته في «واغون»<sup>(٢)</sup> هذا اليوم المتصل طرفاه بحلقتي الأمس والغد.. ولا أدعو ولا أستغيث إِلَّا مَنْ يقدر على توقيف «جرخ الفلك»<sup>(٣)</sup> المحرك ظاهراً لفلك الأرض.. وعلى تسكين حركة الزمان بجمع الشمس والقمر.. وعلى تثبيت هذه الدنيا المتغيرة المتدحرجة من شواهد الوجود في أعماق أودية الفناء والزوال بتبديل الأرض غير الأرض؛ إذ لي آمال ومقاصد متعلقة بكل شيء، تبقى آمالي ملتزمة على ما يمر عليه الزمان، وتذهب عليه الأرض وتنفارقه الدنيا، ولي علاقة ولذة بسعادة كل صالح من أهل السماوات والأرض. ولا أعبدُ إِلَّا مَنْ هو؛ كما يسمع أدق هواجس سري ويصلح لي أرق آمال قلبي وميوله.. كذلك يقدر مع ذلك على ما يتمناه عقلي وخيالي من تحصيل السعادة الأبدية لنوع البشر بإقامة القيامة وتقليب الدنيا بالآخرة؛ فيصل يده إلى الذرة وإلى الشمس، فلا تتصاغر الذرة مخفية عن تصرفه، ولا يتكبر كبر الشمس على قدرته.. إذ هو الذي إذا عرفته انقلبت لك الآلام لذائذ، وبدونه تُنتج العلوم أوهاما.. والحكم أسقاما.. بل هي هي.

نعم، وبدون نوره تبكي الوجودات لك إعداماً، والأنوار ظلمات، والأحياء أمواتاً، وللذائذ آلاماً وآثاماً، ويصيرُ الأوداءُ بل الأشياءُ أعداء، وما البقاء بدونه إِلَّا بلاءٌ، والكمال هباءٌ، والعمر هواءٌ، والحياة عذاب، والعقل عقاب، وتبكي الآمالُ آلاماً.

(١) شمندوفر: القطار. وتوضيح المسألة في الكلمة الثالثة والعشرين.

(٢) واغون: عربة من القطار.

(٣) جرخ الفلك: دولا ب العالم، أي المقدرات.

مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَانَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْكَوْنُ لَهُ بَتْرُكُ الْكُلِّ لَهُ وَالْإِذْعَانُ بِأَنْ الْكُلَّ مَالُهُ.. وَهُوَ الَّذِي فَطَرَكَ بِصُورَةٍ أَحَاطَتْ بِكَ دَوَائِرُ مُتَدَاخِلَةٍ مِنَ الْحَاجَاتِ وَجَهَّزَكَ فِي أَصْغَرِهَا الَّتِي نَصَفَ قَطْرُهَا مَدُّ يَدِكَ بِاقْتِدَارٍ وَاخْتِيَارٍ. وَجَهَّزَكَ فِي الْبَوَاقِي الَّتِي وَسَّعَتْ بَعْضُهَا كَمَا بَيْنَ الْأَزَلِّ وَالْأَبَدِ وَالْفَرْشِ وَالْعَرْشِ بِالْدُّعَاءِ فَقَطْ.. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَهُوا بِكُمْ رَئِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧) فَالْصَّبِي يَنَادِي أَبُوهُ فِيهَا لَا يَصِلُ يَدُهُ إِلَيْهِ؛ فَالْعَبْدُ يَدْعُو رَبَّهُ فِيهَا عَجَزَ عَنْهُ.

**اعلم** أَنْ كِمَالَ صِنْعَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَإِتْقَانَهَا، مَا هُوَ إِلَّا مِنْ سِرِّ الْوَحْدَةِ. وَلَوْلَا الْوَحْدَةُ بَلَا تَوْزِيعٍ وَبَلَا تَحْزُونٍ وَبَلَا تَزَاحِمٍ لَتَفَاوَتْ الْمَصْنُوعَاتُ. كَوْحِدَةِ الشَّمْسِ وَوُجُودِهَا بِالتَّجَلِّي فِي كُلِّ مَا مَسَّهُ ضِيَاؤُهَا.. مِنْ ذَرَّةٍ شَفَافَةٍ إِلَى وَجْهِ الْبَحْرِ، وَلَا يَشْغُلُهَا شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ. فَهَذَا السِّرُّ تَشَاهُدُهُ فِي هَذِهِ الشَّمْسِ الْمُمْكِنَةِ الْمُسْكِنَةِ الْمَقِيدَةِ الْمَحْدُودَةِ الْجَامِدَةِ الْمَيِّتَةِ الَّتِي هِيَ قَطْرَةٌ مَتَلَمَعَةٌ بِتَجَلِّي شَعْلَةٍ مِنْ اسْمِ النُّورِ الْحَقِّ. فَكَيْفَ شَمْسُ الْأَزَلِّ وَالسُّلْطَانِ الْأَبَدِ وَالْقِيَوْمِ السَّرْمَدِ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَيِّ الْقَدِيرِ الصَّمَدِ جَلَّالَهُ؟ - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - فَوْحِدَةِ الضِّيَاءِ الْمَحِيطِ تَشِيرُ إِلَى الْوَاحِدِيَّةِ، وَوُجُودِ الشَّمْسِ بِخَاصِيَّتِهَا بِالتَّجَلِّي فِي كُلِّ جُزْءٍ وَذَرَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الضِّيَاءِ الْمَحِيطِ يَرْمِزُ إِلَى الْأَحْدِيَّةِ. فَتَأْمَلْ!

**اعلم** أَنْ مِنْ أَصْدَقِ شَوَاهِدِ الْأَحْدِيَّةِ:

«الْوَحْدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» مِنْ ذَرَاتٍ حَجِيرَةٍ مِنْ عَيْنِكَ، إِلَى وَحْدَةِ الْعَالَمِ.

و«الْإِتْقَانُ الْأَكْمَلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» بِمَا تَسَعُّهُ لِيَاقَةِ قَابِلِيَّتِهِ الْمَجْعُولَةِ بِقَلَمِ الْقَضَاءِ وَقَالَ الْقَدَرُ.

و«السَّهُولَةُ الْمَطْلُوقَةُ فِي إِنْشَاءِ كُلِّ شَيْءٍ وَإِبْجَادِهِ». وَأَنْ السَّهُولَةُ الْمَطْلُوقَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ وَجُودَ الصَّانِعِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ وَجُودِ الْمَصْنُوعِ، بَلْ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ أَثْبَتَ وَأَرْسَخَ مِنْهُ بِمَا لَا يَتَنَاهَى.

**اعلم** أَنَّ الْأَرْضَ تَعْطِيكُمْ وَتَتَبِعُكُمْ مَتَاعَهَا وَالْمَالُ الَّذِي فِي يَدِهَا، رَخِيصًا بِنَهَايَةِ الرِّخِيصِيَّةِ. فَلَوْ كَانَ الْمَتَاعُ مَالَهَا أَوْ نَسَجَ الْأَسْبَابُ الْإِمْكَانِيَّةُ، لَمَّا اشْتَرَيْتُمْ رِمَانَةً فَرْدَةً بِجَمِيعِ مَا تَصْرَفُونَ، لِاسْتِحْصَالِ جَمِيعِ مَا تَأْخُذُونَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ بِأَيْدِي أَشْجَارِهَا وَمَزَارِعِهَا؛ إِذْ يُرَى فِي كُلِّ حَبَّةٍ أَنْ صَانِعَهَا اهْتَمَّ بِهَا وَأَتَقَنَ فِيهَا بِنَهَايَةِ الْإِتْقَانِ وَغَايَةِ التَّزِينِ، وَجَمَعَ فِيهَا

ما جمع بشعور تام، ومهارة حكيمة، وجهّزها بلطائف اللون والطعم والرائحة لجلب أنظار المشتريين. فلو لم تكن هي مصنوعة من لا كلفة ولا معالجة ولا مباشرة في صنعه وإيجاده حتى تتساوى بالنسبة إلى قدرته الحبة والحديقة والفردة الفضة وكل النوع والذرة والشمس.. لما كان هذا هكذا بلا ريب وبالبداهة وبالحدس القطعي؛ إذ لا بد أن يكون صانع هذه الحبات العينية والرمانية المصنوعة ظاهراً لتطمين ذوق موقت وهوس جزئي لبعض الحشرات والحيوانات، إما مسلوب الشعور ومفقود الحس وعديم الإرادة بلا علم وبلا اختيار وبلا كمال، ليكون هذا هكذا رخيصاً تافهاً مبدولاً؛ والحال أن الصنعة الشعورية المتقنة الحكيمة المختارة تكذب هذا الفرض أشدّ تكذيب.. وإما واجب الوجود: قدير، مريد، عليم، حكيم، بيده ملكوت كل شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢) ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨) بالنسبة إليه، وله في كل مصنع حكمٌ وغايات تنظر إلى تجليات أسائه وإلى أسرارٍ له في الفعلية الشؤنية، غير ما يعود إلى المستهلكين من الفوائد الجزئية. فلا يمكن أن يكون منشأ هذا الفيض العام قوة عمياء تسيل منها هذه الثمرات كالسيل، ثم تلعب بها يد التصادفات والاتفاقيات؛ إذ تشخصاتها المنتظمة الحكيمة وخصوصياتها المتقنة الشعورية ترّد يد التصادف الأعمى والاتفاقية العوراء رداً قطعياً يقيناً. فبالضرورة تدل هذه الرخيصة المبدولة والسهولة نوعاً وكمّاً، والإتقان والاقتصاد فرداً وشخصاً وكيفاً، وتشهد على الجود المطلق من الجواد المطلق والحكيم المطلق والقدير المطلق جلّ جلاله وعمّ نواله وشمل إحسانه.

فسبحان من جمع نهاية الجود المطلق مع نهاية الحكمة المقتصدة، وأدرج الفيض المطلق الغير المحدود في ظروف النظام التام والميزان الحساس والعدل العادل.. الحساسة - تلك الثالثة - بدرجة تُجبر الفيل لمداغة الذباب العارض على ذرة من جسمه الجسيم، وتُقلق هذا الإنسان المتكبر، الذي يحكّ بيافوخه<sup>(١)</sup> كتف السماء بطعن البعوض «رُميحتة» فيتشمر لمقاتلته: ﴿ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالْمُظْلُومُ﴾ (الحج: ٧٣).. ويسكن غضب البحر ويسكت غيظ العاصفات وتسكن حدة البرودة بدعاء خفي من قلب منكسر لصبي نجا على لوح منكسر في البحر اللجّي.. ﴿أَمِنْ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢) يجيبه من يسمع هواجس القلب والسر، ويحكم على حركات الشمس والقمر، جلّ سلطانه..

(١) مثل يضرب على التكبر.

**اعلم** يا أيها المبتل بالأسباب، إن خلق السبب وتقدير سببته وتجهيزه بلوازم إنشاء المسبب، ليس بأسهل وأولى وأكمل وأعلى من خلق المسبب عند السبب بأمر «كن» ممن يتساوى بالنسبة إليه الذرات والشموس..

**اعلم** يا قلبي أن ما يرى ملء الدنيا من آلام الأعدام، إنها هي تجدد الأمثال، ففي الفراق مع وجود الإيمان توجد لذة التجدد دون ألم الزوال. فأمن تؤمن، وأسلم تسلم.

**اعلم** أن العصبية العنصرية الجاهلية، ما هي إلا الغفلة المتساندة المتصالبة، وإلا الضلالة والرياء والظلم المتجاوبة المتعاونة.. فيصير الخلق وملته كعبوده -العياذ بالله- وأما الحمية الإسلامية، فهي النور المهتز المنعكس من ضياء الإيمان.

**اعلم** يا من يشتغل بالمناظرة مع الملحدين والمتشككين والمقلدين للزنادقة الأوروبائين! إنك على خطر عظيم إن كانت نفسك غير مزكاة، لأجل التحاق نفسك سرا وتدرجاً من حيث لا تشعر بخصمائك.. على أن المناظرة بالإنصاف المسمى بالتركي «بي طَرْفَانَه مُحَاكَمَه»<sup>(١)</sup> أشدُّ خطراً على ذي النفس الأمانة؛ إذ بكثرة تكرار فرض المنصف نفسه في موقع الخصم يقيم في ذهنه خصماً خيالياً فيتولد منه في دماغه «لَمَّةٌ تنقيدٌ» تصيرُ وكيلَ خصمه داخلاً، فيتعشش الشيطانُ في تلك اللمة. لكن لا تيأس إن كانت نيتُك خالصة. فإذا أَحَسَسْتَ بهذا الحال فاصرف عنان الجهاد إلى عدوك الأكبر الداخلي، وعليك بكثرة التضرع والاستغفار.

**اعلم** أن الآلات الجامدة والحيوانات وجهلة العملة المستخدمة في بناء قصر عجيب لسلطان عظيم، وترسيم نقوشه، يعلم كلُّ مَنْ رآها أنها «لا تعمل بحساب أنفسها بل بحساب مَنْ يستخدمها» في مقاصده العالية الواسعة وأغراضه الرقيقة التي تقاصر عن إدراكها أفكارُ خواص العلماء، فكيف بجهلة العوام وبهيمه الأنعام وجامدات الأقلام.. كذلك من أمعن في جلوات الأزاهير وتودداتها وتحبياتها إلى أنظار ذوي الحياة يتقن أن الأزاهير موظفون -من جانب حكيم كريم- بالخدمة والتودد لضيْفَانِ ذلك الكريم النازلين بإذنه في أرضه، وكذلك الحيوانات.

نعم، أين حس الزهرة وشعور البهيمه، وأين دَرَكُ غايات نقوش الحِكَم ولطائف

(١) أي المناظرة الموضوعية الحيادية والمنصفة.

محاسن الكرم المودعة في جلوات الأزاهير بتزييناتها، وتطورات الأنعام بمنافعها؟ فما هذه الحالات إلا تعرّف ربّ كريم وتودّده وتحبّه إلى عباده وضيوفه جلّ جلاله وعمّ نواله وشمل إحسانه.

**اعلمي!** أيتها النفس المشؤومة! إنك تطلّبين كلّ لوازمات المراتب المختلفة في كل مرتبة، وحاجات كل الحواس في حاجة كل حسّ، وأذواق كل اللطائف في درجة كل لطيفة، وشعاعات كل الأسماء الحسنى في كلّ اسم، وعظمة المؤثر خلف كل أثر ومصنوع، وخواصّ المعنى الخارجي في المدلول الظلي،<sup>(١)</sup> بل في الدال. فاطلبي من كلّ ما يليق به وما يسعه لئلا تستهوي بك الأوهام.

**اعلم** أنه لا بد إذا رأيت نفسك بعظمتها أن تنظر إلى ما هو أعظم منك من السماوات وغيرها، وإذا رأيت ما هو أصغر منك من الهوام والحشرات فانظر إلى حُجيرات جسدك وادخل مع نظرك في حُجيرة منها، ثم انظر إليها حتى ترى البعوضة فما فوقها أكبر منك، لئلا يسقط في عينك أهمية الحكمة والرحمة والنعمة وإتقان الصنعة فيك. وإذا رأيت الغير الغير المحدود المماثلين لك في النعم، فانظر إلى احتياجك وعجز نفسك وحكمة النعمة، لئلا تهون عندك قيمة نعمتك.

نعم، هل يخفّف احتياجك إلى العين وجود العين في عموم الحيوان؟ أم هل يُنقص الشمول أثر القصد والإنعام الخاص؟ كلا، بل يشدّه ويزيده.

**اعلم** أن الحياة في كل ذي حياة لها غايات لا تعد ولا تحصى، يعود إلى الحي واحد وإلى المحيي بمقدار مالكيته الغير المتناهية؛ ولا حق للكبير أن يتكبر على الصغير في الخلقة، ولا عبثية في الواقع، وإنما هي في نظر البشر النفسي الغرور الذي يزعم ويرى أن الأشياء كلّها لأجل منفعه وهوساته. ويحسب أن لا غاية لها غير ما يعود إليه..

نعم، هذه الضيافة المفروشة على ظهر الأرض إكرامٌ للبشر بسرّ الخلافة وبشرط استحصال لياقة الكرامة.. لا لهُ ولا استفادته فقط.

**اعلم** أنه إذا قال لك الموسوس: ما أنت إلا حيوان مما لا يجد من الحيوانات،

(١) المعاني المتولدة في الذهن (ت: ١٠٣)

والنمل أخوك والنحلة أختك، فأين أنت وأين مَنْ يَطْوِي السَّمَاءَ ﴿كَطَيَّ السَّيْلَ لِلْكُتُبِ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧)؟

فقل له: إن عدم تناهي عجزني وفقرني وذلي، مع علمي الإذعاني به يصيرُ مرآةً لعدم تناهي قدرته وِعَنائه وعزته. فهذا السرِّ رَقَانِي من مرتبة إخواني الحيوانات. وإن من لوازم كمال عظمتِه وإحاطة قدرته أن يسمع ندائي ويرى حاجاتي ولا يُشغله تدبيرُ الأرض والسماوات عن تدبير شؤوني الحاضرة.

وأما تباعد الإنسان والممكن بدرجة عظمتِه عن الاشتغال بجزئيات الأمور وخسائسها، فليس من عظمتِه.. بل إنَّما ينشأ من عجزه ونقصه وضعفه. أفلا تشاهد كُلَّ حَبَابٍ بل كل رشاشَةٍ من القطرات والذرات الزجاجية، تشتمل على تمثال الشمس، لو تكلمت تلك ل قالت كُلُّ منها: الشمس لي وعندي وفيّ ومعِي.. وما يزاحم تلك الذرات في المناسبة مع الشمس لا عيونُ السيارات ولا خدودُ البحور ولا عظمتُ الشمس. بل بدرجة علمنا بعدم تناهي فقرنا وحقارتنا تتزايد القربة - والمناسبة بعدم المناسبة<sup>(١)</sup> - فما أَلْطَفَ مناسبةً من لا يتناهى في فقره وعجزه، مع من لا نهاية لغناه وقدرته وعزته وعظمتِه!

فسبحان مَنْ أدرج نهايةَ اللطف في نهاية العظمة، وغايةَ الرأفة في غاية الجبروت، وجمعَ نهايةَ القُرب مع غاية البُعد. وأخى بين الذرات والشموس، فأظهر قدرته بجمع الأضداد!

فانظر كيف لا تُشغَلُ حَشْمَةُ تدبير الأرض والسماوات عن لطافة تربية الهوام والحشرات، ولا يعوقُه تدبيرُ البر والبحر عن إيجاد أصغر النحل والطير وعن إحياء صغار السمك في أعماق البحور، ولا تترامحه شدَّةُ عاصفات البر وحدة غضب البحر عن كمال لطفه وإحسانه إلى أخفى وأضعفٍ وأعجزٍ وأصغر حيوان ساكنٍ في أخفى مكان، متوكلاً تحت ظلمات كثافة البحر وغياهب أمواجه وتفاقم ارتجاجاته، وظلمة الليل وظلمات سحابه..

فتبسُّمُ الرحمة في خلال غضب البحر وخلف وجهه العبوس القمطير؛ إذ ينادي هذا البحر بنغماته الواسعة: يا عظيم، يا جليل، يا كبير، يا الله.. سبحانك ما أعظم كبرياءك. فيقابله

(١) أي مع عدم المناسبة.

ذلك الحيوان الصغير بترتّماته الخفية: يا لطيف، يا كريم، يا رزاق، يا رحيم، يا الله.. سبحانك ما أطفَ إحسانك. ففي اقتران هذين الذكرين، وامتزاج هذين التسيحين حِشمةً لطيفة ولطافة محتشمة وعبودية عالية للواحد الأحد الصمد جلّ جلاله وعمّ نواله..

اعلم أن الأهم الألزم بعد علوم الإيمان، إنما هو العمل الصالح؛ إذ القرآن الحكيم يقول على الدوام: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

نعم، هذا العمر القصير لا يكفي إلّا لما هو أهم.. وأما العلوم الكونية المأخوذة من الأجانب فمضرة؛<sup>(١)</sup> إلّا للضرورة وللحاجات وللصنعة واستراحة البشر.

اَللّٰهُمَّ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اَرْحَمْ اُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،  
وَنَوِّرْ قُلُوْبَ اُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِنُوْرِ الْاِيْمَانِ وَالْقُرْآنِ،  
وَنَوِّرْ بُرْهَانَ الْقُرْآنِ، وَعَظِّمْ شَرِيْعَةَ الْاِسْلَامِ، اٰمِيْنَ.

(١) إن كانت تفضي إلى السفاهة والفساد (ت: ١٠٥).





## الرسالة السادسة

حَبْرٌ

من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن

حَبَّ مِي كُودِ

مَنْ شَاخِ دِرْخْتَمِ بَرَاَزِ مَيَوَهٗ تَوْحِيدِ

يَكْ شَبْنَمِ أَزِيدِ بَرَاَزِ لَوْلُو تَمْجِيدِ<sup>(١)</sup>

(١) [[الحبة تقول: إني غصنُ شجرةٍ مثقلٌ بثمره التوحيد وقطرةٌ ندى من البحر الزاخر بلؤلؤ التمجيد.]]

طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «أوقاف إسلامية» بإسطنبول سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م).

## إفادة المرام

**اعلم** أنه قيل لي إن الناس يقولون: لا نفهم كثيرا مما في آثاره فتصير ضائعة.

فأقول: لا تضع بإذنه تعالى. وسيجيء زمان يفهمها أكثر المتفكرين المتدينين إن شاء من يده مقاليد كل شيء؛ إذ أكثر هذه المسائل أدوية جربتها في نفسي أعطانيها الفرقان الحكيم، لكن يمكن أن لا يفهمها الناس كما أفهمها بتمامها! لأن نفسي -بسوء اختيارها- من الرأس إلى القدم ملمعة بالجروح المتنوعة، فالسليم بحياة القلب لا يفهم درجة تأثير الترياق في السقيم بلدغ حية الهوى كما يفهمه هو...

وأیضا إني لا أتصرف في السانحات للتوضيح؛ عجزا من التحرير أو خوفا من التغيير. فأكتبها كما سنحت...

وأیضا أتكلم في مكاني، لا في مقام السامع المواجه لي -خلافًا لسائر المتكلمين الذين يفرضون أنفسهم في مقام السامعين- فيصير أمام كتابي (الذي) وجهه إليّ، ومعكوسه ومقلوبه إلى السامع، فكأنه يقرأ في المرأة فيتعسر عليه؛ فإذا لا أذهب إلى مقامه، فليرسل هو خياله إليّ لأضيّقه على عيني في رأسي، كي يرى كما أرى.

أدرجتُ في «نقطة وقطرة وذيلها وذرة وشمة وحب» تفاريق حدسيات، وقطعات مرآة إذا جاء بإذنه تعالى من يركبها، بتحرير وتصوير، تظهر مرآة يظهر فيها وجه عين اليقين ويتحصل حدس يزهر منه نور حق اليقين.. كيف لا، وهو من فيض القرآن المبين!

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه..

آمين

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ الَّذِي هُوَ مَرْكَزُ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ وَمَنْعُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ مَا دَامَ الْمَلَوَانِ<sup>(١)</sup> وَمَا دَامَ الْقَمَرَانِ<sup>(٢)</sup>.

**اعلم** أنه بينما ترى العالمَ كتاباً كبيراً ترى نورَ محمد عليه الصلاة والسلام مدادَ قلم الكاتب.. وبينما ترى العالمَ يلبس صورةَ الشجرة ترى نورَه عليه الصلاة والسلام نواتها أولاً، وثمرتها ثانياً.. وبينما ترى العالمَ يلبس جسمَ الحيوان<sup>(٣)</sup> ترى نورَه «عليه الصلاة والسلام» روحه.. وبينما ترى العالمَ تحوّل إنساناً كبيراً ترى نورَه عليه الصلاة والسلام عقله.. وبينما ترى العالمَ حديقةً مزهرةً ترى نورَه عليه الصلاة والسلام عندليه.. وبينما ترى العالمَ قصراً مزيناً عالياً ذا سرادقات تتظاهر فيها شعشةُ سلطنة سلطان الأزل وخوارقُ حشمته، ومحاسنُ تجليات جماله، ونفوشُ خوارق صنعته، إذا ترى نورَه عليه الصلاة والسلام نظاراً يرى لنفسه أولاً، ثم ينادي بيا أيها الناس تعالوا إلى هذه المناظر النزيهة، وحيهلوا<sup>(٤)</sup> على ما لكم فيه كل شيء من المحبة والحيرة والتنزّه والتقدير، والتنوّر والتفكير، وما لا يحد من المطالب العالية. ويرى الناس، ويشاهد ويشهد لهم.. يتحير ويُحيرهم.. يُحب ويُحبُّ مالِكُه إليهم.. يستضيء ويُضيء لهم.. يستفيض ويفيض عليهم..

**اعلم** أن الإنسان ثمرةُ شجرة الخِلقَة. والثمرةُ تكون أكملَ الأجزاء وأبعدها من الجراثيم، وأجمعها لخصائص الكل.. وهي التي من شأنها أن تبقى وتُسَبِّقى.

ومن الإنسان مَنْ هو نواةٌ أُنبتَ القديرُ جل شأنه منها تلك الشجرة.. ثم صيرَ الفاطرُ جل جلاله ذلك الإنسان ثمرةً تلك الشجرة.. ثم جعل الرحمنُ تلك الثمرة النورانية نواةً لشجرة الإسلام.. وسراجاً لعالمها.. وشمساً لمنظومتها..

(١) الملوان: الليل والنهار، الواحد ملا.

(٢) القمران: الشمس والقمر.

(٣) أي لو افترض العالم كائناً مجسماً ذا حياة ترى.. (ت: ١٩٦)

(٤) حيهلوا: اسم فعل بمعنى أقبلوا وعجلوا وهلموا.

وأنة لابد في الثمرة من نواةٍ تشتمل بالقوة على لوازمات شجرةٍ هي مثل أصلها.  
وأصغريّة النواة لا تنافي أعظميّة الشجرة، كنواة شجرة التينة..

وأن في الإنسان حبةً، لو كان الإنسان ثمرةً، لكانت تلك الحبة نواته، ألا وهي القلب..  
فقد رأيتُ فيه بواسطة الاحتياج علاقاتٍ إلى أنواع العالم، بل إلى أجزائها.. وارتباطاتٍ إلى  
جميع أنوار الأساء الحسنى باحتياج شديد وفقر عظيم لتجلي فردٍ فردٍ منها.. حتى كأن له  
حاجاتٍ عدد أجزاء العالم، وله أعداء ملء الدنيا.. فما يطمئن إلا بمن يقتدر أن يُغنيه عن كل  
شيء، ويحفظه من كل شيء..

ورأيت فيه أيضا قابليّةً تمثل مجموع العالم كالخريطة والفهرسته والأنموذج والتمثال..  
وأن المركز فيه لا يقبل إلا الواحد الأحد.. ولا يرضى إلا بالأبد والسرمد.. فهذه النواة -وهي  
حبة القلب- ماؤه الإسلام وضيأؤه الإيمان فإن اطمأنت تحت تراب العبودية والإخلاص،  
وسُقيت بالإسلام، وانتبهت بالإيمان، أنبتت شجرة نورانية مثاليةً من عالم الأمر هي روحٌ لعالمه  
الجسماني، وإن لم تُسق بقت نواة يابسة منكمشة لاثقةٌ للإحراق بالنار إلى أن تنقلب إلى النور.

وكم في النواة من أعصابٍ رقيقة وأشياءٍ دقيقة لا يُبالى بها، وتُرى أقل من أن يُهتَم بها،  
إلا أن لكلٍ منها -إذا انكشفت النواة- وظيفةٌ مهمةٌ بحشمة وعظمة.. كذلك لحبة القلب  
خدّام كامنة نائمة إذا انتبهت وانبسطت بحياة القلب، يحولون في بساتين الكائنات كطيور  
سيارة، وتنبسط<sup>(١)</sup> بدرجة يقول المرء: الحمد لله على كل مصنوعاته، لأنها كلها لي نعمٌ.. حتى  
إنَّ الفرض أو الخيال الذي هو من أضعف خدّام القلب وأهونهم، له وظيفةٌ عجيبة، يدخل  
به صاحبه المتوكل -وهو في السجن مقيد- في حديقة نزيهة، ويضع رأس صاحبه المتنّب وهو  
يصلي في الشرق أو الغرب تحت «الحجر الأسود» ثم يُودع في الحجر الأسود شهادتي صاحبه..  
ومن المشهود أن «البيدر» يدور على رؤوس «الأثمار».. والثمرة هي التي تنقَى  
وتُسْتَبقى.. فبيدر الحشر ينتظر بني آدم.

**اعلم** أن لكل أحد من هذا العالم العام عالماً خاصاً، هو عين العام، لكن مركزه هو  
الشخص، بدل الشمس. فمفاتيح ذلك العالم في نفس الشخص ومعلّقة بلطائفه.. ولون ذلك

(١) أي حبة القلب.

العالم وصفافؤه وحُسنه وقُبْحه وضيافؤه وظلمته تابعةٌ لذلك المركز. فكما أن الحديقة المرتسمة في المرأة تابعة في أحوالها من الحركة والتغيّر وغيرها للمرأة، كذلك عالم الشخص تابعٌ لمركزه الذي هو الشخص كالظل والتمثال. فلا تحسبن صِغَرَ جِرمك سببا لصغر جُرمك؛ إذ ذرّةٌ من قساوة قلبك، تكدر<sup>(١)</sup> عليك نجوم عالمك..

**اعلم** أن هذه ثلاثون سنة، لي مجادلةً مع طاغوتين وهما: «أنا» في الإنسان، و«الطبيعة» في العالم. أما هذا، فرأيتُه مرآةً ظلّيا حرفيا. لكنّ نظَرَ الإنسان إليه نظرا اسميا قصديا بالأصالة، ففرعن عليه وتَمَرَدَ. وأما هذه، فرأيتها صنعةً إلهيةً وصبغةً رحمانية.. لكنّ نظَرَ البشرُ إليها بنظر الغفلة فتحوّلت لهم «طبيعة» فتألّهت عند ماديّهم. فأنشأت كفران النِعَم المنجرّ إلى الكفر.

فله الشكر والحمد وبتوفيق الأحد الصمد وبفيض القرآن المجيد أنتجت المجادلة قتلَ الطاغوتين وكسرَ الصنمين؛ بالنقطة، والقطرة، والذرة، والشمّة، والحبة، والحباب.. فتكشّفتُ الصنعةُ الشعورية الإلهية والشرعيةُ الفطرية الربانية من حجاب الطبيعة الموهومة، وانسلختُ هي منها، أي نهاؤها من ليلها. وتكشّفتُ «أنا» عن ظل «هو»، وانشقّ عنه فأشارت بـ«هو» إلى من: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) جَلّ جلاله..

**اعلم** يا «أنا»! لك أمور تسعةٌ في دنياك تعاميتَ عن ماهيتها وعواقبها:

أما جسّدك؛ فكالثمرة المتزهرة المتزينة صيفا، المنكمشة المتفسخة شتاءً.

وأما حيوانيتك<sup>(٢)</sup>؛ فانظر إلى جنس الحيوان كيف يُسرّع فيهم الموتُ والزوال.

وأما إنسانيتك؛ فمرتدة بين الانطفاء والاصطفاء والزوال والبقاء، فاستحفظْ على ما بقي بها من شأنه أن يبقى بذكر الدائم الباقي.

وأما حياتك<sup>(٣)</sup>؛ فكقامتك قصيرةٌ معيّنة الحدود لا تقدّم ولا تؤخّر، فلا تتألم ولا تحزن ولا تحفّ عليها ولا تحمّلها ما لا طاقة لها به مما تطاول إليه طول الأمل.

(١) مشتقة من انكدار النجوم أي تناثرها.

(٢) أي حياتك المادية (ت: ١٠٨)

(٣) أي مدة بقائك وعمرك.

وأما وجودك؛ فليس مُلكاً لك، فله مالكَ، الملكُ له وأشفقُ به منك؛ فمداخلتك بغيرِ ما أمركَ به، فكما أنها من الفضول وشُغل فضولي فكثيراً ما تضر؛ ألا ترى الحرص و(مرق) النوم كيف يفعلان ويجلبان الخيبة والسهر!

وأما مصائبك؛ فلا تمرُّ<sup>(١)</sup> حقيقةً لأنها تَمُرُّ سريعاً، بل تحلو لأنها تُحول؛ فتحوّل وجهك من الفناء في الفاني إلى البقاء بالباقي.

وأما أنت هنا الآن؛ فمسافرٌ ثم مسافرٌ، والمسافرُ لا يعلّق قلبه بها لا يتعلق به ويفارقه بسرعة. فكما ترحل من هذا المنزل في هذا المسجد البتة، كذلك تفارق هذه البلدة قطعاً، إما إلى بطنها أو إلى خارجها.. فكما ستفارقها بالضرورة، كذلك تذهب بل تُخرج وتُطرّد - شئت أم أبيت - من هذه الدنيا الفانية؛ فاخرج وأنت عزيز قبل أن تُطرّد وأنت ذليل.

وأما وجودك؛ فافدِه لمُوجده الذي يشتريه بثمانٍ غالٍ، فسارع إلى البيع بل الفداء:  
أولاً: فلاّنه يزول مجاناً.

وثانياً: لأنّه ماله وإليه يؤول..

وثالثاً: لأنّه إن اعتمدت عليه سقطت في العدم، لأنّه «بابٌ إليه»، وإذا فتحته بالترك وصلت إلى الوجود الثابت..

ورابعاً: لأنّه إذا تمسكت به كان في يدك نقطة وجودٍ فقط، ويحيط بك ما لا يتناهى من الأعدام الهائلة.. وإذا نَقَضَ يدك منه استبدلت لمعةً بشمس فينقلب محيطك إلى ما لا يتناهى من أنوار الوجود.

وأما لذائذ الدنيا؛ فقسمتك تأتيك، فلا تَطش في طلبها.. ولزوالها بسرعة لا يليق بالعاقل تعلّق القلب بها. وكيف ما كانت عاقبةً دنياك فتركُ اللذائذ أولى؛ إذ إما إلى السعادة، وهي تستلزم تركها.. وإما إلى الشقاوة. ومن يتطرّ الصلْب كيف يلتذّ ويستعذب ما يزيد عذابه من تزيينات آلات الصلْب؟ وإن توهمت بالكفر العدم - العياذ بالله - فأولى بالترك؛ إذ بزوال اللذة يُحسُّ ذلك العدم الهائل ألمه الأليم أنا فآنا في ضمن زوال اللذائذ، وهذا الألم أنقل بمراتب من لذة الوصال إن كنت تشعر..

(١) مأخوذة من المראה ضد الحلاوة.

**اعلم** أن مثلك - وقد تصيب رأسك المصائبُ المرمأةُ «بالقدر» - كمثل أغنام مُرسلة في المرعى، يراها الراعي قد تجاوزت، فيرمي الأحجارَ خلفها لترجع، فيقول المُصابُ رأسه بلسان الحال: نحن تحت أمر الراعي، وهو أعرفُ بنا منا فلنرجع.. فيرجع.. فيرجعون..

فلا تكوني يا نفسي أضلَّ من الغنم! فقولِي عند المصيبة:

﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).

**اعلم** أن من الدليل على أن القلب ما خلُق للاستغال بأُمور الدنيا قصداً؛ أنه: إذا تعلق بشيء تعلق بشدةٍ، واهتم به اهتماماً عظيماً، ويتطلب فيه أبديةً ودواماً.. ويفنى فيه فناً تاماً. وإذا مدَّ يده يمدَّ يداً تطيق أن تقبض على الصخور العظيمة وترفعها، مع أن ما يأخذه بتلك اليد من الدنيا، إنما هو تينةٌ أو تبنَةٌ أو ريشةٌ أو شعرةٌ أو هباءٌ أو هواءٌ..

نعم، القلب مرآة الصمد؛ فلا يقبل حجرَ الصنم بل ينكسر به. والعاشق المجازي يرى ظلمَ معشوقه في الأكثر، بسر: أن المعشوق بفطرته - بلا شعور - يرد ولا يرضى ما ليس له بحق، وهو ليس بلائق إسكانه في باطن قلب العاشق.

**اعلم** أن القرآن أنزل وأنزلت به مائدةٌ سماويةٌ، يوجد فيها كل أنواع ما تحتاج إليه طبقاتُ نوع البشر المتفاوتين في اشتهاؤ الأفهام.. في المائدة أطعمة مرتبة، قدّم أولاً في وجهه السفرة الإلهية رزقُ الأكثر المطلق والجمهور الأعظم، أي العوام.. مثلاً: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠) الصفحة الأولى: أي هما رتقاوان، أما هذه ففنيةٌ صحوٌ صافيةٌ. وأما تلك فميتةٌ غبراء يابسة. فازدوجتا بإذنه تعالى فأولدت هذه أمطاراً وتلك أثماراً. والدليل على هذه الصحيفة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠). وخلف هذه الصفحة والصحيفة انفصال السيارات مع شمسها<sup>(١)</sup> من عجین المادة التي خلقت من نور سيّد الأنام ﷺ. والآية<sup>(٢)</sup> على هذه الصفحة حديث: «أول ما خلق الله نوري.. الخ»<sup>(٣)</sup>.

(١) وتفصيلها في إشارات الإعجاز لدى تفسير الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ٢٩).

(٢) أي الدليل والبرهان.

(٣) العجلوني، كشف الخفاء ٣١١/١ عن جابر بن عبد الله بلفظ: «قلت: يا رسول الله بأي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره...» فذكر الحديث بطوله. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن ٤٧٠/٣.

مثلاً: ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٥) الصحيفة الأولى المقدمة في النظر، أنهم مع إقرارهم بخلقهم الأول الأعجب المشهود، يستبعدون الخلق الجديد الأهن؛ إذ له مثال سبق. وإن خلف هذه الصحيفة برهانا نيرا على كمال سهولة النشر.

أيها المنكرون للحشر.. تُحْشَرُونَ.. وتنشرون في عمركم مرات، بل في سَنَتِكُمْ، بل في يومكم، تلبسون وتخلعون هذا الجسم كلباسكم صباحا ومساءً يتجدد عليكم جسمكم كلباسكم.<sup>(١)</sup>

**اعلم** فيا عجبا من بلاهة النفس! ترى في نفسها أثر المصنوعية والمملوكية والتربية من طرف رب مختار حكيم، ثم تنظر إلى أمثالها من سائر الأفراد والأنواع والأجناس، فيتظاهر سرُّ كَلِيَّةِ القاعدة وشمول الفيض، وتحلُّب نوع إجماع وتصديق فعلي، فكان لازما عليها أن تظمن بتفطنٍ سر: «كلية القاعدة ودستورية الحادثة». والحال أنها تتخيل ما يقوي تجليات الأسماء عليها من عموم تجلياتها في دائرة الآفاق سبب الضعف وواسطة التستر وأمرة الإهمال وعلامة أنه لا رقيب عليها فتقول: اتسع فامتنع.. عَظُمَ فَعُدِمَ. فهذه مغلطة يخجل منها الشيطان أيضا.

**اعلمي!** أيتها النفس المتضجرة القلقة.. أن كل أحوالك في التعين، والنقش في جبهتك بقلم القدر، كطلوع الشمس وغروبها. فإن أردت أن تضربي سندان القدر برأسك العليل، فتضجري. واعلمي يقينا، أن من لا يستطيع أن ينفذ من أقطار السماوات والأرض، لا بد أن يرضى رضا محبة ربوبية من: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢).

**اعلم** لو كان صانع الشيء في الشيء لناسبه، ولتنوع بعدد الأشياء. وإذا لم يكن فيه فلا، كهذا الكتاب: يُكتب بقلم واحد مع أنه لا يُطبع إلا بحديدات مصنوعة، موضوعة تحته عدد حروفه، ولو تَبَيَّنَتْ نقوش الصنعة المتقنة في شيء منه وتحلَّبت ثمراتها وترشحت حروفها من نفسه وإمكانه، لانبث وانتشرت وانتشرت وخرجت عن الانتظام. لكن فيها استقرار تام وانتظام كامل فلم ينكتب نقش الشيء منه ولن ينكتب منه أبدا، بل يُكتب عليه بقلم القدرة على مسطر القدر.

(١) تفصيله في إشارات الإعجاز في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾ (المؤلف).



**اعلم** ومن الغرائب أن العقل الذي يتناول إلى الإحاطة بالعالم والنفوذ إلى الخارج والخروج من دائرة الإمكان، يغرق في قطرة.. ويفنى في ذرة.. ويغيب في شعرة.. وينحصر الوجود عنده فيما فني فيه.. ويريد أن يدخل معه كل ما أحاط به في النقطة التي بلغت<sup>(١)</sup>.

**اعلم** أنه لو كان المُلْكُ لك لتنصّص عليك التنعمُ بتكلف التعهّد والتحفظ والتخوف. والمنعمُ الكريم يتعهد كل لوازمات النعمة.. وما يفوّض إليك إلّا التنعم والتناول من سُفرة إحسانه، والشكرُ الذي يزيد لذة النعمة.. إذ الشكر؛ رؤيةُ الإنعام في النعمة. ورؤيةُ الإنعام تزيل ألم زوال النعمة؛ إذ تزول النعمة حينئذ فلا تعطي موضعها للعدم حتى تؤلم، بل تُخلي الموقع لمجيء المثل كالثمرة، فتعطيك لذة التجدد. ﴿وَأَجْرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ١٠) يدل على أن الحمد عينُ اللذة. نعم، إن سرَّ الحمد؛ رؤيةُ شجرة الإنعام في ثمرة النعمة. فيزول ألمُ تصوّر الزوال فيُلتذ بنفس الحمد..

**اعلم** أن المعلومات الآفاقية لا تخلو عن الأوهام والوساوس. وأما إذا استندت إلى الأنفس واتصلت بالوجدانيات المشعورة بالذات، تصفّت عن الاحتمالات المزعجة. فانظر من المركز إلى المحيط، ولا تعكس فتتكس.

**اعلم** أن هذه المدنية السفهية المصيرة للأرض كبدة واحدة، يتعارف أهلها ويتناجون باللاثم وما لا يعني<sup>(٢)</sup> بالجرائد صباحا ومساءً، غُلظٌ بسببها وتكاثفٌ بملاهيها حجابُ الغفلة، بحيث لا يُخرق إلّا بصرفِ همةٍ عظيمة. وكذا فتحت لروح البشر منافذ غير محدودة نظّارة إلى الدنيا يتعذّر سُدّها إلّا لمن خصّه الله بلطفه..

**اعلم** أن الذرة تسعُ الشمسَ بتجليها فيها بالمشاهدة ولا تسع تلك الذرة ذرتين بالذات بالبداهة، فذرات الكائنات ومركباتها -كقطرات المطر ورشاشاتها المتشخصة المتلاثلة بتماثيل الشمس- قابلةٌ لأن تصير مظاهرَ للمعات تجليات القدرة النورانية الأزلية المطلقة المحيطة المستندة بل المتضمنة للعلم والإرادة الأزليين الغير المتناهيين.. ولا يمكن أن تكون ذرةٌ حُجيرةٌ عينك منبعاً ومعدناً لقدرةٍ وشعور وإرادةٍ تتحمل وظائفها العشرة من

(١) نعم، إن أكبر فلاسفة الأرض عقلا يغرق في قطرة من الألم، ويفنى في ذرة من المحبة، ويغيب في شعرة من السرور، وينحصر الوجود عنده في لحظة فناء باهتماماته، ويجهد أن يسحب معه كل معارفه الوجودية إلى عمق النقطة التي ابتلعتته.

(٢) وما لا يعني من الأمور التي تلهي الإنسان.

خَدَمَتَهَا فِي الْأَعْصَابِ الْمَحْرُكَةِ وَالْحَسَّاسَةِ وَالْأَوْرِدَةِ وَالشَّرَائِينَ وَالْإِبْصَارِ وَالتَّصْوِيرِ وَغَيْرِهَا  
مِمَّا يَتِيهِ فِيهِ الْفِكْرُ.

فهذه الصنعة المتقنة العجيبة، والنقش المزين المنتظم، والحكمة العميقة الدقيقة، تقتضي  
قطعا:

إِذَا أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَرَّةٍ وَكُلُّ مَرْكَبٍ فِي الْكَائِنَاتِ مَعْدَنًا وَمَنْبَعًا وَمَصْدَرًا لَصِفَاتٍ مُحِيطَةٍ  
مُطْلَقَةٍ كَامِلَةٍ.

وإِذَا أَنْ يَكُونَ مَظْهَرًا وَمَعْكِسًا وَمَجَلًى لِّلْمَعَاتِ تَجَلِيَّاتِ شَمْسِ الْأَزَلِ الَّذِي لَهُ هَذِهِ  
الْصِفَاتِ.

وَالشَّقُّ الْأَوَّلُ فِيهِ مُحَالَاتٌ بَعْدَ ذَرَاتِ الْكَائِنَاتِ وَمَرْكَبَاتِهَا؛ فَمَنْ جَازَ عِنْدَهُ أَنْ يَحْمِلَ  
عَلَى جَنَاحَيْ نَحْلَةٍ جَبَلِيٍّ «سُبْحَانَ وَآرَارَاتِ»<sup>(١)</sup> وَأَنْ يَنْبَعِ مِنْ عَيْنِي بَعُوضَةٌ «النَّيْلِ وَالْفَرَاتِ»،  
فَلْيَذْهَبْ إِلَى الشَّقِّ الْأَوَّلِ؛ فَتَشْهَدُ كُلُّ ذَرَّةٍ -بِعَجْزِهَا عَنْ تَحْمِلِ مَا لَا طَاقَةَ لَهَا بِهِ- أَنَّهُ: لَا مُوجِدَ  
وَلَا خَالِقَ وَلَا رَبَّ وَلَا مَالِكَ وَلَا قِيَوْمَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكُلُّ ذَرَاتِ الْكَائِنَاتِ وَمَرْكَبَاتِهَا بِأَلْسِنَتِهَا  
الْمُخْتَلِفَةِ وَدَلَالَتِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ تَتَكَلَّمُ بِ:

عِبَارَاتُهَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ<sup>(٢)</sup>

نعم، إن كل حرف من كتاب الكائنات، يدل على وجود نفسه بوجه واحد، وبمقدار  
حرف، لكن يدل على كاتبه وصانعه بوجوه كثيرة. وينشُد من أسبائه المتجلية عليه قصيدة  
طويلة:

تَأْمَلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ<sup>(٣)</sup>

اعلم<sup>(٤)</sup> أن مرايا التجليات متنوعة منها: الزجاج، والماء، والهواء -لا سيما للكلمات-  
وعالم المثال، والروح، والعقل، والخيال، والزمان. وغيرها مما لا نعلم أو لا تعلم.. وتماثيل  
الماديات الكثيفة في المرايا<sup>(٥)</sup> منفصلة حُكماً، وأمواتٌ حقيقة.. وليس لها خاصية الأصل.. وغيرُ

(١) جيلان يقعان شرقي تركيا.

(٢) لم ينسب إلى قائله: انظر تفسير الألوسي ٤١٧/٨؛ البحر المديد لابن عجيبة ٤/١١٣؛ البرهان للزركني ١٦٠/٢.

(٣) لرجل نحوي مشهور يُعرف بركن الدين بن القَوَيْع (ت ٧٣٨ هـ) - (قول على قول ١٥٧/١١ للكرمي).

(٤) الغصن الرابع من «الكلمة الرابعة والعشرين» تفضل هذه المسألة.

(٥) أي صورها المرتسمة في المرايا، كما سيأتي.

للأصل أيضاً، بدليل انتقالها إلى الفطوغراف، دون النورانية الخالصة، وفي غير الخالصة تنتقل هوية صورتها المادية فقط.

وأما تماثيل النورانيات فمتصلةٌ حُكماً، ومرتبطةٌ حقيقةً، ومالكةٌ لخواص الأصل، وليست غيراً له. فلو جعل الفاطرُ جلّ جلاله حرارةَ الشمس حياتها، وضياءها شعورها، وألوان الضياء حواسها؛ لتكلمت الشمسُ معك في قلب مرآتك التي في يدك، كتلفونك ومرآة قلبك. إذ مثالها الذي في يدك له أيضاً بمقدار استعداده حرارةَ حياةٍ، وضياءٌ شعورٍ، وألوانٌ حواسٍ. ومن هذا السر يطلع النبي ﷺ الذي هو النور النوراني على صلواتٍ كُلِّ مَنْ صَلَّى عليه في آن واحد. ومن هذا السر يفتح مغلفات أسرار.<sup>(١)</sup>

**اعلم** أن «سبحان الله والحمد لله» يتضمنان التوصيفَ بصفات الله: الجلالُ بالأول.. والجمالُ بالثاني. ف«سبحان الله» ينظر إلى بُعد العبد والممكن عن الله الواجب الوجود العلي العظيم. و«الحمد لله» ينظر إلى قُرب الله بالرحمة واللفظ إلى العبد ومخلوقاته. فكما أن الشمس قريبةٌ منك تُوصل حرارتها وضيائها إليك وتتصرف فيك بإذن خالقها، الذي صيرها مرآةً لجلوة اسمه «النور» وظرفاً لِنَعْمَةِ التي هي الحرارة والضياء مع أنك بعيدٌ عنها لا يصل يدُك إليها، وأنت بالنسبة إليها قُربٌ فقط لا فاعلٌ ولا مؤثر.. كذلك - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - إن الله جلّ جلاله قريبٌ منا فنحمده، ونحن بعيدون عنه فنسبحه. فأحمدُه وأنت تنظر إلى قُربه برحمته. وسبِّحه وأنت تنظر إلى بُعْدك بإمكانك. ولا تخلط بين المقامين، ولا تخرج بين النظرين، لئلا يتشوش عليك الحقُّ والاستقامة. لكن يمكن لك - بشرط عدم الالتباس والمزج - أن تنظر إلى القرب في جهة البُعد.. وإلى وجه البُعد في جهة القرب.. وإلى الوجهين معا فتقول: «سبحان الله وبحمده»..

**اعلم** يا طالب الدنيا! لا بد أن تتركها<sup>(٢)</sup> لأُمور أربعة:

أولاً: فلأنها سريعة الزوال، وألمُ الزوال مدلٌ ومزيل للذة الوصال.

وأما ثانياً: فلأن لذائذها منغصةٌ بآلامٍ مقارِنةٍ وأكدارٍ متعاقبة.

(١) إيضاحاً في «اللوامع» - أقسام التمثيلات مختلفة - من مجلد «الكلمات».

(٢) وتركها يعني: أنها ملك الله، يُنظر إليها بإذنه وباسمه (المقام الثاني من الكلمة السابعة عشرة من مجلد الكلمات).

وأما ثالثاً: فإن ما ينتظرك وأنت تذهب إليه بسرعة بلا انحراف من القبر الذي هو باب إلى الآخرة، لا يقبل منك مزيّنات الدنيا هدية، إذ تنقلب هناك قبائح.

وأما رابعاً: فوازن بين سكونك ساعة في موقع بين الأعداء والمؤذيات والحشرات المضرة، وبين السكون في سنين كثيرة في موقع آخر قد اجتمع فيه كل أحبابك وكل عظمائك. ومالك الملك أيضاً يدعوك إلى ترك لذة تلك الساعة ليربحك في تلك السنين مع أودائك. فأجب داعي الله قبل أن تُساق إليه بالسلاسل.

فسبحان الله ما أعظم فضل الله على الإنسان يشترى بثمر غالي من الإنسان مالا له وديعة عند الإنسان ليحمله عنه.. وبقية له.. ويحميه مما يفسده. مع أن الإنسان إن تملّكه ولم يبعه وقع في بلاء عظيم في تعهده بقدرة لا تكفي - من ألوف مصالحه - بواحد.. ولو تحمله بنفسه على ظهره لأنقض ظهره. ولو أمسكه بنفسه لزال سريعاً وذهب مجاناً وفني مورثاً لأثامه وأثقاله على مالكه الكاذب.

**اعلم** أنه إنني مصداق لما قيل:

وعيني قد نامت بليلٍ شيبتي ولم تنتبه إلا بصبحٍ مشيب<sup>(١)</sup>

إذ أشد أوقات انتباهي في شبّيتي، رأيته الآن أعمق طبقات نومي! فالمتنورون المتنبهون في عُرف المدنيين كانتباهي فيما مضى، مثلهم كمثل من رأى في رؤياه أنه انتبه وقصّ رؤياه على بعض الناس، والحال أنه بهذا الانتباه مرّ من طبقة النوم الخفيفة إلى الطبقة الكثيفة. فمن كان هكذا نائماً كالميت كيف يوقظ الحي الناعس، وكيف يُسمع الناعس ما يتكلم به من وراء حُجب نومه المضاعف!

أيها المتنبهون النائمون! لا تتقرّبوا إلى المدنيين بالمساحة الدينية والتشبه، ظنا منكم أنكم تصيرون جسراً بيننا وبينهم، وتملأون الوادي بيننا. كلاً، إن المسافة بين المؤمنين والكافرين غير محدودة، والوادي بيننا في غاية العمق لا تملأونه، بل تلتحقون بهم أو تضلّون ضلالاً بعيداً!

**اعلم** أن في ماهية المعصية<sup>(٢)</sup> - لاسيما إذا استمرت وكثرت - بذر الكفر.. إذ المعصية

(١) انظر: ابو العباس المقري، نفع الطيب ٤/ ٣٤٢، ٧/ ٢٨٠.

(٢) توضيح هذه المسألة في اللمعة الثانية من «اللمعات».

تُولَدُ أَلْفَةٌ مَعَهَا وَابْتِلَاءٌ بِهَا، بَلْ تَصِيرُ دَاءً، دَوَاؤُهَا الدَّائِمِي نَفْسُهَا، فَيَتَعَذَّرُ تَرْكُهَا. فَيَتَمَنَّى صَاحِبُهَا عَدَمَ عِقَابٍ عَلَيْهَا، وَيَتَحَرَّى بَلَا شَعُورٍ مَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْعَذَابِ، فَتَسْتَمِرُّ هَذِهِ الْحَالُ حَتَّى تَنْجِرَ إِلَى إِنْكَارِ الْعَذَابِ وَرَدِّ دَارِ الْعِقَابِ. وَكَذَا إِنْ خَجَالَةَ الْمَعْصِيَةِ -بَغَيْرِ النَّدَامَةِ وَالْقَلْعِ- تُلْجِئُ صَاحِبَهَا إِلَى إِنْكَارِ كَوْنِ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةً، وَإِنْكَارٍ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهَا مِنْ حَفْظَةِ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهَا.. فَمِنْ شِدَّةِ الْخَجَالَةِ يَتَمَنَّى عَدَمَ الْحِسَابِ.. فَإِنْ صَادَفَ وَهْمَا يَنْفِيهِ، تَلْقَاهُ بَرَهَانًا.. وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَسُودَ الْقَلْبُ، الْعِيَاذُ بِاللَّهِ..

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن من لمعات معجزات القرآن كما في «اللوامع»<sup>(٢)</sup> المشتملة على الإشارة إلى أربعين نوعاً من إعجازه، ومن كمال بلاغته: أنه جمع السلسلة الرائقة، والسلامة الفائقة، والتساند المتين، والتناسب الرصين، والتعاون بين الجمل وهيئاتها، والتجاوب بين الآيات ومقاصدها بشهادة علم البيان وعلم المعاني، مع أنه نزل في عشرين سنة منجماً لمواقع الحاجات نزولاً متفرقاً متقاطعاً بتلاؤم كأنه نزل دفعةً.. ولأسباب نزولٍ مختلفة متباينة مع كمال التساند، كأن السبب واحدٌ.. وجاء جواباً لأسئلة مكررة متفاوتة، مع نهاية الامتزاج والاتحاد، كأن السؤال واحدٌ.. وجاء بياناً لحادثات أحكام متعددة متغايرة، مع كمال الانتظام كأن الحادثة واحدة.. ونزل متضمناً لتنزلات إلهية في أساليب تناسب أفهام المخاطبين، لاسيما فهم المنزل عليه عليه السلام، بحالات في التلقي متنوعة متخالفة، مع غاية التماثل والسلاسة، كأن الحالة واحدة.. وجاء متكليماً متوجهاً إلى أصناف مخاطبين متعددة متباعدة، مع سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الإفهام كأن المخاطب واحد، بحيث يظن كل صنف كأنه المخاطب بالأصالة.. ونزل مُهْدِياً وموصلاً لغايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع كمال الاستقامة والنظام والموازنة كأن المقصد واحد؛ تدور تلك المقاصد والغايات على الأقطاب الأربعة: وهي «التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة». فبسر امتلائه من التوحيد، التأم وامتزج وانتظم واتحد.

ومن كان له عين في بصيرته، يرى في التنزيل عينا ترى كل الكون، كصحيفة مبصرة واضحة.. وقد جاء مكرراً ليقرّر.. ومردداً ليحقق قصصاً وأحكاماً. مع أنه لا يُعْمَلُ تَكَرُّرُهُ،

(١) اعتمدنا في تحقيق هذه الفقرة على ما جاء في القطرة الخامسة من الرشحة الرابعة عشرة وعلى الطبعة الأولى من الكتاب.

(٢) «اللوامع» -بيان موجز لإعجاز القرآن- من «الكلمات».

ولا يُزِيلَ عَوْدُهُ ذَوْقَهُ وَلَا يُسَيِّمُ تَرْدَادُهُ. كلما كَرَّرَ حَقَّقَ وَقَرَّرَ، بل ما كررته تحلو وتفوح أنفاسُ الرحمن منه «إن المسك ما كررته يتضوُّع»<sup>(١)</sup>. وكلما استعدته استلذته؛ إن كان لك ذوق سليم بقلب غير سقيم. والسرفية: أنه قُوَّتٌ وغذاءٌ للقلوب، وقوة وشفاء للأرواح. والقوَّتُ لا يُمِلُّ تكراره.. فمألوفه أنسٌ وألذُّ، خلافَ التفكَّه الذي لذُّته في تجدده، وسأمتُه في تكرره.

وكما أن الإنسان في حياته المادية يحتاج في كل آنٍ إلى الهواء، وفي كل وقتٍ إلى الماء، وفي كل يومٍ إلى الغذاء، وفي كل أسبوعٍ إلى الضياء، في الأكثر.. فتكرر هذه الأمور لتكرَّر الحاجات، فلا تكون تكرارا.. كذلك إن الإنسان بجهة حياته الروحانية أيضا؛ يحتاج إلى أنواع ما في القرآن؛ فإلى بعضٍ في كل دقيقة بل في آنٍ سيال كـ: «هو.. الله» فبه يتنفس الروح.. وإلى بعضٍ في كل ساعة كـ: «بسم الله».. وإلى بعضٍ في كل وقت.. وإلى بعضٍ في كل زمان متدرجا بدرجات الاحتياج، فيكرر القرآن على ما تقتضي حياة القلب تكراره.

مثلا: «بسم الله» كالهواء النسيمي يطهر الباطن داخلا ويثمر خارجا في نفْسِكَ كَنَفْسِكَ في جسمك.. وأيضاً في تكرار القرآن بعضُ الحادثات الجزئية إشارةً إلى أن الحادثة الجزئية تتضمن دستوراً كلياً، كما أشرتُ إلى بعضٍ من جمل قصة «موسى» عليه السلام التي هي أجدى من تفاريق العصا.<sup>(٢)</sup>

والحاصل: أن القرآن الحكيم كتابُ ذكر، وكتابُ فكر، وكتابُ حُكم، وكتاب علم، وكتاب حقيقة، وكتاب شريعة، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

**اعلم** أن من أعاجيب فطرة الإنسان في وقت الغفلة، التباسَ أحكام اللطائف والحواس. كالمجنون الذي يصل نظره إلى شيء، فيمد يده إليه ظناً منه -لمجاورة العين ليد- أن ما يحصل بتاك، يحصل بهذه أيضاً. فالإنسان الغافل الذي لا يصل يدُ اقتداره إلى تنظيم أدنى جزء من أجزاء نفسه يتناول بغيره وبوسعة خياله إلى الحكم والتحكم في أفعال الله في الآفاق..

وكذا من أعجب فطرة البشر أن أفرادهم، مع تقارب درجاتها في الصورة الجسمية، تتفاوت معنًى بدرجات، كما بين الذرة إلى الشمس إلى شمس الشموس خلافاً لسائر الحيوانات؛

(١) وينسب إلى الإمام الشافعي: أعد ذكر نعمانٍ لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوُّع.

(٢) مثل يضرب فيمن نفعه أعم من غيره. (مجمع الأمثال ١/ ٣٧)

إذ هي مع تفاوت أفرادها في الصور الجسمية، كالسمك والطير، تقارب في قيمة الروح؛ فكأن الإنسان الذي قام من «مخروط الكائنات» في حاق الوسط<sup>(١)</sup>، منه إلى الذرة ومنه إلى شمس الشموس سواء؛ إذ لم يُحدّد قواه ولم تُقيّد، أمكن له أن يتنزل ويتسفل «بالأنانية» إلى أن يكون هو والذرة سواء؛ وكذا جاز له أن يتجاوز بالعبودية وبترك «أنا» ويتصاعد بإذنه تعالى إلى أن يصير بفضل الله كشمس الشموس مثل محمد عليه الصلاة والسلام.

**اعلم** أن الأصل في الشيء البقاء، حتى إن الأمور السيالة السريعة الزوال - كالكلمات والتصورات - لها أيضا مواضع أخر يتحصنون فيها من الزوال. لكن يتطورون في الصور، حتى كأن الأشياء موظفون لحفظ الشيء إما بتمامه كالنوراني، أو وجه من الشيء، يسارعون بكمال الاهتمام لأخذه ووضعه في قلوبهم الشفافة.

والحكمة الجديدة تفتنت لهذا السر لكن بلا وضوح، فلهذا أخطأت بالإفراط فقالت: لا عدم مطلقا، بل تركّب وانحلال.<sup>(٢)</sup> كلا! بل تركيب بَصْنَعه تعالى.. وتحليل بإذنه.. وإيجاد وإعدام بأمره.. يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

**اعلم** أيها السعيد الشقي! إن القبر باب باطنه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.. وأودّأوك ومن تحبه، أكثرهم - حتى كلهم - ساكنون خلف هذا الباب. ألم يأن لك أن تشتاق إليهم وإلى عالمهم.. فتتظّف، وإلا استقدروك.

لو قيل لك مثلا: إن «الإمام الرباني أحمد الفاروقي» قدس سره، ساكن الآن في الهند، لاقتحمت المهالك وتركت الأوطان لزيارته. مع أن تحت اسم أحمد فقط ألوف نجوم حول شمس من في الإنجيل اسمه «أحمد» وفي التوراة «أحيد» وفي القرآن «محمد».. وتحت اسم محمّد ملايين.. وهكذا كلهم خلف باب القبر في رحمة الله ساكنون. فلا بد أن يكون نصب عينك دائما «هذه الأساسات» وهي:

(١) إن كنت له تعالى كان لك كل شيء، وإن لم تكن له كان عليك كل شيء.

(٢) وكل شيء بقدر، فارض بما آتاك تزد يسرا على يسر، وإلا زدّت مرضا على مرض.

(١) الحاق: الوسط، والكامل في الشيء.

(٢) انظر خاتمة اللمعة الثالثة والعشرين «الطبيعة»، ففيها التوضيح الشافي لهذه المسألة.

(٣) المُلْكُ له، ويشتره منك ليقيه لك.. ويزولُ مجانا لو بقي عندك.

(٤) وأنت فقيرٌ إليه من كُلِّ وجهٍ.

(٥) وأنت مقيدٌ بجهات أربع مسدودة. تُساق إلى باب القبر المفتوح لك.

(٦) لا لذة للقلب حقيقةً فيما لا دوام فيه؛ تزول أنت، وتزول دنياك، وتزول دنيا الناس.

(٧) وستُنزع من الكائنات هذه الصورة. وسيُخلع عليها أخرى. كالثانية، والدقيقة،

والساعة، واليوم.. كأن الكائنات ساعة كبرى، كما ذكر في «النكتة الرابعة من الكلمة التاسعة».

(٨) فلا تهتم بما يبقى لك أثراً في الفاني ويفنى عنك في الباقي.

(٩) ولا تنظر من بُعدك وخستك ومن عظمته وعزته تعالى - ونقطة نظرك هذه الحيثية -

إلى تصرفاته وتنزلاته برحمته ونعمته؛ إذ حينئذٍ لا يليق إلا التسبيح.

(١٠) ولا تنظر من حيثية قربه وإحاطته بعلمه ورحمته، ومن مخلوقيتك ودخولك في

عنايته وكرمه، إلى صفات جلاله، لئلا تستهوي بك الأوهام والأهواء.

فسبحان من تقدست وتنزهت عن أن تحيط به الأفكار والعقول، والحمد لله الذي

وسعت رحمته كل شيء.. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد يُحيي

ويُميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير..

**اعلم** أن مَنْ في قلبه حياةٌ إذا توجه إلى الكائنات يرى من عظام الأمور ما لا يحيط

به ويعجز عن إدراكه ويتحير فيه، فللتَّسْفِي من ألم الحيرة يشاق إلى «سبحان الله» كتعطش

العليل الغليل إلى الماء الزلال.. ويرى من لطائف النعم واللذات ما يُجبره على إظهار تلذذه

وتزيد تلذذه واستيزاد لذته بالدوام برؤية الإنعام في النعمة، والمنعم في الإنعام بعنوان الحمد،

فيتنفس بـ«الحمد لله» كما يتنفس المظفر السالم الغانم.

ويرى من عجائب المخلوقات وغرائبها ما لا يطيق مقاييس عقله وزنها ويضيق ذهنه

عن محاكمتها، وحسُّ تجسُّس الحقيقة يُشغله بها، فينادي: «الله أكبر» فيستريح. أي خالقها

أعظم وأكبر فلا يثقل عليه خلقها وتديرها، كمثل من يرى القمر يدور حوله فيغشاه ألم



تعجب، أو خروجَ جبل بالزلزلة فيندهش فيكبر، فيلقى عن ظهره أثقالَ العَجَب والتدهش على سفينة القدير القوي المتين جلّ جلاله..

**اعلم** أنك بسيئاتك لا تضر الله شيئاً إنها تضر نفسك. مثلاً: ليس في الخارج<sup>(١)</sup> شريكٌ حتى تقويه باعتقادك فتؤثر في كمال ملكه تعالى، بل في ذهنك وفي عالمك فقط. فيخرب بيتك على رأسك..

**اعلم** أنه من توكل على الله فهو حسبه.. فقل: «حسبي الله ونعم الوكيل»:

فأولاً: لأنه الكامل المطلق، والكمال محبوب لذاته وتُفدى له الأرواحُ.

وثانياً: لأنه محبوب لذاته وهو المحبوب الحقيقي، والمحبة تقتضي الفداء.

وثالثاً: لأنه الموجودُ الواجب.. وبقربه أنوارُ الوجود.. ويبعده ظلماتُ العَدَمَاتِ، وألمُ أليم في أقول آمال الروح الإنساني.

ورابعاً: لأنه الملجأ والمنجاة للروح الذي ضاقت عليه الأكوانُ، وآلمته مزخرفات الدنيا، وعادته الكائناتُ وأنقضَ ظهره تحت الشفقة اليتمية والرحمة المأتمية..

وخامساً: لأنه الباقي الذي به البقاء، وبدونه الزوال، وكلُّ العذاب في الزوال. وبدونه يتراكم على الروح آلامُ بعدد الموجودات، وبه يتظاهر على المتوكل أنوارُ بعددها..

وسادساً: لأنه المالك يحمل عنك ملكه الذي عندك، إذ لا تُطبق حملَه، فبتوهم التملك تقعُ في عذاب أليم أليم. فلبقائه ودوام إنعامه لا تغتم بفناء ما في يدك، كما لا تحزن الحَبَابَاتُ المشمسة بالتحول والانحلال. فلاظهار تجددات تجليات الشمس يقدي الحَبَابُ صورته بكمال النشاط بل يموت وهو يضحك. وكما لا تغتم الثمرات بفراق الشجرة ولا النواة بانحلال الثمرة ولا أنت بزوالها إذ تقولون<sup>(٢)</sup> فلتحيا الشجرة إذ في حياتها موتنا حياةً.

يا هذا! أنت ثمرة إنعاماته بل مجسّمُ إنعاماته.

وسابعاً: لأنه الغني المغني ويده مقاليد كل شيء، إذا صرتَ عبداً خالصاً له، ثم نظرت

(١) أي في الواقع والحقيقة (ت: ١١٨).

(٢) أنت والنواة والثمرة.

إلى الكائنات تراها مُلْكُ مالكك وحِشْمَتِهِ وحواشيه فتنزّه بها، كأنها مُلْكُ لك بل أعلى، بلا كلفة ولا ألم زوال.. إذ الخادمُ الخالص للملِك والفاني في محبته يفتخر بكل ما للملِك.

وثامنا: لأنه ربّ الأنبياء والمرسلين والأولياء والمُتّقين وكلّهم مسعودون في رحمته، فعِلْمُك بسعادتهم يعطيك في شقاوتك سعادةً ولذةً إن كنتَ ذا قلب.

**اعلم** أنه لا يليق بك إن كان لك عقلٌ سليم أن تهتم وتغتم وتغضب وتصبخ لما يأتيك أو يفوتك من أمور الدنيا، لأن الدنيا تزول لاسيما دنياك، ولاسيما أنت؛ إذ لست بأبديّ هنا، ولست من حديد ولا شجر حتى ي طولُ بقاءك، بل من لحمٍ متجدّد ودمٍ متردد وروابط في غاية رقة تتأثر بأدنى شيء. وقد تنقطع تلك، وينجمد هذا، ويتفسخ ذلك باختلال ذرتين، ولاسيما تنفس فيك صبحُ المشيب وكفنُ نصف رأسك.. ولاسيما تضيقت بل توطنت فيك العلل التي هي طليعة الموت، والأمراض التي هي مخالبُ هادم اللذات، مع أن أمامك عمرا أبديا ألقيت خلفك ظهريا، إنما ترتبت راحته على سعيك هناك، مع أنك في حرصك وشَرَهك كمن هو خالد وحلّدت له الدنيا خاصة.. فانتبه قبل أن تُنبهك سكرات الموت..

**اعلم** أنك إذا توجهت إليه تعالى بعنوان المعلوم والمعروف يصير لك مجهولا ومنكرا، إذ هذه المعلوماتية والمعروفية نتيجة الألفة العُرفية والتسامع التقليدي، والتداول الاصطلاحي، وهي لا تغني من الحقيقة شيئا؛ بل ما يترأى لك فيها مقيد لا يتحمل الصفات المطلقة. بل إنما هو نوع عنوان لملاحظة الذات الأقدس..

وأما إذا توجهت إليه بعنوان الموجود المجهول، تكشف لك عن أشعة المعروفة.. وعن بُروق شروق موصوف لا تثقل ولا تتعاضم عليه هذه الصفات المطلقة المحيطة المتجلية في الكائنات، كما لا يثقل عليك حملُ قميصك من الحرير الرقيق ومنديلك من الخز المنمنم.<sup>(١)</sup>

**اعلم** كفاك فخرا بلا نهاية - لا كفخر بك كمال كبرائك - أن يكون لك مالكٌ قدير على كل شيء. ومن اقتداره - وهو هو الذي السماوات مطويات بيمينه، والأرض قبضته يوم القيامة - أنه يربيك بشفقة أتم من شفقة أبويك، وأنت أنت: قطرة في بحر، والبحر كنقطة في صحراء، والصحراء كذرة بين عظام مصنوعاته؛ إذ هو نور الأنوار العالم بالأسرار.. وليس

(١) الحرير المنقش.

من عظمة السلطان الإنساني عدم اشتغاله بتفاصيل جزئيات الأمور، بل من عجزه وعدم اقتداره.. ومن عظمة سلطان الأزل أنه كما يكتب بقلم صُنِّعَ على صحيفة السماء بمداد النجوم الدراري آياتِ ألوهيته، كذلك يكتب بذلك القلم على صحيفة سواد العين بمداد الجواهر الفردة آياتِ ربوبيته...

فسبحان مَنْ هذه الأجرامُ العلوية والكواكب الدرية نيراتُ براهين ألوهيته وعظمته، وهذه المصابيح المزينة والنجوم المتبسمة شعاعاتُ شواهد ربوبيته وعزته جلّ جلاله.

**اعلم** أن الأسماء الحسنى كُلُّ منها يتضمن الكلَّ إجمالاً، كتضمن الضياء للألوان السبعة.. وكذا كُلُّ منها دليل على كُلِّ منها، ونتيجة لكلِّ منها، بينها تعاكسٌ كالمرايا. فيمكن ذكرها كالمقياس الموصولِ النتائجِ متسلسلاً، وكالنتيجة المترتبةِ الدلائلِ. إلا أن الاسمَ الأعظم الواحدَ يتضمن الكلَّ فوق هذا التضمن العام. فيمكن للبعض الوصول إلى نور الاسم الأعظم بغيره من الأسماء الحسنى. فيتفاوت الاسم الأعظم بالنظر إلى الواصلين. والله أعلم بالصواب.

## تضرّع و(نياز)

إلهي لازم عليّ أن لا أبالي ولو فات مني حياة الدارين وعادتنّي الكائنات بتمامها؛ إذ أنت: «ربي وخالقي وإلهي».. إذ أنا مخلوقك، ومصنوعك، لي جهة تعلّق وانتساب، مع قطع نهاية عصياني وغاية بُعدي لسائر روابط الكرامة. فأتضرّع بلسان مخلوقي:

يا خالقي! يا ربي! يا رازقي! يا مالكي! يا مصوري! يا إلهي!

أسألك بأسمائك الحسنى واسمك الأعظم، وبفرقانك الحكيم وبحبيبك الأكرم، وبكلامك القديم، وبعرشك الأعظم، وبألف ألف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ارحمني يا الله، يا رحمن، يا حنان، يا منان، يا ديان.. اغفر لي يا غفار، يا ستار، يا تواب، يا وهاب.. أعف عني يا ودود، يا رؤوف، يا عفوّ، يا غفور.. ألطف بي يا لطيف، يا خير، يا سميع، يا بصير.. وتجاوز عني يا حلیم، يا علیم، يا كريم، يا رحيم.. ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يا رب، يا صمد، يا هادي.. جُد عليّ بفضلك يا بديع، يا باقي، يا عدل، يا هو.. أحي قلبي وقبري بنور الإيمان والقرآن يا نور، يا حق، يا حي، يا قيوم، يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا قوي، يا قادر، يا مولاي، يا غافر، يا أرحم الراحمين.. أسألك باسمك الأعظم في القرآن.. وبمحمد عليه الصلاة والسلام الذي هو سرّك الأعظم في كتاب العالم أن تفتح من هذه الأسماء الحسنى كواتٍ مفيضّة لأنوار الاسم الأعظم إلى قلبي في قالب، وإلى روعي في قبري.. فتصير هذه الصحيفة كسقف قبري، وهذه الأسماء ككوات تُفيض أشعة شمس الحقيقة إلى روعي. إلهي أتمنى أن يكون لي لسان أبدي ينادي بهذه الأسماء إلى قيام الساعة، فأقبل هذه النقوش الباقية بعدي نائباً عن لساني الزائل.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تُنَجِّنَا بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَالْآفَاتِ، وَتَقْضِي لَنَا بِهَا جَمِيعَ الْحَاجَاتِ، وَتُطَهِّرَنَا بِهَا مِنْ جَمِيعِ السَّيِّئَاتِ، وَتَغْفِرَ لَنَا بِهَا جَمِيعَ الذُّنُوبِ وَالخَطِيئَاتِ..

يا الله، يا مجيب الدعوات! اجعل لي في مدة حياتي وبعد مماتي، في كل آن أضعاف ألف ذلك.. ألف ألف صلاة وسلام مضرّوبين في مثل ذلك وأمثال أمثال ذلك، على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأتباعه.. واجعل كل صلاة من كل ذلك تزيد على أنفاسي العاصية في مدة عمري.. واغفر لي وارحمني بكل صلاة منها برحمتك يا أرحم الراحمين.. آمين..

## ذيل الحبة

يا ناظر!

أظنني أحفر بآثاري المشوشة عن أمرٍ عظيم بنوع اضطرارٍ مني.

فيا ليت شعري هل كَشَفْتُ..

أو سينكشفُ..

أو أنا وسيلة لتسهيل الطريق لكشفه الآتي.

لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله..

حَسْبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيل.

اَللّٰهُمَّ لَا تُخْرِجْنَا مِنَ الدُّنْيَا اِلَّا مَعَ الشَّهَادَةِ وَالْاِيْمَانِ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ بِعَدَدِ قَطَرَاتِ الْأَنْطَارِ، وَأَمْوَاجِ الْبِحَارِ،  
وَتَمَرَاتِ الْأَشْجَارِ، وَنُقُوشِ الْأَزْهَارِ، وَنَعَمَاتِ الْأَطْيَارِ، وَلَمَعَاتِ الْأَنْوَارِ،  
وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى كُلِّ مَنْ نِعِمَّ بِهِ فِي الْأَطْوَارِ، بِعَدَدِ كُلِّ نِعْمَةٍ فِي الْأَدْوَارِ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَبْرَارِ وَالْأَخْيَارِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ  
وَأَصْحَابِهِ نُجُومِ الْهَدَايَةِ ذَوِي الْأَنْوَارِ مَا دَامَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

**اعلم** أن المسافر كما يُصادف في سيره منازل، لكل منزل شرائط تخصّه.. كذلك  
للذاهب في طريق الله مقامات ومراتب وحالات وحُجُبٌ وأطوار، لكل واحدٍ طورٌ يخصّه؛  
مَنْ خَلَطَ غُلَطَ. كمثّل مَنْ نزل في قرية اصطبلا سمع فيه صهيل الفرس، ثم في بلدٍ نزل قصرًا  
فسمع تَرْتُمَ العندليب، فتوهم الترنم صهيلا، وأراد أن يستمع منه صهيل الفرس مغالطا لنفسه.

**اعلم** أن مما زَيَّن في عينك هذه الحياة تَلَأُّو تماثيلِ نجوم الهداية من أمثال الأسلاف  
في مرآة الدنيا،<sup>(١)</sup> بسرّ: أن المستقبل مرآة الماضي، والماضي يلتحق بالبرزخ -بمعناه- ويودع  
صورته ودينه في مرآة الاستقبال والتاريخ وأذهان الناس. مثلك في حب الحياة بحبهم كمثّل  
مَنْ صادف في وجه طريقه مرآة عظيمة فرأى فيها غماثيل رفقاءه وأحبابه الذاهبين إلى الشرق  
(مغربين في المرأة) فيتوحش من الشرق فيهرول مغربا. ولو كُشِفَ عن وجهك غطاء الغفلة  
لرأيتك تسرع في بيداء خالية يابسة لسراب وعذاب، لا لِعَذْبٍ وشراب..

**اعلم** أن من عظيم علو القرآن وأصدق دليل حقايقه: محافظته لكل لوازمات  
التوحيد بمراتبه.. ومراعاته لموازنة الحقائق العالية الإلهية.. واشتماله على مقتضيات الأسماء  
الحسنى، والتناسب بينها.. وجمعه لشؤونات الربوبية والألوهية بكمال الموازنة. وهذه  
خاصية ما وُجِدَتْ قطُّ في أثر البشر وفي نتائج أفكار أعظم الإنسان من الأولياء المارين إلى  
الملوكوت، والإشراقين الذاهبين إلى بواطن الأمور، والروحانيين النافذين إلى عالم الغيب.

(١) أي إن الصور الجميلة والنهاج الطيبة لأولئك الأئمة العظام تحب لك هذه الدنيا (ت: ١٢٣).

فإنهم لا يحيطون بالحقيقة المطلقة بأنظارهم المقيدة، بل إنما يشاهدون طرفاً منها فيتشبثون به وينحبسون عليه ويتصرفون فيه بالإفراط والتفريط.. فتختل الموازنة ويزول التناسب.

مثلهم كمثل غواصين في البحر لكشف كنز متزين ممتلئ بما لا يحصى من أصناف الجواهر، فبعض صادف يده ألماساً مستطيلاً مثلاً، فيحكم بأن الكنز عبارة عن ألماسٍ طويل، وإذا سمع من رفقاءه وجود سائر الجواهر فيه يتخيلها فصوص ألماسه، وصادف آخر ياقوتا كروياً وآخر كهرباً<sup>(١)</sup> مربعا وهكذا. وكل واحد يعتقد مشهوده جرثوم الكنز ومعظمه، ويزعم مسموعه زوائده وتفرعاته، فتختل الموازنة ويزول التناسب، فيضطرون للتأويل والتصلف والتكلف حتى قد ينجزون إلى الإنكار والتعطيل. ومن تأمل في آثار الإشراقين والمتصوفين المعتمدين على مشهوداتهم بلا توزيع بميزان السنة لم يتردد فيما قلت.

ثم انظر إلى القرآن فإنه أيضاً غواص لكن له عينٌ مفتوحة تحيط بالكنز وما فيه، فيصف الكنز كما هو عليه، بتناسب وانتظام واطراد.

مثلاً: يشتمل على ما تقتضيه عظمته من: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧).. وكما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) مع أنه: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٦) ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦) و ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الأنعام: ٧٣) مع أنه: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: ٩٦) ﴿وَنُحْيِي الْأَرْضَ﴾ (الروم: ٥٠) ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (النحل: ٦٨) ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: ٥٤) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ﴾ (الملك: ١٩) ويكتب صحيفة السماء بنجومها وشموسها ككتابة صحيفة جناح النحلة بحجراته وذراته ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) مع أنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٤) ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣) وهكذا.. وقس عليها.. وما يشاهد في نوع البشر من أنواع الفرق الضالة، إنما نشأت من قصور أتمتهم المارين إلى الباطن، المعتمدين على مشهوداتهم، الراجعين من أثناء الطريق، المصدقين لما قيل: «حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء».<sup>(٢)</sup>

(١) حجر كريم مشهور، وهو صمغ شجرة إذا حك صار يجذب التبن وغيره.

(٢) لأبي نواس: فَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فَلَسَفَةً حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ.

**اعلم** أن توصيف السماء بالدنيا في: ﴿وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ (فصل: ١٢) ومقابلة الدنيا للآخرة، تشير إلى أن السماوات الست الأخر نازرة إلى عوالم أخرى، من البرزخ إلى الجنة، والمشهود بنجومها وطبقاتها سماء الدنيا. والله أعلم.

**اعلم** أنه جيء بك من العدم إلى الوجود، ثم رَقَّكَ موجدك من أدنى أطوار الوجود حتى أوصلك بإنعامه إلى صورة الإنسان المسلم. فما تخلل بينك وبين مبدأ حركتك من المنازل الكثيرة المتعددة كل منها نعمة عليك، وفيك ثمرة وصبة من كل واحد. فصرت كقلادة منظمّة، وعنقود نضيد بحبات النعم، وسنبلّة منضدة من الرأس إلى القدم، كأنك فهرسة لطبقات نعمة تعالى؛ ولأن الوجود يقتضي علّة، والعدم لا يقتضي.. كما تقرر في العقول.. تُسأل ويُسأل عنك في كل منزل في مراتب الوجود من الذرة إلى العدم: كيف وصلت إلى هذه النعمة؟ وبِمَ استحققتها وبـ«هل شكرت؟» ولا يسأل من له مسكة عقل عن حَجَرٍ لماذا ما صار شجرة، وعن شجرة لماذا ما صارت إنساناً...

فيا أيها السعيد المسكين المغرور! أنت نقطة في وسط سلسلة الموجودات، فعليك نِعَمٌ بعدد ما تحتك إلى العدم الصرف، وأنت مسؤولٌ عن شكرها. وأما ما فوقك فليس لك ولا لأحد أن يسأل لماذا ما وصلت إلى أعلى مما أنت فيه، كما لا حقّ للذرة أن تقول: «أي واه» لِمَ ما صرتُ شمسا، ولا للنحلة أن تقول لصانعها: هلا خلقتني نخلة مثمرة؟.. إذ ما تحتك وقوعاتٌ، وما فوقك عدماّت إمكانات شبيهة بالمتنعات..

**اعلم** يا أنا! أن مما أهلكك وأهواك وأوهك وأهذاك وأذلك وأضلك؛ أنك لا تعطي كل ذي حقٍ مقداره حقّه، وكل ذي جمل حمله بوسعه، بل تفرط وتفرط فتحمّل على نفرٍ ممثّل للجيش كلّ لوازمات الجيش العَرْمَرَم، وتتحرى في تمثال الشمس في عين القطرة أو وجه الزهرة كلّ لوازمات عظمة شجرة الشمس المثمرة بالسيارات. نعم، القطرة والزهرة تصفان ولا تتصفان.

**اعلم** أن المُلْكَ له، وأمانته، واشترائه، لا فائدة في «المرق». لا خير فيما لا يبقى. وإياك ونقض العهد معه. وعليك بالموت، والموت المنجّر إلى الحياة أولى من هذه الحياة المنقلبة إلى الموت.



**اعلم<sup>(١)</sup>** أن ما في المرآة كما أنه «ليس عينا ولا غيرا» فهو «عين وغير»، فمن حيث إنه مطروفٌ ملكوتِ المرآة «عينٌ» فأحكامه أحكامُ الأصل. ومن حيث إنه صفةٌ مُلكِ المرآة المتألثة به «غيرٌ»، فله أوصافٌ ناظرة إلى المرآة، لا إلى الأصل فقط. ومن الحيتين «لا عينٌ ولا غيرٌ». كما أن الشيء في مرآة الذهب - من وجه أنه مطروفه - معلومٌ، ومن جهة أنه صفته علمٌ مع تغاير لوازمهما...

**اعلم** أنه لا تراحم بين العوالم المختلفة في نوع الوجود. فإن شئتَ فادخل في ليلة مظلمة منزلا منورا بالمصاييح وأربع جدرانها من الزجاج التي هي نوع مشكاةٍ للعالم المثالي؛ فأولا: ترى فيها - باتصالِ الحقيقي بالمثالي - منازلَ عديدةً متنورة عمّت البلد كأنه لا ظلمة بمقدار مد النظر..

وثانيا: تراك تتصرف بالتغيير والتبديل بكمال السهولة في تلك المنازل..  
وثالثا: ترى السراج الحقيقي أقرب إلى أبعد السُرج المثالية من لصيقه، بل من نفسه لأنه قيومه ورابعا: ترى أن حبة من هذا الوجود تقتدر أن تقل وتحمل عالما من ذلك الوجود.  
فهذه الأحكام الأربعة تجري في موادٍ كثيرة حتى بين الواجب وعالم الممكنات التي وجوداتها ظلال أنوار الواجب، فوجودها في مرتبة الوهم، لكن استقرّ وثبت - بأمره تعالى له - وجودٌ خارجي، فليس خارجيا حقيقة بالذات ولا وهما محضا ولا ظليا زائلا بل له وجودٌ بإيجاد الواجب الوجود. فتأمل..

**اعلم** أنه كما أنه محال أن لا يكون لهذا المُلْك المُعْتَنَى به مالكٌ، كذلك محالٌ أن لا يتعرفَ ذلك المالكُ إلى الإنسان الذي يدرك درجاتِ محاسنِ الملك الدالة على كمالات الملك، مع أن ذلك الإنسان كالخليفة في مهده الممهّد له يتصرف فيه كيف يشاء؛ بل في السقف المحفوظ السماوي أيضا بعقله. ومع ذلك إن الإنسان أشرفُ المخلوقات بشهادة تصرفاته العجيبة الخارقة مع صغره وضعفه، وإنه أوسعُ الأسباب اختيارا بالبداهة. فبالضرورة يرسل الملك من يعرف المالك إلى ممالكه الغافلين عنه ويخبرهم ما يرضى به ويطلبه منهم ذلك الملك جل جلاله..

(١) تفصيل هذه المسألة في «الكلمة السادسة عشرة».

**اعلم** أن كلَّ الحواس حتى الوهم والفرض والخيال يتفقون في النهاية على الحق ويلتجئون إليه، ولا يبقى عندهم للباطل إمكان. فيقرون بأن الكائنات لا يمكن أن تكون إلا على ما أخبر به القرآن.. هكذا شاهدتُ وعقلي معي.

**اعلم** أنه كما لا تراحم ولا تصادم بين عالم الضياء وعالم الحرارة وعالم الهواء وعالم الكهرباء (والألكتريكية) وعالم الجاذبة إلى عالم الأثير والمثال والبرزخ. تجتمع الكلُّ بلا اختلاط معك في مكانك بلا تشكُّ من أحدٍ منكم، من مزاحمة أخيه.. فهكذا يمكن أن يجتمع كثيرٌ من أنواع العوالم الغيبية الواسعة في عالم أرضنا الضيقة. وكما لا يعوقنا الهواء من السير ولا يمنعنا الماء من الذهاب ولا يمنع الزجاجُ مرورَ الضياء ولا يعوقُ الكثيفُ أيضاً نفوذَ شعاع «رونتن» ونورِ العقل وروح المَلَك، ولا يمنع الحديدُ سيلانَ الحرارة وجريان «الألكتريق» ولا يعوق شيءٌ سريانَ الجاذبة وجولانَ الروح وخدامه وسيرانَ نورِ العقل وآلاته.. كذلك هذا العالمُ الكثيف لا يمنع ولا يعوق الروحانياتِ من الدوران، والجنُّ من الجولان، والشيطانُ من الجريان، والمَلَك من السيران..

**اعلم** أن النور والنوراني كالعين والسراج والشمس، يتساوى لها الجزئي والنوع والجزء والكل والواحد والألوف. فانظر إلى الشمس كيف انصبغت بتأثيلها السياراتُ والبحورُ والحياضُ والحبابات والقطرات والرشاشات (والسَّبَنَات) والذرات الزجاجية دفعةً، بالسهولة والمساواة بين السيارات والذرات.

كذلك - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - تصرفاتُ شمسِ الأزل نورِ الأنوار في كتاب الكائنات هكذا.. يكتبُ كلَّ أبوابه وفصوله وصحفه وسطوره وجمله وحروفه دفعةً بلا كلفة كما قال: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨).. آمناً..

**اعلم** أن من تأمل في ذرات الأشياء وسرياتها إلى حدود، ثم توقفها عندها لفوائدها وثمراتٍ، تيقن أن عند الحدود من يأمر الذرات بـ: قفي وانثني! كما يأمر القالبُ الذهبَ الذائبَ بلسان حديد، وينهى بـ: لا تسيل واستقر! فيما عيّنته لك معاطفي وتلافيفي المصنوعة لحِكمكم.

وَأَمْرُ الذرات ما هو إِلَّا عِلْمٌ محيطٌ يتجلى ذلك العلمُ قَدْرًا، فينعكس القَدْرُ مقدارًا  
فينطبع المقدارُ قالبًا..

(١).....

**اعلم** أن القرآن كما يفسر بعضه بعضا، كذلك إن كتاب العالم يفسر بعض آياته بعضها.  
فكما أن العالم المادي يحتاج احتياجا حقيقيا إلى شمس تفيض منها عليه أنوار نعمته تعالى،  
كذلك العالم المعنوي يحتاج أيضا إلى شمس النبوة لفيضان أضواء رحمته تعالى. فنبوة أحمد عليه  
الصلاة والسلام في الظهور والوضوح والقطعية بدرجة الشمس في وسط النهار، وهل يحتاج  
النهار إلى دليل؟..

**اعلم** أن الثمرات المترتبة على وجود الحي لا تنظر إلى الحي وبقائه ونفعه وكماله  
فقط، بل إليه بحصة ودرجة، وإلى المحيي جل جلاله بدرجات غير محصورة.. فحصة الحي  
قد لا تحصل إلا بزمان مديد، لكن ما ينظر إلى المحيي قد يحصل في آنٍ سيال، كإظهار الحي  
-بمعكسيته ومظهريته لتجليات الأسماء الحسنى- حمدًا خالفه بتوصيفه بأوصاف كماله  
وجماله وجلاله بلسان الحال..

**اعلم** أن فرد الإنسان كنوع سائر الأنواع، بسر: أن فرد الإنسان له ماضٍ ومستقبل  
يجمع في الشخص -معنى- كلٌّ من مات منه من أفراد نفسه؛ إذ في كل سنة يموت منه فردان  
صورةً ويورثان فيه معنيهما من الآلام والآثام والآمال وغيرها، فكأنه فردٌ كلي.. وإحاطة  
فكره وعقله ووسعة قلبه وغيرها تعطيه نوعٌ كلي.. وكون فردة كنوعه في الخلافة والمركزية  
لعالمٍ خاص كالعالم العام.. والعلاقة الشعورية مع أجزاء العالم وتصرفه في كثير من أنواع  
النباتي والحيواني والمعدني تحويلا وتغيرا خلافا لسائر الحيوانات وغيرها، أيضا تعطي له نوعٌ  
كلي، كأن كل فرد نوعٌ منحصر في الشخص.. ودعاء المؤمن لعموم أهل السماوات والأرض  
يشير إلى أن الشخص يصير بالإيمان كعالم، أو مركزه. فما تجري في نوع الحيوان من القيامات  
المكررة النوعية المشهودة في كل سنة -فإن شئت فأنظر إلى آثار رحمة الله في كل سنة في الثمرات

(١) في (ط): اعلم أن الأسماء الحسنى أبواب متفاوتة، ووجوه مختلفة، ناظرة إلى الذات، وقد تتجلى أسماء متقابلة في شيء  
واحد، كالمعطي والمنع والضار والنافع، فبدل على أنه كما يعطي لهذا قصدا، يمنع ذلك الشيء من ذا بإرادة، ويضر ذلك  
بما ينفع هذا. كلاهما مرادان له تعالى، ويتحدث من هنا: أن من اتصف بحقيقة اسم من الأسماء يتصف بجميعها.

المتجددة الأمثال كأنها أعيانها، وإلى حشر أنواع الهوام والحشرات بكمال سهولة من القيامة- تجري بالحدس القطعي في كل فرد من أفراد الإنسان، فيدل كتاب العالم في هذه الآيات التكوينية على قيام القيامة الكبرى لأبناء البشر، كما يدل القرآن عليه بالآيات التنزيلية.. فالدلائل العقلية على القيامة ذكرتها في «إشارات الإعجاز»<sup>(١)</sup> وفي الباب الثالث في «نقطة»<sup>(٢)</sup> فراجعهما إن شئت، فإن فيها ما يطرد عنك الوسوس ويطيّر عنك الأوهام..

**اعلم** أنك إذا استمعت القرآن فألبس لكل نعمة - من نعماته المتطورة على الحُجُب، والمتنوعة في المراتب الإرشادية، والمنصبغة بحسيات الوسائط، من جبرائيل عليه السلام إلى من تسمع منه - ما يناسبها.

فلك أن تَمَرَّ بسمعك من القارئ في مجلسك إلى الاستماع من النبي ﷺ الذي يقرؤه في ذروة شاهرقة النبوة في مجلس الأرض على أبنائها من بني آدم وغيرهم.

ولك أيضا أن تستمع من جبرائيل وهو يخاطب النبي في الأفق الأعلى عليهما الصلاة والسلام.

ولك أن تستمع من خلف سبعين ألف حجاب من المتكلم الأزلي، وهو يتكلم مع النبي في قاب قوسين أو أدنى. فألبس إن استطعت لكل ما يليق به!

**اعلم** أن ما يتعلق بك منك من الشعور والعلم، إنها هو بدرجة ما يرجع إليك منك، بسر عدم الإسراف، ومناسبة السبب للمسبب، والقوة للعمل. وما يرجع إليك بالنسبة إلى ما يرجع إلى مَنْ خَلَقَكَ كنسبة شعرة إلى حبل، وخيط إلى ثوب. فنسبة علمك وشعورك المتعلقين بك بالنسبة إلى علمه وبصره المتعلقين بك كنسبة «تنور الذباب»<sup>(٣)</sup> الذي يبرق منه النور كنجمية بتلمعه في النهار تحت ضياء الشمس المحيط به. وأنت في ظلمات الغفلة، وليل الطبيعة ترى لمعتك نجما ثاقبا..

**اعلم** أن فيما بين أفعال الله تناسبا، وبين آثاره تشابها، وبين أسمائه تعاكسا، وبين أوصافه

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤) و﴿وَكَبِيرَ الْأَمْرِ﴾ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥).

(٢) وقد وضع الأستاذ المؤلف كلا من الباب الثاني والباب الثالث من هذه الرسالة فأصبحا «الكلمة التاسعة والعشرين» لذا لم يدرجا ضمن رسالة «نقطة من نور معرفة الله» في هذا الكتاب.

(٣) المقصود: اليراعة.

تداخلا، وبين شؤوناته تمازجا. إلّا أن لكلّ طوراً يخصّه، يستتبع ما سواه في طوره. فلا يُتوجّه قصداً في بيته ودائرة حكمه إلى غيره، ولا يُطلَب لوازِم الغير منه، لأن لازم اللازم ليس بلازم إلّا بقصدٍ جديد. إذ التابع لا يُستتبع، كما أن الحرف التبعي لا يُحكم عليه.

فإذا نظرت من آثاره إلى الجامدات فتوجّه قصداً إلى القدرة والعظمة، ويراى لك تجليات سائر الأسماء استطرادا وتبعياً.

فإذا نظرت إلى الحيوانات الغير الناطقة فألبس لها طورها، فهكذا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨) ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢).

اعلم أن «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ينظر إلى مراتب أطوار الإنسان وأدوار وجوده من الذرات إلى الوجود الحي، معدنا جامدا، ونباتا ناميا، وحيوانا حساسا، وإنسانا مؤمنا، ففي كل مقام من تلك المنازل، ولكل لطيفة من لطائف الآلَم وآمال:

فلا حولَ عن العدم ولا قُوَّةَ على الوجود إلّا بالله..

لا حولَ عن الزوال ولا قُوَّةَ على البقاء إلّا بالله..

لا حولَ عن المضار ولا قُوَّةَ على المنافع إلّا بالله..

لا حولَ عن المصائب ولا قُوَّةَ على المطالب إلّا بالله..

لا حولَ عن المعاصي ولا قُوَّةَ على الطاعات إلّا بالله..

لا حولَ عن النقم ولا قُوَّةَ على النعم إلّا بالله..

لا حولَ عن المساوئ ولا قُوَّةَ على المحاسن إلّا بالله..

لا حولَ عن الآلام ولا قُوَّةَ على الآمال إلّا بالله..

لا حولَ عن الظلمات الهائلة ولا قُوَّةَ على الأنوار المتألثة إلّا بالله العلي العظيم.

اعلم<sup>(١)</sup> من توكل على الله فهو حسبه:

(١) إن إيضاح هذا القسم الذي يخص «حسبنا الله» في اللمعة التاسعة والعشرين العربية، وفي الشعاع الرابع والرجاء الرابع عشر والخامس عشر من اللمعة السادسة والعشرين، رسالة الشيوخ (المؤلف).

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأنه مالِكُنَا ومالكُ الكل، فالكلُّ كملِكُنَا إن كنَّا له تعالى.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأنه الكامل المطلق والكمال محبوب لذاته، من شأنه أن يُفدَى له الوجود.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأنه الجليل الجميل ذو الكمال والجلال والجمال المحبوب لذاته، فليسوق تجديد تجليات جماله نموتُ ضاحكين ونحيا مسرورين.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأنه الواجب الوجود الموجد لكل موجود، فعلمنا بوجوب وجوده يعطينا كلَّ الوجود، وبعدم العلم يصير في يدنا نقطة وجود يتحمل عليها أعدامُ هو ملء الدنيا.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ : لأنه القديم الأبدي الدائم الباقي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨).

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأن الدنيا فانية والحياة زائلة.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأن بدونه يصير كلُّ لذائذ الدنيا منقصةً بآلام هائلة، وبالتوجه إليه والارتباط برحمته لا تزيد اللذائذ الزائلة إلا لذة تجدد الأمثال خالصة عن آلام الزوال.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأن به أنوار الوجود وبدونه ظلمات الأعدام الهائلة.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ؛ لأنه إن عرفناه وشكونا إليه وأرضيناه كفانا كلَّ حاجاتنا إلى أنواع الكائنات، وأما إذا توجَّهنا إلى الأسباب -التي حاجتُنا عندها في النظر الظاهري- وشكونا إليها فمع أنها عميٌّ صمٌّ لا تسمعُنا ولا ترانا، تتشوش علينا الأمور وتشتت بنا الطرق، كمثل مَنْ شكى إلى سلطان فأنفذَ في آن، ومَنْ شكى إلى كلِّ أهل البلد فردا فردا ليتفقوا على إمداده. ولو اتفقوا ما اتفقوا إلا في زمان طويل وتكلفٍ عظيم!!

**اعلم** أن من لطائف إعجاز القرآن ومن دلائل أنه رحمةٌ عامة للكافة: أنه كما أن لكلِّ أحد من العالم عالمًا يَخُصُّه، كذلك لكلِّ باعتبار مَشْرَبه من القرآن قرآنٌ يَخُصُّه ويرِيه ويُداويه.

ومن مزايا لطف إرشاده: أن آياته مع كمال الانسجام وغاية الارتباط وتمام الاتصال بينها، يتيسر لكل أحد أن يأخذ من السور المتعددة آيات متفرقة هدايته وشفائه، كما أخذها عموم أهل المشارب وأهل العلوم؛ فبينما تراها أشتاتا باعتبار المنازل والنزول، إذن تراها قد صارت كقلادة منظمة اتلفت واتصلت مع أخواتها الجديدة. فلا بالفصل من الأصل تنتقص، ولا بالوصل بالآيات الأخر تستوحش. فهذا السر يشير إلى أن لأكثر الآيات الفرقانية مع سائر الآيات مناسبات دقيقة يجوز ذكرها معها واتصالها بها.

فكما أن سورة «الإخلاص» اشتملت على ثلاثين سورة بضم جملها بعض إلى بعض دليلاً ونتيجة، كما ذكر في «اللوامع»<sup>(١)</sup> كذلك القرآن الكلّي الجزئي والنوع المنحصر في الشخص يشتمل بجامعية الآيات للمعاني المتعددة ومناسبة الكل للكل يحتوي على ألوف ألوف قرآن في نفس القرآن. فلكل ذي حقيقة فيه كتاب يخصه ومن اتبعه.

اللهم يا منزل القرآن بحق القرآن اجعل القرآن مونساً لي في حياتي وبعد مماتي ونورا في قلبي وقبري..

لا إله إلا الله محمد رسول الله..

الوداع<sup>(٢)</sup>

(١) المنشورة ملحقاً بمجلد «الكلمات».

(٢) ظننت بشدة مرضى قرب الأجل في ذلك الوقت فقلت: الوداع. أنا أسافر من باب القبر إلى مجمع أحبابي وأساتيدي ورفقائي من طلبة المدارس والنور. (المؤلف)

## ذيل الذيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الرحمن الذي من لطائف عظام ثمرات طوبى رحمته: «سيدنا محمد» عليه الصلاة والسلام والجنة المتدليان على الدارين.. والقدير الذي هذه الموجودات الجديدة الجليلة، والأجرام العلوية في بستان الكائنات شواهد ربوبيته، وهذه النباتات المتلونة والحيوانات المتنوعة في حديقة الأرض خوارق صنعته وبراهين ألوهيته، وهذه الأزهار المنورة والأشجار المثمرة في هذه الجنان معجزات قدرته ودلائل رحمته، وهذه الشجرة بأوراقها وأزهارها وأثمارها في هذه الروضة معجزات قدرته.. تشهد كل على أنه على كل شيء قدير.

فالواقعات الماضية معجزات قدرته، تدل على أنه قادر على كل الممكنات الآتية لم يخرج فيما مضى ولن يخرج فيما يأتي شيء من حكم قدرته. تتساوى بالنسبة إليه الذرات والشموس.. وهو الحق المبين الواحد الأحد الذي تُشَدُّ ذرات الكائنات ومركباتها بدلائلها المختلفة وألستها المتنوعة مشيرة إلى جماله المطلق:

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ      وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

ويتلو كتاب الكائنات بأبوابه وفصوله وصفحه وسطوره وجمله وحروفه آيات وجوبه ووحدته، وتقرأ سطوره على العقول:

تَأْمَلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا      مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

اعلم يا سعيد الشقي! لا تنظر إلى ما ليس لك، بل انظر إليك، أي شيء أنت؟ وما أنت؟ وبِمَ تستند؟ إذ أنت عجز متجسّد واحتياج محض ومجسم إنعام ونوم مموءة باليقظة. فالعجز جسّدك والاحتياج روح فيه يتحرك، والإنعام جسمك، وحياتك نوم تسكن



به. «أي واه» واشقاوتا أغرق في قطرة تصير بحرا عليّ، وأغيب في آن يصير كالأبد، وأظن لمعة هذه الحياة شمسا شارقة!

أيها السعيد المسكين! ما رأس مالك إلا ستون دينارا تقريبا، أخذت خمسة وأربعين فصرفتها كلّها لمصارف يوم في خان الدنيا، ونسيت بيتك وما يلزم له فصار مالك عليك دينا ونارا، وما بقي من خمسة عشر دينارا مجهول لا تدري أتأخذها أو بعضها أو لا تأخذ شيئا منها. فكلما أخذت شيئا منها فاصرفه لبيتك الدائم. ولا أقل استبق لك ثلثه ليصير لك دينا ونورا. فما أجهلك وأشدك خسارة! صرفت كل المأخوذ ليوم زائل وما بقي في يدك لمقامك الباقي إلا أقل قليل، وأنت راحل غافل؛ كانت لك ثلاث درجات: خطوات على اثنتين بخروجك من المنزل والبلد، فرفعت قدمك لتخطي على الدرجة الثالثة بالخروج من الدنيا الفانية.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أنه كبرت كلمة تخرج من أفواه الناس، إذ يقولون: «تشكل بنفسه».. و«اقتضت الطبيعة» و«أوجدته الأسباب». فهذه الجمل الثلاث باطلة، ومن ظروف المحالات: إذ إنك موجود، فإما أنت مصنوعك بالنظر إلى الجملة الأولى.. وإما مصنوع أسباب العالم كما اقتضته الثانية.. وإما مصنوع بطبيعة موهومة، وقوة عمياء كما تدل عليه الثالثة.. وإما مصنوع الله كما يستلزمه الحق والحقيقة.

أما الأول: فمحال بوجوه غير محصورة:

منها: لا بد أن تعطي لكل ذرة من ذراتك عينا ترى كلك، بل كل الكون وشعورا كذا، وهكذا ممّا يستلزمه كمال صنعتك لنظر نسب الجزء إلى نقوش الكل.

ومنها: لا بد أن توجد فيك عدد المركبات المتداخلة المتصاعدة المتنازلة في ذراتك قوالب كقوالب الطبع من الحروف الحديدية المصنوعة أيضا، لو لم تكتب بقلم القدير الأزلي الواحد.

ومنها: لا بد أن يكون كل ذرة بسر وحدة الأثر حاكمة على الكل ومحكومة للكل، كالأحجار في البناء المعقد بفرض نفي الباني.. وكذا ضدا ومثلا، ومطلقة ومقيدة، ومصدرا ومنبعا لصفات تستبعد وجودها حتى فيمن يطوي السماء كطي السجل!

(١) في اللمعة الثالثة والعشرين «رسالة الطبيعة» تفصيل لهذه الفقرات.

وأما الثاني: فمحالاته لا تحصى:

منها: أن المواد التي صُنعت منها كزجاجات الأدوية في «صيدلية»، فإن أمكن عندك أن يخرج بانصبابٍ وسيلانٍ بلا مداخلة أحدٍ من كل زجاج مقدارٍ معين بميزان حساس، ثم تجتمع المقادير المتفاوتة لتشكيل علاج الحياة أو تركيب معجون حيوي، أمكن لك أن تتوهم صدوركَ من أسباب جامدة.

ومنها: صدور شيء واحدٍ بكمال الانتظام من أسباب غير محدودة جامدين متشاكسين عُمياً صماً مترددين بين الإمكانيات. تزداد بالاختلاط أعميَّتها وأصميَّتها، ومع أن مباشرتها بظاهر الشيء. والحال أن باطنه ألطف وأكمل صنعة، فمحاليةٌ صدوركَ منها أظهر من أن يخفى.

ومنها: أن اجتماع تلك الأسباب الغير المحصورة بكمال الاتفاق والانتظام بميزان الحاجة في حُجيرة من حُجيرات عينك ليس بأسهل من اجتماع أركان العالم بوجوده الخارجي بأجرامه العظيمة في كفك، بل في ظُفرك، بل في حُجيرة منه؛ إذ مَنْ يعمل في بيت، جاز اشتمال البيت عليه إن كان العامل مادياً، فما دام العالمُ بأجزائه عاملاً في جزئك جاز دخوله في ذرتك. وهذه سفسطة يخجل منها السوفسطائي.. وهكذا من المحالات المتسلسلة والممتنعات العقلية والأباطيل التي تمجّها الأوهام.

والاحتمال الثالث: وهو تأثير الطبيعة، فأبطل وأفسد. إذ الطبيعة لها ظاهرٌ عُرِّي في موهوم ظنَّته الغفلة والضلالة حقيقةً، ولها باطنٌ هو الصنعة الإلهية والصبغة الرحمانية.

وأما القوةُ فحقيقتها تجلِّي قدرة الحكيم العليم الخبير المريد. وأما ما يصوِّره نظُّر الغفلة والتغافل من الصانع الواحد وما اتصل به من جناحي التصادف الأعمى والاتفاقية العوراء.. فمن مخترعات الشياطين بالاضطرار الناشئ من الضلالة.

ولقد حققنا في «نقطة» وقطرة وذيلها، وشمة، وذرة، وحبّة وذيلها» بما لم يُبق شبهةً: أن هذه الصنعة الخارقة لا تصدر إلّا من قدرة خبير بصير، يتصف بجميع أوصاف الكمال.

فأين يدُ الممكن المسكين المقيد المحدود الجامد الكثيف من نسج حُلّة الكائنات؟! وأين يدُ البعوضة من نسج قميصات مطر زات منقشات لِبستها هذه العوالم؟!!

فلم يبقَ إلّا أن تكون أنتَ وكلُّ شيءٍ مصنوعٌ الصانع الأزلي الذي شواهدُ خلاقته بعدد الموجودات:

منها الكائنات بجميع ذراتها ومركباتها. كُلُّ يشهدُ عليه بخمس وخمسين لساناً كما في «قطرة».

ومنها: القرآن مع كل كتب الأنبياء والأولياء والموحّدين، مع الآيات التكوينية في الكون.

ومنها: سيّد الأنام مع كل الأنبياء، والأولياء والمَلَك..

ومنها: ما في الجن والإنس من الفطرة بأنواع احتياجاتها..

ومنها: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨).

فمع ما سمعت: فاعلم أن مثَلُ إسناد الصنعة إلى الممكن على الوجوه الثلاثة الأول، وإلى الواجب كما هو الحقُّ؛ كمثَلُ الشجرة بأثمارها إن أسندتها للوحدة، بأن أسندتها بقوانين النمو إلى جراثيمها المستمد من النواة الممثلة للأوامر التكوينية المُفاضة من أمر «كُن» الصادر من الواحد الواجب. فالشجرةُ بجميع أجزائها وأوراقها وأزهارها وأثمارها كثرةٌ واحدة، ولا فرق بين شجرة ذات ثمرتين كخردلتين، وشجرة كجبل ذات أثمار غير محدودة من الجوز الهندي لسر مجهول<sup>(١)</sup> في وجود السهولة واليسر في الوحدة والاتفاق، حتى في تشريك المساعي وتوحيدها بتقسيم الأعمال.. ووجود الصعوبة والعسر في الكثرة والتشتت.

وأما إذا أُسندت إلى الكثرة الإمكانية وغير ما عيّنه الصانع؛ لاحتاج كُلُّ ثمرةٍ وكلُّ زهرةٍ وكلُّ ورق وكل غصن إلى كُلِّ ما يحتاج إليه كلُّ الشجرة، لاندماج أنموذج الكل في جزءٍ جزء. فانظر ما ترى: ما بين الشقيّين، كما بين الوجوب والامتناع؛ إذ سهولة الأوّل بدرجةٍ جاز أن يقال يجب أن يكون هكذا.. وصعوبة الثاني بدرجة تضطرنّا أن نقول: يمتنع أن يكون كذا.

الحاصل: إن أعطيت التصريف لغيره تعالى لزمك: إما أن تجعلَ كُلَّ حُجيرة من حُجيرات أجزائك محيطَةً بصفاتها بالكائنات، إن أسندتها إلى نفسها.. وإما أن تجعلَ كُلَّ

(١) لم ينكشف ذلك السر بعدُ أثناء تأليف هذه الرسالة، إلّا أنه اتضح بعد ذلك بـ«الشفافية والمقابلة والموازنة والانتظام والتجرد والإطاعة».[المؤلف].

حُجيرة كحُجرة تجتمع فيها مجموع أسباب العالم العاملة فيها، إن أسندتها إلى الأسباب؛ لأن وحدة الحُجيرة إلى أن تصل إلى وحدة العالم تدل على وحدة الصانع، إذ الواحد لا يصدر إلا عن الواحد، لاسيما الحُجيرة التي لا تسع إصبعين لبعوضتين، فكيف تسع ما لا يسعه كلُّ الكون من تصرف إلهين؟ فدلّل الوحدة هو الوحدة. وزجيجة - كخردلة - يمكن أن توجد فيها الشمسُ بضياؤها وألوانها وحرارتها بالتجلي بكمال السهولة، ولا يمكن وجود خردلتين في خردلةٍ بمصدريتهما لها.

فكما أن الوجودَ الخارجي أثبتُّ وأثقلُ وأحكمُ من الوجود المثالي، فتسع ذرةٌ ذاك جبلٌ هذا، وشمسٌ هذه تدخل في لمعةٍ ذاك... كذلك الوجود الوجودي أثبتُّ وأرسخُ وأرزنُ وأرصن بل هو الوجود الحقيقي والخارجي البحت، وأحقُّ بما لا يُحد من الوجود الإمكانى. فالموجودات الإمكانية بحذافيرها المتمثلة في مرآة العلم الأزلي المحيط تصيرُ كالمرابا لتجليات أنوار الوجود الوجودي. فالعلمُ مرآتها، وهي مرآة الوجود الوجودي. فوجودها خرج من مرتبة العلم إلى الوجود الخارجي، ولم يصل إلى مرتبة الوجود الحقيقي.

**اعلم** أنه من تأمل في الكون يتحدثس منه: أن الفاعلية والتأثير من شأن اللطيف، والنوراني، والمجرد... وأن الانفعال والقابلية والتأثر من شأن المادي والكثيف والجسماني.

فإن شئتَ انظر إلى النور وإلى الجبل، فالأول: يقوم في السماء، ويده الرقيقة اللطيفة في الأرض فعالةٌ جوالّة. والثاني: بعظمته وبأياديهِ الغليظة لا يقتدر على فعلٍ وتأثيرٍ حتى في لصيقه وجاره.. وكذا نرى في تفاعل الأشياء في الظاهر: أن بدرجة لطف الشيء ونورانيته تظهر مرتبة السببية فيه، وبالكثافة يتقرب إلى درجة المسبّب. فيعلم من هنا أن خالق الأسباب الظاهرية وموجد المسبّبات هو نورُ الأنوار الذي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) ﴿لَا تَدْرِيكَ أَلْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ أَلْبَصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣) لا إله إلا هو.

**اعلم** أن التفكير نورٌ يُذيبُ الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نارٌ تحرق الأوهامَ المظلمةَ اليباسة، لكن إذا تفكرت في نفسك فدقّق وتمهّل وتغلغل وفصّل تفصيلاً، بمقتضى الاسم «الباطن» المتعمق؛ إذ كمالُ الصنعة أتمُّ في تحليله وتفصيله.. وإذا تفكرت في الآفاق، فأجمل

وأُسرع ولا تَغص ولا تَحْضُ إِلَّا لحاجةٍ إيضاح القاعدة، ولا تحدّد النظر، كما هو مقتضى الاسم «الظاهر» الواسع؛ إذ شعشة الصنعة أجلى وأبهَرُ وأجملُ في إجماله ومجموعه، ولئلا تغرق فيما لا ساحل له.

فإذا فصلت هناك -يعنى في نفسك- وأجملت هنا، تقرّبت إلى الوحدة. فصارت الجزئيات أجزاءً، والأنواع كلاً، والمختلط ممتزجاً، والممتزج متحداً فيفور منه نورُ اليقين. وإذا عكست بأن أجملت فيك، وفصلت في الآفاق تشتت بك الكثرة وتستهيوي بك الأوهام وتستغلظ أنايتك وتتصلّب غفلتك، فتقلب طبيعةً. فهذا طريقُ الكثرة المنجرة إلى الضلالة.

اللَّهُمَّ لا تجعلنا من الضالين آمين.

**اعلم** أنه قد روي أن الإنسان «إذا تحرك سكن رزقه، وإذا سكن تحرك رزقه». الحق أنه من لمعات حقيقة واسعة.. فانظر إلى الأشجار لما سكنت متوكلةً تحركت إليها أرزاقها، وإلى الحيوانات لما تحركت حريصات سكنت عنها أرزاقها ثابتة في مقامها نابتة على عروقها، تدعو بألوانها وروائحها إلى أنفسها من جاع واحتاج من الحيوانات المتحركة بأهوائها والدائرة بهوساتها.

**اعلم** أنه ما أجهل الإنسان الغافل وما أضلّه وما أضّرّه لنفسه! يترك خيراً عظيماً لوجود احتمالٍ عائق بين تسعة احتمالات سائقة، ويرتكب الضلالة بترك الهداية لشبهةٍ سوفسطائية مع وجود ألفٍ براهين الهداية، والحال أن الإنسان وهام ذو احتياط وحزم يتجنب من المضار العاجلة باحتمالٍ واحدٍ من عشرة احتمالات. فكيف لا يتجنب من أضّر المضرات بتسعة احتمالات بل بتسعة وتسعين؟!

**اعلم** أن في روح الإنسان احتياجاتٍ لا تنهاى وقابليةً لتألماتٍ لا تنهاى واستعداداً لتلذذات لا تنهاى ومهياً لآمال والآم لا تنهاى؛ حتى إن الشفقة مع ضلالة القلب تتضمن آلاماً غير متناهية. كما ذُكر في «قطرة»، فليس لك أن تقول: ما أنا ومن أنا وأي شيء أنا حتى تقوم لي القيامة، ويوضع لي الميزان، ويجري عليّ الحساب! فيا أيها الضال الشاك...! لا تغتر بهذه الحياة، فإن لذتها معلقةٌ بمغلطةٍ مربوطةٍ بالشك لأهل الضلالة. فيقرّ الضالّ الشاك من دهشة ألم الزوال والفناء إلى احتمال السعادة الأبدية. ويفر أيضاً من تكلف تحمّل التكاليف

الدينية إلى احتمال عدم الآخرة، فيتخلص بهذه المَعْلَطة من الأَلمين مؤقتاً. ففي قريب من الزمان تنحل عليه العقدة، وتنكشف الحقيقة. فلا الاحتمال الأول يهون أَلَمه بل يُحسُّه كَلَّ الأَلَم دفعَةً، ولا الثاني يخفف حِمْلَه بل يضاعف عليه آلاماً جهنمية. وكذا يقول - لكن في زمان قليل - فالمصيبة عَمَّت وطابت، فلا عليّ أنى كأمثالي فلا أُبالي! لكن يجيء زمان عن قريب، تتضاعف عليه المصيبة بدرجة عمومها، كإصابة الشخص في نفسه ثم أقاربه وأحبابه، لأن في روح المرء علاقاتٍ بأبناء جنسه فمهما عَمَّت المصيبة تضاعفت البلية.

أيها الشاك الغافل! لا تحسب أن ما تذوقه بيدَي الغفلة والشك لذةً لذيدة، بل فيه ادّخارُ آلامٍ أليمة، ستهجم عليك دفعَةً وتقلبَ آلاماً جهنمية. فإن أحببت أن يتبدل لك هذه الآلامُ المترصدةً لذائذَ متجددةً، وتقلب هذه النارُ نوراً؛ فقوِّسْ أنفَ غرورك بالركوع في الأوقات الخمسة، ووسِّع رأسَه لنزول ضيفِ الفرقان مع فيض الإيمان. فلا بد من المداواة بالتفكير بالآيات وملازمة الطاعات كي يُحرق حجابُ الشكوك والغفلات وتنضج حلوةُ النجاة من مرارة هذه الضلالات، وتنكشف لذة المناجاة.

**اعلم** <sup>(١)</sup> أن العبودية تستلزم التسليم دون الاختيار والتجربة والامتحان إذ «للسيد أن يختبر عبده، وليس للعبد أن يختبر ربه»!

**اعلم** أن دائرة الاسم «الباطن» ودائرة الاسم «الظاهر» متداخلتان ومتقابلتان. فأهل الأولى يقولون قدرته مثلاً كالبحر. وأهل الثانية يقولون كالشمس. فالبحر كالكل ذي الأجزاء. والشمس كالكلي ذي الجزئيات تماثلها كجزئياتها. والباطني المحض المفرط لا يخلُص من شائبة التجزؤ والاتحاد. والظاهري السطحي المخالف للسُّنة لا يخلص من شوب شرك الأسباب، فالصراط المستقيم هو القرآن..

فيا مُنزل القرآن، بحق القرآن اهدنا الصراط المُستقيم

آمين.. آمين.. آمين

(١) تراجع المذكرة الثالثة عشرة من «اللمعة السابعة عشرة».

الرسالة السابعة<sup>(١)</sup>

زَهْرَة

مِنْ رِيَاضِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

(١) طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «نجم استقبال» بإسطنبول سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) ثم ترجمها الأستاذ النورسي إلى اللغة التركية مع شيء من الإيضاح وجعلها «اللمعة السابعة عشرة» في خمس عشرة مذكرة وقد أشرنا إلى موضع كل مسألة من اللمعة المذكورة، فمن شاء فليراجعها.

كُلُّ حَيٍّ فِي الدُّنْيَا كَعَسْكَرٍ مُوْظَفٍ، إِنَّمَا يَعْمَلُ بِحِسَابِ الْمَلِكِ وَبِاسْمِهِ .

فَنَزَعَمَا أَنَّهُ مَالِكٌ، فَهُوَ هَالِكٌ . .

إِنَّ هَذَا النِّظَامَ وَالْمِيزَانَ الْمَشْهُودِينَ عَنْوَانَانِ لِقَبْضَتِي الرَّحْمَنِ وَبَابَانِ مِنَ

الْكِتَابِ الْمِيِّنِ . . وَمِنْ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ .

وَالْقُرْآنُ تَرْجَمَانُ الْكِتَابَيْنِ وَفَهْرَسْتَةُ الْبَايِنِ وَفَذَلِكَ الْقَبْضَتَيْنِ .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الحاكم الحكيم الأزلي الذي نظم هذه الكائنات بقوانين عادته وسنته، وعيَّنها بدساتير قضائه وقدره، وأسس بنائها بأصول مشيئته وحكمته، وزينها بنواميس عنايته ورحمته، ونورَّها بجلوات أسمائه وصفاته. وهو القادر القيوم السرمدي الذي ما هذه الكائنات بماهياتها وهوياتها وتمايزاتها وتزييناتها وموازينها ومحاسنها إلا خطوط قلم قضائه وقدره، ونقوش بركار علمه وحكمته، وتزيينات يد بيضاء صنعه وعنايته، وأزاهير رياض لطفه وكرمه، وثمرات فياض رحمته ونعمته، ولمعات تجليات جماله وكماله جلَّ جلاله؛ هذا يزيد على ضرب جميع الذرات في الذرات.

فيا من بتألؤل لمعات بروق شروق أسمائه ظهر عجائب المخلوقات.. ويا من تساوى بالنسبة إلى قدرته الذرات والسيارات.. ويا من كتب على مسطر الكتاب المبين -المصدر للنظام والميزان- هذه الكائنات المترينات:

إِنَّا نَقْدُمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي كُلِّ سُكُونٍ وَحَرَكَةٍ تَتَحَرَّكُ بِهَا ذَرَاتُ الْعَالَمِ وَمَرْكَبَاتُ شَهَادَةٍ: نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بَعْدَ جَمِيعِ الْحُرُوفَاتِ الْمُتَشَكِّلَةِ فِي الْكَلِمَاتِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِإِذْنِكَ فِي مَرَايَا تَوَجَّاتِ الْهَوَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ قَارِئٍ مِنْ حِينَ النُّزُولِ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن ما يوصل إليك -بحسب الظاهر- من الوسائل؛ إمَّا له اختيار أو لا. وما لا اختيار له، لا ريب أنه يعطيك ما يعطيك بحساب الله وباسمه. فخذ وكل أنت باسم الله، وتوجَّه بتمام شكرك إليه.. وإمَّا له اختيارٌ ما، فلا تأخذ ولا تأكل منه ما لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أي بإخطار صاحبه الحقيقي وتوجيه نظرك إليه كما ترمز إليه الآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ بِهٖ﴾ (الأنعام: ١٢١).. فإن لم يُذَكَّرْ هو، فاذا ذكر أنت. وانظر من فوقه إلى مَنْ أَنْعَمَ (١) المسألة الرابعة من المذكرة الثالثة عشرة للمعة السابعة عشرة توضح هذه المسألة. وفي (ط): اعلم يا سعيد الشقي: إن ما يوصل...

عليه وعليك. فانظر في النعمة إلى الإنعام، ومنه إلى المنعم الحقيقي. فاشكره بهذا النظر، فإن هذا النظر شكرٌ، ثم ارجع إن شئت وانظر إلى الوسيلة وأدع له مُثْنياً عليه بسبب إرسال النعمة على يده. وإياك إياك يا قلبي أن تنظر أولاً وبالذات إلى المنعم الظاهري..

الحاصل: لا بد من «بسم الله»: مرتين في المختار، ومرة في غيره. وإياك إياك يا نفسي أن تظني «الاقتران» علية.. فقد يقارن وصول نعمة فعل أحد، فيظن قاصراً النظر أن فعله علتها، كلا! وإياك أن تجعل عدم نعمة عند عدم شيء دليلاً على أن وجود ذلك الشيء علته وجودها. فقد تترتب النتيجة على ألوف أمور، فلا توجد -بسنة الله- تلك النعمة لفقد أي جزء كان ولو أضعف الأمور. فهل يجوز لمن فتح قنطرة جدول فسال الماء على نواة وبذر فانشجرت وتسنبلت، أن يدعي أن الشجرة صنعته ومُلكه وماله حقيقة؟ فهذه المسألة ميزان تُعرف به درجات الغفلة والشرك الخفي..

وإياك إياك يا قلبي أن تسند ما يُفاد على الجماعة أو يتظاهر منها أو يتحصل من مساعيها إليك وإلى غيرك من ممثل الجماعة أو أستاذها أو مرشدها؛ إذ مع أن هذا الإسناد والتصوّر ظلمٌ عظيم يوقع المسند إليه -المستتر فيه «أنا»- في غرور عظيم، وأنانية غليظة، ويفتح لمن يسند منافذ إلى نوع شرك خفي، فتأخذ الوسيلة حُكم المقصود ويلبس البواب زي السلطان..

وإياك إياك إذا رأيت من أحد فيوضات ترد عليك، أن تظن أنه مصدرها أو منبعها. بل ما هو إلا مظهرها ومَعكِسُها، بل يحتمل أن لا يكون مصدراً ولا مظهراً، بل لأجل حصر نظرك عليه تتخيل ما يُفاد عليك من مقلّب القلوب إلى قلبك، كأنه تمثّل أولاً في مرشدك، ثم انعكس عليك. كمثّل من يُمعن النظر في زجاجة، فيتجرد ذهنه فيجول في عالم المثال، فيشاهد غرائب فيزعمها متمثلة في الزجاج، كلا! (١)

**اعلم** (٢) يا من يستمد من الأسباب: «تنفخ في غير ضررٍ وتستسمن ذا ورم». (٣)

(١) المسألة الخامسة من المذكرة السابعة لللمعة السابعة عشرة.

(٢) يراجع الرمز الأول من المذكرة الرابعة عشرة لللمعة السابعة عشرة.

(٣) «نفخت في غير ضرر».. مثل يضرب لمن يصنع الشيء في غير موضعه. والضرر: النار أو الخطب السريع الالتهاب، ونفخ في غير ضرر أي في مكان لا نار فيه.

وللشريف الرضي: تَسْمُنِي الصَّيْمَ لَقَدْ نَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ

ولصفي الدين الحلي: رَجَوْتُكُمْ نَصْحَاءَ فِي السَّدَائِدِ لِي لَضَعْفِ رُشْدِي وَاسْتَسْمَنْتُ ذَا وَرَمٍ

مثلاً: إذا شاهدت قصرًا عجيباً يُبنى من جواهر غريبة لا يوجد وقت البناء بعض تلك الجواهر إلا في الصين، وبعضها إلا في فاس، وبعضها إلا في اليمن، وبعضها إلا في سيبيريا، وهكذا.. أفلا تشهد أن ذلك القصر بناءً يبينه من يحكم على كرة الأرض ويجلب من أطرافها ما يريد في أسرع وقت؟

وهكذا؛ كل حيّ بناءً، وكل حيوان قصرٌ إلهي، لاسيما أن الإنسان من أحسن تلك القصور، ومن أعجبها، لأنه امتدت حاجته إلى الأبد، وانتشرت آماله في أقطار السماوات والأرض، وشرعت روابطه في ما بين أدوار الدنيا والآخرة. فيا هذا الإنسان، لا يليق بك ولا يحق لك وأنت تحسبك إنساناً أن تدعو وتعبّد إلا من يحكم على الأرض والسماء ويملك أزيمة الدنيا والعقبى!

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا قلبي أن الأبله الذي لا يعرف الشمس إذا رأى في مرآة تمثال شمس، لا يجب إلا المرأة ويحافظ عليها بحرص شديد لاستبقاء الشمس، وإذا تفتن أن الشمس لا تموت بموت المرأة ولا تفنى بانكسارها، توجه بتمام محبته إلى الشمس؛ إذ ما يشاهد في المرأة ليس بقائم بها، بل هو قيوّمها. ويقاؤه ليس بها، بل بنفسه.. بل بقاء حيوية المرأة وتلاؤلّها إنما هو بقاء تجليات الشمس ومقابلتها، إذ هي قيوّمها. يا هذا قلبك وهويتك مرآة، فما في فطرتك من حُب البقاء ليس لأجلها، بل لأجل ما فيها.. فقل: «يا باقي أنت الباقي، فإذا أنت باقي فليفعل الفناء بنا ما شاء فلا نبالي بما نلاقي».

**اعلم<sup>(٢)</sup>** يا أيها الإنسان! إن من غرائب ما أودع الفاطر الحكيم في ماهيتك أنه قد لا تسعك الدنيا فتقول «أوف»<sup>(٣)</sup> كالمنسجون المخنوق، مع أنه تسعك خردلة وحُجيرة وخاطرة ودقيقة حتى تفتى فيها، وتستعمل أشد حسياتك لها.. وأعطاك لطائف بعضها يتلعب الدنيا فلا يشبع، وبعضها يضيق عن ذرة ولا يتحمل شعيرة، كما أن العين لا تتحمل شعرة.

فاحذر وخفف الوطء، وخف أن تغرق ويغرق معك ألطف لطائفك في أكلة، أو كلمة، أو شعرة، أو شعيرة، أو لمعة، أو لحمية، أو بقلّة، أو قبلة.. فإن في كل شيء جهة من عدم

(١) الرمز الثاني من المذكرة نفسها.

(٢) الرمز الثالث منها.

(٣) كلمة تضجر.

التناهي يطيق أن يُغرقَكَ، ولا يضيق عن بلعِكَ. فانظر إلى مرآتكَ كيف يغرقُ فيها السماء بنجومها! وإلى خردلةٍ حافظتكَ كيف كتب «الحق» فيها أكثر ما في صحيفة أعمالك وأغلب ما في صحائف أعماركَ! فسبحانه من قادرٍ قيوم!

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن دنياكَ كمنزل ضيق كالقبر، لكن لأجل أن جدرانَه من زجاجة تتعاكس، تراه واسعاً مقدار مد البصر؛ إذ الماضي المعدوم من جهة الدنيا، والآتي المفقود؛ مرآتَان متقابلتان تصلان جناحَ حالك وتتصلان بزمانك. فلا تفرقُ بين الحقيقة والمثال؛ فيصير خطُّ «آنكَ» سطحاً، حتى إذا تحركتَ بتحريك المصابب ضربت الجدرانُ رأسَكَ فيطيرُ خيالكَ ويُطرَد نومُكَ، فترى دنياكَ أضيئَ من القبر والجسر، وزمانك أسرعَ من البرق والنهر..

**اعلم<sup>(٢)</sup>** يا من يريد أن يرى شواهد تجليات اسمه «الحفيظ» المشار إليه بـ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨) وبـ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس: ٦١) في صحائف كتاب الكائنات المكتوب ذلك الكتابُ على مسطرِ الكتابِ المبين.

انظر إلى عُرفَةٍ تأخذها بقبضتك من أشنات بذور الأزهار والأشجار، قد اختلطت تلك البذور والحبَّات المختلفة الأجناس والأنواع، المتشابهة الأشكال والأجرام، بحيث لا يميز بينها. ثم ادفنها معا - في الظلمة - في ظلمات تراب بسيط جامد محدود. ثم اسقِه بالماء الذي لا ميزانَ له ولا يفرق بين الأشياء، فأينما توجهه يذهب. ثم انظر إليها عند الحشر السنوي وقد حُشر بنفخ الرعد في الصُور في الربيع، حتى ترى تلك البذور المختلطة المتشابهة كيف امتثلت بلا خطأ الأوامر التكوينية من فاطرها الحكيم، بصورة يتلمعُ منها كمالُ الحكمة والعلم والإرادة والقصد والبصيرة والشعور! ألا ترى تلك المتماثلات كيف تمايزت؟ حتى صارت هذه شجرة التين تنشر وتشر على رؤوسكم نغم ربّها! وصارت هذه أزاهير ترنّت لأجلك وتضحك في وجهك وتتودّد لك؟ وصارت هاتيك فواكه مما تشتهون تدعوك إلى أنفسها وتقديها لك؟ حتى صارت تلك العُرفة بإذن خالقها جنةً مشحونةً من الأزهار المختلفة

(١) يراجع الرمز الرابع من المذكرة الرابعة عشرة للمعة السابعة عشرة.

(٢) المسألة الأولى من المذكرة الخامسة عشرة للمعة السابعة عشرة.

والأشجار. وانظر هل ترى فيها غلطا أو قصورا؟ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (الملك: ٣) بل قد أعطى «الحفيظ» لكلٍ منها ما ورثه من مال أبيه وأصله بلا نقصان وبلا التباس. فما يفعل هذا الفعل إلا من يقتدر على أن يقيم القيامة. فمن يفعل هذا، هو الذي يفعل تلك.. فإظهار كمال الحفظ ها هنا من الأمور التافهة الزائلة حُجَّةٌ بالغة على محافظة ما له أهمية عظيمة وتأثير أبدي، كأفعال خلفاء الأرض وآثارهم، وأعمال حملة الأمانة وأقوالهم، وحسنات عبدة الواحد الأحد وسيئاتهم. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦) بلى إنه لمبعوث إلى الأبد، فيحاسب على السبِّ واللبِّ.<sup>(١)</sup>

فهذا المثال الذي تسج أنت على منواله ليس قبضةً من صبرة<sup>(٢)</sup> أو غرفة من بحر، بل حبة من رمال الدهناء، ونقطة من تلال الفيفاء،<sup>(٣)</sup> وقطرة من زلال السماء.. فسبحانه من حفيظ رقيب وشهيد حسيب.

**اعلم** أيها السعيد الغافل! إن ما لا يرافقتك بعد فناء هذا العالم بل يفارقك بخراب الدنيا، لا يليق أن تلزق قلبك به. فكيف بها يتركك بانقراض عصرك؟.. بل فكيف بها لا يصاحبك في سفر البرزخ؟.. بل فكيف بها لا يشيعك إلى باب القبر؟.. بل فكيف بها يفارقك سنة أو سنتين فراقا أبديا مورثا إثمه في ذمتك؟.. بل فكيف بها يتركك على رغمك في آن سرورك بحصوله؟ فإن كنت عاقلا لا تهتم ولا تغتم، واترك ما لا يقتدر أن يرافقتك في سفر الأبد، بل يضمحل ويفنى تحت مصادمات الانقلابات الدنيوية والتطورات البرزخية والانقلابات الأخروية. ألا ترى أن فيك شيئا لا يرضى إلا بالأبد والأبدي، ولا يتوجه إلا إليه، ولا يتنزل لما دونه؟ وذلك الشيء سلطان لطائفك. فأطع سلطانك المطيع لأمر فاطره الحكيم جلّ جلاله.

.....<sup>(٤)</sup>

(١) السبِّ: جمع أسباد: القليل من الشعر، يقال: «ما له سبٌّ ولا كبْد» أي لا شعر ولا صوف، يقال: لمن لا شيء له (انظر: مجمع الأمثال للميداني).

(٢) الصبرة: ما جُمع من الطعام بلا كيل ولا وزن.

(٣) الفيفاء: الصحراء الملساء والجمع: فيافي.

(٤) في (ط ١): اعلم أني رأيتني في المنام وأنا أقول للناس: يا أيها الإنسان! إن من دساتير القرآن: أن لا تحسن شيئا مما سواه سبحانه أعظم منك بحيث تعبد له.. وأن لا تحسن أنك أعظم من شيء من الأشياء بحيث تتكبر عليه. إذ يتساوى ما سواه في البعد عن المعبودية وفي نسبة المخلوقية.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا أيها السعيد الغافل! تنظر إلى أطرافك الآفاقية فتراها ثابتة مستمرة في الجملة وبالنوع، فتظن نفسك أيضاً ثابتةً دائمةً حتى لا تتدهش إلا من القيامة، كأنك تدوم إلى أن تقوم هي. كلا! إنك ودنياك في معرض الزوال والفناء في كل آن. فمثلك في هذا الغلط كمثل من في يده مرآة متقابلة لمنزل أو بلد أو حديقة ارتسمت هي فيها، ففي أدنى حركة للمرآة وتغيرها يحصل الهرج والمرج في تلك الثلاثة التي اطمأنتت بها. وأما بقاؤها في أنفسها فلا يفيدك، إذ ليس لك منها إلا ما تعطيك مرآتك بمقياسها وميزانها. فتأمل في مرآتك وإمكان موتها وخراب ما فيها في كل دقيقة. فلا تحمل عليها ما لا طاقة لها به.

**اعلم<sup>(٢)</sup>** أن من سنة الفاطر الحكيم - في الأكثر - ومن عادته، إعادة ما له أهمية وقيمةً غاليةً بعينه لا بمثله في الأدوار والفصول المتكررة بتجدد الأمثال في أكثر الأشياء. فانظر إلى الحشر العصري والسني واليومي، تر هذه القاعدة مطردة. وقد انفتحت الفنون وشهدت العلوم على أن الإنسان أكمل ثمرات شجرة الخلقة، وله أهمية عظيمة وقيمة غالية، وفردّه كنوعٍ غيره. فبالحدس القطعي يُعاد كل فردٍ من البشر في الحشر والنشر بعينه وجسمه واسمه ورسمه..

..... (٣)

**اعلم** أن الفذلكات المذكورة في أواخر الآيات لا تنظر إلى تلك الآية التي هي فيها فقط، بل تنظر إلى مجموع القصة، بل إلى تمام السورة، بل إلى جميع القرآن؛ لتساند الآيات وتلاحظها وتناظرها، فلا تزن ما في الفذلكة بميزان مأل آيتها فقط، ولا تحمل عظمتها على حكم جزئي مُهدّ المحلّ لذكرها، وإلا بخستها حقها. مثلاً قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٤) .. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: ٤١) .. ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الروم: ٥٨) .. و ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١) ..

(١) تراجع المذكرة الثالثة لللمعة السابعة عشرة.

(٢) تراجع المذكرة الرابعة لللمعة السابعة عشرة.

(٣) في (ط) (١) اعلم يا نفسي الجاهلة المغرورة! إن لكل مقام ومرتبة ظلاً، بل ظلالاً متباينة، وأين الظل من الأصل؟ فهل يليق بمن يرى عكس سرير سلطان في الماء تحته أو في المنام، فقعد عليه أن يظن نفسه سلطاناً أو مساوياً للسلطان؟ أو يشاهد النجوم في حوضه فيظن نفسه في السماء كمن يسري بين النجوم وفوقها. على أن من يرافقه علمه وعقله في السير الملوكوتي على خطر عظيم من الغرور، فيقيس نفسه بسبب أخذ علمه ظلاً من ظلال مرتبة على صاحب أصل المرتبة. وكذا على خطأ جسيم من العجب فقد يقول كفراً للنعمة: ﴿إِنَّمَا أَوْتَيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (القصص: ٧٨) ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ (الزمر: ٤٩).

و ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٠) ومثل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩) و ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣) وأمثالها مما له عيون ناظرة إلى أكثر الآيات التنزيلية، وأكثر الآيات التكوينية، وأكثر الأحوال البشرية.

فهذه الخواتيم القرآنية التي تُمهَرُّ بها الآيات مع تأييدها لآياتها، ترفع رأس المخاطَب من الجزئي المُشَتَّت إلى الكلي البسيط؛ ومن الجزء المفصَّل إلى الكل المجمل، وتوجَّه نظره إلى المقصد الأعلى.. وغير ذلك من أسرار البلاغة.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا قلبي قد يغالطك الشيطان بإراءة الغير الغير المحدود، ليهوّن عندك قيمة ما أنعم عليك. فانظر حينئذٍ إلى احتياجك ونفيسك وعجزك وحكمة النعمة والإنعام القصدي في النعمة، وإلى عدم تناهي تجلي القدرة والعلم والإرادة، وإلى غايات وجودك ونتائجه العائدة إلى مالكه وصاحبه الحقيقي الذي له الأسماء الحسنى. وكذا يغالطك الموسوس مستمداً من أنانيتك ومستنداً بفرعونية النفس بإراءة صغار الحيوانات وحساس الحشرات، ويضعها نصب عينك ويقول لك: ما الفائدة في خلقها السريعة الزوال؟ فيلقنك العبيثية - بعد تلقين أنّ غاية الحياة هي الحياة، وأن قيمة الحياة بالبقاء - لِيُسَقِّطَ في عينك أهمية الرحمة والنعمة وإتقان الصنعة فيما تُشاهد هذه الثلاثة فيه، لِيُنْسِيكَ الصانع بالتعطيل. فقابل أنت بإراءة السماوات بنجومها والأرض بحيواناتها. هذا إذا نظرت إليها وأنت أنت.. وأما إذا نظرت إلى ما هو أصغر منك، فانظر أيتها الحُجيرة الكبرى إلى غرائب حياة حُجيرات جسدك ووظائف الكريات الحمراء والبيضاء في دمك الدائر مادمت في هذه الدار، وإلى رقائق لطائفك الطائفة بقلبك.

**اعلم** يا أيها الأوروبي! إنك أخذتَ بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، ويسارك المدنية المضرة السفهية، تدّعي أن سعادة البشر بهما. شُلّت يداك وبُست هديتك.

ألا يا ناشر الكفر والكفران! هل يمكن لمن أُصيب في قلبه وعقله ووجدانه وروحه بمصائب هائلة، السعادةُ بكونه في ذروة الرفاه والزينة بجسمه؟ ألا ترى أن مَنْ انكسر خياله

(١) قد مرّ في ذيل الحياض إجمال هذه المسألة. (المؤلف).

(٢) إن أوروبا اثنان: أحدهما: نافع للبشر باستفادته من الدين العيسوي والمدنية الإسلامية. أظهر - بإحسان الله - ما يستريح به البشر في هذه الحياة.. وأوروبا الثاني: خالَفَ الأديان السأوية واستند بالفلسفة الطبيعية المادية وغلبت سيئات المدنية حسناتها، وصار سبباً لمشقة أكثر البشر وشقاوتهم. فإني أخاطب هذا القسم الثاني (المؤلف). والمذكورة الخامسة للمعة السابعة عشرة توضح المسألة أكثر.

أو خَابَ من أمل وهميٍّ أو انقطع رجاؤه من أمر جزئيٍّ كيف يَمَرُّ<sup>(١)</sup> له الحلو ويعذبه العذبُ  
 اللذيذ وتضيق عليه الدنيا؟ فكيف بمن أُصيب بشؤمك في أعماق قلبه وروحه باليُتم الروحي  
 والضلالة التي فيها انقطاعُ كلِّ الآمالِ وانشقاقُ كلِّ الآلام؟ فهل يقال لمن روحه مع قلبه في  
 جهنم، وجسمه في جنةٍ كاذبةٍ زائلة: إنه مسعود؟

فاستمع أيها الروح المفسد لما يُتلى عليك، أذكر لك واحدا فقط، من ألوف المهالك التي  
 أوقعت البشر فيها، وأقدم لإيضاحه مثالا.

مثلا: هاهنا طريقان؛ فذهبنا في هذه، فترى في سيرنا بمد النظر في مدة السفر عند كل  
 خطوة رجلا عاجزا يتهاجم عليه رجالٌ غُلَّبٌ يغتصبون ماله ودوابه ويخربون بيته، وقد  
 يجرحونه بحيث تبكي عليه السماء، فأينما نظرنا نرى الحال على هذا المنوال بحيث لا تسمع  
 إلا صيحات الظالمين ونياحات المظلومين، فطم عليهم المأثم العمومي. فبسر: «أن الإنسان  
 يتألم بألم الغير» والحال أن الوجدان لا يتحمل التألم بهذه الدرجة، يضطر الناظر للتجرد عن  
 الإنسانية والتزام نهاية الوحشة بتبطّن قلبٍ لا يبالي بهلاك الناس عند سلامته.

فيا أوروبا! أهديت بدوائك الأعور لروح البشر هذه الحالة الجهنمية، ثم تفتنت لهذا  
 الداء العضال دواءً لإبطال الحسّ في الجملة، وهو الملاهي الجذابة والهوسات الجلابة. فتعسا  
 لك ولدوائك.

ثم ذهبنا في الطريق الأخرى؛ فترى في كل منزل وفي كل مكان وفي كل بلاد عساكر  
 موظفين منتشرين في الآفاق والطرق، فيجيء بعضُ المأمورين فيرخصون<sup>(٢)</sup> بعضهم من  
 الوظيفة ويأخذون سلاحهم ودوابهم ولوازماتهم الميرية ويعطون لهم تذكرة الإذن، فيفرحون  
 بالترخيص وبالرجوع إلى المَلِك وزيارته باطنا، وإن حزنوا بترك المألوف ظاهرا. ونرى أنه قد  
 يصادف المأمورون نفرا عجميا لا يعرفهم فيقول لهم: أنا عسكر السلطان وفي خدمته، وإليه  
 أرجع، فإن جتّم بإذنه ورضائه فعلى الرأس والعين، وإلا تَنَحُوا عني لأقاتلنكم وحدي ولو  
 كنتم ألّوفا، لا لنفسي بل لحفظ أمانة مالكي، وحماية حيثة سلطاني وعزته. وهكذا نرى في مد  
 طريقنا ومدة سفرنا تحشيدات بتهليل وسرور تسمى «تولدات»، و«ترخيصات» بتكبير وحُجُور

(١) من المارة التي هي ضد الحلو. (انظر: لسان العرب مادة «مرد»).

(٢) أي يسرحونهم من الوظيفة.



تسمى «وفيات». فالقرآن الحكيم أهدى للبشر هديةً لو اهتموا بها لسلخوا بها في مثل هذا الطريق.. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢).

فيا أوروبا! تزعم أن كل ذي حياة من أصغر السمك إلى أكبر المَلَك مالِكٌ لنفسه ويعمل لذاته وإنما يسعى للذته، له حق حياة وغايةٌ همته حفظ البقاء. وما ترى فيما بينها من «التعاون» المأمور به من جانب خالقها: كإمداد النباتات للحيوانات والحيوانات للإنسان، تظنه «جدالا».. حتى حكمت بأن «الحياة جدال».<sup>(١)</sup> فيا سبحان الله كيف يكون إمدادُ ذرات الطعام بكمال الشوق لتغذية حُجيرات البدن جدالا وخصاما؟ بل إنما الإمدادُ تعاونٌ بأمر رب كريم.

والدليل على أن ذا الحياة ليس مالكا لنفسه، هو: أنَّ أشرف الأسباب وأوسعها «اختيارا» الإنسان. والحال أنه ليس في يد اختياره ودائرة اقتداره من أظهر أفعاله الاختيارية - كالأكل والكلام والتفكير - من المائة إلا جزء واحد منهم. فإذا كان الأشرف الواسع الاختيار هكذا مغلول الأيدي عن التملك والتصرف الحقيقي، فكيف بسائر البهيمات والجمادات؟

وما ورّطك في هذا الخطأ إلا دهاؤك الأعور؛ إذ نسي ربّه الذي هو خالق كل شيء، واستند بالطبيعة الموهومة وأسند الآثار إلى الأسباب، وقسم مال الله على الطواغيت. فعنده يضطر الإنسان وكل ذي حياة أن يصارع مع ما لا يُعد من الأعداء لتحصيل ما لا يجد من الحاجات، باقتدارٍ كذرة، واختيارٍ كشعرة، وشعور كلمعة تزول، وحياة كشعلة تنطفئ، وعمرٍ كدقيقة تنقضي؛ مع أنه لا يكفي كل ما في يده لواحد من مطالبه. فإذا أُصيب بمصيبة لا يستمد إلا من أسباب صمّ وعمي: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرعد: ١٤) فقلّب دهاؤك المظلم نهارَ البشر ليلا متتورا بأنوار كاذبة مستهزية. وصيرَ كل ذي حياة في نظر تلاميذه كالرجل المسكين المبلى بهجوم الظلمة كما رأينا في الطريق الأولى.. ويرى في الدنيا مأتما عموميا، ويرى الأصوات نعيات الموت ونياحات اليتامى. وصيرَ تلميذه الخاص: «فرعونا» لكن يعبد أخس الأشياء، ويرى كل سبب نافع أنه ربّه.. «متمردا» لكن يتمسكن بنهاية الذلة للذته. ويقبل رجل الشيطان لمنفعة خسيصة.. و«جبارا» لكن لعدم نقطة الاستناد عاجز في ذاته بغاية العجز.

(١) أي أن الحياة صراع دائم والبقاء فيها للأقوى!

وإن غايةَ همة تلميذك: بطنُهُ وفرجُهُ أو منفعةُ قومه، لا لقومه بل لأجل منفعة نفسه أو تظمين رقة الجنسية<sup>(١)</sup> أو تسكين حرصه وغروره. ولا يجب إلّا نفسه، ويفدي لها كلّ شيء.

وأما خالص تلميذ القرآن فـ«عبد» لكن لا يتنزل للعبودية لأعظم المخلوقات ولا لأعظم المنفعة ولو كانت جنة.. و«لن هين» لكن لا يتدللّ لغير فاطره إلّا بإذنه.. و«فقير» لكن يستغني بما أدّخر له مالكة الكريم.. و«ضعيف» لكن يستند بقوة سيده الذي لانهاية لقدرته. ولا يرضى تلميذه الحقيقي حتى بالجنة الأبدية مقصدا وغاية، فضلا عن هذه الدنيا الزائلة. فانظر إلى درجة تفاوت همة التلميذين.

وكذا، ما يرى أعظم الأشياء كالعرش والشمس إلا مخلوقا عاجزا مسخّرا مأمورا، ويرى في روحه علاقةً شديدة مع كل الصالحين من أهل السماوات والأرض، فيدعو لهم من صميم قلبه، كما يدعو المرء لأهل بيته.

فانظر التفاوتَ بين مروءة التلميذين؛ ذاك يفر من أخيه لنفسه، وهذا يرى كل العباد إخوانه. والقرآن يعطي ليد تلاميذه بدلَ هذا التسبيح العادي<sup>(٢)</sup> أعدادَ ذرات الكائنات فيسبّحوا لله، وفي أيديهم بدل التسبيح الذي عدده تسعة وتسعون «سلسلةً جميع ذرات الكائنات» فيقرؤون أورادهم بذلك التسبيح العجيب، ويذكرون ربّهم بأعداد ذلك، بل يزيدون.. فانظر إلى تلاميذ التنزيل من الأولياء أمثال الكيلاني، والرفاعي،(\*) والشاذلي كيف أخذوا في أياديهم سلاسل الذرات والقطرات وأنفاس المخلوقات وغيرها كالتسبيح يذكرون الله بها، بل يستقلّونها فيمدون أيديهم إلى ما لا يتناهى من عدد معلومات «علام الغيوب»! انظر إلى هذا الإنسان الذي يصارعه أصغرُ مكروب ويصرعه أدنى كرب، كيف ترفع وانبسط لطائفه بفيض إرشاد القرآن، حتى استصغر الدنيا أن تكون تسبيحا لورده، واستقل الجنة أن تكون غايةً لذكره! ومع ذلك لا يرى لنفسه فضلا على أدنى شيء من خلقه سبحانه.

وأما هدي القرآن فيقول: يا أيها الإنسان إن ما في يدك أمانة، ومُلكٌ لمالك قدبر على كل شيء وعليم بكل شيء، كريم يشترى منك مُلكه الذي عندك ليحفظه لك، لئلا يضيع في يدك، وأجلّ لك ثمنا عظيمًا وأنت مأمور وموظف كالعسكر فاعمل بحسابه وباسمه،

(١) تظمين ما يشعر به من رقة نحو بني جنسه.

(٢) المراد: المسبحة.

وهو الذي يرزقك ما تحتاج إليه، ويحفظك مما لا تقدرُ عليه. وغايةُ حياتك: مظهرُك لتجليات أسمائه وشؤونِه. فإذا أصابك مصيبةٌ فقل: «إنا لله وفي خدمته، فإن جئت أيتها المصيبة بإذنه ورضاه فمرحبا بك: إنا إليه راجعون وإلى رؤيته مشتاقون. وسيعتقنا من تكاليف الحياة يوما ما، فليكن على يدك وإن جئت بإرادته وأمره فقط ابتلاءً دون إذنه ورضاه فلا أسلم أمانته لغير الأمين ما استطعت».

فحقيقة الحال في الطرفين على هذا المنوال. لكن درجات الناس متفاوتة في الهداية والضلالة. ومراتب الغفلة مختلفة. لكن الغفلة أبطلت الحس بدرجة لا يحس المدنيون بإيلام هذا الألم الأليم، ولكن بتزايد الحساسية العلمية وإيقاظات الموت تشقق الغفلة. فويل ثم ويل لمن ضلَّ بطواغيت الأجنب.

فيا شبان الترك! فهل بعد كل ما رأيتم من ظلم أوروبا معكم وعداوتهم لكم تتبعونهم في سفاهاتهم وأفكارهم بل تلتحقون بصفهم بلا شعور؟.. ألا إنكم تكذبون في دعوى الحماية، إذ هذا الاتباع استخفافٌ بالملية واستهزاء بالملة. هدايا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا من يستكثر عدد الكفار ويتزلزلُ باتفاقهم على إنكار بعض حقائق الإيمان! أما أولا: إن القيمة ليست في الكمية، إذ الإنسان إذا لم يصِر إنسانا انقلب حيوانا شيطانا، لأن الإنسان إذا ترقى في الاحترافات<sup>(٢)</sup> الحيوانية كالمكرين للأديان، فهو أشد حيوانية. وأنت ترى كثرة كميات الحيوانات بلا حد وقلة الإنسان مع أنه هو الخليفة.

وثانيا: إن الإنكار نفى، وألف نافي لا يرجحون على اثنين من أهل الإثبات.

فإن قلت: كافرٌ ما هو؟

قيل لك: فالكفار الذين لا دين لهم نوعٌ خبيث من حيوانات الله، خلَقهم لعمارة الدنيا، وللنار.. وليكون<sup>(٣)</sup> واحدا قياسيا لدرجات نعمة تعالى على عباده المؤمنين. وأما اتفاقهم على إنكار حق ونفيه فلا قوة في اتفاقهم بسر النفي. إذ الكفر نفى وإنكارٌ وجهلٌ وعدمٌ، ولو كان في صورة الإثبات. مثلا: لو نفى كلُّ أهل إسطنبول رؤية الهلال؛ وأثبت رؤيته شاهدان، ترجح

(١) تراجع المذكرة السادسة للمعة السابعة عشرة.

(٢) أي أوغل في الحرص على الحياة الدنيوية المادية.

(٣) ليكون كل كافر واحدا قياسيا.

على إجماعهم بسر تسانيد الإثبات، ونظر الإثبات إلى نفس الأمر، ونظر النفي إلى نفس النافي وعنده.

مثلا: لو طبق الغيم في وجه السماء فرفعنا رؤوسنا، فما رأى الشمس من جميع أهل المملكة إلا حزب قليل، فهل يُقبل منك أن تقول: إن النافين متواترون، والراثون أقل قليل فاتّباع الأكثر أولى؟ كلا.. إذ لمن لم ير أن يقول: لا شمس عندي، وفي رؤيتي، دون لا شمس في نفس الأمر وفي وجه السماء. وهكذا فلتعدد المدعى بهذا الاعتبار بين النافين لا يقوى حكم بعض ببعض. فإجماعهم في قيمة الفرد كالاتحاد المدعى وتعاون القوى، كالتساند على رفع خلافا للمثبتين الناظرين إلى نفس الأمر لاتحاد المدعى وتعاون القوى، كالتساند على رفع صخرة عظيمة.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا من يشوق المسلمين على الدنيا ويدعوهم إلى صنائعها وترقياتها ويضربهم بعصا التشويق! تمهل وتأمل في رقة بعض حبالهم المربوطين بها بالدين، واحذر أن ينقطع قسم من حبالهم فيصيرون ضررا محضا في الحياة الاجتماعية، بسر أن المرتد لا حق له في الحياة لانفساده بالكلية، خلافا للكافر، فالشريعة تعطي له حق حياة، وأن الفاسق خائن ومردود الشهادة، لانفساد وجدانه خلافا للذمي في مذهب الحنفية.<sup>(٢)</sup> فاعتبر! ولا تغتر بكثرة الفساق؛ فإن الفاسق لا يرضى بالفسق، وما طلبه بالذات بل وقع فيه.. وما من فاسق إلا ويتمنى أن يكون متقيا وأن يكون أمره متدينا صالحا، إلا إن ارتد، العياذ بالله!

أتظن أن المسلمين لا يحبون الدنيا ويحتاجون لأن يُنّهوا ولا ينسوا نصيهم من الدنيا؟ كلا! بل اشتدّ الحرص.. والحرص في المؤمن سبب الخيبة؛ إذ الدعاة إلى الدنيا في كل شخص بكثرة؛ كنفسه واحتياجه وحواسه وهواه وشيطانه، وأمثالكم من رفقاء السوء، وحلاوة العاجلة وغيرها، مع أن الداعي إلى الآخرة الباقية بقلّة. فمن الحمية والهمة إمداد القليل.

أم تحسب أن فقرنا من زهدنا؟ كلا.. ألا ترى المجوس والبراهمة وسائر من تسلط عليهم الأوروبيون أفقر منا؟ أم أنت أعمى لا ترى أن ما زاد على القوت الضروري لا يبقى في يد المسلمين في الأكثر، بل يغتصبه أو يختلسه الكفار بدسائسهم؟ وإن أردت من تمدنهم،

(١) تراجع المذكرة السابعة للمعة السابعة عشرة.

(٢) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ١/١٥٦؛ البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ٩/٣١٠.

تسهيل إدارتهم وحصول الأمن في المملكة؛ فقد أخطأت الطريق. لأن إدارة مائة من الفاسقين الذين فسدت أخلاقهم وتزلزل اعتقادهم أصعبُ من إدارة أُلوفٍ من المتدينين. فأهل الإسلام لا يحتاجون إلى التشويق على الحرص على الدنيا، بل يحتاجون إلى تنظيم مساعيهم، والتعاون، والأمنية بينهم،<sup>(١)</sup> وما هي إلا بالتقوى..

**اعلم<sup>(٢)</sup>** أن الحق سبحانه بكمال كرمه أدمج قسما من مكافأة الخدمة في نفس الخدمة، وأدرج أجره العمل في نفس العمل. حتى إن الموجودات ولو الجمادات تمثل أوامره التكوينية بكمال الشوق والتلذذ، وبالامتثال تصير معاكس تجليات أسماء نور الأنوار. كالحياب الحقيق المظلم الذي يتوجه بقلبه الصافي إلى الشمس، فيتنور مبتسما في وجهه، بجعل قلبه سرير الشمس. وكيف لا تلتذذ الذرات ومركباتها - بفرض شعور فيها - بمظهريتها لتجليات أسماء ذي الجلال والجمال والكمال المطلق مع ارتقائها بالامتثال، مثل الحباب من نهاية الخمود والظلمة إلى نهاية الظهور والنور!

انظر إلى حواسك وأعضائك وخدمتها التي تخدم لبقاء الشخص أو النوع كيف تلتذذ بنفس خدمتها حتى يكون الترك عذابا لها.

ثم انظر إلى الحيوانات كيف تلتذذ بوظائفها، ألا ترى الديك مثلا: كيف يؤثر الدجاجات على نفسه في دعوتها إلى أكل ما رآه من الغذاء ولا يأكل هو؟ ويرى من طوره أنه يفعل هذا بالشوق والتلذذ والافتخار. وهكذا الدجاجة الراحية لأفراخها وهي صغيرة، التاركة لها إذا كبرت كسائر الوالدات النباتية والأمهات الحيوانية غير الإنسان! فيظهر من هذه الحال أنها لا تعمل بحساب نفسها ولا لكمالها، بل بحساب من وظفها مُنعمًا عليها برحمته بإلقاء لذة في وظيفتها.

ثم انظر إلى النباتات والأشجار كيف تمثل أوامر فاطرها بطور يرمز بشوق ولذة؛ إذ تزيناؤها ونشر روائحها تُظهر شوقها، وفداؤها نفسها لسنبلتها ولثمراتها تُعلن أن لذتها في امتثال الأمر. إذ تُعَدّ وتُحضر وهي سائلة من باب الرحمة أطيب الغذاء، فتطعم ثمرتها بإذن ربها. ألا ترى شجرة التين كيف تُطعم التين لبنا خالصا تأخذه من خزينة الرحمة وهي لا تُطعم

(١) إشاعة الثقة، فيأمن بعضهم بعضا.

(٢) تراجع المذكرة الثامنة للمعة السابعة عشرة.

نفسها إلا الطين! وشجرة الرمان تسقي الرمان شراباً صافياً مما أعطها ربُّها وهي لا تشرب إلا الماء! وهكذا.

ثم انظر إلى الحبوبات تَر فيها اشتياقاً ظاهراً للتسنبل كمثّل المحبوس في أضيق المكان كيف يشتاقل للخروج إلى البستان. ومن هذا السر الجاري في الكون بسنة الله يكون العاقل المستريح أشقى من الساعي المجدّد، إذ ذاك شاكٍ من عمره، وهذا شاكٍ. واندبجت الراحة في الزحمة، والزحمة في الراحة.<sup>(١)</sup>

ثم انظر إلى الجامدات تَر فيها أن ما «بالقوة» يجتهد لأن يصير «بالفعل» ويسعى بسنة الله بطور يرمز إلى أن في المسألة شوقاً ولذة. ألا ترى قطرة الماء كيف يشتمل قلبها على شوق لامثال أُمّ بارئها، بحيث اقتدر الماء بشدة ذلك الشوق مع لطافة الماء وضعفه على شق الحديد مع قوة مقاومته عند سماع أمر: «توسّع أيها الماء بإذن ربك» بواسطة لسان البرودة! وهكذا.

حتى إن جميع ما في الكون من السعي والحركة: من اهتزاز الذرات، إلى دوران الشمس إنها يجري على قانون القدر، وإنما يصدر من يد القدرة، وإنما يظهر بالأمر التكويني المتضمن للعلم والأمر والإرادة، بل يتضمن القدرة أيضاً. حتى إن كل ذرة وكل مركب وكل ذي حياة كنفر من العسكر له نَسَب في دوائر المركبات. وله وظائف لفوائد، بعدد نَسَبه فيها كذرة عينك في حُجيرة عينك، وفي عينك، وفي أعصاب وجهك، وفي شرايين بدنك.. لها في كل نسبة وظيفة لفائدة وهكذا.. فكل شيء يشهد على وجوب وجود القدير الأزلي بلسان عجزه عن تحمل ما لا طاقة له به، من وظائفه المحمولة عليه في نظام الكون وحفظ موازنة قوانينه؛ إذ «النظام والموازنة» بابان مهمان دقيقان من «الكتاب المبين». فأين الذرة والنحلة -مثلاً- وأين قراءة ذلك الكتاب الذي هو في يد مَنْ يطوي الساء كطي السجل للكتب! وكذا يشهد كل شيء على وحدة واجب الوجود الحق سبحانه بعلاقته وهو فرد بالمركبات المتداخلة المتصاعدة ووظائفه في مقاماتها ونظر نَسَبه ووضعيته إلى نقوشها!

ثم إن الفاطر الحكيم أجمل لكل شيء دساتير بآي «الكتاب المبين» في لذة خاصة واحتياج مخصوص بذلك الشيء، إذا عمل الشيء عليها صار ممثلاً من حيث لا يشعر لأحكام

(١) أي الراحة في التعب والنصب، والضيق والتعب في الراحة.

ذلك الكتاب. مثلاً: إن البعوض في حين ما يجيء إلى الدنيا يخرج من بيته بلا توقف، فيهمج على وجه الإنسان فيضربه بعصاه فينفجر منه له ماء الحياة، فمن علمه هذه الصنعة كراً وفراً؟ وأعترفُ أي لو كنتُ في موقعه لما تعلّمتها إلا بتدرّسٍ مديد وتدريبٍ عديد. فقس على البعوضة والنحلة والعنكبوت الملهمين كلّ الحيوانات والنباتات، قد أعطى الجوادُ المطلق سبحانه ليد كل فرد منها «تذكرةً مكتوبةً بمداد اللذة والاحتياج». فسبحانه سبحانه! كيف أدرج سرائر ما في سطور بابي «الكتاب المبين» في تذكرة مسطورة في رأس النحلة مثلاً، مفتاحها لذة خاصة بالنحلة المأمورة؟

وهكذا فيظهر مما سمعتُ مما مر بالحدس الإياني سرٌّ من أسرار: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦) وسرٌّ من أسرار: ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤) وسرٌّ من أسرار: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ \* فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ (يس: ٨٢، ٨٣).

**اعلم** يا من يدعو المسلمين إلى الدنيا، أخطأت! أنتحسبُ أيها الغافل أن المطلوب بالذات من الإنسان عمارة الدنيا واختراع الصناعات وتحصيل الرزق وغير ذلك مما يعود إلى الدنيا؟ والحال أن صاحب الملك الذي أمره بين الكاف والنون يقول بقول يصدقه الوجود والكون والواقع وتجهيزات الفطرة الإنسانية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).. ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (العنكبوت: ٦٠). أم تزعم أن من صنعك ويصنعك دائماً بتجديد وجودك في كل زمان يحتاج لما تصنع في نظام ملكه وإلى توسيطك في تصرفاته؟.. أترى كل مصنوعات البشر تساوي خلقه نخلة أو نحلة أو صنعة عين أو لسان؟

**اعلم** يا أيها الغافل! إن من أبعد المحالات أن لا يعلم من خلقك ما يتوارد عليك وأنت تتقلب فيه من الأحوال الاجتماعية والأطوار الدنيوية. فكن من شئت اعتقاداً وفكراً ولو معطلاً ومادياً. (١) فبالضرورة والملاحظة ترى في النطفة والبيضة والحبة والنواة فعالية وخلقية وصنعة وتصرفاً. أيمن في عقلك أن يكون المتصرف في النواة - هذا التصرف البصير الحكيم الناظر إلى مناسبات تلك النواة لعالم نوعها ولمن يستفيد منها - غير عالم بعالم

(١) أي ولو منكراً للوجود الله ومن يحصرون الوجود فيها يرونه من مادة فقط.

الأشجار وأحوالها وارتباطها بسائر العوالم؟ وأن لا يرى ولا يشاهد «فالتقى الحبة ومُسْنَبِلُهَا» مَنْ يزرعها ولم يزرعها وما يحصل منها وما يحصد منها وجهة ارتباطها بعالم الحيوانات ومحيطها وما يجري فيه؟ أم يُحتمل عندك أن يكون مَنْ يَصَوِّرُ البيضة -فرخاً مجهّزاً بالآلات اللائقة بعالم الطير- غير بصيرٍ بأحوال عالم الطيور وأطوار جيران الطيور من سائر الأنواع؟ أم يجوز في زعمك أن لا يرى خالقُ النطفة علقَةً، والعلقة مضغَةً، والمضغَة عظاماً وكاسِ العظام لحماً ومُنشئهُ خلقاً آخر ذا حياة؛ ومصوّره بصورة تتلمع منها أثرُ صنعةٍ عليمٍ، بصيرٍ حكيمٍ، بما لا غاية فوق علمه ورؤيته وحكمته؛ ومُجهّزه بجهازات يتصرف بها ذلك الإنسان المخرَج من النطفة في كثير من الأنواع والعوالم. وأن لا يشاهد ذلك الخلاقُ عالمَ الإنسان وأحواله وشؤونه وما يجري على رأس نوع الإنسان. وأن لا يعلم أدوار الإنسان والعوالم التي يحول الإنسانُ فيها بجسمه وحواسه وروحه وعقله وخياله، وغير ذلك مما أودع في جوهر الإنسان من نظارات العوالم ومراصد الحقائق؟

أيها الغافل! أتظن أنك حرّ ومأمون من مداخلَةٍ مَنْ يمدّ إلى يدك بعضا الغصن رمانةً مصنوعةً لك وبخيطة الشار<sup>(١)</sup> بطيخةً مطبوخةً لأجلك؟ فمن غفلتك تظن صانعَ البطيخ غافلاً عن آكله، ومن عماك تتوهم صانعَ الرمانة قوةً عمياء لا تعلم ما تعمله للمتفكّكين بالرمانة وطاوتها والمتحيرين في صنعتها القائلة: «سبحان من صوّرنى فأحسن صورتي»، والمتفكرين في لطافتها الناطقة بـ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤)، والمتأملين في انتظامها المتقن المنضد المنادي بأعلى صوته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤). أم تحسب أيها الجاهل أن لا يرانا ولا يعرفنا مَنْ يرسل إلينا لحاجتنا الخصوصية هذه الثمرات؟ أو لا يشاهدنا مَنْ ييث في ما بين أيدينا وفي خلال ديارنا ولمنافعنا بهيمات الأنعام وسائر الحيوانات؟

**اعلم** يا من يعتمد على نفسه وعلى الأسباب وعلى الدنيا! أنك حينئذٍ تصير كالذباب ذي النُجيم يترك النهارَ بشمسه، ويعتمد على نُجيمٍ نفسه وتلمّعهِ في الليل.. ومثلك كمثّل نفرٍ عسكريٍّ يتصور أن سلطانه يعمّ إحسانه وإنفاقه حتى أدنى نفرٍ وحيوان؛ ثم يقول في نفسه: «أين أنا؟ وأين نظره الخاص وعنايته الخصوصية من بين ما لا يتناهى من المنعم عليهم، مع

(١) شار العسل: اجتناه.



أن قلبي محتاج لحبيب وشفيق خاص يعينني على حسياتي ويصاحبني، فالأولى أن أتخذَ من دونه ولياً ومرجعاً، ثم يتحرى في خارج نظام العسكر روابطَ ومعاملات حتى يصير عاصياً، فيُطرَدُ ويُحبس «كالفاسق المحروم»، ويقال له: ألم تعلم أيها المسكين أن خزينة المَلِك تكفي لكل حاجتك وحاجاتِ سائر الأفراد المرتزقين؟. وأما ما في يدك ويد أربابك فلا يكفي لأدنى حاجتك، إذ أنت بين أعداء لا تُعدّ وآمالٍ لا تُحد، وإن قانون المَلِك لتجرده عن الماديّات لا يُشغل -ذلك القانون- نفرٌ عن نفر، بل يتوجه بهتامة لأي فردٍ كان، ولو كنتَ وحدك في السلك العسكري لما تفاوتتِ المعاملة، فكأن السلطان ينظر إليك خاصّةً دائماً في منظار قانونه، ويراك بأبصار ملتزمي قانونه، لاسيما إذا لم يكن السلطان مادياً كقانونه المجرد، فلا يغفل عنك حينئذٍ ولو طرفة عين، ففي عموم إحسانه نظرٌ خصوصي إليك، بدليل انطباق الإحسان على الحوائج التي تخصك بذاتها، أو تخصك بكيفياتها، ومفتاح هذا السر هو: أن الأحدية تتلمع في خلال وَسعة الواحدية، كتلمع عين الشمس في خلال الضياء المحيط حتى في كل ما مسّه الضياء من الذرات الشفافة وتلمع النظام التام في خلال المُشَوِّشَةِ الظاهرية الناشئة من اشتباك أشتات الأشياء.

والحاصل: إن فاطرَكَ ومالكَكَ أرحمُ وأكرمُ وألطفُ وأرأفُ بك من كل قريبٍ وحبيبٍ ورفيقٍ وشفيقٍ وهو العليمُ بك وبأسراركَ، وهو القديرُ على أعظمِ مطالبك وعلى أخفها. فاتركِ الكلَّ وتوكلِ عليه..

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن كتابَ الكائنات الذي هو «كتابُ القُدرة» مكتوبٌ على مسطَر «الكتاب المبين» الذي هو «كتاب العلم» بشهادة أن هذا النظام والميزان المشهودين المحيطين بابان بعينهما من هذين الكتابين، ورابطةٌ اتصاهما، وبرزخٌ بينهما، وعنوانان لقبضتي الرحمن، ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلّا وهما داخلان من باب هذين البابين في «الكتاب المبين». ولأجل أنه لا خارج في الكون والوجود من البابين بالمشاهدة، فكل شيء داخل في ذلك الكتاب.

وأما القرآن المبين الذي هو كتاب «صفة الكلام» فهو ترجمان الكتابين: الغيبي والشهودي، القُدرتي والعلمي. وفهرستُهُ البابين وفذلكة القبضتين.

(١) في المكتوب العاشر وفي حاشية المقصد الثاني من الكلمة الثلاثين يميّز الأستاذ النورسي بين «الكتاب المبين» و«الإمام المبين».

ومن دساتير هذه الكتب الثلاثة الآتية من الصفات الثلاث التي هي، «العلم والقدرة والكلام»؛ أن كلَّ حي بل كلَّ شيء كعسكرٍ موظفٍ وكعبدٍ مأمورٍ، إنما يعمل بحساب المليك المالك له، لا بحساب نفسه ومالكيته، ولا لذاته ولذاته، بل إنها لذته في ذاتٍ وظيفته. ومن زعم أنه مالك فهو هالكٌ، ومن تملك تهتك.

**اعلم** أن السماوات مصنوعة من غير فطور ترونها. فصانعها أعزُّ وأجلُّ وأكبرُّ وأعظمُّ من أن يتعسرَّ عليه إيجاد كل جزئيات كل ما في جوفها، ومن أن يخرج من ملكه شيء ما من الأشياء.. فلاجل الاشتباك التام بين جزئيات الأنواع لا بد أن يكون خالق نوع واحد كالسمك والذباب مثلاً، خالق كل الأنواع. فله المُلْك وله الحمد وله الخلق وله الأمر وله الحكم لا إله إلا هو.

**اعلم** <sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ ونبوته فذلِك الكمال والخير، وأن مسلكه والدينَ فهرسته السعادة والحسن المجرد. وقد نرى في العالم كمالاً فائقاً وحققاً ناطقاً، وخيراً شاهقاً وحُسناً شارقاً، فبالضرورة يكون الحق والحقيقة في جانب النبي، والضلالة والوهم والعدم في خلافه. فإن شئت فانظر من ألوف ألوف محاسن العبودية التي جاء بها النبي إلى هذا الواحد: وهو توحيد قلوب الموحدين وجمع ألسنتهم في أمثال صلاة العيد والجمعة والجماعة، بحيث يقابل هذا الإنسان عظمة خطاب المعبود الأزلي بجميع أصوات القلوب وأدعيتها وأذكارها، بتظاهير وتظاير في اتفاق وتسانيد وتجاوب في وسعة كأن هذه الأرض تنطق هي بنفسها، وتصلي بأقطارها وتمثل بأطرافها أمر: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ النازل بالعزة والعظمة من فوق السماوات السبع، حتى صار هذا الإنسان المخلوق الضعيف -مع صغره وكونه كذرة بين هذه العوالم- عبداً محبوباً لخالق الأرض والسماوات وخليفة الأرض، ورئيس الحيوانات، وغاية خلق الكائنات. ألا ترى أن لو اجتمع في الشهادة كما في الغيب أصوات المكبرين البالغين مئات الملايين في آن واحد بـ«الله أكبر» في صلاة العيد وأدبار الصلوات تساوي تكبير كرة الأرض لو كبرت، فكأن الأرض في العيد تتزلزل زلزالها فتكبر الله بأقطارها وأوتادها، وتكلم من صميم قلب قبلتها، بفم مكبتها بـ«الله أكبر» فتتزوج كلمتها متمثلة في هواء كهوف أفواه المؤمنين المنتشرين في أطرافها، بل -وكذا- في أطراف البرزخ والسماوات جل جلال من خلقها ومهداها وجعلها مسجداً لعباده سبحانه..

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا من يُحِبُّ أن ينظر ويصلَّ إلى نور معرفة الحق سبحانه من مسامات الدلائل والبراهين ومن مرايا الآيات والشواهد، لا تتجسَّس بأصابع التنقيد ما جرى عليك، ولا تنقد بيد التردد ما هبَّ إليك، ولا تمدن يدك لأخذ نور أضواء لك. بل تجرَّد وتعرَّض وتوجَّه.. فإني قد شاهدتُ من أنواع الشواهد والبراهين ثلاثة:

قسم منها كالماء يُرى ويُحسّ، ولكن لا يُستمسك بالأصابع، فتجرد عن خيالاتك وانغمس فيه بكليتك، ولا تتجسَّس بإصبع التنقيد، فإنه يسيل ولا يرضى بالإصبع محلا. وقسم منها كالهواء يُحسّ ولكن لا يُرى ولا يُتخذ.. فتعرَّض بوجهك وفمك وروحك لنفحات رياح الرحمة، ولا تقابلها بيد الأخذ والتنقيد والتردد بدل تنفسِ الفم وتروّج الروح، فإنه يزول، وهو منطلقٌ ولا يرضى باليد منزلا.

وقسم منها كالنور يُرى ولكن لا يُحس ولا يُؤخذ؛ فتوجَّه ببصرٍ بصيرتك مقابلا له بقلبك، فإن النور لا يؤخذ ولا يُصاد إلا بالنور، ولا تمتد يدا ماديةً حريصة، ولا تزنه بميزان الماديات فإنه يختفي، وإن لم ينطف. ولا يرضى بالماديّ حبسا وقيدا وبالكثيف مالكا وسيدا..

**اعلم<sup>(٢)</sup>** وانظر إلى درجة رحمة القرآن وشفقته على جمهور العوام ومراعاته لبساطة أفكارهم كيف يكرر ويكثر الآيات الواضحة المسطورة في جباه السماوات والأرض فيقرؤهم الحروفات الكبيرة الظاهرة التي تُقرأ بكمال السهولة بلا شبهة كخلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض وأمثالها. ولا يوجّه الأنظار إلى الحروف الدقيقة المكتوبة في الحروف الكبيرة إلا نادرا. ثم انظر إلى جزالة بيان القرآن كيف يتلو على الإنسان ما كتبه القدرة في صحائف الكائنات، حتى كأن القرآن قراءةً للكائنات ونظاماتها وتلاوةً لشؤون مكوّنها وأفاعيلها. فإن شئت فاستمع بقلب شهيد أمثال سورة «عم» وآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ..﴾ (آل عمران: ٢٦) وأمثالها..

**اعلم<sup>(٣)</sup>** أي قد أكتب تضرّع قلبي إلى ربي -مع أن من شأنه أن يُستَر ولا يُسَطّر- رجاء من رحمته تعالى أن يقبل نطق كتابي، بدلا عني إذا أسكت الموت لساني «ومنه هذه المناجاة»:

(١) تراجع المذكرة العاشرة لللمعة السابعة عشرة.

(٢) تراجع المذكرة الحادية عشرة لللمعة السابعة عشرة.

(٣) تراجع المذكرة الثانية عشرة لللمعة السابعة عشرة.

يا ربي الرحيم ويا إلهي الكريم! قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراتها إلا آثام مؤلمة مذلة، وآلام مضرّة مضلة، ووساوس مزعجة معجزة. وأنا بهذا الحمل الثقيل والقلب العليل والوجه الخجيل متقربٌ بالمشاهدة بكمال السرعة؛ بلا انحراف، وبلا اختيار كأبائي وأحبابي وأقاربي وأقراني إلى باب القبر، بيت الوحدة والانفراد في طريق أبد الآباد للفراق الأبدي من هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفة الراحلة بالمشاهدة، ولاسيما الغدارة المكارّة لمثلي ذي النفس الأمارة.

فيا ربي الرحيم، ويا ربي الكريم! أراني عن قريب قد لبستُ كفني وركبت تابوتي وودّعت أحبابي وتوجهت إلى باب قبري، فأنادي في باب رحمتك:

الأمان.. الأمان يا حنان يا منان نجّني من خجالة العصيان.

آه كفني على عنقي، وأنا قائم عند رأس قبري، أرفع رأسي إلى باب رحمتك أنادي:

الأمان.. الأمان يا رحمن يا حنان خلصني من ثقل حمل العصيان.

آه أنا ملتفٌ بكفني وساكن في قبري وتركني المشيعون، وأنا منتظر لعفوك ورحمتك.. ومشاهد بأن لا ملجأ ولا منجأ إلا إليك وأنادي:

الأمان.. الأمان من ضيق المكان ومن وحشة العصيان ومن قبح وجه الآثام، يا رحمن يا حنان يا منان يا ديان نجّني من رفاقة الذنوب والعصيان..

إلهي! رحمتك ملجئي ووسيلتي، وإليك أرفع بني وحزني وشكايتي..

يا خالقي الكريم، ويا ربي الرحيم، ويا سيدي، يا مولاي! مخلوقك ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز الغافل الجاهل العليل الذليل المسيء المسن الشقي الأبق قد عاد بعد أربعين سنة إلى بابك؛ ملتجئاً إلى رحمتك، معترفاً بالذنوب والخطيئات، مبتلياً بالأوهام والأسقام، متضرعاً إليك. فإن تقبل وتغفر وترحم فأنت لذاك أهل وأنت أرحم الراحمين. وإلا فأني باب يُقصد غيرُ بابك، وأنت الرب المقصود والحق المعبود. ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك..

آخر الكلام:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

## ذيل الزهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمته بإنزال القرآن، وعلى رحمته بإرسال سيد الأنام،  
عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

اعلم أن الفاطر الحكيم جل جلاله جعل النباتات والحيوانات - لاسيما صغارهما - من  
أوسع ميادين تصرفات قدرته، ومن أكثر مظاهر تجليات صفاته، ومن أغلب مرايا جلوات  
أسماؤه؛ لأسرارٍ غالية وحكمٍ عالية:

منها: أن النبات كالنواتات للأرض، وأن الحيوان ثمرة العالم. والنواة أنموذج مصغر  
للشجرة، والثمرة مثال مصغر لها. فكل ما يتجلى عليها يتجلى عليها أيضاً.

فما دام أن غايات الخلقة والحياة هي المظهرية لتجليات أسماء ذي الجلال والجمال  
والكمال المطلق، تكون العناية بتكثير جزئيات النبات والحيوان، لاسيما دقائقهما هي الأوفق  
للحكمة الأزلية.

روي أن موسى عليه السلام اشتكى إلى الله من كثرة البعوضات الهاجمة عليه، وسأل:  
«ما الحكمة في تكثيرها؟.. فأوحى إليه: أن البعوض يسأل: لِمَ خلقت هذا الإنسان بهذه  
الجسامة، وهو يغفل عنك؟ ولو خلقت رأسه بعوضاتٍ لبلغت مائة ألف مسبحين بحمدك  
في عالمهم، وذاكرين لك بين إخوانهم، مظهرين جلوات أسمائك ونقوش صنعتك بلسان قاهم  
وحاهم».

نعم، إن القرآن المعنوي المكتوب بمداد النجوم على صحائف طبقات السماوات، إذا  
قَرَأَ على الأنظار آيات العظمة والجبروت التكوينية، يقرأ معه - رأساً برأس - القرآن المكتوب  
بمداد الجواهر الفردة على جزء لا يتجزأ في حُجيرة عينك: آيات العلم والحكمة.

فإذا سمعت من ذلك: سبحانه ما أعظم شأنه! سمعت من هذا أيضا: سبحانه ما أدق حكمته وما ألطف صنعته! فإذا تساوى القرآنان، واقتضت الحكمةُ تكثيرَ نسخ أحدهما - وتكثيرُ نُسَخ الكبير لا يفيد الناظرين - فلا بد من تكثير نسخ الصغير للمطالعين المتفكرين الغير المحدودين، من المَلِك والجن والإنس وغيرهم. وفي تكثير النسخ لا يبقى الكتاب كتابا واحدا، بل تتنوع الكتب وتتفاوت الفوائد وتعدد المفاهيم، فتتلاحق الأمثالُ فيتزايد الحُسن والجزالة. ولولا إدراج كثير من سور الكتاب الصغير ونُسَخه في بعض حروفات القرآن الكبير لفاق الصغير على الكبير بدرجة صغره!

ومنها أيضا: أن أتم التجليات؛ تجلي الأحدية. وأكمل الصنعة؛ إدراج الأكبر بتمام نقوشه في الأصغر. وأن الثمرة والنواة بالنسبة إلى النبات، وأن النبات والحيوان بالنسبة إلى الأرض، وأن الإنسان والنبى بالنسبة إلى العالم. وأن القلب والسر بالنسبة إلى الإنسان.. أنموذج مختصر جامعٌ مظهرٌ لجميع الأسماء المتجلية على الأصل والكل والمحيط.

وأن الثمرة - مثلا - كما أنها «جزء» من الشجرة وهي «كلُّها»، فتشير من هذه الجهة إلى الواحدة.. كذلك كـ«الجزئي» لها تشتمل على تمام الشجرة وهي «كلِّها» فترمز بهذه الجهة إلى الأحدية.. فالواحدة شاهدة الوحدة عند تجلي الأحدية في مرايا الكثرة والجزئيات.

مثلا، - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ -: إن الضياء المحيط في النهار مثال الواحدة، وتمثال الشمس في كل ذرة شفاقة وقطرة وحوض وبحر ونجوم سيارة مثال لتجلي الأحدية. فإذا رأيت الشمس في مرآتك بلون مرآتك، وبما تقتضيه وضعيتها، ثم رأيتها في مرايا أخرى، فتنظر إلى الضياء، فيشهد لك بالوحدة، وأن لا كثرة في المتجلي، كما تتوهم. وتشد الكثرة والمرايا:

عِبَارَاتُ شَيْ وَحُسْنِكَ وَاحِدٌ      وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

فيُتحدس من هذه الأسرار، أن الفاطر الحكيم - جلَّت حكمته، ودقَّت صنعته - متوجهٌ بألطف قدرته وأتم عنايته وأكمل رحمته وأدق حكمته من العالم إلى الأرض، ومنها إلى ذوى الحياة، ومنهم إلى الإنسان، ومن فرد الإنسان إلى قلبه، ومن نوع الإنسان إلى ما هو قلبُ النوع وقلبُ العالم ونواته التي خلق العالمُ عليها، وثمرته المنورة التي انتهى إليها مخلوقا لأجلها،

وتمثال محبة فاطر العالم، ومثال رحمته.. وما ذلك القلب العالي الغالي المطهر المنزه إلا سيدنا وسيد الأنام محمد عليه صلوات وتسليمات بعدد ثمرات شجرة العالم.

**اعلم** يا من يتوهم الإسرافَ والعبثَ في بعض الموجودات! أن كمالَ النظام والميزان في إنشاء كل موجودٍ يطرد هذا الوهم؛ إذ النظامُ خيطُ نُظْمٍ فيه الغايات المترتبة على الأجزاء الجزئية والتفاصيل الفرعية. ومن المحال أن يراعي أحدٌ كلَّ غايات تفاصيلٍ قصرٍ -بدلالة انتظام بنائه- ويترك غايةَ المجموع التي بها تصير الغايات الجزئية غاياتٍ.

فإن شئت التحقيقَ فاستمع يا من له قلب شهيد وسمعٌ حديد! إن لكل شيء غاياتٍ دقيقة كثيرةٌ تعود منها إلى الحي القيوم المالك بمقدار مالكيته وتصرفه بمظهرية الشيء لأنواع تجليات أسائه، وما تعود إلى الحي إلا بدرجة تلبسه الجزئي.

وإن كلَّ شيء من الأشياء يصير هدفًا مشتركًا بين ذوي العقول، فلا يصير عبثًا أصلاً؛ إذ إذا لم يطالعه هذا هنا الآن، طالعه هؤلاء، ومع أن وجوه استفادة كل أحدٍ من كل شيء في غاية الكثرة، وأن جنودَ الله لا تُحصى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المذثر: ٣١). فلا شيء في الكون إلا ويتزاحم عليه -بلا مزاحمة- أنظارٌ من لا يُحصى من الملائكة المسبحين المقدسين بأجناسهم وأنواعهم المائلين للكون، ومن الجان المتحيرين المتفكرين باقتسامهم وأصنافهم، ومن الأرواح المكبرين المهللين بطوائفهم، وقبائلهم وغيرهم ممن لا يمنعون كثيفات الأشياء عن رؤية ما في أجوافها، ولا يشغلهم شهودُ شيء عن شيء، وفوق الكل رؤيةُ صانعِ الكلِّ لصنعتة.. وكذا كثير من الناس المؤمنين المتنبهين، بل وكذا الحيوانات المتحسسات المتأثرات بحواسهم.

فإن قلت: أية آياتِ كتابِ الكائنات تدل على وجود معتبرين ومتحيرين ومتفكرين ومسبحين من غير الإنسان؟ وأي سطرٍ من ذلك الكتاب يشير إليه؟

قيل لك: أية النظام في سطر الميزان من صحيفة الحكمة؛ ألا ترى أنك إذا ذهبت إلى دار تمثيل -مثلاً- فرأيت في تلك الدار أنواعاً كثيرة من الغرائب التي تتحير فيها الأنظار، وأصنافاً من الملاهي التي تستحسنها الأسماع، وأقساماً متنوعة من السحر والشعبذة التي تتلذذ بها العقول والخيال. وهكذا من كل ما يتلذذ به ما لا يجد من لطائف الإنسان وحواسه

وحسياته، ثم نظرت في ساحة محل التمثيل، فما رأيت إلّا صبياناً صاماً مفلوجي الحواس والحسيات إلّا قليلٌ منهم. فبالضرورة العرفية تنفطن وتتيقن بأنّ خلفَ هذه الحُجُب والأسرار المرسلة على وجوه الجدار عقلاء مختلفين في الأذواق والمشارب لهم حواسٌ سليمة جاءوا للتنزّه، يشاققون لكل ما أبدع وشُهر في ذلك المجلس، ويرونك والتمثيل من حيث لا ترونهم.

فإذ تنفطنت لسر التمثيل، فانظر من دار الدنيا إلى هذه المصنوعات؛ فمنها كزرابي مبنوثة، وفُرُشٍ مرفوعة، وحلّيلٍ ملبوسة، وحلية منثورة، وصحائف منشورة.. ومنها أزاهير وثمرات اصطفيت؛ تدعو بألوانها وطعومها وروائحها ذوى الحياة وأصحاب الحاجات، وتدعو بنقوشها وزينتها وصنعتها أولي الأبواب وذوى الاعتبار.. ومنها نباتات شمّرت عن ساقاتها لوظيفة خلقتها، وحيوانات قامت على أرجلها لوظيفة عبوديتها، وأكثرها لا تشعر بما أودع في أنفسها من المحاسن الرائقة واللطائف الفائقة، فليست تلك اللطائف والمحاسن لحملتها البُهم العُجم، بل ما هي إلّا لغيرها السميع البصير.. ومنها إلى ما لا يحصى ولا يعد.

فمع كل هذه الحشمة الجلابة والزينة الجذابة، وأنواع التلطيفات والتودعات، وأنواع التحبيبات والتعريفات، وأقسام التعهدات والتعمدات وأصناف التزيينات والتبسمات وأشكال الإشارات والجلوات، وغير ذلك من ألسنة الحال التي كادت أن تنطق بالقال مع أنه لا نرى ظاهراً في ساحة الدنيا من ذوي الاعتبار والابتصار إلّا هؤلاء الثقلين اللذين صيرت الغفلة أكثرهم كصبيانٍ صمٍ عميٍ فليج في ظلمات طاغوت الطبيعة بعمهون.

فبالحدس الصادق وبالضرورة القطعية وبالبداهة العقلية، لا بد أن يكون الكون مشحوناً من ذوي الأرواح المعترين المسبحين مما عدا الثقلين. كما قال من قوله القول:

﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ  
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

اعلم أن بمقدار توسع تصرف القدرة في الجزئيات وتزايد الأمثال تتقوى العناية بالفرد. فلا تقل: أنا قطرة في بحر، فيُسبني البحر. كلا! بل البحر شاهدٌ على أنك بنسبة محاطيتك به محفوظ أبداً بنظام قوي نافذ بقوته في جميع أمثالك؛ إذ بدرجة الصغر والخفاء والمُحاطية يتزايد



الاهتمام به، والمصونية من الإهمال، والمحفوظة من مداخلة الغير، ومن لعب التصادف، ويزيد ظهور المخلوقية والمجعولية.

ألا ترى أن المركز أصون من تسلط الغير والمهاجمات، وأن النواة أحصن من لعب التصادفات وتعجيز العاصفات، وأن الاهتمام بالنواة أشد؟

أيها الإنسان! أنت نواة الأرض والأرض بيضة العالم. ومن هذا السر يُكثر القرآن ذكر خلق السماوات والأرض ويجعله عنوانا لخلق كل شيء.

**اعلم** وانظر إلى كمال النعمة في كمال الحكمة، وكمال الحكمة في كمال النظام، وكمال النظام في كمال الميزان، في صنعة الحواس الخمسة الإنسانية؛ إذ فطرها فاطرها بوضعية وجهازها صانعها بجهازات، يحس الإنسان بها ويُذَوِّقُ صاحبها خصوصيات جميع أنواع الثمرات والأزهار والأصوات والروائح وغيره، حتى إن في حاسة الذائقة حسيات رقيقة دقيقة منتظمة بعدد طعوم جميع أجناس الثمرات وأنواعها وأصنافها.. وهكذا حاسة السمع لخصوصيات ما لا يحيد من الأصوات. وقس سائر الحواس الظاهرة، ولا سيما الباطنة التي هي أكثر غناءً وجهازاً.

ومن هذا السر؛ بلغت جامعة فطرة الإنسان إلى درجة صيرت هذا الإنسان: مظهراً لما لا يحيد من أنواع تجليات أسماء فطره جل شأنه، وذائقاً لما لا يعد من ألوان نعمه، عمّ نواله.

مثلك أيها الإنسان، كمثل المركز العمومي للتلفون، فكما أن فيه لمخبرة كل موقع في الولاية مفتاح خاص، كذلك فيك لحس ذوق جميع أنواع نعمه، ولذوق لذة مظهرتك لما لا يحيد من أقسام تجلياته مفاتيح مخصوصة علقت برأسك ولطائفك، فاستعملها كما يرضى به بارئها، بالحركة بميزان شريعته.

ومن هذا السر: يمكن التفاوت بلا نهاية بين مراتب لذائذ شخصين هما في عين جنة وفي عين مكان. وبشارة: «المرء مع من أحب»<sup>(١)</sup> قد تجمع بين الأدنى والأعلى.<sup>(٢)</sup>

**اعلم** أن ما يرى عند اختلاط أشئات الأشياء وأوباشها من المُشَوَّشَةِ المنافية للنظام

(١) البخاري، الأدب ٩٦؛ مسلم، البر ١٦٥.

(٢) تفصيله في الكلمة الثامنة والعشرين.

والميزان، فليس مما لعب به التصادف، بل خرج من صورة النظام إلى نقش الكتابة، لكن تلك الكتابة غير مقروءة بالسهولة للنظر الظاهري الأمي الناظر إلى معكوسها في مرآة الوهم!

ألا ترى أن تلك الأشتات لو كانت بذورا، إذا تنبتت، تكشفت عن نظام تام. فالجمع بينها كتابة غريبة لقلم القدر.

**اعلم** أن الحُجَّةَ القاطعة على خاتمة النبوة الأحمدية، إيصالتها حدود الدين في كل قاعدة منه إلى حد لا يتعقل أوسع ولا أكمل ولا أنتم منه.

مثلا، في مسألة التوحيد والربوبية، يقول:

﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (يس: ٨٣)

﴿مَآئِنِ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦)

﴿وَالسَّمَكُوتِ مَطْوِيَّتٍ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧)

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٦)

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد: ٣)

﴿وَمَا فَتَنَّاوْنِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠)

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

وكذا يحكم ذلك الدين بأن نهايات ما تنقسم إليه المادة وتنسب وتصل إليه حدود الماديات من الجواهر الفردة والذرات، وأعظم ثمرات العالم من الشمس والسيارات، متساوية الأقدام كتفا بكتف في امتثال أمر خالقها المنزه عن صفاتها، المقدس عن حدودها ولوازماتها.

وفي مسألة الحشر والتوحيد، وصل إلى مرتبة لا حد فوقها بالبداهة.

وهكذا في كل مسألة مسألة، فلا يمكن فيه الإكمال والإنعام بآخر. فتحقُّه الأبدية والدوام إلى يوم القيام.

اعلم أن قلبي قد يبكي في خلال أنيناته العربية بكاءً تركيا، بتهيج المحيط الحزين التركي، فأكتب كما بكيت:

[ لا أُريد من كان زائلا لا أُريد  
أنا فاني، مَنْ كان فانيا لا أُريد، أنا عاجز، من كان عاجزا لا أُريد  
سلّمت روجي للرحمن، سواء لا أُريد  
بل أُريد،  
حييا باقيا أُريد.  
أنا ذرّة، شمسا سرمدا أُريد.  
أنا لا شيء ومن غير شيء، الموجودات كلّها أُريد.

لا تدعني إلى الدنيا، فقد جئتُها ورأيت الفساد.  
إذ لما حجت الغفلة أنوار الحق،  
رأيت الأشياء والدنيا أعداء ضارين.  
ذقت اللذائذ، ولكن وجدتُ الألم في زواله.  
أما الوجود، فقد لبسته،  
آه لا تسلك عانيتُ من الألم في العدم.  
إن قلت: الحياة، فقد رأيتها عذابا في عذاب.  
نعم، لما استر نور الحق عني،  
إذا بالعقل يتحول عقابا، ورأيت البقاء بلاء، والكمال هباء،  
والعمر ذهب أدراج الرياح.  
نعم، بدونه، انقلبت العلوم أوهاما.  
وأصبحت الحكم أسقاما، والأنوار ظلمات، والأحياء أمواتا.

والأشياء أعداء.  
 ولمسْتُ الضرَّ في كل شيء.  
 والآمالُ انقلبت آلاماً.  
 والوجودُ هو العدم بعينه. وصار الوصال زوالاً.  
 والألم يعصرني ممالاً بقاء فيه.  
 نعم، إن لم تجد الله فالأشياء كلها تعاديك؛  
 أذى في أذى، بل هو عينُ الأذى.  
 وإن وجدت الله،  
 فلن تجده إلّا في ترك الأشياء.  
 فرأيت بذلك النور: الجنة في الدنيا،  
 وبدأت الأموات أحياءً.  
 ورأيت الأصوات أذكارا وتسايح.  
 والأشياء مؤنسةً، واللذائذ في الآلام نفسها.  
 والحياة أصبحت مرآةً تعكس أنوار الحق.  
 والبقاء رأيتُه في الفناء.  
 والذرات تلهج بالذكر.  
 يقطُر من السنتها وتتفجر من عيونها؛  
 شهدُ شهادة الحق. [   
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ      تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>

(١) لأبي العتاهية في ديوانه. وينسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا من يتوهم اللذة والسعادة الدنيوية في الغفلة وفي عدم التقيد بالدين!

أني جرّبت نفسي مرةً فرأيتني على جسر امتدّ من رأس جبلٍ إلى رأس جبل شاهقين،  
وتحتّها وادٍ عميق في غاية العمق، وقد أظلم علينا الدنيا بها فيها.

فنظرت في يميني الماضي، فما رأيت إلّا ظلماتٍ عدّمية مدهشة.. ثم في يساري المستقبلي،  
فما رأيت إلّا غياهب مهّدة دهاشة.. ثم إلى تحتي، فرأيت عمقا إلى أسفل السافلين.. ثم إلى  
فوقي، فما رأيت إلّا غيبا بُكّما يمطر الغمّ والثّيم واليأس والبأس.. ثم في أمامي فرأيت في  
خلال الظلمات عفاريتٍ وعقاربٍ وليوثا وذئابا كاشرة أسنانها للافتراس.. ثم في خلفي، فما  
رأيت مددا ولا مغيثا ولا معينا.

فبينما أنا مدهوش مأیوس نادى من تجربتي! إذ نهتني الهداية الربانية، فرأيت وقد طلع  
على الأنام قمر الإسلام وأشرق شمس القرآن، فرأيت جسر الحياة: طريقا تمر بين جنان النعم  
السبحانية وتنتهي إلى جنة الرحمة الرحمانية.. ويميني الماضي: بساتين مزهرة بالصّلحاء، منورة  
مثمرة بالأنبياء والأولياء تجري من تحتهم أنهارُ الدهور، وهم في البقاء خالدون.. ويساري:  
فراديس تزهر فيها الآمال والأمانى برحمة الحنان المنان.. وفوقنا: سحائب الرحمة تفيض علينا  
ماء الحياة، وفي خلالها تتسم الشمس بأنوار الهداية والسعادة الأبدية.. وأما ما في أمامي من  
الكائنات، فإخواني وأحبابي وأنعامٌ مؤنسات، صوّرتها ظلمة الضلالة وحوشا موحشات،  
فقرأت علينا هذه الواقعة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

يا نورَ النور بحق اسمك النور أخرجنا من الظلمات إلى النور.. آمين..

**اعلم** أيها السعيد المجنون المحزون! إن مثلك كمثّل صبي أبله قعد على ساحل البحر  
يبكي دائما لزوال الحبابات المتشمسة. كلما زال واحدٌ بكى عليه، ظنا منه انطفاء الشّمس  
المتبسمة في الحباب بزوال الحباب وتحوله، وقد يبكي لتكدر ما في الحباب وتشوّه باختلاط  
موادّ كثيفة به، ولا يرفع رأسه حتى يتفطن لتنزّه الذات - التي هذه التماثيل جلوات أنوارها  
المتجددة على وجه البحر وخطود الأمواج وعيون القطرات - عن الزوال بزوال مرايا تجلياته،  
بل ليس في ما ترى زوالاً مؤلماً ولا فراقاً أليماً.

(١) تفصيل هذا المثال في الكلمة الثالثة والعشرين.

أما الجمال بمحاسنه وجلواته فثابتٌ بكمال حشمته في تجدد شؤونه وتعدد مراهيه. وأما المراهيا والمظاهر فتظهر لوظيفتها وهي راقصةٌ، فإذا تمت الوظيفةُ استترت وهي ضاحكة.

كذلك أنت، قاعد على ساحل بحر الدنيا تتألم باكيا على أفول ذوي الكمال والجمال والحسن، وعلى زوال ثمرات النعم عند انقضاء أوانها، تزعم بالغفلة أن الجمال ملكٌ ذي الجمال والثمرات مال الشجرة، وتغتصبها منها عاصفات التصادفات فتلقيهما في ظلمات العدمات. أفلا تعقل أن من نور ما تحبه بنور الحسن هو الذي نور كل أزاهير بستان الكائنات وشوق عليها قلوب البلابل العاشقين.

إلى كم تبكي أيها المسكين على زوال ما في يدك من الثمرة! فانظر إلى تواتر نعم فالق الحب والنوى في إبقاء شجرة تلك الثمرة.. ثم إلى دائرة إنعاماته في أقطار الأرض من أمثال تلك الشجرة إن عقت.. ثم إلى دائرة تجدد إحساناته في تجدد الفصول والسنين إن صارت سنّتك شهباء.. ثم إلى دائرة إدامة إحسانه حتى في عالم المثال والبرزخ بأمثال ما شاهدت في عالم الشهادة.. ثم إلى دائرة إنعاماته الواسعة الأبدية في عالم الآخرة بأشباه ما استأنست به في حديقة الأرض، ثم.. و.. ثم.. وهكذا! فلا تنظر إلى النعمة بالغفلة عن الإنعام حتى تحتاج إلى التشفي بالبقاء، بل انظر من النعمة إلى الإنعام ودوامه، ومن الإنعام إلى المنعم ووسعة فيضه وكمال رحمته، فاضحك شاكرا له، وبفضله فافرح.

وحتى متى تدمع عينك ويمزج قلبك على فراق جمال زال! فانظر إلى كثرة ووسعة الدوائر المتداخلة المحيطة بما تحبه؛ تنسيك ألم فراقه بإذابة لذة تجدد أمثاله وترادف أشكاله. وتلك الدوائر المتفاوتة صغرا وكبرا إلى أصغر من خاتمك وأكبر من منطقة البروج، وزوالا وبقاءً إلى أن ودقيقة وإلى دهر وأيد؛ مظاهر ومراهيا ومعاكس ومجاري لجلوات ظلال أنوار جمال ذي الجلال والإكرام الأزلّي الأبدى السرمدى القيوم الباقي المقدّس عن الحدوث والزوال المنزّه عن التغيّر والتبدل. فلا تظن أن ما في المرأة ملك للمرأة، كي لا تبكي على ما في المرأة بموتها وانكسارها، فارفع رأسك عن الدنيا بخفضه إلى منظر قلبك لترى شمس الجمال، فتعلم أن كل ما رأيت وأحببت إنها هو من آياته نعم.. ومن آيات جماله أن زين السماء بمصاييحها والأرض بأزاهيرها.. ومن آيات حسنه أن خلق الإنسان في أحسن تقويم.. وأن

كتبَ العالمُ في أبدعِ ترقيم.. ومن آياتِ بهائه أن أشرقَ أرواحَ الأنبياءِ ونورَ أسرارِ الأولياءِ وزينَ قلوبَ العارفينَ بأنوارِ جماله المجرد. جلّ جلاله.

**اعلم** يا أنا! أراك أنك لا ترى تناسباً بينك -وأنت عجزٌ مطلق وفقر مطلق، قد تضايقتُ عليك الحدود والقيود حتى صرت كدرةً غابت في رمال الجزئيات وكنملة تراكت عليها جبال الحادثات، وكنحلة تفاقت عليها العاصفات- وبين من لا نهاية لقدرته وغناؤه، ولا حد ولا قيد لتجليات أسمائه وصفاته، وجميعُ الخلق في قبضة قدرته، والسموات مطوياتٌ بيمينه، لا تتحركُ ذرةً في الكون إلا بإذنه، لا شريك له في مُلكه وألوهيته، ولا منازعَ له في جبروته وربوبيته، ولا إله إلا هو.

نعم، لو كانت وظيفتُك في الدنيا الاشتراكَ مع فاطرك في ربوبيته سبحانه، لكانت المناسبة لازمة في المعاملة معه، لكن هيهات! أين يدُ البعوضة من نسج قميصاتٍ مطرّرات قُذت على مقدارِ قامات هذه العوالم، بل وظيفتُك في فطرتك وغاية كمالك في استعداد ماهيتك إنها هي: العبوديةُ التي على المحوية تنبّت، ومنها ابتدأت وإلى المحبوبة انتهت، وإياها أثمرت. والعبوديةُ ضد الربوبية والمالكية. فعدم المناسبة هي المناسبة. فبدرجة علمك ببعذك عن الربوبية والمالكية تصير عبداً محبوباً مرحوماً.

وإن العبوديةَ مرآةَ الربوبية بالضدية ككتابة الحروف النورية على صحيفة الظلمة، فكلما تقرّبت إلى العدم تراءت منها أعالي مراتبِ جلواتِ الوجود للواجب الوجود جلّ جلاله ولا إله إلا هو..

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا من يتوهم المبالغة في بعض ما ورد في فضائل الأعمال! مثلاً: قد يُروى: من فعل هذا مثلاً كان له مثلُ ثواب الثقلين.. حتى قال بعض: إن المراد الترغيب فقط، وبعض: مطلق الكثرة. وقد انكشف لي في ما مضى أن القضية في تلك التشابهات مطلقةٌ وقتيةٌ يكفي في صدقها وجودُ الحكم في بعض الأفراد، في بعض الأوقات، فليست تلك القضايا كلية؛ إذ لصحتها شرائطٌ غيرُ مذكورة معروفة. فإن كانت كليةً فهي قضيةٌ ممكنة، وكذا ليست دائمة، لتقيدها بالإخلاص وبالقبول.

(١) الغصن الثالث من الكلمة الرابعة والعشرين يوضح هذه المسألة.

وقد انكشف لي الآن، أن الثواب فضلُ الله وفيضُه، ونظرُ العبد لا يحيط بها يعطي مَنْ لا نهاية لتجليات فيضه لعبده الذي لا نهاية لاحتياجه في دارِ بقاء لا نهاية لدوامها. فما من فيضٍ -إذا نظرتَ إليه من جانب الله-، إلّا وفيه جهةٌ من عدم التناهي لو وزنَ بجميع ما أحاط به علمُ العبد لزاد عليه. مثلاً روي: من قرأ هذا أُعطي له مثلُ ثواب موسى وهارون عليهما السلام.<sup>(١)</sup> المراد أن ما تروئَه وتتصورونه بنظركم المتناهي في هذا العالم المتناهي من ثوابها لا يزيدُ على ثواب قراءة آيةٍ في نفس الأمر وبالنظر إلى الله بشرط القبول والإخلاص.

وكذا إن التشبيه في الكمية دون الكيفية، فللقطرة المتشمسة أن تقول للبحر لا يزيدُ وجهُك على عيني في أخذ فيض الشمس من ضيائها وألوانه.

نعم، إن الثواب ينظر إلى عالم الإطلاق، وذرةٌ من ذلك العالم تسعُ عالمًا من هذا العالم، كما تسعُ ذرةٌ من زجاج عالمِ السماء بنجومها.

وكذا قد يتيسر لأحد فتحُ خزانةٍ من رحمة بكلمة طيبة في حالةٍ قدسية، فيقيس الناس على نفسه فيعبر عن القضية الشخصية بالمطلقة الموهمة كليّةً، والعلم عند علام الغيوب ومقلب القلوب جل جلاله.

---

(١) الحمد لله رب السماوات ورب الأرضين رب العالمين وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. الحمد لله رب السماوات ورب الأرضين رب العالمين وله العظمة في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، وله الملك رب السماوات وهو العزيز الحكيم.



الرسالة الثامنة <sup>(١)</sup>

حَدَّثَنَا

مِنْ شُعَاعِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ

(١) طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «أوقاف» بإسطنبول سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م).

في (ط ١)

**اعلم** أن هذه الرسالة محادثات مع نفسي الأمانة المرائية، ورشاشات من شرارات «القطرة» أظن أنني مأذون في نشرها. إذ يتكرر الاحتياج للمعالجة في كل «رمز» مادام لم يكتب. فإذا كُتب يزول الاحتياج، لكن يبقى نوع تمايل للمناقشة مادام لم يُنشر. فإذا نُشر زال ذلك واطمأن القلب. فبدل على أنه ليس لي فقط، بل فيه للغير حصّة. فلهذا ألتجاسر على نشرها لعل فيها نفعاً لبعض الناس إن شاء الله تعالى.

ولتنوع الرموز يمكن الاستفادة لكثير فـ «ما لا يُدرك كلّهُ لا يُترك كلّهُ». ولترك التصنع تركتُ المخاطر في الصور التي برزت فيها أول ما خطرت في القلب. ومن الله الهداية.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا مَنْ له الملك وله الحمد صلّ وسلم على سيد البشر الذي قلت له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (الأنفال: ٦٤)، فقال: لييك! بحيث أسمع من عرفات ملائكة السماوات العليا.. فقلت: بَشْرٌ وأنذر. فنادى بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: ٢١) بحيث أسمع أدوار الزمان وأطراف المكان.. إذ صار ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (البقرة: ١١٩) بطور المشاهد.. إذ يشاهد فيشهد مناديا لأجيال البشر خلف الأعصار والأقطار.. إذ أسمع، فهذا صدى صوته يُسمع بأعلى صوته.. إذ قد ملأ الدنيا بنداء القرآن وبجميع قوّته.. إذ قد استولى على نصف الأرض وبكمال جديته بشهادة سيره، وبغاية وثوقه بشهادة زهده في الدنيا، ونهاية اطمئنانه بشهادة قوة دساتيره ومعالمه، وبكمال إيمانه بشهادة أنه كان أعبد وأتقى من الكل.

**اعلمي** يا أيتها النفس الجاهلة! أن الأبواب المفتوحة النظارة إلى الله عدد طبقات العالم وصحائفه، وعدد المركبات المتصاعدة والمتنازلة. فما أجهلّك؛ إذا انسدت في وجهك بابٌ عادي تتوهمين انسداد كلّ الأبواب. مثلك كمثل مَنْ إذا لم يرَ أو لم يعرف في بلد فرسان العسكر مع وجود سائر جيوش السلطان وخدامه ودوائر حكومته، يشرع ينكر وجود السلطان ويؤوّل كلّ شعائره ومعالمه.

**اعلم** أن الدليل على أن الباطن أعلى وأتمّ شعورا وأقوى حياة، وأزین وأعلم وأكمل وأحسن والطف من الظاهر.. وأن ما على الظاهر من الحياة والشعور والكمال وأمثالها، إنما هو ترشّح ضعيف من الباطن - لا الباطن جامدٌ ميّت أثمر حيّا عليها - كونُ بطنك أكمل انتظاما من بيتك، وجلدك أحسن نسجا من ثوبك، وحافظتك أتمّ نقشا من كتابك. فقس على هذه الجزئيات عالم المُلْك وعالم الملكوت وعالم الشهادة، وعالم الغيب والدنيا والآخرة. فيا حسرة على النفوس! إن النفس الأمارة النظارة بعين الهوى ترى الظاهر حيا مونساً مفروشا، على باطنٍ ميت عميق مظلم موحش..

**اعلم** أن وجهك يتضمن من العلامات الفارقة عدد أفراد الإنسان الماضية والآتية، بل

لو وجد الغير المتناهي من الأفراد لتصادف كل واحد في وجهك ما يميزك عنه - مع التوافق في أركان أجزاء الوجه - كأن الوحدة تجلّت من وجهك في كثرة غير متناهية.

فالتوافق في أساسات أعضاء أفراد الإنسان والحيوان يدل بالبداهة على أن الصانع واحدٌ أحدٌ. والتخالف في التعيينات المنتظمة يدل بالضرورة على أن الصانع مختارٌ حكيم.

ويتعاضم هذا السر بالنظر إلى كل فردٍ فردٍ.. ومن أبعد المحالات وأبطلها أن لا يكون هذا التمييز الحكيم والتخالف المثمر والتفريق المفيد بقصدٍ قاصدٍ واختيارٍ مختارٍ وإرادةٍ مريدٍ وعلمٍ عليمٍ.

فسبحان من أدرج وكتبَ الغير المتناهي في صحيفة الوجه، بحيث يُقرأ بالبصر ولا يُحاط بالعقل. نعم، يُقرأ بالنظر واضحا مفصلا ولا يُرى بالنظر إجماله، بل ولا بالعقل أيضا. فهو المعلوم المُبصر، المجهولُ المطلق، والمشهودُ الغائب. فمحالٌ بمراتب أن يكون هذا التخالفُ المنتظم المفيد في نوع الإنسان، والتوافقُ المطرد المتناظر في أنواع أمثال الحنطة والعنب، وكذا النحل والنمل والسّمك، بالتصادف الأعمى والاتفاقية العوراء، كلّا ثم كلّا. إنه لصنعةٌ سميعٌ، بصير، عليم، حكيم.

فإذا كان أوسعُ أطوار الكثرة وأبعدها وأرقاها، وأنسبُ مراتب الكثرة لجولان التصادف - لو كان - وأكثرها انتشارا وأدناها أهميةً هكذا غير مُهمَلٍ ولا سدّي، بل محفوظا من يد التصادف، حتى صار ميدانا لجولان القصد الحكيم والاختيار العليم والإرادة السميعة البصيرة.. فيا أيها التصادفُ لا محلّ لك في مُلك الله، فاذهب مع أخيك الطبيعة وأبيك الشرك إلى جهنم العدم والفناء بل الامتناع. وآيةٌ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَسْنَنَ كُمْ وَالْوَنَكُ ﴾ (الروم: ٢٢) أشارت إلى أول مراتب تجلّي الحكمة وإلى آخرها..

**اعلم** أن مما يوسوس به الشيطان، أنه يقول: إن البقر مثلا لو كان مُلكا ونَقشا للقدير الأزلي العليم لما كان هكذا مسكينا، إذ حيثنذ تحت جلده وداخل بيته يحكم قلمٌ قدير عليم مريد على الإطلاق؛ فكيف صار فوق الجلد وخارج البيت هكذا عاجزا جاهلا يتيها مسكينا؟

قيل له: أيها الشيطان الإنسي الذي صار أستاذًا للشياطين الجن!

أولاً: لو لم يكن صنعة القدير الأزلي الذي يعطي كل شيء ما يليق به بمقدار المصلحة، لزم أن يكون إذن حمارك أعقل وأحدق منك ومن أساتذك، ولزم أن يكون في داخل إصبعك -مثلاً- شعورٌ واقتدارٌ يزيدان على شعورك واختيارك بمراتب. فمن قيدهما في حدّهما مع أن شأن هذه اللطائف الانبساط والانتشار؟

وثانياً: إنّ القدر يرسم مقداراً وقالبا، يُشئ منه قابليةً، تقبل من الفيض المطلق مقداراً قالبه، وكل ما يترشح من الداخل إلى الخارج فيمقياس الجزء الاختياري وميزانه، وبقدر الاحتياج ودرجته، وبمساعدة القابلية وتحملها، وبميزان نظام حاكمية الأسماء وتقابلها. فليس المصنوع البقر فقط، خارجه داخل آخر. ففي كل شيء الداخل مظهر المطلق، والخارج مظهر المقيد. ومن طلب إضاءة الدنيا وجذب السيارات ومركبة العالم وأمثالها من لوازم عظمة الشمس وحشمتها، من شُميسة الحباب، انعزل عن العقل.

نعم، يصف الحباب تلك اللوازم ولا يتّصف..

**اعلم** أنك صنعة شعورية بحكمة، حتى كأنك بوضوح الدلالة على صفات الصانع؛ مُجَسِّمُ الحكمة النفاشة، ومتجسّد العلم المختار، ومُنَجِّمُ القدرة البصيرة بما يليق بك، وثمرّة الرحمة السمعية لنداء حاجاتك، ومتصلّب الفعل المريد لما يريده استعدادك، ومتكاثف الإنعام العليم بمطالبك، وصورة القدر المرسم المهندس الخبير بما يناسب بناءك. فكيف يمكن لك أن تذهب بجزئك الجزئي الاختياري والشعرة الشعورية، وتخلص عن أحكام الكل وتصير حراً برأسك. ثم ترجع تقيس الكل على الجزء؟ وكيف يتيسر أن تتغافل عن مالكك المالك لكل شيء؟ وكيف تتوهم مع هذا العلم أن ليس عليك رقيبٌ، سميعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، مجيبٌ، مغيثٌ.. يسمع أنيناتك يبصر فاقاتك ويعلم جنایاتك؟

يا نفسي المسكينة، لم تتوهمين نفسك خارجة؟<sup>(١)</sup> حتى يلزم عليك مراعاة كل حي واحترامه، أو ظلم الكل بعدم الأهمية. فهذا حملٌ ثقيل لا يُطاق حمله، فحينئذٍ لابد أن تركي الأجنيبة الشريكة<sup>(٢)</sup> وتدخلي في دائرة مُلك الله، لتستريحى بالأخوة، بل تصيرين أختاً كبيرة

(١) أي خارج الدائرة التي تحل القدر والصفات الإلهية فيها.

(٢) الشرك الذي هو أجنبي عن الفطرة (ت: ١٦٦).

محترمة. ألا ترين أن مثلك كمثّل مَنْ كان في سفينة مشحونة بهال السلطان وقد فُوّض إليه تدبير جزئي من دواليبه، فوضع الشخصُ الأبله ذلك الدولاب المربوط بالسفينة مع أرزاقه على ظهره بكمال الاهتمام. فإن كان له جزء من العقل لقال: إني أيضا في السفينة فأطرح فيها مالي مع مال مالكها.. وكذا واحمل الدساتير الإسلامية على سفينة دماغ عالم الإسلام لتستفيدي وأنت مستريحة مطمئنة...

**اعلم** أن من خلّقك لا يُبعد منه ولا يُستغرب أن يخلق العالم بجميع ما فيه، لأنه فيك ما فيه.<sup>(١)</sup> بل يجب أن يكون خالقك هو الخالق لكل شيء، لا متنازع أن يكون خالق البطيخ غير خالق نواته التي هي أنموذجُ المصغر المتلخّص منه المُحاط به...

**اعلم** أنك مقيّد بالتعيّن، في مقيّد بالبدن، بمقيّد بالعمر، محدودُ الحياة في محدود البقاء بمحدود الاقترار. فحيثنذ لا بد أن لا تصرفَ هذا العمرَ القصيرَ القليلَ الفاني للفاني حتى يفنى، بل للباقي ليبقى؛ إذ الاستفادة منه هنا تصير مائة سنة، كمائة نواة نخلة تتآكل مع يوستها وقلة نفعها وإضاعة فوائد الغرس على آكلها، وإن وجّهت إلى الآخرة وسُقيت بهاء الشريعة صارت مائة نخل باسقات.. الحق أن مَنْ يشتري بمائة نخل باسقات، مائة نواة يابسات.. فهو لائق لأن يكون حطب الحطمة..

**اعلم** أن مخزن الأوهام والشبهات بل الضلالات فرضُ النفس نفسَها خارج الدائرة التي تجلّي القدرُ والصفات الإلهية فيها، ثم تفرّضُ النفسُ نفسَها الأجنبية<sup>(٢)</sup> في موقع الشيء الذي تعلق به القدرُ وتجلّي عليه اسمٌ من الأسماء الإلهية فتفنى فيه، ثم بصبغة الأجنبية تشرع تُخرج ذلك الشيء أيضا عن مُلكِ الله، وتصرفُ قدرته بتأويلاتٍ تصير بها أستاذ الشياطين، وتعكس حالاتها المترشحة من شركها الخفي في ذلك الشيء المعصوم. فالنفسُ الأمارّة كالنّعامَة ترى فيما عليها، لها وجهها،<sup>(٣)</sup> وكالسوفسطائي تقول للمتخاصمين: يا هذا دليلُ خصمك يردّك، وكذا: يا ذا دليلُ هذا يبطلك، فلا حق لكما.<sup>(٤)</sup>

**اعلم** أن النفس تديم الغفلة بربط الدنيا بالآخرة، كأنها منتهاهها، كلا بل معكوستها.

(١) أي لأن فيك ما في العالم (ت: ١٦٦).

(٢) حيث فرضت نفسها أولا خارج الدائرة.

(٣) تظن أن في الأمور التي تدبّرها وجهها يؤيدها ويستندها (ت: ٦٦).

(٤) أي دليل الواحد يرد الآخر، فلا يبقى دليل لأحد (ت: ١٦٦).

فبتصور الآخرة -ولو مع الشك- تتخلص من دهشة فناء الدنيا وألم الزوال، وبسبب الغفلة أو الشك تريد الخلاص من كلفة العمل للآخرة وتنتظر إلى الأسلاف الميتين، كأنهم أحياء غائبون، فلا تعتبر بالموت. وكثيرا ما يثبت عروق مطالبها الدنيوية في أرض الآخرة للتأيد بدسيسة، أن تلك المطالب لها وجهان: وجه إلى الدنيا لا ثبات له، بل هباء منثورا. ووجه إلى الآخرة تتصل أساساته بأرضها فتدوم، كالعلم مثلا له وجه مظلم ووجه مضيء. فالنفس الشيطانية تريك المضيء وتُبْلَعُكَ المظلم.<sup>(١)</sup> إذ النفس نعمة (دوّه قوشي) والشيطان سوفسطائي، والهوى يبطاشي..<sup>(٢)</sup>

**اعلم** أنى قد تيقنت بلا ريب أنه لو لم تصدّق «الموجبة الكلية» لزم صدق «السالبة الكلية» في مسألة خلق الأشياء؛ إذ كل الخلق بالتساند المنتظم كلّ لا يقبل التجزي، فإما وإما.<sup>(٣)</sup> مع أن الوهم الذي يطبق أن يتوهم عدم العلة في كل شيء أوهنُ بمراتب من نسج العنكبوت، فالقبول في شيء ما، يستلزم بالحدس الصادق القبول في كل شيء.

وكذا، إن الخالق إما واحد وإما غير متناهٍ، لا وسط قطعاً، إذ الصانع لو لم يكن واحداً حقيقياً، لكان بالضرورة كثيراً حقيقياً. وهو ما لا يتناهى. وعلى الثاني -مع محالات عجيبة- يلزم عدم التركيب وفقد الوحدة مطلقاً وامتناع الوجود.

**اعلم** أنه كما أن من المحال الظاهر أن يكون منيرٌ غير متنور، والموجد غير موجود، والموجب غير واجب.. كذلك محالٌ أن يكون مُنعمٌ العلم غير عالم، ومُحسنٌ الشعور غير ذي شعور، ومُعطي الاختيار غير مختار، ومُفيض الإرادة غير مريد، وصانعُ المكمّل غير كامل. وهل يمكن أن يكون مُرسم العين ومُصور البصر ومنوّر النظر غير بصير؟ بل من الواجب أن يكون ما في المصنوع من أنواع الكمال من فيض الكمال المناسب للصانع.. والمكروب الذي لا يعرف من الطيور إلا البعوضة إذا رأى البازي يقول ليس بطير إذ ليس له ما للبعوضة..

**اعلم** أن أشد ما تطلبه النفس الناطقة البقاء والدوام، حتى لو لم تنخدع بتوهم الدوام

(١) أي تريك الوجه المضيء من العلم بأن له فوائد ستظهر في الآخرة وإن لم تظهر في الدنيا. وذلك ليُبْلَعُكَ الوجه المظلم منه. (ت: ١٦٦).

(٢) التشبيه هنا مبني على أسس معينة؛ فالنفس تغمر رأسها في الغفلة كالنعامة لئلا يصيبها الأجل، والسوفسطائي ينكر كل شيء كالشيطان، والبكتاشي كالهوى يغيّر معاني الأشياء فيقول: مثلاً: الصلاة ليست مفروضة، إذ قال الله ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ولا يتم الآية ﴿وَأَنْتُمْ سَكَرَى﴾.

(٣) فإما أن الله خالق كل شيء وإما أنه ليس بخالق شيء. (ت: ١٦٧).

ما التذت بشيء. فيا طالبة الدوام اشتملي على ذكر الدائم لتدومي، وكوني زجاجةً لنوره لثلا تنطفي، وصدفًا لدرّه لتصطفي، وبدنا لنسيم ذكره لتحبي، وتمسكي بالخيط النوراني الذي هو شعاع من اسم من الأسماء الإلهية لثلا تسقطي في فضاء العدم. فالثمرة الغافلة إذا لم توجه إلى ما تقوم به، وانجذبت إلى التشعشع الأجنبي وضحكهم في وجهها، انقطعت وسقطت على رأسها!

يا نفس استندي على ما يقومك، إذ إلى عهده منك من الألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وإليك واحد فقط. فاطرحي واحدك أيضا في سفينة ماله واستريحي.

**اعلم** أنك إذا لم تُطق أن تفعل لنفسك، ولم تصل يدك إليك، فالناس والأسباب البعداء- بالطريق الأولى- لا يطبقون ولا تصل أيديهم إلى خويصة ذاتك، فجزب نفسك هل تقدر أن تصنع لسانك الذي هو شجرة الكلمات وحوض الأذواق و«سانترال» المخبرات، فإن لم، ولم<sup>(١)</sup>.. فلا تشرك بالله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣).

**اعلم** أن العالم دكان ومخزن إلهي يوجد فيه كل نسج وطرز وشكل وقشر، كثيف ورقيق وزائل ودائمي، ولب صلب ومائع وهوائي، بعضها نسج الإيجاد وبعضها ترسيم التجلي. قد ضلت الفلاسفة في الإيجاب بالذات، بإدراج الإيجاد في التجلي...

**اعلم** أن الشرك الخفي الناشئ من الأنانية، إذا تصلب انقلب إلى شرك الأسباب<sup>(٢)</sup>، وهو إذا استمر تحوّل إلى الكفر، وهو إذا دام تبدّل إلى التعطيل، والعياذ بالله...

**اعلم** أن طلب الضياء في طور الظلمة مع محافظة النفس عليها وتطبّعها بها أليم شديد، مخّل بحرمة الضياء، ومؤلّوث له. فلا بد من التعري والانسلال من الظلمة. ثم النظر منها -لا فيها- إلى الضياء.

**اعلم** أن من الأعاجيب؛ أن الإنسان خلق ليكون فاتحا وكاشفا مريثا، وبرهانا نيرا، ودليلا مبصرا، ومعكسا نورانيا، وقمرا مستنيرا للتقدير الأزلي، ومرآة شفافة لتجلي الجمال الأزلي. وقد انجلت وتصيقلت بحمل الأمانة التي تدهشت من حملها السماوات والأرض

(١) فإن لم تصنع ولن تصنع (ت: ٦٨).

(٢) المقصود بالأنانية: الغرور وتفسير كل شيء وفق ما يطلبه «أنا» أما شرك الأسباب فيعني إعطاء الأمور والتصرف بيد الأسباب. والفقرتان التاليتان توضحان المسألة.



والجبال. إذ من مضامين تلك الأمانة صيرورة الإنسان واحدا قياسيا لفهم الصفات المحيطة، وصيرورة ما فيه من «أنا» -الذي هو النقطة السوداء بالغفلة والشرك الخفي- مفتاحا لتنوير الصفات. فكيف ولأي شيء صار أكثر الإنسان حجابا وبابا وسدا. وكان لازما عليه أن يفتح فأغلق.. وأن ينور فأظلم.. وأن يوحد فأشرك.. وأن ينظر بمرصاده إلى الله فيسلم المُلْك إليه، لكن نظر إلى الخلق بمرصاد «أنا»، فقسّم مُلْك الله عليهم.. نعم، إن الإنسان لظلوم جهُول.

**اعلم** يا نفسي، إن أَرْضيت خالقك بالتقوى والعمل الصالح، كفالك إرضاء الخلق. فإن رضوا منك بحسابه تعالى فنافعٌ، وبحساب أنفسهم فلا فائدة، إذ هم عاجزون مثلك. فإن أردت الشق الأول فأرض ربك، وإن أردت الثاني أشركت بلا فائدة.. ألا ترين أن مَنْ ذهب إلى مقر سلطانٍ مطلقٍ لمصلحةٍ، إن أرضاه تمت بلا كلفة، مع محبة الرعية له. وإن طلبها ممن تحت حكمه المطلق يتعسر -بل يتعذر- إرضاء الكل واتفاقهم على إيفاء مصلحته. ثم بعد الاتفاق يحتاج إلى إذن السلطان، وإذنه يتوقف على إرضائه إن كان إكراما، وإن كان استدراجا فلا بحث.

**اعلم** أن الواجب الوجود كما لا يشبه الممكن في الذات والماهية، كذلك لا يشبهه في أفعاله.. مثلا: لا فرق بالنسبة إليه بين القريب والبعيد، والقليل والكثير، والصغير والكبير، والفرد والنوع، والجزء والكل بالحدس الشهودي. وكذا لا كلفة ولا معالجة ولا مزاولة ولا مباشرة في فعله، خلافا للممكن. ولهذا يتحير العقل في فهم كنه أفعاله تعالى فيظن الفعل لا فعلا.<sup>(١)</sup>

**اعلم** أن أنياب الأسد كما تدل أن من شأنه الافتراس، وأن لطافة البطيخ على أنه للأكل، كذلك استعداد الإنسان يدل على أن وظيفته الفطرية العبودية. وأن علوية روحانيته واشتياقه إلى البقاء والأبدية تدل على أن الإنسان خلق أولا في عالم اللطف من هذا العالم، وأُرسل إلى هنا، ليتجهز ويعود إليه. وأن كونه ثمرة شجرة الخلقة يدل على أن من الإنسان مَنْ هو نواة أنبت منها الصانع شجرة الخلقة، وما تلك النواة إلا مَنْ اتفق كلُّ الكُمل، بل نصفُ البشر -بسر انصبغ العالم بصبغته المعنوية- على أنه أفضل الخلق بالتنام، وهو نور سيد الأنام الفاتح الخاتم عليه الصلاة والسلام..

(١) فينكر الفاعل (ت: ١٦٩).

## القطعة الثانية من ذرة من شعاع هداية القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**اعلم** أن ناظم السماوات والأرض، ومكورّ الليل والنهار على جمجمة أرضنا ومهدنا كالعمامة المخططة، كيف يليق بألوهيته أن يفوض بعض صفحات العالم إلى ممكن مسكين؟ وهل يمكن أن يتصرف بالذات في ما تحت العرش غير ربّ العرش؟ كلا. إذ لا تتقاصر تلك القدرة عن الإحاطة. فلا فُرجة للغير للمداخلة، مع أن عزة الجبروت والاستقلالية، ومحبة التودد والتعريف لا تساعد<sup>(١)</sup> للغير - كائنا ما كان - أن يكون حجابا وواسطة اسمية تجلب إلى نفسه أنظار عباد الله.

على أن التصرفات في الكل والجزء والنوع والفرد متداخلة متساندة لا يمكن التفريق ولو بين فاعلين متفقين، إذ ناظم العالم في عين الوصف يدبر مهدنا، وفي عين الحال يربي الإنسان، وفي عين الوقت يتصرف في شؤونات الأنواع، وفي عين الآن يصنع حُجيرات البدن، وفي عين الزمان يخلق الذرات بتلك القدرة المتوجهة إلى جميع الصفحات. بل بعين النظم يدبر، وبفس التدمير يربي، وفي عين التربية يتصرف ويخلق.

فكما لا يمكن أن تُنور الشمس وجه البحر دون حدود الحبابات، وعيون القطرات، وأناسي الرشاشات.<sup>(٢)</sup> كذلك لا يمكن مداخلة شيء من الأشياء في ذرة من حجارة من عضو من جزئي من ساكني الأرض بغير القدرة التي تكوّر ليلها ونهارها. ومن صوّر وأنشأ ونظّم دماغ الذباب وعين المكروب، لا يترك أفعالك غاربها على عنقها<sup>(٣)</sup> سُدى ومهملة بل يكتبها في «إمام مبین»، فيحاسبك عليها.

(١) بمعنى لا تسمح.

(٢) أناسي: جمع إنسان: وهو هنا إنسان العين أي سوادها ومقلتها. أي مُقل الحبيبات المائية المتطايرة من رشاش الماء والشلال.

(٣) ينظر إلى الهامش في رسالة «لا سيبا».

**اعلم** أن ما يُتحدثس ويُرى في كل مصنوع، بل في كل ذرة من التصرف المطلق، والقدرة المحيطة، والحكمة البصيرة -بجميع ما يتعلق بها وما يُنظَّم معها في سلك- برهانٌ باهر وآية بينة؛ على أن صانع كلِّ شيء واحدٌ لا شريك له، وليس لاقتداره توزيعٌ ولا انقسام ولا تجزؤ اللازمةٌ لانتهاه، إذ لو كان الممكن صانعا، لكان في تصرفه توزيعٌ وفي قوته انقسامٌ وفي توجهه اقتداره واختياره تجزؤٌ، مع أن ما يتعلق من الثلاثة بالنحلة مثلا بحيشة لا يمكن -لو كان من الممكن المتجزئي المتجاوز- أن لا يتجاوز. مع أن النحلة تتكشف عن اقتدار صانعها بوجه لا يتعسر على ذلك الاقتدار خلقُ عوالم. فكيف ينحبس فيها ولا يتجاوز إلى المجاور، فلا بد بالضرورة أن يكون الصانع واجب الوجود واحدا لا نهاية ولا حد ولا انقسام لقدرته التي تجري في ميزان قدره، وتُكتب على مسطوره.

**اعلم** أن كونَ البعوضة والعنكبوت والبرغوث وأمثالها أذكى بمراتب، وأجزَل فطرةً، وأتم صنعةً من الفيل والجاموس والإبل، مع قصر أعمار هؤلاء، وعدم نفعها ظاهرا، بخلاف أولئك.. برهان باهر وآية نيرة على أن الصانع لا كُلفة ولا معالجة ولا تعمُّل في خلقه الأشياء، بل يقول: كن فيكون، ولا يحكم عليه شيء، يفعل ما يشاء لا إله إلا هو.

**اعلم** أن شُميسةَ الحجاب كما أنها جزء كذلك جزئي؛ إذ هي شمسٌ بالهوية الظلية دون الماهية الأصلية فهي لا هي ولا غيرها. فاشترأك الكائنات في الشمس لا ينقص من حصّة الحجاب شيئا، سواءً وجودها وعدمها بالنسبة إليه. فللحجاب أن يقول: الشمسُ بالتمام لي وفيّ، متوجهة إليّ.

**اعلم** أن ما يتصاغر ويتباعد عن دائرة الاسم الظاهر العظيم الواسع يتقارب ويتقيد بدائرة الاسم الباطن النسبي أو الحقيقي ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (البروج: ٢٠) بأسمائه<sup>(١)</sup> فالإنسان بذنه الجزئي المحدود المقيد الفاني فيما تعلق به، ينظر إلى عظمته تعالى وتدويره للسيارات حول الشمس، فيستبعد منه أن يشتغل بخلق الذباب مثلا، بقياس الواجب على الممكن المسكين قياسا شيطانيا. فمن هذا القياس ينشأ ظلمٌ عظيم للمخلوقات الصغيرة، وتحقير لهم؛ إذ ما من شيء إلا ويُسَبَّح خالقه، ولا يتنزل لأن يكون له ربٌّ غيرُ مَنْ صير الدنيا بيته، والشمس سرّاجه، والنجوم قناديله، كأنه ليس في الدنيا إلا ذلك الشيء الحي. فلا يجوز

(١) محيط بعلمه وإرادته وقدرته وبسائر صفاته الجليلة (ت: ١٧١) فلا شيء خارج دائرة إحاطته.

للكبير أن يتكبر على الصغير، إذ الوجود كالحق، لا فرق بين القليل والكثير. وكم من قليل كثير، وكثير قليل.

**اعلم** أن كل شيء -من شمس الشموس إلى ثمرة الشجرة- إذا أمعن النظر يُرى أنه انتخب واختير ومُيز مما لا يحد. فأَي شيء كان ينظر إلى ما لا يتناهى، فلا يتصرف فيه بالذات إلا من لا نهاية لتجليات صفاته. فتأمل!

**اعلم** أن العموم لا ينافي القصدَ الخصوصي والعناية الشخصية في الإنعام، إذ نعم الله ليست مثل مال الوقف أو ماء النهر،<sup>(١)</sup> حتى يُرى إنعاما على الإطلاق، وحتى لا يُحس الشخص في نفسه احتياجا إلى الشكر الخاص. وأن التعينات والخصوصيات ليست كالأواني والقوالب الحاصلة أولا، حتى يكون التعين، هو الذي يحصل وجه الإنعام للمتعين. إذ المنعم الحقيقي جل شأنه يصنع لكل فرد قصعة تناسبه، ثم يملؤها من طعام نعمته فيحسنها بالقصد الخصوصي للشخص باسمه ورسمه. فكما وجب الشكر على مطلق النعمة، وجب على الخاصة بالخصوصي.

**اعلم** أن الكتاب الكبير المشهود «أي العالم» والكتاب العزيز المسموع «أي القرآن» بخس أكثر البشر حقهما، إذ فيلسوفهم المتفكر لا يعطي بالذات «اللواجب» إلا جزءا بسيطا وقشرا رقيقا أو تركيبا اعتباريا، ثم يقسم الباقي على علل موهومات، بل ممتنعات، وأسماء بلا مسميات ﴿قَالَهُمْ اللَّهُ أَفَنُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠). وأما الموحد، فيقول: الكل ماله ومنه وإليه وبه. أما القرآن، فأدبهم التخيل لا يعطي لذي العرش من ذلك القصر المحتشم<sup>(٢)</sup> من أساساته المثينة ودساتيره المكيئة وأحجاره المذهبة وأشجاره المزهرة إلا بعض نقوش النظم، وقسما من المعاني.. ثم يقسم الباقي من تلك النجوم السماوية على ساكني الأرض بدسيئة تلاحق الأفكار. (توه)<sup>(٣)</sup> على عقله الذي خيل إليه تطاول يد البشر إلى النجوم بتبديلها والتصرف في أجرامها. مثله كمثل من يعطي لفياض البحر بعض الحبابات. والمؤمن المحقق يقول: كل ما اشتمل عليه<sup>(٤)</sup> من أول الأساسات إلى آخر نقوش النظم منه وله. وأن القرآن

(١) أي ليست مشاعا وعاما للجميع (ت: ١٧١).

(٢) المقصود: القرآن الكريم.

(٣) كلمة تضجر وتحقير.

(٤) أي القرآن الكريم.

لُفَّ في أساليبَ هي معاكِسُ ألوفٍ مراتبٍ مقتضيات المقامات وحسيات المخاطبين. وكذا مرَّ القرآنُ على سبعين ألف حجاب، وتداخَلَ إلى أعماق القلوب والأرواح، وسافر ناشراً لفيضه ومونساً بخطابه على طبقات البشر، يفهمه ويعرفه كلُّ دور، ويعترف بكماله ويقبله كلُّ قرن. ويستأنس به ويتخذهُ أستاذاً كل عصر، ويحتاج إليه ويحترمه كلُّ زمان بدرجة يتخيل كلُّ: أنه أنزل له خاصة. فليس ذلك الكتاب شيئاً رقيقاً سطحياً، بل بحرٌ زخار وشمسٌ فياض وكتابٌ عميقٌ دقيق.

**اعلم**، انظر إلى الماء والهواء كيف خُلقا سهلين سلسين، فسبحان من يرزق ويلقم المكروبَ والفيل. فانظر طباحَ القدرة كيف صنع طعاماً لا يضيق عن لقمته فمُّ النحل ويملاً فمُّ الفيل، ولا يتكبر على فم المكروب ولا يتكبر عليه فمُّ الكركدن، ويقول كلاماً يسعه صماخُ الذرة ويمتلئ به أذن الشمس، ويعطي للكلمة التي تتكلم به تناسلاً واستنساخاً، بوجهٍ يمتلئ بعين تلك الكلمة كهفُ الجبل فيجيبك بالصدى، ولا تتعظم على الحجرية التي في صماخ البعوضة.

**اعلم** أنه يليق أن يُتصوَّر وقت الصلاة عالمُ الإسلام مسجداً، محرابه مَكَّة وآية المحراب الكعبة، يصلي في ذلك المسجد أجيال. فإذا سجدوا في الفناء، يجيء أجيالٌ آخر فيصلون فيذهبون، فيملاً ويُفرغ دأئها. فالأعصار كدقائق وقت العصر في مسجد «بايزيد».

**اعلم** يا سعيد! من السعادة أن تترك اليوم على الكرم منك - وأنت عزيز مستقبيا للفضيلة - ما يتركك غداً على الرغم منك وأنت ذليل، مبقياً عليك الخسارة؛ إذ إن تركت الدنيا انسللت من شرها فأورثت خيَرها، وإذا تركتْك انسللت من خيرها وأثمرت لك شرَّها.

**اعلم** أن المدنية الفاسقة أبرزت رياءً مدهشاً يتعذر الخلاصُ منه على أصحاب المدنية، إذ سمَّت الرِّياء بـ«شان وشرف»<sup>(١)</sup> وصيرت المرءَ يرئى للملأ ويتصنع للعناصر كما يرئى للأشخاص، وصيرت الجرائد دلائلَ له، وجعلت التاريخ يصفق ويشوق بالتصفيق، وأنست الموتَ الشخصيَّ بحياة العنصرية المتمردة بدسياسة الحمية الجاهلية الغدارة.<sup>(٢)</sup>

(١) أي الشهرة.

(٢) بمعنى: غدت حياة الشخص تغدى لحياة العنصرية تحت ستار الحمية الجاهلية (ت: ١٧٢).

**اعلم** أن جمعية النساء مذكّر يتخاشن، كما أن جمعية الرجال مؤنثة تتلاين، بإشارة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ (يوسف: ٣٠) و ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ (الحجرات: ١٤). وجمعية الضعفاء قوي، وجمعية الأقوياء ضعيف.

**اعلم** أن في انكسار الجنة وخفضها، انفتاح الجنة وفتحها.<sup>(١)</sup>

**اعلم** أن من أظهر براهين النبوة الأحمدية التوحيد. إذ الرفع لأعلام التوحيد بمراتبه على رؤوس الكائنات، ودلال التوحيد بمقاماته على أنظار العالم، ومفصل ما أجمله الأنبياء عليهم السلام، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. ففي حقيقة التوحيد وقوته حقيقة نبوته وحقانيته.

(١) العبارة فيها جناس عجيب: فانكسار الجنة -أي بكسر الجيم- تعني الشياطين، وخفضها يعني احتقارها وعدم طاعتها، ففي خفضها انفتاح الجنة وفتحها -بفتح الجيم-.. والله أعلم.

## القطعة الثالثة من

## ذرة من شعاع هداية القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**اعلم** أنه يلزم لمثل هذه التزيينات والكمالات والمناظر الحسنة وحشمة الربوبية وسلطنة الألوهية من مُشاهد لها، ومنتزعه بها، ومتحير فيها، ومتفكر ينظر إلى أطرافها ومحاسنها، فينتقل منها إلى جلاله صانعها ومالكها واقتداره وكماله.

نعم، إن الإنسان - مع جهالاته وظلماته - له استعداد جامع كأنه أنموذج مجموع العالم، وأودع فيه أمانة يفهم بها الكنز المخفي ويفتحه. ولم يُحدد قواه، بل أرسلت مطلقة فيكون له نوع شعور كلي بشعشة كمال حشمة جلال سراق جمال عظمة ألوهية سلطان الأزل. وكما أن الحُسن يستلزم نظرَ العشق، كذلك ربوبية النقاش الأزلي تقتضي وجودَ نظر الإنسان بالتقدير والحيرة والتحسين والتفكير، وتستلزم أيضاً بقاء ذلك المتفكر المتحير إلى الأبد ورفاقته لما تحير فيه في طريق أبد الأباد.

نعم، إن من زين وجوه الأزاهير كما أوجد لها عشاقاً مستحسين من أنواع الذبابات والعصافير، وزين حدود الملاح فأوجد لها أنظار المشتاقين الواهين.. كذلك من زين وجه العالم بهذه الزينة الجاذبة، ونور عيونه بهذه المصابيح المتبسمة وحسنه بأنواع المحاسن المتلاثلة، وأدمج في كل نقش بكمال الوضوح توددا وتعرفا وتحببا، لا يخلية من أنظار مشتاقين متحيرين متفكرين منجذبين عارفين بقيمة كل؛ فلجامعية الإنسان صار الإنسان الكامل سبب خلق الأفلاك علّة غائية له وثمره له.

اعلم أن من كمال السعادة واللذة الحقيقية، ترك كل شيء حتى الوجود لأجل أنه جل شأنه هو هو، ولأجل أنه واجب الوجود، ولأجل أنه الكامل المطلق، ولأجل أنه ذو الجلال والجمال المطلق، فليكن له فداء كل شيء لي، وكلّي والكل وكل شيء.

**اعلم** أن التوافق بين الأشياء كما يدل على أن الصانع واحدٌ أحدٌ، كذلك إن التخالف المنتظم بينها، يدل على أن الصانع مختارٌ حكيمٌ. مثلاً: توافق أفراد الإنسان بل الحيوان في أساسات الأعضاء. لاسيما التماثل في الأعضاء المثناة في الشخص برهان باهر على وحدة الخالق، وتخالفها في التعينات والصور المتقنة آية نيرة على اختيار الخالق وحكمته.

**اعلم** أن أظلم الخلق الإنسان. فانظر ما أشدّه ظلماً! فلشدة حبه لنفسه لا يعطي الأشياء قيمةً إلّا بمقدار خدمتها لنفسه، وينظر إلى ثمرتها بمقياس نفعها للإنسان، ويظن العلة الغائية في الحياة عين الحياة. كلا، إن للخالق في كل حي حكماً تدقّ عن العقول. لِمَ لا يجوز أن يكون هذه الحيوانات القصيرة الأعمار والحيوانات السريعة الزوال مبادي ومساطر ومصادر وأساسات ونوات لغرائب مثالية وبرزخية وملكوية وتجليات سيالة وترشحات وثمرات لتصرفات القدرة في الغيب؟..

.....<sup>(١)</sup>

**اعلم** أن الله بكمال قدرته صيّر جميع ذرات الكائنات عبيداً لشرعته الفطرية وأوامره التكوينية. فكما يقول للذباب كن هكذا، فيكون هكذا.. كذلك يقول بعين السهولة لجميع الحيوانات كونوا بهاتيكن الصفات وبهاتيكن الأشكال وبهاتيكن الأعمار، فيكونون كما أمروا بلا كلفة!

**اعلم** أن القوة والقدرة التي أخذت هذه الأجرام في قبضتها، ونظمتها كتنظيمك فصوص الجواهر على مرآتك بيدك، لا تعجز عن شيء ولا تساعد لمداخلة شيء ما في دائرة تصرفها.

**اعلم** أنه كما لا ريب في اتحاد القطرة مع البحر في كونها ماء، ومع النهر في كونها من السحاب، واتحاد شمس القطرة مع شمس السماوات، واتحاد السمك مثل الإبرة مع السمك الذي يسمّى بـ«بالينه بالغى»<sup>(٢)</sup> في النوع، واتحاد الحبة مع الصبرة.. كذلك إن الاسم المتجلى على حُجيرة في جزء من الجزئيات متحد في المسمى مع الاسم المحيط بالكون من الأسماء

(١) في (ط): اعلم أن البصر كما ينحصر عنده المعلوم - بل الموجود - في البصر، كذلك النفس الأمانة إذا لم تر شيئاً تنكر وجوده، ولو كان من أبده البهديات.

(٢) الحوت العظيم من حيتان البحر.



الحسنى، كالعليم بكل شيء مع الخالق لهذه الذرة، والمصور لهذه النحلة، والمنشئ لهذه الثمرة، والشافي لهذه العلة، بل محال أن لا يكون الواسع الأوسع عين الاسم الجزء الجزئي.

**اعلم** أنه لأن العطالة والسكون والتوقف والاستمرار على طرز في الممكن -الذي ظهور وجوده بتغيره- نوعٌ عدم في الأحوال والكيفيات، والعدم أَلَمٌ محض وشرٌ صرف.. كانت الفعالية لذةً شديدة والتحول في الشؤون خيرا كثيرا، ولو كان ألما ومصيبة. فالتأثرات والتألمات حسنةٌ من جهات، قبيحةٌ من جهة.

فالحياة التي هي نور الوجود تتصفى بالتأثرات، وتتصقل بالتألمات.. فلا تنافرها الحياة، فلا توزنُ بميزان البقاء العائد للحى، بل بميزان الظهور والمعكسية لتجلي شؤون «المحيي» جلَّ شأنه، إذ للمحيي في الحياة ألوف حصص، وللحي حصة عَرَضِيَّة. كمآلها في تبعيتها لحصص المحيي.

فتزین الحباب بشميسيته في آنٍ سيال لا يعطي له حقا بدرجة يعارض الشمس في حقوق تجلياتها المشحونة بالحكم الجسيمة. إلا أن حباب الإنسان إذا آمن ينقلب بالإيمان زجاجةً كأنها كوكبٌ دري يوقد مصباحها من أشعة شمس الأزل.

**اعلم** أنه كيف يمكن أن يصنع أحدٌ جميع أساسات قصر وأثاثاته وتركيباته المتوجهة جميعا إلى بناء القصر الواحد، ولا يكونَ القصرُ علةً غائيةً لذلك الصانع،<sup>(١)</sup> ولا يكونَ ثمرات القصر عائدة إليه. أيها الإنسان! الأرض قصر والعالم قصر.

**اعلم** أن الله جل جلاله تعرّف إلينا بخلقه ومصنوعاته، وتودّد بنعمه وإنعاماته، وتحبّب برزقه ورحماته، ففعل هاتيك لتلك، بل كأنها هي. وهكذا تجلّى كل اسم من أسمائه الحسنى. فمن تفهّمها منها كما هو حقها -بتفهمه تعالى- ثم فهّمها لغيره كافةً -بإذنه جلّ شأنه- يحق له أن يقال في حقه: «لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَّا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ»<sup>(٢)</sup> وما هو إلا الرابط المتين الأمين بين السماوات والأرض، الذي ارتبط العرش بالفرش بالحبل المنسوج على قلبه

(١) في (ط ١): لذلك الصانع، ولو معلوما مبصرا، ولا يكون في تدبيره وتصرفه، بل لا يمكن أصلا، كذلك أنت قصر والأرض قصر.

(٢) «إنه صحيح معنى ولو ضَعَفَ مبنى» على القاري، شرح الشفا ١/٦؛ الأسرار المرفوعة ٣٨٥؛ العجلوني، كشف الخفاء ٢/٢١٤؛ الشوكاني، الفوائد المجموعة ٣٢٦.

الذي هو أشرف الكائنات جنسا، وأكمل ذوي الحياة نوعا وسيد النوع الذي شُرف بالخلافة شخصا، وهو سيد المرسلين وأمام المتقين، حبيب رب العالمين محمد عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام أبد الأبدين.

## خاتمة

لله ذرُّ العَلَّةِ والمصيبة والذلة، ما أحلاها وهي مُرَّة! إذ هي التي تُذيقُك لذة المناجاة والتضرع والدعاء.

عن ابن سمعون (\*): «كل كلام خلا عن الذكر فهو لغو».<sup>(١)</sup>

اعلم أني على جناح السفر إلى الآخرة، فلكثرة ذنوبي لا يكفي عمري بل أعمار للاستغفار، فأوكلُ كتابي هذا وأوصيه بأن ينادي مستغفرا بعدي بدلا عني دائما بهذا (الفرياد)<sup>(٢)</sup>.

(أي واه) واسفوا وحسرتا واخسارتا واندامتا! على تضييعي لعمرى وحياتي وصحتي وشبابي، في المعاصي والذنوب والهوسات الزائلة المضرة، فأورثت في أوان شيبى ومرضى آثاما وآلاما. وأنا بهذا الحمل الثقيل والوجه الأسود والقلب المريض متقرب إلى باب القبر للفراق الأبدي من الدنيا الفانية.

فيا ذلي إذا ما قال ربي إلى النيران سوقوا ذا المرائي!

إلهي لا ملجأ ولا منجأ إلا باب رحمتك.

إلهي عبْدُكَ العاصي أتاكَ مقرا بالذنوب وقد دعاكَ

فإن ترحم فأنت لذاك أهلٌ وإن تطرد فمن يرحم سواك<sup>(٣)</sup>

(١) في (ط ١): وكل سكوت خلا عن الفكرة فهو سهو، وكل نظر خلا من العبرة فهو لهو.

(٢) أي الاستغاثة والنداء.

(٣) ينسب إلى إبراهيم بن أدهم: إلهي عبْدُكَ العاصي أتاكَ مقرا بالذنوب وقد دعاكَ

يا رب زكناه زشت خود منفعلم  
 أز قول بد وفعل بد خود نجلم  
 فيضي بد لم ز عالم قدس بریز  
 تا محو شود خیال باطل زدلم<sup>(١)</sup>  
 «أستفتح باب الرحمة بنداء مولانا»  
 أى خدا من الله الله مى زدم  
 بر در توشیئا لله می زدم  
 أى خدا باسوى خود راه نما  
 زانكى من كم راهم راه می زدم<sup>(٢)</sup>

إلهي لستُ للفردوس أهلاً ولا أقوى على نار الجحيم  
 فهب لي توبةً واغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيم

(١) [[ يا رب إني متألماً ناد على سيئاتي وآثامي  
 وخجلٌ من أقوالي وأفعالي السيئة  
 فاسكب من عالم القدس فيضاً على قلبي  
 كي يمحو من قلبي الخيال الباطل ]]

(٢) [[ يا إلهي إني أُرِدُّ: «الله، الله»  
 وأنا نادي وأقول شيئاً في سبيلك على بابك  
 يا إلهي اهدني الطريق إليك  
 فقد ضللت ولكني سائر في الطريق ]]

في (ط ١):

هذا تقرّظ أخي في الله الحسيب النسيب

السيد محمد شفيق الأرواسي (\*)

باسمه سبحانه

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

والصلاة والسلام على خير خلقه..

ومن المعروض لدى ناظر آثار أستاذنا بديع الزمان، الملهمة من فيوض آيات القرآن، والمستفادة من إشاراتٍ تهدي إليها نكاتُ بلاغة الفرقان التي لا يدركها إلّا مَنْ منّ عليه الملك المنان، بانكشاف اللطائف الأمرية، وتوسيع الدائرة العقلية، مع صقلة سائر مرآة الحواس والوجدان بأن خلاصة ما لخصته من الإخلاص في حقها، أن كلا منها حصن حصين في مقابلة أشرار أعداء الدين، بل سد صيني لا يؤثر فيه وساوس النفس، ودسائس الشيطان، وتلقينات عبدة الطبيعة، وأباطيل أفكار الفلاسفة الضالين.. وأنه يجري من منابع مباحثها ماءً حياة تنمو به العقدة الإيمانية وتنطفئ منه الشرارات النفسانية، فلا بد لكل طالب من السعي البليغ في مطالعتها كي تحصّن بما حصله من براهينها وتشفي بما ناله من ذوقياتها ودقائقها.. وإن وجد تعسراً في فهم معانيها، فلا يكن سبباً لفتور السعي فيها، فإن صداق الفوائد الجليلة إنما هو المساعي الكثيرة، ولا يلوم من مؤلفها أيضاً، لأن صعوبتها غير اختيارية، لما فيها من مسائل موضوعاتها من الخوارق للعادات، وقضايا ذوقية لا يسعها ضيق العبارات، وبراهين من نتائج بدهية عنده وعند الغير من النظريات، ومفاهيم متناسبة ومتناسلة قد نصبت على بعضها نُصب وترك في البعض الآخر الآيات، لأن بُعد المسافة لا تكفيها راياتُ الجمل والكلمات وغير ذلك من الأسباب مثل بدائع التشبيهات وغرائب التمثيلات.

الحقير

محمد شفيق

الرسالة التاسعة<sup>(١)</sup>

# مَثْمُومَاتُ مِنْ نَسِيمِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ

(١) طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «أوقاف» بإسطنبول سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢م)

في (ط ١)

## إفادة المرام

**اعلم** أيها الناظر! إني أسمع من الناس شكايَةً عن الغموض في آثاري، فاستمع مني ثمانية كلام:

فأولاً: لا تعجل لعتابي لأجل الإشكالات، إذ مخاطبي نفسي الدساسة، وهي تفهم بسرعة أجوبة أسئلتها المخطئة ولو بالرمز.

وثانياً: إن كل مسألة افتتحت بـ«اعلم» سلاحٌ قاطع، ودواءٌ نافعٌ، أُعطيته من حيث لم أحسب، في وقت شدة احتياجي وكثرة جروحي. فليس لي في الكتاب مالٌ إلّا ما ليس في الكتاب من الألم والجرح والداء المستتر في الضمير. وأما المذكور في الكتاب من الدواء والسلاح وذوق الحق، فليس مني، ولا مما مضغه فكري، بل من فيض القرآن الكريم.

وثالثاً: إني لا أبالي بتقيد الناس؛ إذ الله الحمد إني لا أعرف الآن لنفسي غيرَ القصور والعجز وما تستحق من الذم. فإذا أردتُ التمدح والافتخار بأثري لا أرى إلّا ما أخجل به وأفتضح، إلّا أن الله ستارُ العيوب. فكما لا قيمة لنفسي حتى أبتهج متصنعاً بما يُظنّ محاسنَ وهي في الحقيقة مساوئ، كذلك لا أقيم لنفس غيري المتكدرة بالأنانية أيضاً وزناً، حتى أتصنّع له بالرياء الكلامي والتصلف في العبارة. إلّا أنه يليق أن تلبس الحقايق ما يليق بها.. ولكن هيهات أنا عاجز وأعجمي وخام لا أطيق أن أنسج غيرَ ما ترونه من أساليبي المشوشة، فأعترف وأنادي بأعلى صوتي: بأنّي عاجز، قاصر في الإفهام. لكن أقول تحديثاً بالنعمة وأداءً للأمانة بأنّي لا أخدعكم، إنما أكتب ما أشاهد أو أتيقن عين اليقين أو علم اليقين.

ورابعاً: لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيضُ أفيض على روح مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيلاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي.

خامساً: إني ما أدري كيف صار عقلي ممزوجاً بقلبي، فصرت خارجاً عن طريق أهل

العقل من علماء السلف وعن سبيل أهل القلب من الصالحين، فإن وافقتهما «فبها ونعمت»، وإن خالفْتُ في كلامي أيّ السيلين منهما فهو مردود عليّ.

وسادسا: لا تطلب في آثاري انتظاما وانسجاما ووضوحا، لأنها تقيّد وتلخّص مشاهداتي في تحولات غريبة ومجربّات نفسية مختلفة، مع أمور أخرى، لو اطلّعت عليها لعذّرتني.

وسابعا: لا تنقل: إذا لم أدِرِ الكلّ، لا أريد الكلّ.. فإذا كنتَ في بستانٍ أتترك كل الثمرات إن لم تأكل كلها.

وثامنا: إن ما يصادفك في المسائل من صورة البرهان والاستدلال ليس برهانا حتى يقال: فيه نظر! بل مبادئ حدسية قيّدت وعُقدت واستُحفظت بأنوار اليقين المُفاضة من القرآن الكريم.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين على رحمته على العالمين برسالة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

**اعلم** أن العالم بجميع أنواعه من طبقات الغيب والشهادة يشهد بأنه: «لا إله إلا هو» إذ التساند بينها هكذا يقتضي.. وبجميع أركان جميع أنواعها من المنظومة الشمسية وغيرها تشهد بأنه: «لَا رَبَّ إِلَّا هُوَ» إذ التشابه مع التناظر هكذا يقتضي.. وبجميع أعضاء جميع أركانها من أرضنا وغيرها تشهد بأنه: «لَا مَالِكَ إِلَّا هُوَ» إذ التماثل مع اتحاد السكة هكذا يقتضي.. وبجميع أجزاء جميع أعضائها من طوائف النباتات وقبائل الحيوانات تشهد بأنه: «لا مُدَبِّرَ إِلَّا هُوَ» إذ التعاون مع الاشتباك هكذا يقتضي.

وبجميع جزئيات جميع أجزائها تشهد بأنه: «لَا مُرَبِّيَ إِلَّا هُوَ» إذ توافق الأفراد في أساسات الأعضاء يصرح باتحاد القلم وبأن المربي واحد، وتمايزها في الصور المنتظمة ينص على أن الكاتب مختارٌ حكيم.. وبجميع حُجيرات جميع جزئياتها تشهد بأنه: «لَا مُتَصَرِّفَ إِلَّا هُوَ» ولا تصريف إلا تحت أمره التكويني؛ إذ لو لم يتحد للزرم وجود متصرفين غير متناهين، مع أنها أصدادٌ أمثال<sup>(١)</sup> ومع أنها مستقلين أسراء، ومع أنها مطلقين مقيدين<sup>(٢)</sup> مع محالات أخر كثيرة.. وبجميع ذرات جميع حُجراتها تشهد بأنه: «لَا نَاطِمَ إِلَّا هُوَ» إذ اتحاد الخليط بين الجواهر الفردة هكذا يقتضي.. ويعموم أثر ذراتها تشهد بأنه: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» إذ بساطة الأثير وسكوته وانتظاره وسرعة امتثاله لأوامر الخالق هكذا يقتضي.

**اعلم** أنه لا حقَّ لأحدٍ في التشكي والاعتراض على صانع العالم؛ إذ في إرضاء الفرد المشتكي إغضابُ ألوفٍ حِكَمٍ متدلّية في نظام مقتضى لكسر هوس ذلك الفرد ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (المؤمنون: ٧١).

(١) أي على الرغم من أنها متماثلة فهي متضادة، وهي حرة وأسيرة، ومقيدة ومطلقة إلى آخر ذلك من المحالات.

(٢) هكذا في النسخة الخطية، ولعل سياق العبارة يقتضي: ومع أنها مستقلون أسراء، ومع أنها مطلَقون مقيّدون.



فيا أيها المشتكي! مَنْ أنت حتى تعترض وتصيّر هوسك الجزئي مهندسَ كليّات الكائنات، وتجعل ذوقك الفاسد مقياسَ درجات النعم؟ وما يدريك لعلّ ما تراه نِقْمًا عينُ النعم؟ ومَنْ أنت حتى يُغيّر حركةً دوايب العالم و«جرخ الفلك» لتسكين هوسك الذي لا يوازي جناح البعوضة، ولا يملأ نواة التينة؟ لكن لك أن تشتكي إليه، لا منه؛ إذ لك منك حبة من صبرة، والمملوك لا يملك. فاعرف حدّك ولا تجاوز طورك.

**اعلم** أن مَنْ يتصرف في حُجيرة من عضوٍ من جسد، لا بد أن يتصورَ الجسدَ أولاً، ثم يتصرّفَ لنظر نسب الجزء إلى نقوش الكلّ ووضعته.<sup>(١)</sup> فالتصرف في الحجيرة تحت أمر خالق الكل البتة.

**اعلم** أن من يحفظ بيضات الهوام والسمك، وبذور الحشرات والنباتات، حفظاً رحيماً نظيماً حكيماً، كيف يليق بحفيظيته وحكمته أن يهمل ولا يحفظ أعمالك التي هي نواتات لأشجارٍ مثمرة في الآخرة، وأنت حاملُ الأمانة وخليفةُ الأرض؟ مع أن شدّة حسّ حفظ الحياة في كل حي، وشدّة حسّ التأليف للبقاء والإدامة بين المتباينات المجتمعة يدلان بالحدس الصادق على أن الوجود ينتجّر إلى البقاء الأبدي بتجلي اسم «الحي الحفيظ الباقي».. وأيضاً رمزُ من القدر الإلهي إلى أن في الفاني ما يبقى.

**اعلم** أن من يحفظ بذر التينة مثلاً في الأطوار ويحميه في الأدوار ويصونه عن الانحلال ويحفظ في تلك البذرة لوازمات شجرة التينة بكمال الاهتمام والحفاظة، وهكذا سائر النباتات والحيوانات.. لا يهمل -ذلك الحفيظ- البتة أعمالَ البشر خليفة الأرض بالضرورة وبالحدس الصادق.

**اعلم** أن المعنى يبقى واللفظ يتبدل، واللّب يبقى والقشر يتمزق، والجسد يبقى واللباس يتخرّق، والروح يبقى والجسد يتفرّق، و«أنا» يشبّ والجسد يشيب، والواحد يبقى والكثير يبلى، والوحدة تدوم والكثرة تتمزق، والنور يبقى والمادة تتحلل. فالمعنى الذي يبقى من أول العمر إلى الآخر، مع تبدّله لأجسادٍ وانتقاله في أطوار، وتدحرجه على أدوار مع محافظة وحدانيته،<sup>(٢)</sup> يدل على أنّه يتخطى على الموت أيضاً وينسلّ من كلاله، متشققّ الجسد،

(١) أي ثم يتصرف ناظراً في نسب الجزء إلى نقوش الكل، حيث هناك علاقات وارتباطات كثيرة للجزء مع الكل (ت: ١٧٧).

(٢) أي مع الحفاظ على بقائه ووحدته (ت: ١٧٧).

عريان الروح، سالما في طريق الأبد. وشدة دستور الحفظ والمحافظة في الماديات التي الأصل فيها الفناء، تدل بالحدس القطعي وبالطريق الأولى على جريان ذلك القانون الباقي في المعنى والنور والروح الواحد البسيط، التي الأصل فيها البقاء.

**اعلم** أن عظمة الألوهية وعزتها واستقلالها تستلزم دخول كل شيء -مطلقا: عظيما أو حقيرا، أعظم الأشياء وأحسها- تحت تصرفها. فخشيتك وحقارة أحوالك لا تستلزم خروجك<sup>(١)</sup>. إذ بُعدك لا يستلزم بعده، وحقارة صفتك لا تستلزم حقارة وجودك. وتلوث وجه المملك فيك، لا يستلزم تلوث ملكوتك.. وكذا لا تستلزم عظمة الخالق خروج الحقير عن تصرفه، إذ العظمة الحقيقية تستلزم الإحاطة، والانفراد في الإيجاد.

**اعلم** أن المادي الكثيف كلما تعاضم تباعد عن الدقائق والخفايا وتقاصر يده عنها. وأما النور فكلما تعاضم وتعالى كان أنتم نفوذا في الخفايا والدقائق. وكلما كان النور أطفأ كان أكشف لباطن الشيء كشعاع «رونكن». فإذا كان هذا هكذا في الممكن المسكين والكثرة المشوشة، فكيف بنور الأنوار من طرف الوجوب والوحدة العالم بالأسرار ومدبر الليل والنهار؟ فعظمته تستلزم الإحاطة والنفوذ والشمول.

**اعلم** وانظر إلى كمال مراعاة القرآن ومماشاته وتأنيسه لأفهام جمهور العوام الذين هم الأكثر المطلق؛ إذ يذكر في المسألة ذات الدرجات الدرجة القريبة إليهم، والصحيفة الواضحة لنظرهم، وإلا لزم أن يكون الدليل أخفى من النتيجة. فالقرآن يذكر الأشياء الكونية للاستدلال على صفات الخالق جل جلاله. فكلما كان أظهر لفهم الجمهور كان أوفق للإرشاد.

مثلا: يقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السِّنِينَ وَالْوَنُكُورَ﴾ (الروم: ٢٢)  
مع أن خلف طبقة الألوان مسافات تعيينات الوجه كما أشير إليها في «ذرة» ويقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ (آل عمران: ١٩٠) مع أن تحت صحيفة الليل والنهار المقروءة بأول النظر عجائب نقوش تحريك الأرض على نفسها وتدويرها حول الشمس. ويقول: ﴿وَالْجِبَالِ أَوَّادًا﴾ (النبا: ٧) مع أن تحت ما يرى من صورة سفينة الأرض وخيمتها المرساة المربوطة بالعمد والأوتاد تسكين غضب الأرض التي ﴿تَكَادُ تَمَيُّزُ مِنْ

(١) خروجك عن تصرفها (ت: ١٧٧).

أَلْفَيْطُ ﴿ (الملك: ٨) بسبب الهرج والمرج في بطنها وإسكات غضبها بخلق الجبال فتتنفس الأرض من منافذها، فتتهز بالزلزلة فقط، بدل التمزق لولا الجبال، وتحت هذه الصحيفة أيضا جعل الجبال مخازن الماء ومشاطة الهواء وحامية التراب من استيلاء البحر والتوحد. وهذه العناصر أوتأد حياة الحيوان، الذي الناطق منه «وتد» الدنيا. فقس على هذه أمثالها.

ومن هذا السر ترى الشريعة تعتبر رؤية الطلوع والغروب،<sup>(١)</sup> دون الحساب الحقيقي.. ومن هذا السر أيضا الترداد للتثبيت، والتكرير للتقرير في القرآن الحكيم.

**اعلم** أن حقائق الآيات أوسع بمراتب من خيالات الأشعار، فتنزّهت عن الشعرية. والمتكلم خلف الآيات يبحث عن شأنه وفعله، وفي الشعر فضوليّ يبحث عن غيره. والقرآن الباحث عن العاديّات في الجملة خارق للعادة،<sup>(٢)</sup> والشعر الباحث عن خوارق العادات في الأكثر عادي.

**اعلم** أن مرايا وحدة الخالق وصحائف شواهد متعددة متنوعة متداخلة متحدة المركز غير محدودة؛ فتتورّ واحد في النظر المتبصر يستلزم تنوّر الكل، وافتح واحد يمكن بالدخول فتح الكل، دون العكس؛ إذ انسداد واحد لاسيما الأدنى لا يستلزم انسداد الكل. مع أن النفس الأمرة بتعليم الشيطان تكذب الأصل الصادق وتصدق بالعكس الكاذب.

**اعلم** أنه كما لا يمكن أن يكون كاتب الكلمة غير كاتب الحرف، وكاتب السطر غير كاتب الصحيفة، وكأئبها غير كاتب الكتاب.. كذلك لا يمكن أن يكون خالق النملة غير خالق جنس الحيوان، وخالقه غير خالق الأرض، وخالقها غير رب العالمين.

ومن إشارات الربوبية المطلقة العامة كتابة كلمة أو كلام أو كتاب في حرف كبير، لرمز عموم الشعور والإحاطة كخلق السمك في حرف البحر، وخلق دابة الأرض في سطر الشجر، وخلق الحيوان في نقطة الأرض، والنمل في كل موضع يُظن أنه جامد مهمل متروك، حتى إن بعض المصنوعات كصورة «يس» كتبت فيها سورة «يس».

**اعلم** أن هذه النجوم والشموس متماثلة متساوية في الجملة، فليس ربها منها بالضرورة، ورب واحد رب كل شيء.

(١) أي طلوع الهلال وغروبه، لأن رؤيته أسهل للعوام لحساب الأيام والشهور (ت: ١٧٨).

(٢) أي يبحث بحنا خارقا للعادة. والكلمة الثالثة عشرة تفضل هذه المسألة.

(١) .....

**اعلم** أن الفرد الإنسان جماعةً من المكلفين، ولكل فردٍ من حواسه -ظاهراً وباطناً- عبادةٌ تخصُّه، وضلالةٌ تفسِّقه. فكما أن سجدة الرأس لغير الله ضلالة، كذلك سجدة خيال الشعراء بالخيالة المفرطة والمحبة الواهة في مدح غير الله -لا بحساب الله- أيضاً ضلالةٌ يفسِّق بها الخيال. وقس على الخيال إخوانه.

**اعلم** أن من أعم أسباب ضلالة فكر البشر؛ ظنُّ المألوف معلوماً، مع أن الألفة تتضمن الجهل المركب، فبحكم الألفة لا يتأملون في العاديات المستمرة مع أنها كلها خوارق معجزات القدرة، وما يُمعنون النظر إلا في ما فوق العاديات من نوع التجليات السيالة، كمن لا ينظر من مجموع البحر -مع ما في بطنه من الحيوانات- إلا إلى تموجاته بالهواء وتلاؤه بشعاعات الشمس، فيستدل بهذين الحالتين فقط على عظمة مالك البحر وصانعه جلّ جلاله.

**اعلم** أن أكثر معلومات البشر الأرضية ومسلّماته، بل بدهياته مبنية على الألفة، وهي مفروشة على الجهل المركب. ففي الأساس فسادٌ أي فساد. فلهذا السر توجه الآيات أنظار البشر إلى العاديات المألوفة، وتثقب نجوم القرآن حجاب الألفة، ويأخذ<sup>(٢)</sup> بأذن البشر ويُميل رأسه، ويريه ما تحت الألفة من خوارق العادات في عين العاديات.

**اعلم** أن المناسبة حتى المكاملة لا تستلزم التساوي ولا التداني ولا التشابه؛ ففطرة المطر وزهرة الثمر لهما مناسبة ومعاملة مع الشمس. فيا أيها الإنسان! لا تحسبن أن حقارتك تسترك عن نظر عناية خلاق الكون.

**اعلم** أن ما اشتهر من وقوع بسط الزمان وطيه لبعض الأولياء كما وقع للشعراني<sup>(\*)</sup> في مطالعته للفتوحات المكية<sup>(٣)</sup> في يوم واحد مرتين ونصفاً، كما في آخر «اليواقيت والجواهر» لا ينبغي أن يُستغرب فيُستنكر؛ إذ فيها تراه له نظائر تقرّبه إلى الفهم؛ ألا ترى أنك ترى في الرؤيا كأن مرّ عليك سنة<sup>(٤)</sup> في ليلة بل في ساعة. ولو قرأت القرآن بدّل ما جرى عليك، وما

(١) في (ط ١) أيها الإنسان! لو أنصفت لما تضجرت من البراغيث والبغوض وأمثالها؛ إذ تتحمل -بكمال التسليم- افتراسك كل الثمرات وأكثر الحيوانات تلك المخلوقات اللطيفة المعصومة. فمن الإنصاف أن تتحمل أهون الاقتصاص من أيدي بعض المؤذيات.. فالجروح قصاص.

(٢) يأخذ القرآن.

(٣) لمحي الدين بن عربي.

(٤) في (ط ١) مرّ عليك سنة بل سنون في ليلة.

شاهدته من الأقاويل والأفاعيل لقرأت ختماتٍ في تلك الساعة. ففي انكشاف هذه الحالة لأهل الكشف في اليقظة يتبسط الزمان، ويطول العمر، ويتقرب إلى دائرة الروح التي لا يقيدها الزمان. ولو صوّرت «ساعة» لها أميالٌ متداخلة لأجل أن تكون ميزانا تشير إلى درجات سرعة الحركات الموجودة في مصنوعات الله، لا سيما لبيان درجات سرعة الصوت، والضياء، و«الأكتريق»، والخيال، ونور العقل، والملّك، والروح. فويلٌ يعدّ الساعات وميلُ الدقائق، وميل الثواني إلى الميل الذي يعدّ العاشرات،<sup>(١)</sup> مع محافظة النسبة بين كلّ آتين من معدود أول الأميال إلى آخرها. ففي تلك الساعة مدارُ الميل العادّ للساعات المشير إلى أبطأ الحركات، لو كان مثل دائرة ساعتك هذه، لكان مدارُ الميل العادّ للعاشرات المشيرة لأسرع الحركات مثل مدار زحل بل أوسع، فافرض أحدا ركب ميلَ الساعات وواحدا امتطى ظهر ميل العاشرات، فانظر كم بين ما رأيا وقطعا، فقد انطوى لهذا ما انبسط لذلك بدرجة تكون ثانيةً ذا سنة هذا. ولأن الحركة كجسم الزمان أو الزمان كلونها، فما يجري فيها، يجري فيه أيضا. فلم لا يجوز للولي الغالب روحه على جسمانيته أن يُصدر أفاعيله على مقياس سرعة الروح والخيال؟

**اعلم** أنه قد يستعظم المرء النتيجة وهي التوحيد المحض الخالص، ولا يسعها ذهنه الكاسد، أو لا يتحملها خياله الفاسد. فيشرع يردّ براهينها الصحيحة القاطعة، ويتعلل بأن نتيجة هذه العظمة لا يمكن أن يقبلها وقيّمها هذا البرهان ولو كان في غاية القوة. فالمسكين لا يعرف أن قيوم النتيجة الإيمان، وما البرهان إلّا مَنفَذٌ ينظر إليها.. أو مكنسة يطهر الأوهام عنها. مع أن البرهان ليس واحدا، بل لها براهين عدد رمال الدهناء،<sup>(٢)</sup> وبمقدار حصي البطحاء<sup>(٣)</sup> وقطرات الأمطار وأمواج البحار.

**اعلم** أن من هياّ البطيخ والتفاح لأكلك، لا بد أن يكون أعلم بأكلك منك، وخيرا بذوقك الوجداني الذي لا يدره غيرك. فأين العروق والأغصان الجامدة الميتة من هذا العلم؟ فما الأسباب والأغصان إلّا موازيب الرحمة ومسيلات النعمة.

(١) تنقسم الدقيقة الواحدة إلى (٦٠) ثانية وكل ثانية إلى (٦٠) ثالثة وهكذا إلى العاشرة. وفي الكلمة الحادية والثلاثين، رسالة «المعراج النبوي» تفصيل لهذه المسألة.

(٢) الدهناء: الفلاة.

(٣) البطحاء: مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى.

## القطعة الثانية من شَمَّة من نسيم هداية القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فسبحان الله ما أرقَّ الحجابَ بين المُلْك والملكوت، وما أعظمَ المسافة بينهما! وما أقصرَ الطريقَ بين الدنيا والآخرة وما أطولَها! وما ألطفَ الحجابَ بين العلم والجهل وما أغلظه! وما أشفَّ البرزخَ بين الإيمان والكفر وما أكثفه! وما أقصرَ المسافة بين العبادة والمعصية مع أن ما بينهما كما بين الجنة والنار! وما أقصرَ الحياة وما أطولَ الأمل!

فكما أن بين الأمس واليوم حجاباً رقيقاً لا يمنع من مرور الروح ونفوذه إلى الأمس والماضي، وأن ذلك الحجابَ بالنسبة إلى الجسد مسافة سنة أو الأبد.. كذلك بين الملك والملكوت، والدنيا والآخرة حجابٌ رقيق شفاف لأهل القلب والروح، وغليظ كثيف غاية الكثافة لأهل النفس والهواء الجسماني.

وكما أن بين نهارك وليلك برزخاً لطيفاً، هو جفئك، فإذا فتحتَ عينَ نفسك زال ليلُك وانجلي نهارُك، وإن نسيتَ نفسك فعميتَ دام عليك ليلُك سرمداً.. كذلك من نظر بحسابه تعالى إلى الكائنات صار كلَّ ما شاهده علماً. وإذا نظر بالغفلة وبحساب الأسباب صار كلَّ ما يظنه علماً، جهلاً محضاً.

وكما أن بين تنوّر «آيا صوفيا» وشدة ظلماته في الليل زماناً بمقدار تحريك الإصبعين لمفتاح «الألكتريك»، وفي فضاء العالم بالتهاب البرق وانطفائه في آن، واستضاءة الدنيا وظلماتها بالسحاب الأسود وانكشافه عن وجه الشمس بهبوب نسيم الرحمة دفعة.. كذلك من نظر بنور الإيمان والتوحيد يرى العالم مملوءاً نورا، وأنسيةً وتحبياً وتودداً، وأجزاء الكائنات أوداءً إخواناً أحياءً مؤنسين. وأما إذا نظر بالكفر يرى أجزاء العالم أعداءً وأجانباً أمواتاً موحشين ويرى العالم ظلماتٍ بعضها فوق بعض وهو في بحر مصطلم مظلم يغشاه موجٌ من فوقه موج إذا أخرج يده لم يكديراها.

وكما أن ما بين وجهي المرأة أرق من الورق، مع أن بينهما من الفرق كما بين الغرب والشرق، ثم تبدّل الوجهين - بأن تضحك في وجهك أو تعبس - يحصل بتحريك الإصبعين لها<sup>(١)</sup>.. كذلك لأفعال البشر وجهان؛ فبتعلّق النية بها لوجه الله تنقلب وتريك وجهها شفافا معكسا يسع في عمقه المثالي ما لا يحدّ من التجليات، وبفقدان النية أو النية لغير وجه الله يُظهر الوجه الجامد أو الأسود السطحي الذي لا يُعني من الحق شيئا.

وكما أن الوجه الأسود الملون من المرأة لا يسع في عمقه شيئا وفي عرضه، إنما يسع بمقدار جِرمه الصغير وأما الوجه الشفاف؛ فلاتصاله بالبرزخ والمثال المطلق يسع ما لا يحد ولا يضيق عمقه من أعظم الأشياء.. كذلك الحياة لها وجهان: وجهٌ إلى الدنيا أسود ضيق فإن، ووجهٌ إلى الحق شفاف واسع دائم، فالنفس الغافلة بقبول مغلطة الشيطان تلبس الوجه الأسود وتُظهر أحكام الوجه الأشف، بطول الأمل وطلب الأبد.

**اعلم** أن مفتاح العالم في يد الإنسان وفي نفسه، فالكائنات - مع أنها مفتحة الأبواب - منغلقة،<sup>(٢)</sup> فالحق سبحانه أودع - من جهة الأمانة -<sup>(٣)</sup> في الإنسان مفتاحا يفتح به كل أبواب العالم، وطلسمًا يفتح به كنز خلاق الكون. والمفتاح ما فيك من «أنا». إلّا أن «أنا» أيضا معتمى مغلق، ومُطلسم مغلق، فإذا فتحت «أنا» بمعرفة ماهيته الموهومة انفتح لك الكائنات.

نعم، إن الله جلّ جلاله أعطى ليد الإنسان «أنا» ليصيّره واحدا قياسيا - بالفرض والتوهم لا بالعلم والتحقيق - لفهم أوصاف الربوبية.

فالإنسان إذا عرف «أنا» ما هو؛ بأن رآه شعرة شعورية في حبل وجود الإنسان، وخيطا رقيقا في ثوب ماهية البشر، وألفا في كتاب الشخص؛ له وجهان: وجه إلى الخير، فيه قابلٌ للفيض فقط لا فاعل. ووجهٌ إلى الشر والعدم وبه فاعل، وماهيته موهومة، وربوبيته مخيلة، ووجوده أضعف من أن يتحمل شيئا بالذات.. بل إنها هو كميزان الحرارة وأمثاله من الموازين التي يُعرّف بها مقادير الأشياء. ف«أنا» أيضا ميزان يُعرّف به الصفات المحيطة المطلقة للواجب الوجود.. وأذعن<sup>(٤)</sup> دخل تحت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (الشمس: ٩) وأدى الأمانة بحقها.

(١) المقصود: نوع من المرايا ذات الوجهين.

(٢) أي مع أنها مفتحة الأبواب ظاهرا إلّا أنها منغلقة حقيقة.

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

(٤) أي إذا عرف الإنسان كل ما ذكر عن ماهية «أنا» وأذعن..

فإذا تأملت في «أنا» بالمعنى الحرفي، صار لك عينا تفهمت ورأيت به كل ما في الكون، لأنه إذا جاءت المعلومات الآفاقية صادفت في «أنا» ما يصدقها. فإذا فهمتها انتهت وظيفة «أنا» وربوبيته الموهومة ومالكيتها المفروضة. فليرجع «أنا» من السمكتية إلى الحبابية<sup>(١)</sup>.. وأما إذا نظرت إلى «أنا» بالمعنى الاسمي واعتقدته مالكا، وخنت في الأمانة دخلت تحت: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ (الشمس: ١٠)، إذ الأمانة التي تدهشت من حملها السماوات والأرض والجبال هي «أنا» من هذه الجهة، إذ منها يتولد الشرك والشرور والضلالات، إذ إذا تستر «أنا» عنك غلظ، حتى صار حبلا بلع وجودك فصار كُلكُ أنا. ثم استغلظ بأنانية النوع والاستناد به فيصير شيطانا يبارز أمر صانعه. ثم يقيس الناس، ثم الأسباب على نفسه فيقع في شرك عظيم.. ففي هذا الوجه لو أرسلت عينك وفتحت كل الآفاق انغلق في وجهك، برجع عينك إلى نفسك؛ إذ ترى كل شيء بلون ما في نفسك من «أنا». ولونه في ذاته - في هذا الوجه - الشرك والتعطيل، ولو ملئت الآفاق آيات باهرة، وبقي في «أنا» نقطة مظلمة طمت على الآيات.

مسألة مهمة: وهي أن «أنا» له وجهان: وجه أخذته النبوة، ووجه أخذته الفلسفة.

فالوجه الأول: منشأ العبودية المحضة؛ ماهيته حرفية، ووجوده تبعي، ومالكيته وهمية، وحقيقته فرضية، ووظيفته صيرورته ميزانا ومقياسا لفهم صفات الخالق. فالأنبياء هكذا نظروا إلى «أنا»، فسلموا الملك كله لله، وحكموا بأنه لا شريك له لا في ملكه ولا في ربوبيته ولا في ألوهيته، ويده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير. ومن هذا الوجه الشفاف الحي أنبت الرحيم جل جلاله شجرة طوبى العبودية فأثمرت أغصانها المباركة في حديقة الكائنات، دانية قطوفها، متدلية بثمرات الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين المتلألئين كالنجوم في الظلمات.

وأما الفلسفة فنظرت إلى «أنا» بالمعنى الاسمي دون الحرفي، وبالوجود الأصلي دون التبعي، وزعموه مالكا بالحقيقة، وظنوه حقيقة ثابتة، وتوهموا وظيفته تكمل ذاته بحب ذاته. فمن هنا تشعبت أنواع الشرك، وعلى رأس «أنا» تنبت شجرة زقوم الضلالة؛ فمن غصن «القوة البهيمية» أثمرت في أنظار البشر - باستحسان القوة الظالمية والحسن المرائي - أصناما عابدة من جهة، ومعبودة من جهة.. ومن غصن «القوة الغضبية» أثمرت على رؤوس البشر

(١) من الوجود الحقيقي إلى الوجود الموهوم.



نهارد وفراعين.. ومن «القوة العقلية» أثمرت في عقول البشر الدهريين والماديين وفلاسفة يعطون للواجب واحداً، ويقسمون سائر مملكه على غيره تعالى.. وإن «أنا» في ذاته كأنه كان هواء وبخارا، لكن بسبب شؤم نظرهم تمتع، ثم بالألفة تصلب، ثم بالغفلة تجمد، ثم بالعصيان تكدر فاستغلظ حتى ابتلع صاحبه. وتوسع بأفكار النوع، ثم قاس الناس والأسباب على نفسه فصار مبارزا لأوامر خالقه. فمن هنا اضطر بعض الفلاسفة إلى تأثير الأسباب<sup>(١)</sup> وإيجاد الطبيعة والتصادف، ونفي الحشر، وقدم الأرواح وأمثالها من ضلالاتهم ﴿قَسَلَهُمْ اللَّهُ أَفَّ يَوْفَكُوت﴾ (التوبة: ٣٠)، اختطفتهم الشياطين بمنقار «أنا» وأنابيه ومخاليبه.

ف«أنا» في العالم الصغير كالطبيعة في العالم الكبير، كلاهما من الطواغيت،

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

**اعلم** أن حياة الحسنات بالنية، وفسادها بالرؤية والرياء والإراءة، وعرق الوجدانيات المشعورة بالذات تنقطع بالنية ويشعور ثانوي<sup>(٢)</sup>، كما أن النية حياة الأعمال، كذلك النية موت الأحوال بجهة<sup>(٣)</sup>. مثلاً: نية التواضع تفسده، ونية التكبر تزيله، ونية الفرح تطيره، ونية الغم تهونه وقس<sup>(٤)</sup>.

**اعلم** أن الشجرة بل كل ما فيه قانون التكامل، لا بد أن تنبت على نواة تربت في بطن ثمرة من مثل تلك الشجرة. فإن لم تسبق غيرها كشجرة العالم، فلا بد لها من نواة عريانة ما تجسدت بالثمرة بعد. ثم حقهها من العناية الأزلية أن تلبس أيضاً ثمرة من ثمرة الشجرة التي تنبت عليها، فلا بد أن تكون تلك الثمرة التي تجسدت النواة بها أعظم وأكرم وألطف وأشرف وأعلى وأجل. فالكائنات شجرة، والعناصر أغصانها، والنباتات أوراقها، والحيوانات أزهارها، والأناسي ثمراتها. وأصواً ثمراتها وأنورها وأولاها وأجلاها وأحسنها وأزینها وأعظمها وأكرمها وأشرفها وألطفها وأجمعها وأنفعها هو محمد عليه الصلاة والسلام سيد المرسلين

(١) أي إلى الاعتقاد بتأثير الأسباب.

(٢) إن أساس الوجدانيات التي تستشعر بالذات شعورا فطريا، ينقطع بشعور ثانوي ونية (ت: ١٨٣).

(٣) المقصود: الأحوال الفطرية (ت: ١٨٣).

(٤) أي إن نية التواضع بتصنع وبشعور ثانوي تفسد التواضع الفطري، وكذا نية التكبر بشعور ثانوي تزيل عزة النفس والوقار الفطري.

وإمام المتقين وحبیب رب العالمین، صاحب المعراج وما زاع البصر، ومن انشق له القمر، وكلمه الضب والطبي والذئب والجذع والذراع والجمل والجل والحجر والمدر والشجر، ونبع الماء من بين أصابعه كالكوثر، أفضل الخلائق الإنسانية، ومجمع الحقائق الإيمانية، وطور التجليات الإحسانية، ومهبط الأسرار الرحمانية، وقائد ركب الأنبياء والصديقين، وأفضل الخلق أجمعين، حامل لواء العز الأعلى بالتوحيد، ومالك أزمنة المجد الأسنى بالإسلام، شاهد أسرار الأزل، ومشاهد أنوار السوابق الأول، وترجمان لسان القدم، ومنبع العلم والحلم والحكم المتحقق بأعلى رتب العبودية، والمتخلق بأخلاق المقامات الاصطفائية، الخليل الأعظم والحبیب الأكرم، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحیات وأمنى البرکات، ما دامت الأرض والسموات.

[خذيدي ياسيد المرسلين

فأنت الأمل يا نور كرم الله المين

لا اتماء لي إلا إليك ياسيدي

وأنطق دليلي: لا إله إلا الله محمد رسول الله]

إلهي! أحب وأتمنى أن يكون لي ألوف من الألسنة مستغفرة عني إلى قيام الساعة. فاجعل يا إلهي! نسخ رسالتي هذه بدلا عني ألسنة لي، مستغفرين ومصلين على النبي بدلا عني مادام القلم وما يسطرون..

إلهي، الذنوب أخرستني، وكثرة المعاصي أخرجتني، وشدة الغفلة أخفت صوتي، فأدق باب رحمك، وأنادي في باب مغفرتك بصوت سيدي وسندي الشيخ عبد القادر الكيلاني وندائه المقبول المائوس عند البواب.

يَا مَنْ وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَا مَنْ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ، وَلَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُوَوِّدُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَسْتَعِينُ بِشَيْءٍ، وَلَا يُشْغِلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُعْزِزُهُ شَيْءٌ، اغْفِرْ لِي كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى لَا تَسْأَلَنِي مِنْ شَيْءٍ. يَا مَنْ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَةِ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَبِيدُهُ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَا مَنْ

هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالظَّاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْبَاطِنُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقَاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، اغْفِرْ لِي كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. وَيَا عَلِيًّا بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبَصِيرًا بِكُلِّ شَيْءٍ. وَيَا شَهِيدًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَرَقِيبًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَطِيفًا بِكُلِّ شَيْءٍ، وَخَبِيرًا بِكُلِّ شَيْءٍ، اغْفِرْ لِي كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطِيئَاتِ حَتَّى لَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّةِ جَلَالِكَ وَبِجَلَالِ عِزَّتِكَ، وَبِقُدْرَةِ سُلْطَانِكَ وَبِسُلْطَانِ قُدْرَتِكَ مِنَ الْفُضَيْحَةِ وَالْأَهْوَاءِ الرَّدِيَّةِ، يَا جَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ أَجْزِنِي مِنَ الشَّهَوَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ وَطَهِّرْنِي مِنَ الْقَادُورَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَصَفْنِي بِحُبِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْمَحَبَّةِ الصَّدِيقِيَّةِ، مِنْ صَدْرِ الْغَفْلَةِ وَأَوْهَامِ الْجَهْلِ حَتَّى تَقْنَى الْأَنْبِيَاءُ، وَيَبْقَى الْكُلُّ لِلَّهِ وَيَاللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ وَمِنَ اللَّهِ عَرَفًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي بَحْرِ مَنَّةِ اللَّهِ مَنْصُورِينَ بِسَيْفِ اللَّهِ مَحْظُوظِينَ بِعِنَايَةِ اللَّهِ مَحْفُوظِينَ بِحِمَايَةِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ يُشْغِلُ عَنْ اللَّهِ.. فَيَا نُورَ الْأَنْوَارِ، وَيَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ، وَيَا مُدَبِّرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَا مَلِكُ يَا عَزِيزُ يَا قَهَّارُ، يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ يَا غَفَّارُ، يَا عَلَامَ الْغُيُوبِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، يَا سَتَّارَ الْغُيُوبِ، يَا غَفَّارَ الذُّنُوبِ، اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَارْحَمْ مَنْ صَافَتْ عَلَيْهِ الْأَسْبَابُ، وَغُلِقَتْ دُونَهُ الْأَبْوَابُ، وَتَعَسَّرَ عَلَيْهِ سُلُوكُ طَرِيقِ أَهْلِ الصَّوَابِ، وَانْصَرَمَتْ أَيَّامُهُ وَنَفْسُهُ رَاتِعَةٌ فِي مَيَادِينِ الْغَفْلَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَدَنِيَّ الْإِكْتِسَابِ.. فَيَا مَنْ إِذَا دُعِيَ أَجَابَ، وَيَا سَرِيعَ الْحِسَابِ، وَيَا كَرِيمُ يَا وَهَّابُ، ارْحَمْ مَنْ عَظُمَ مَرَضُهُ وَعَزَّ شِفَاؤُهُ، وَضَعُفَتْ حِيلَتُهُ وَقَوِيَ بَلَاؤُهُ، وَأَنْتَ مَلْجَأُهُ وَرَجَاؤُهُ.. إِلَهِي إِلَيْكَ أَرْفَعُ بَنِي وَحْزَنِي وَشِكَايَتِي.. إِلَهِي حُجَّتِي حَاجَتِي، وَعُدَّتِي فَاقَتِي وَانْقِطَاعُ حِيلَتِي.. إِلَهِي قَطْرَةٌ مِنْ بَحَارِ جُودِكَ تُغْنِينِي، وَدَرَّةٌ مِنْ تِبَارِ عَفْوِكَ تَكْفِينِي، يَا وَدُودُ يَا وَدُودُ يَا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِئُ يَا مُعِيدُ يَا فَعَالًا لِمَا يُرِيدُ، أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَّرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مُغِيثُ أَغْنِنَا وَاغْفِرْ جَمِيعَ ذُنُوبِي وَسَقَطَاتِ لِسَانِي فِي جَمِيعِ عُمْرِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ آمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. آمِينَ.. آمِينَ..

«يا من يقرأ هذا الاستغفار أولاً لنفسك، فأقرأه ثانياً: بدلا عني في سبيل الله.. فإني في قبوري ساكن، ولساني ساكت ناطق بكتابي مستعيرا لسانك فانطق بحسابي أيضا حسبةً لله...».



# الرسالة العاشرة<sup>(١)</sup>

## القطعة الثالثة من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مِنْ نَسِيمِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ

---

(١) هذه الرسالة بكاملها غير موجودة في الطبعة الأولى، وإنما هي في المخطوط وفي الطبعة التالية وهي رسالة مستقلة في الترجمة التركية. تضم خلاصة لكثير من مباحث رسالة «المدخل إلى النور» والتي فصلت في «الكلمات».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن الله التوفيق لأقوم الطريق.

سبحانك يا من أنطق السماء بحمده وتسبيحه بكلمات النجوم والسيارات.

ويا من أنطق الأرض بحمده وتسبيحه بكلمات الأشجار والنباتات.

وأنطق النبات والشجر بكلمات الأزهار والثمرات..

وأنطق الزهر والثمر بكلمات البذور والنواتات.

وأنطق النواة والبذر بلسان السنابل وكلمات الحبات.

سبحانك يا من يسبح بحمدك الضياء بأنواره، والهواء بأعصاره، والماء بأنهاره،

والأرض بأحجاره، والنبات بأزهاره، والشجر بأثماره، والجو بأطياره،

والسحاب بأمطاره، والسماء بأقماره.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبراس<sup>(١)</sup> الأنبياء، وزبرقان<sup>(٢)</sup> الأصفياء ونير<sup>(٣)</sup>

الأولياء، وشمس الثقلين، وضياء الخافقين<sup>(٤)</sup>. وعلى آله نجوم الهدى،

وأصحابه مصابيح الدجى.

(١) النبراس: المصباح.

(٢) زبرقان (بكسر الزاي والباء): أي القمر.

(٣) نير (بفتح النون وتشديد الياء): المقصود الشمس.

(٤) أفق المشرق والمغرب.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا من يضيق ذهنه عن فهم سر ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك: ٥) أن للصعود إلى سماء هذه الآية سلماً ذا درجات سبعة:

**الأولى:** أن للسموات سكانا يناسبونها يسمّون بالملائكة، إذ امتلاء الأرض -مع حقارتها بالنسبة إلى السماء- من ذوي الحياة والإدراك، يشير بل يصرح بامتلاء السموات ذات البروج -تلك القصور المزينة- من ذوي الإدراك.

وكذا إن تزيين الكائنات بجميع هذه التزيينات والمحاسن والنقوش مستلزماً لوجود أنظار متفكرين مستحسنين بالخير والتقدير؛ إذ لا يُظْهَر الحُسن إلّا لعاشق، كما لا يُعطى الطعام إلّا لجانع، مع أنه لا يكفي الجن والإنس لعشر معشار عَشِير هذه الحشمة والوظيفة، بل لا تقوم بها إلّا ما لا يُعد من أنواع الملائكة والروحانيات.

**الثانية:** أن للأرض علاقةً مع السماء ومعاملةً معها وارتباطاً يجيء منها إليها أشياء، من الضياء والحرارة والبركات وغيرها. فبالحدس القطعي نعلم أن للأرضيين طريقاً يصعدون فيها إلى السماء، إذا خفوا بوضع أثقالهم وخلع أجسادهم كالأنبياء والأولياء والأرواح.

**الثالثة:** أن سكونة السماء وسكوتها وانتظامها واطرادها تدل على أن أهلها ليسوا كأهل الأرض التي فيها اضطرابٌ وتذبذب واختلافات وامتحان بمشاجرات، بسبب اختلاط الأشرار بالأخيار واجتماع الأضداد، بل كل أهل السماء مطيعون يفعلون ما يؤمرون.

**الرابعة:** أن لملك يوم الدين ولرب العالمين أسماء متغايرة أحكامها، فالاسم الذي اقتضى إنزال الملائكة للمحاربة في صف الصحابة مع الكفار، يقتضي وقوع المحاربة بين الملائكة والشياطين؛ أي السماويين الأخيار والأرضيين الأشرار. ألا ترى السلطان كيف يفعل؟ إذ قد يقتضي شأن سَطوته واسم حشمته تشهير استحقاق المكافأة والمجازاة على رؤوس الأشهاد، أو إعلان تعظيم بعض خدامه، بأن لا يعاملهم بعلمه بهم فقط، ويتكفونه الخاص، بل يأمر الوزير فيحشد الناس لميدان مبارزة محتشمة، وامتحان علوي، واستقبال سياسي.

**الخامسة:** أنه لا بد أن يقلد أشرار الروحانيات أخيارهم في تثبيت الذهاب إلى مملكة السماء لللطافتهم، ولا بد أن لا يقبلهم أهل السماء، بل يطردونهم لشراراتهم. ولا بد في حكمة

(١) تفصيل هذا البحث في «الكلمة الخامسة عشرة» و«الكلمة التاسعة والعشرين».

سلطنة الربوبية أن يكون لهذه المبارزة المعنوية والمعاملة المهمة علامة وإشارة في عالم الشهادة لإشهاد الإنسان الذي أهمُّ وظيفته المشاهدة والشهادة مع أنه لا يرى فيما بين الحادثات السماوية أنسب من إعلان هذه المبارزة العلوية من رمي الشهب المشابهة للمنجنقات المُرماة من بروج الحصون الرفيعة، مع أنه لا يرى لهذه الحادثة حكمة تناسبها غير هذه الحكمة المشهورة المشهودة لجميع أهل الحقيقة، خلاف سائر الحادثات.

السادسة: أن القرآن الحكيم المعجز يرشد البشر ويزجره من العصيان بأسلوب غال ومثل عال.. فانظر إلى إنذار ﴿يَمَعْشَرِ الْغَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣). الآية في تعجيز الثقلين، وإعلان عجزهما في جنب وسعة سلطنة الربوبية، كأنه يقول: أيها الإنسان الحقير الصغير العاجز! كيف تعصي سلطانا يطيعه الشمس والأقمار والنجوم والملائكة الذين يرجون الشياطين ببندق كأنها جبال بل أعظم! وكيف تتجاسر على العصيان في مملكة سلطان؛ من جنوده من يقتدر أن يرمي في وجه الأعداء بنجوم في عظمة أرضكم كما ترمي جورك وبندقك.

السابعة: أن النجم الكامل والسمك له أفراد في غاية الصغر وفي غاية الكبر. فكل ما يضيء في وجه السماء فهو نجم، فمن هذا النوع ما يُزَيَّن به السماء كالجواهر والأثمار والأسماك<sup>(١)</sup> ومنه ما يُرجم به الشياطين كالمنجنقات المُرماة للطرد، أو للإشارة إلى وجود الحارسين المتيقظين المطيعين المجتنبين عن اختلاط العاصين، أو للرمز إلى جريان قانون المبارزة في أوسع الدوائر.. والله الحجة البالغة والحكمة القاطعة.

اعلم أن الآيات المصرَّحة بكتابة الأشياء قبل كونها وبعد كونها كثيرة، كأمثال ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩). ويصدقها منظومات مكتوبات كتاب الكائنات وموزونات آياتها، لاسيما آيات النظام والميزان والانتظام والتصوير والتزيين والامتياز.

أما قبل الكون، فالدليل جميع المبادي والبذور وجميع المقادير والصور، إذ ما البذور إلا صُنيدقات لطيفة أودعت فيها فهرستة ما رسمه القدر، فتبني القدرة وتستخدم الذرات على هندسته. وما المقادير إلا مكتوبات قدرية منظومة، وقوالب علمية موزونة؛ إذ الذرات

(١) أي إن هذه الأفراد الكثيرة لنوع النجم تزيّن وجه السماء وتتلأأ كالجواهر، كما تزيّن الأثمار البساتين الغناء والأسماك البحار.



الصم العمي الجامدة تتحرك في نمو الأشياء ثم تتوقف عند حدود معوجة، توقف سميع بصير بمظانّ الفوائد والثمرات. وهكذا فقس كثرة براهين الكتابة قبل الكون.

وأما الدليل على الكتابة بعد الكون؛ فمن العالم جميع الثمرات التي هي كمطويات صحائف أعمال الأشجار والأزهار، تنشر على رأس الأشهاد ما جرى على رؤوس أصولها، إذا دُفنت في الأرض وحُشرت في الربيع. ومن الإنسان قوّته الحافظة التي هي في محل كالحردة في الصغر، وما هي إلا كسند استنسخته يد القدرة بقلم القدر من صحيفة الأعمال، وأعطته ليد الإنسان ليتذكر به وقت المحاسبة، وليطمئن أن خلف هذا الهرج والمرج والفناء والزوال مرايا للبقاء رسم فيها القدير هويات الزائلات، وألواح يكتب فيها الحفيظ العليم معاني الفانيات.

**اعلم** أنه كما أن الساعة غير ثابتة بل متزلزلة مضطربة الآلات، كذلك الدنيا التي هي ساعة كبرى أيضا متزلزلة؛ فيادرّاج الزمان فيها صار «الليل والنهار» كميلين يعدّان ثوانيهما، و«السنة» إبرة تعدّ دقائقها، و«العصر» كإبرة تعد ساعاتها. وبادرّاج المكان فيها صار «الجو» بسرعة تغيره وتحوله وتزلزله كميل الثواني، و«الأرض» بتبدل وجهها نباتا وحيوانا موتا وحياة كميل الدقائق، وتزلزل بطنها وتولد «جبالها» كميل الساعات. و«السماء» بتغيراتها بحركات أجرامها وظهور ذوي الأذنان والكسوفات والشهابات كالميل الذي يعد الأيام.

فالدنيا المبنية على هذه الأركان السبعة - مع أنها واصفة لشؤونات الأسماء ولكتابة قلم القدرة والقدر - فانية هالكة متزلزلة راحلة كالماء السيل في الحقيقة. لكن تجمّدت - صورة - بالغفلة، وتكدّرت بالطبيعة فصارت حجابا عن الآخرة.

فالفلسفة السقيمة والمدنية السفهية تزيدان جمودتها وكُدورتها بالتدقيقات الفلسفية والمباحث الطبيعية. وأما القرآن فينفش الدنيا كالعن المنفوش بآياته، ويشفّفها ببيّناته، ويذبيها بنبراته، ويمزق أبعديتها الموهومة بنعياته، ويفرق الغفلة المولدة للطبيعة برعدهاته. فحقيقة الدنيا المتزلزلة تقرأ بلسان حالها المذكورة آية

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

**اعلم** أن مميّز الإنسان عن الحيوان شمولُ علاقته بالماضي والمستقبل، وكنية إدراكه بالأنفس والآفاق.. وكشفه لترتب العلل الظاهرية في إنشاء الأشياء الظاهرية. فأعظم وظيفته وأقدمها،<sup>(١)</sup> وأتم جهازاته وألزمها؛ التسبيحُ والتحميدُ بالجهاز المخلوق لهما، فيسبح الإنسان صانعه بلسان الماضي والحال والمستقبل، وبألسنة الأنفس والآفاق.<sup>(٢)</sup> وبسر مشاهدته لتسبيحات المخلوقات وشهادته عليها يُثني على صانع الأشياء بقراءة أسمائه المكتوبة بالترتيب والترتب في حكمة صنْع الأشياء. ف«سبحان الله» يتضمن معنى الحيرة والتقدير، ومعنى التعجب والاستحسان، ومعنى التنزيه والتقديس، ومعنى الهيبة مع المحبة، ومعنى المجهولية للعظمة.

**اعلم** أن الله عطايا وقضايا ومقدرات.. ينفذ العطاء في القضاء، والقضاء في القدر. أي يخرق العطاء قانونَ القضاء. كما تنخرق صلابَةُ الحجر والتراب عند مرور العروق اللينة، وتنكسر مقاومةُ الحديد للميل اللطيف من الماء اللطيف عند الانجماد، ويُخرق لسهم القضاء قانونُ القدر كما ينخرق القانونُ الكلي الذي هو قَدْرُ النوع بشذوذ الجزئيات الخارقة المخصصة للإشارة إلى أنه سبحانه فاعلٌ مختار، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ، لا مانع لما أعطى، ولا رادّ لما قضى.. فنسبة العطاء إلى القضاء كنسبة القضاء إلى القدر، أي العطاء شذوذٌ عن قانون القضاء كما يقول العارف بحقيقة الحال: «يا إلهي إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك. لولا عطاؤك لكنت من الهالكين». أي استعداد النفس الأمانة بالسوء قانون شر وهلاك.

**اعلم** أن السر في تختم الآيات بفذلكات متضمنة للأسماء الحسنى كأمثال آية الملك، أو بعين الأسماء كما في كثير من الآيات، هو أن القرآن الحكيم بيانه الإعجازي يسط الآثار للنظر، ثم يستخرج منها الأسماء، كأمثال آية ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧).

وكذا ينشر للبشر منسوجات صنعه، ثم يطويها في الأسماء.

وكذا يفصل أفاعيله ثم يَجْمَلُها بأسمائه.

(١) أي أولى الوظائف وأهمها (ت: ١٨٨).

(٢) أي إن الإنسان يحمده ويُسَبِّحُه بما أنعم عليه في الماضي والحال وما سينعم عليه من نعم في المستقبل، وبما يجده منها في نفسه أو في الآفاق (ت: ١٨٨).

وكذا يرتّب المخلوقات ويشقّفها بإراءة النظام والميزان والفوائد، ثم يريك فيها الأسماء كأن تلك المخلوقات ألفاظٌ، وهذه الأسماء معانيها أو ماؤها أو نواتها إيجادا وخلاصتها علما. وكذا يذكر الجزئيات المادية المتكيفة المتغيرة، ثم يُجولها بالأسماء الكلية النورانية الثابتة.

وكذا يفرش الكثرة المتوسعة المنتشرة، ثم يضع عليها مظاهر الوحدة كجهة الوحدة. وكذا يُظهر بإظهار غايات المسببات بُعد ما بين الأسباب والمسببات المتصلتين في الظاهر، كما يرى تماسُّ الأفق بالسماء في ظاهر النظر، مع أن ما بينهما مسافة مدهشة. إذ لا طاقة لأعظم الأسباب بذاته على حمل أخف المسببات، فيُظهر القرآن بإظهار هذا البُعد محلّ ظهور الأسماء ومطالعها.

وكذا قد يذكر أفاعيل الخلق فيهدّد، ثم يسلي بأسماءٍ تشير إلى الرحمة.. وقد يذكر مقاصد جزئية، ثم يقررها بأسماء هي كالقواعد الكلية والبراهين عليها.<sup>(١)</sup>

**اعلم<sup>(٢)</sup>** أن العجز كالعشق طريقٌ موصلٌ إلى الله بل أقرب وأسلم. ثم إن أهل السلوك سلكوا في طرق الخفاء على اللطائف العشرة، وطرق الجهر على النفوس السبع.. وهذا العاجز استفاد من القرآن طريقا قصيرا، وسبيلا سويا هو أربع خطوات:

الخطوة الأولى: ما أشارت إليها آية ﴿فَلَا تَزْكُرُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢).

والثانية: ما أشارت إليها آية ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩).

والثالثة: ما أشارت إليها آية ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩).

والرابعة: ما أشارت إليها آية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨).

وإيضاحه: أن الإنسان بحسب جبلته محبٌ لنفسه، بل لا يحب بالذات - في الأول - إلّا ذاته، فيمدح نفسه مدحا لا يليقُ إلّا بالمعبود، ويدافع عن نفسه بشدة وينزّها عن المعاييب ولا

(١) الكلمة الخامسة والعشرون، رسالة «المعجزات القرآنية» تفصّل هذه المسائل بأمثلة كثيرة.

(٢) تفصيله في ذيل «الكلمة السادسة والعشرين».

يقبل القصور لها ما أمكنه، حتى كأنه يصرفُ الجهاز المخلوق فيه لحمد معبوده وتسبيحه إلى نفسه، كـ ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ (الجاثية: ٢٣). فلا بد من تزكيتها هنا بعدم تزكيتها.

والثانية: نسيان النفس في مقام الكلفة والخدمة، وشدة التزامها في مقام أخذ الأجرة والحفظ. فتزكيتها عكس هذه الحالة أي عدم النسيان في عين النسيان.

والمرتبة الثالثة: لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، ويرى كل المحاسن نعمًا من جانب فاطره تقتضي الحمد لا الفخر، فتزكيتها في هذه المرتبة؛ علمها بأن كمالتها في عدم كمالتها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها.

والخطوة الرابعة: درك أنه في نفسه وبالمعنى الاسمي فإن مفقودٌ حادثٌ معدومٌ، وبالمعنى الحرفي - والمرآتية لأسماء صانعه - شاهدٌ مشهودٌ وواجدٌ موجودٌ. فتزكيتها هنا معرفة أن عدمها في وجودها، ووجودها في عدمها، ووردتها: «له الملك وله الحمد».

وكذا إن مشرب أهل وحدة الوجود يذهب إلى إعدام الكائنات بنفي وجودها، ومشرب أهل وحدة الشهود يذهب إلى حبس الموجودات في سجن النسيان المطلق.. وأما ما أفهم من منهج القرآن فهو عفوها عن الإعدام والحبس، بل استخدامها في وظائف إعلان الأسماء الحسنى بالمظهرية والمرآتية؛ بالمعنى الحرفي وبحسابه تعالى، وعزلها عن الخدمة بالمعنى الاسمي وبحساب نفسها.

ثم إن الإنسان في وجوده دوائر متداخلة ومصنوعات متراكبة؛ إذ هو نبات، وحيوان، وإنسان، ومؤمن.. فالمعاملة للتزكية قد تقع أولاً في الطبقة الرابعة الإيمانية. ثم تتنازل إلى النباتية التي هي شديدة المقاومة، وقد تقع المعاملة في الكل في اليوم والليلة. ومما غلط فيه الإنسان عدم الفرق بين تلك المراتب فيقول: خُلق لنا ما في الأرض جميعاً؛ فأولاً يغلط بظن انحصار الإنسانية في معدته النباتية أو الحيوانية، ثم يغلط بانحصار غايات الأشياء في ما يؤول إلى نفسه. ثم يغلط بتقدير قيمة الأشياء بمقياس مقدار منفعتها منها، فلا يشتري نجم الزهرة بزهرة مشمومة.

اعلم<sup>(١)</sup> أن العبودية نتيجة النعمة السابقة وثمرتها، لا مقدمة المكافآت اللاحقة ووسيلتها.

(١) تفصيله في الثمرة الثانية من الغصن الخامس للكلمة الرابعة والعشرين.

أيها الإنسان! أخذت أجرتك؛ إذ صنعك هكذا في أحسن تقويم ثم تعرّف إليك بإعطاء الإيمان.

نعم، كما أنه بإعطاء المعدة أنعم عليك بجميع المطعومات.. كذلك بإعطاء الحياة صير لك عالم الشهادة سُفرة مملوءة من النعم. فانظر إلى تفاوت السُفرتين. وكما أنه بإعطاء النفس الإنساني جعل لهذه المعدة عوالم المُلْك والملكوت مائدة مشحونة بالنعم.. كذلك بإعطاء الإيمان فرّش لك مع الموائد المزبورة موائد مدخرات كنوز أسماؤه.. وبإعطاء محبته فتح لك ومنحك ما لا يوصف، فإذا أخذت مثل هذه الأجرة، فعليك بالخدمة. فإذا أعطاك بعد العمل نعمة أخرى فما هي إلّا من محض الفضل.

**اعلم** أن ما يشاهد من الجود بلا حساب في تكثير أفراد الأنواع، لاسيما في صغار المخلوقات مع كمال الإتيان وحسن الانتظام، يشير بل يصرّح بعدم التناهي في تجليات الصانع، وبمباينة ماهيته، وبتساوي الأشياء بالنسبة إلى قدرته، وبوجوبه.

نعم، ما هذا الجود والإيجاد إلّا من ذلك الوجوب ومن برهانه. والجود في النوع جلالي، والإتيان في الفرد جمالي.<sup>(١)</sup>

**اعلم** أن الصنعة الإنسانية تسهّل على الصانع بدرجة علمه بها، وتعرّس بمقدار جهله، لاسيما في المصنوعات اللطيفة الدقيقة الجهازيات. فكلما كان أعلم كانت عليه أيسر وأسهل. فما يُشاهد من السهولة بلا حدّ في السرعة المطلقة والوسعة المطلقة في خلق الأشياء المنتظمة، يدل قطعاً وحدها على أن لصانعها علماً لا نهاية له. كما تشير إلى تلك السهولة آية ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ (القمر: ٥٠).

**اعلم** أنه كما أن من لفّ على مصنوع أو مصنوعات لفائف مصنوعة، وألبس مكنونة مزينة أو مكنونات أقمصّة نسجت من جنس مادتها -كالجلود- وأدرج متولدات منحوتات من بطون متراكمة في أجوافها، لا شك ولا ريب أن المظروف كالظرف، والمحاط كالمحيط صنع واحد وماله وملكّه.

(١) أي يتجلى جلاله سبحانه إذا نظر إلى النوع -بأفراده الكثيرة- أما إذا ما أنعم النظر في كل فرد فيتجلى جمال الإتيان في الصنعة. ففي الفرد يتجلى الجمال وفي النوع يتجلى الجلال.

كذلك لا شك ولا ريب أن من لفَّ لفائف الوحدة الاتصالية والنوعية على الكثرة، كوحدة الكل والكلي والظرف.. وكذا ألْبَسَ على قامات جماعات هذه المصنوعات المثورة أقمصَة هذه العناصر التي كأمهاتها.. وكذا أدرج هذه المخلوقات لاسيما الحيوانات التي هي تماثيل مصغرة لهذه العوالم الكبيرة في أجواف تلك العوالم اللواتي هن كأبنية متداخلة ضُربت على موجودات هن كثمراتها أو نواتاتها، ما هو إلا واحدٌ أحدٌ صمدٌ يتجلى على المحيط بالواحدية، وعلى المحاط بالأحدية.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أنه كما أن للسلطان عنواناتٍ متنوعةً لحاكميته في دوائر حكومته وطبقات رعيته ومراتب سلطنته ووظائف أميريته، كأنه موجودٌ حاضرٌ ومشهودٌ ناظرٌ في كل دائرة وخلفَ كلَّ حجابٍ بممثله وقانون نظامه، كذلك مثلاً: - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - إن من له الأسماء الحسنى، له تجلٍ في عالمٍ عالمٍ بعنوان اسمٍ من أسمائه الحسنى ويستتبع ذلك الاسم في دائرة سلطنته سائر الأسماء بل يتضمنها.. وكذا يتصرف في كل طبقة طبقة كلاً وجزءاً، كلياً وجزئياً بتجلٍ خاص في ربوبية خاصة بجلوات اسم خاص، أي يتجلى عليه بخصوصية كأنه يخصّه، مع أنه يعمُّ ويحيط.

وله سبحانه في مراتب ربوبيته شؤوناتٌ متناظرة.. وله في سرادقات ألوهيته أسماء متعاكسة.. وله في مرايا حشمته تمثيلاتٌ متفاوتة.. وله في تصرفات قدرته عنوانات متنوعة.. وله في تجليات صفاته ظهورات متزاهرة. وله في جلوات أفاعيله تصرفات متظاهرة.. وله في تنويع مصنوعاته ربوبيات متدائرة على تجلي الأحدية على جزئيات محاط الواحدية، كما أشار إلى هذه الحقيقة العظيمة الواسعة ترجمانُ لسانِ القدم في مناجاته في «الجوشن الكبير»<sup>(٢)</sup> وهذه المناجاة مشتملة على تسعة وتسعين عقدة، وصَدَفٌ، كلٌّ منها متضمنةٌ لاثني عشر من جواهر التوحيد صريحاً أو ضمناً؛ إذ إذا نودي أحدٌ بوصفٍ مطلق في مقام التعيين يدل على انحصار الوصف فيه. مثلاً: «يا دائم» أي يا من لا دائم في العالم إلا هو. فله سبحانه حُجُبٌ نورانية إلى سبعين ألفاً، كما روي<sup>(٣)</sup>.. ولوجود المنافذ في الحجب والتناظر في الشؤون والتعاكس في

(١) تفصيله في الفصن الأول من «الكلمة الرابعة والعشرين» وفي «الكلمة الحادية والثلاثين».

(٢) الجوشن: لغة: الصدر والدرع. والمقصود هنا مناجاة الرسول ﷺ المروية عن علي بن الحسين الملقب بـ«زين العابدين» رضي الله عنه.

(٣) انظر: أبو يعلى، المسند ١٣ / ٥٢٠؛ الطبراني، المعجم الأوسط ٦ / ٢٧٨، ٨ / ٣٨٢؛ الروياني، المسند ٢ / ٢١٢؛ ابن أبي عاصم، السنة ٢ / ٣٦٧؛ الطبري، جامع البيان ١٦ / ٩٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد ١ / ٧٩.

الأسماء، والتداخل في التمثيلات، والتمازج في العنوانات، والتشابه في الظهورات، والتساند في التعريفات، والتعاضد في الربوبيات، وتجلي الأحدية في إحاطة الواحدية، لزم البتة لمن عرفه سبحانه في واحد مما مرّ، أن لا يستنكره في سائر ذلك، بل يفهم بالبدهة أنه هو هو.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

**اعلم** أن من عجائب جامعة فطرة الإنسان، أن أدرج الفاطر الحكيم في هذا الجرم الصغير موازين لا تُعدّ، لوزن ما لا يُحدّ من مدخرات رحمته. وأدمج فيه آلات لا تُحصى جهازاتها المعنوية لفهم ما لا يتناهي من مكنونات كنوز أسماؤه الحسنى.

انظر إلى حواسك العشرة كيف أحاطت بألوان عوالم المسموعات والمبصرات والمذوقات وغيرها.. وكذا أعطاه جزئيات صفات وأحوال من الإرادة والعلم والسمع وغيرها لفهم صفاته المحيطة وشؤونه الواسعة.. وكذا لفّ على أنانيته لفائف بعدد العوالم وألوانها، ليعرف حالها بتلك اللطائف.. وكذا أليس على قامة ماهيته أقمصّة بعدد حُجب الربوبية ليترقى فيها بقطعها.. وكذا أودع فيه لطيفة مُدرّكة، بصورة عجيبة، بحيث تصوير الحافظة التي هي في صغر الخردلة كعالمٍ واسع، تسير تلك اللطيفة في تلك الخردلة دائماً، ولا تصل إلى ساحلها. ومع ذلك قد يضيق على تلك اللطيفة هذا العالم الكبير، فتحيط هي بهذا العالم، وتحيط بها وبجميع ميادين جولانها ومكاتب مطالعتها هذه الخردلة. فسبحان من صغرها بلا غاية في عين كبرها بلا نهاية. ومن هذا السر، تتفطن لتفاوت مراتب الإنسان؛ فمن الإنسان من يغرق في دَرّة، ومن الإنسان من تغرق فيه الدنيا.

ثم إن الإنسان قد يفتح بمفتاح من مفاتيحه الموهوبة عالماً واسعاً من أبسط ما انتشرت إليه الكثرة، فيضل فيها فلا يصل إلى الوحدة والتوحيد إلّا بعسر عظيم. فللإنسان في معناه وسيره الروحي طبقات؛ ففي طبقة يتيسر له باليسر والسهولة الحضور والتوحيد، وفي طبقة أخرى تستولي الغفلة والأوهام، وقد تتسع عليه الضيقة بحيث يغرق في الكثرة غرقاً تاماً، فينسى الوحدة رأساً. وإن المدنيين الذين توهّموا السقوط ترقياً، والجهل المركب يقينا، والانغماس التام في النوم انتباها، هم في هذه الطبقة السفلى. فهم أبعد بدرجات من البدوين من ذلك الحقائق الإيمانية.

**اعلم** أن الواحدية تدل على أن الاسم يحيط بكل شيء، وأن الأحدية تدل على أن كل شيء حيّ يشير إلى كل اسم له تعلق بالكون، فالتجلي بالواحدية بإحاطته بكل الأشياء، وبالأحادية بإراءة كل شيء لكل الأسماء.

**اعلم** أن أكثر مظاهر الجلال تجلي الأسماء على الكل والكليات والأنواع والجماعات. والوجود المطلق في النوع من تجلي الجلال. وأن أغلب مرايا الجمال المتجلي نقوش جزئيات الموجودات، وجمال أشخاصها مع تزايد الحسن، وجلاء المراتبة بتلاحق الأمثال في تكثير الأفراد، والإتقان والانتظام الأجل في شخص شخص من تجلي الجمال.. وكذا يظهر الجلال من تجلي الواحدية؛ ويظهر الجمال من تجلي الأحدية. وقد يتجلي الجمال من الجلال كما يتجلي الجلال من الجمال.. فما أجمل الجلال في عين الجمال، وما أجمل الجمال في عين الجلال!

**اعلم** أن شهود البصر للمصنوع المصنّع المرصّع مع عدم شهود البصيرة لصانعه ليس إلّا؛ إما لعدم البصيرة أو عماها، أو ضيقها من عظمة تصور المسألة، أو للخذلان. وإلّا فهو<sup>(١)</sup> أنكر من إنكار شهود البصر، كالسوفسطائي بل أشنع وأكمه.<sup>(٢)</sup>

**اعلم** أنه كما أن من زرع بذرا في مزرعة، وعمّتها حبّات البذر ولو منمنمة،<sup>(٣)</sup> تكون المزرعة محميّة له، ومصنونة من تصرف الغير بالزرع مرة أخرى، حتى كأن البذر سورّ معنوي.. كذلك كل نوع من أنواع النباتات والحيوانات المزروعة المبثوثة في مزرعة الأرض والمنشورة المنشورة في أكثر وجهها، سورّ يمنع الشربة، وحارس يطرد الغير، وحام يرذّ الأوهام. فكيف بتساند المجموع، وتعاضد الجميع بتلاحق الشواهد وتعانق الأفراد؟!

**اعلم** أنه كما أن من يحب أن يشاهد في رياض جنته وحديقته المنتظمة صورة القفار الغير المنتظمة، ومثال أحجارها الموحشة، وتمائيل اعوجاجاتها المشوشة؛ لإظهار لطافة تنظيّماته، قد يصنع فيما بين منظومات بستانه صخور الكهف بتنحيّات مشوشة، فكما أن انتظامها هنا في عدم انتظامها. لكن يفتن المدقّق أن تنظيم هذا بعدم الانتظام إنّما هو بقصد ناظم حكيم؟

كذلك إن ما يُشاهد فيما بين المخلوقات المنظومة والمصنوعات الموزونة، من القفار

(١) أي عدم شهود البصيرة للصانع، أي إنكار الصانع!

(٢) كمه، كمها: عمى، أكمه: أكثر عمى، وشبه بالسوفسطائي لأنه ينكر وجود الأشياء بل حتى نفسه.

(٣) منمنمة: صغيرة الحبوب.



المختلفة الأشكال المشوشة، ومن الجبال والآكام متفاوتة الأحجار البعيدة عن النظام؛ بدرجة تتوهم النظرة الحمقاء الظاهرية أن لعبت بها يد التصادف، ما هي إلا منتظمة بعدم التنظيم، ومشوشيته السطحية بقصد صانع حكيم وفاطر عليم، بشهادة إحاطة المنظومات والموزونات بها وفرشها عليها، كنظم الدرر المنظومة على نحور الجواهر المثورة لإظهار شعشة الصنعة المنتظمة، وكإراءة شدة الظلمة لتلك النيرات. فانظر إلى الأشجار ذوات الأشواك، وإلى النباتات المجهزة برماح أشواكها لدفع أكل النباتات، حتى ترى انتظاما عجيبا في عدم انتظامها، ولطافة ظريفة في خشونتها الموحشة. ومن أمارات كون عدم الانتظام - كالانتظام - بقصد صانع حكيم؛ عدم توافق شكل بعض لبعض بدرجة كأن كل فرد من نوع مستقل منحصر في ذلك الشخص، مع اتحاد النوع وتأخذ أسباب التوافق. فعدم التوافق دليل عدم الاتفاقية وعدم التصادف.

**اعلم** أن من مزايا جامعية فطرة الإنسان، ومن مميزاته على سائر الحيوان، فهمه لحيات ذوي الحياة لواهب الحياة. أي أنه كما يفهم كلام نفسه، يفهم بسمع الإيوان جميع كلمات ذوي الحياة المسبّحات، بل الجمادات. فكلُّ منها يفهم كلام نفسه فقط - على ما يظهر - كمتكلم أصمّ من هذه الجهة. وأما الإنسان فمتكلم سميع يسمع في وسعة البصر، أي يمكن له أن يسمع في وقت بلا مزاحمة ما تتكلم به الموجودات من أدلّات الأسماء الحسنی. فقيمة كلِّ منها بمقدار نفسه؛ وقيمة الإنسان المؤمن بمقدار الكل. فهو فردٌ كنوع، بل كأنواع.. والله أعلم بالصواب..

**اعلم** أن الحقيقة تشبه الظاهر في الصورة، مع عظمة بُعد ما بينهما في نفس الأمر. مثلا: التوحيد العامي الظاهري يُثبّت بأن لا يُثبّت ولا يُسند شيء من الأشياء إلى غيره تعالى، وهذا النفي سهل بسيط. وأما التوحيد لأهل الحقيقة فإنما يُثبّت بأن يُثبّت كل شيء مما يشاهد من الأشياء ويسنده إليه سبحانه، ويرى فيه سكّته ويقرأ عليه خائمه جلّ جلاله. وهذا الإثبات يُثبت الحضور وينافي الغفلة.

**اعلم** أن من حكمة إمهال الكافر المتوجّه بالمعنى الاسمي والقصد الذاتي إلى هذه الحياة الدنيوية؛ خدمته لتظاهر ألوان نعمه تعالى الحاصلة بالتركيب الصنعي، وإن لم يشعر هو..

وكذا تنظيمه لمحاسن جميلات مصنوعاته تعالى، وإن لم يفهم هو.. وكذا تشهيره -بطرٍ جالبٍ للنظر- لغرائب صنعته سبحانه، وإن لم يتفطن هو.. كالساعة تعلّمك عدد الساعات وهي لا تعلم ما تعمل هي.

**اعلم** أنه يمكن أن يذهبَ الموفق من الظاهر إلى الحقيقة بلا مرور على برزخ الطريقة؛ وقد رأيتُ من القرآن طريقاً إلى الحقيقة بدون الطريقة، أي المشهورة. وكذا رأيت طريقاً موصلاً إلى العلوم المقصودة بدون المرور على برزخ العلوم الآلية.. نعم، ومن شأن الرحمة الحاكمة أن تُحسّن لأبناء هذا الزمان -السريع السير- طريقاً هكذا قصيراً سليماً.

**اعلم** أنه كما أن وجودَ الشيء وحياته برهانٌ باهر على وجوب وجود موجدِهِ وصفاته، وآيةٌ نيرة على أنه وحده، أي له كل شيء، وحجةٌ قاطعة لأيدي الأسباب.. كذلك فناءُ الشيء وموته في تجدد الأمثال برهانٌ ظاهر على بقاء المبدئ المعيد الوارث الباعث، ودليلٌ واضح على أنه لا شريك له -أي ليس لشيء من الأشياء شيءٌ من الأشياء من جهة الخلق والإيجاد- وحجة قاطعة لأيدي أنفس الأشياء من التأثير في أنفسها.

الحاصل: أن الحياة تقول: «لا إله إلا هو وحده»، وتردّ الأسباب.. وأن الموت يقول: «لا إله إلا هو لا شريك له»، ويردّ الأنفس.

**اعلم** أن من وظائف حياة الإنسان؛ شهوده لتحيات ذوي الحياة لواهب الحياة. ثم الشهادة عليها، أي يشاهد عبادة الكل فيشهدُ عليها ويُعلنها كأنه ممثل الكلّ ولسانهم، يخبر الكلّ بعمل الكلّ في الإعلان لدى سيدهم.

**اعلم** أن القرآن والمنزل عليه القرآن يبحثان عن مسائل عظيمة، ويشتان حقائق جسيمة. وبينان أساسات واسعة؛ كأمثال إثبات وحدانية مَنْ يطوي السماء ﴿كَطَيَّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧).. ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ (النحل: ٧٧) بالنسبة إليه. و ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (الإسراء: ٤٤) و ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: ٥٤).. ﴿وَيَحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ١٩) ويحشر في تلك الأحياء أزيد من ثلاثمائة ألف حشر ونشر وقيامات، بإحياء أنواع النباتات والحيوانات،

وكتابتها على صحيفة الأرض في نهاية الاختلاط والاشتباك، مع غاية التمييز بلا خبط ولا غلط. مع أنّ حشر واحد من تلك القيّامات المشهودّة ليس بأهونَ من حشر طائفة الإنسان، إذ يزيد عددُ طائفةٍ واحدة من طوائف الذباب الذي يوجد في عمر سنة على عدد الإنسان في عمر الدنيا. وكذا يقولان: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ \* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ (الزمر: ٦٢-٦٣) و ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦) .. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٨) ويقولان: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٨) .. وهكذا من عظام المسائل المبرهنة المهمة، فليس نظرهما في الكائنات كنظر الفنون الفلسفية والعقول الإنسانية، بل مثلها كمثل من يعرفك صنعةً لتعريف صانعه، والمصنوع في قبضته يقلّبه، ويريك باطنه وصحائفه وتلافيفه وغايات جهازاته عند صانعه، ويعلمك كتابا بمعانيه وإشاراته .. ومثل الإنسان وفلسفته كمثل من يعرفك مصنوعا بعيدا من يدكما<sup>(١)</sup> ومن فهمكما - وإنما يصل نظركما إلى سطحه ولا ينفذ إلى باطنه - فيلقمك مسائل سطحية كوساوس شطحية لا تسمن ولا تغني، وكمثل أجنبي أعجمي لا يعرف من العربية كلمة، لكن له معرفة بمناسبات النقوش والصور، فشرع يعلمك كتابَ الفصوص المذهب ببيان مناسبات نقوش الحروف، وكيفية صورها ووضعيتها بعض إلى بعض. وهكذا، من سفاسف واهية صورية.

فإذا كان هذا هكذا؛ فلا تجعل مقاييس العلوم الإنسانية محكًا لحقائقها،<sup>(٢)</sup> ولا تزنها بميزانها؛ إذ لا توزن الجبال الراسيات بميزان الجواهر النادرات، ولا تطلب تزكيتهما بها بجعل دساتيرها الأرضية مصداقا على تلك النواميس السماوية. فلا تظنن التزلزل بتحريك الأهواء الضالة لبعض التفرعات الجزئية، فأهمية الشيء بقدر قيمته.

**اعلم<sup>(٣)</sup>** أيها المصاب ببليّة دامت من مدة! لا توزّع من جنود صبرك وقوّته، في مقابلة ما مضى إلى يومك هذا، بل إلى ساعتك هذه؛ إذ التحقت تلك الأيام الأليمة الخالية إلى صف جنودك بانقلابها لذائد معنوية وحسناتٍ أخروية. وكذا لا توزّع من صبرك في مقابلة ما يأتي بعد يومك هذا، بل ساعتك هذه. إذ هو عدمٌ ومعدومٌ وفي يد المشيئة. فأجمع جميع قوة صبرك وجنوده على هذا اليوم، وفي هذه الساعة، مع تقوي قوتك المعنوية بالتحاق جنود

(١) أي بعيدا عن يد الإنسان وفلسفته.

(٢) أي القرآن والمنزل عليه القرآن ﷺ. وتفصيل هذه المسائل في «الكلمة الثانية عشرة».

(٣) تفصيل هذه المسألة في «الكلمة الحادية والعشرين».

البلايا الأعداء إلى جنودك بانقلابها أحباباً ممدّة، مع الاستمداد من التوكل على المالك الكريم الرحيم الحكيم في مقابلة ما يأتي. فإذا فعلت هكذا، يكفي أضعفُ صبرك لأعظم مصيبتك.

**اعلم** أنه كثيراً ما يتوهم - بقصور الفهم - ما هو من منابع الحقيقة ومعادن الحق أنه من خايل المبالغة ومطآن المجازفة.

مثلاً: روي: «لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة، ما شرب الكافرُ منها جرعة ماء»<sup>(١)</sup> أو كما قال.. المراد لا يساوي ما تمثّل في مرآة حياتك الفانية ووسعة عمرك الزائل من هذه الدنيا الخارجية، مقدار جناح بعوضة من عالم البقاء. كما أن حبةً باقيةً بالتنبّت تُرجّح على بيدر من تبين يفنى بالتفتت.. فلكلّ أحدٍ من هذه الدنيا - التي هي مظاهرُ الأسماء الحسنى ومزرعةُ الآخرة - دنيا، فإنّ نظر إلى دنياه بالمعنى الحرفي، واستعملها للباقي كانت لها قيمة عظيمة؛ وإلا - فلفلانها - لا توازي ذرةً باقية، وقس عليها بعض ما ورد في ثواب بعض الأذكار مما لا يجري في مقاييس العقل.

**اعلم** أن مما يدل على أن دستور الحياة هو التعاونُ دون الجدال - كما توهّمته الفلاسفة الضالة المضلة - عدم مقاومة التراب الصلب ولا الحجر الصلد لسيران لطائف رقائق عروق النباتات اللينة اللطيفة، بل يشقّ الحجرُ قلبه القاسي بتماسّ حرير أصابع بنات النبات، ويفتح الترابُ صدره المصمّت لسريان رائد النباتات.

نعم، تجاوبُ أعضاء الكائنات بشمسها وقرمها لمنفعة الحيوانات، وتسارعُ النباتات لإمداد أرزاق الحيوانات، وتسابقُ مواد الأغذية لترزيق الثمرات، وتزيّنُ الثمرات لجلب أنظار المرتزقات، وتعاون الذرات في الإمداد لغذاء حجيرات البدن؛ دليلٌ قاطع ساطع على أن الدستور العام هو التعاونُ وما الجدال إلا دستورٌ جزئي بين قسم من الحيوانات الظالمة.

**اعلم** أن من أظهر براهين التوحيد، السهولة المطلقة المشهودة. مع أن في الشركة يستلزم كلُّ شيء - لاسيما حي - كلّ ما يلزم لكل. ففي كل فرد من الكلفة كلفة ما في الكون، لاستلزام الفرد في الانفراد كلّ كلفة الكل، كميةً.

**اعلمي** أيتها النفس الأمارة! أنك متهمّة في أحسن مطالبك؛ إذ قد تشاقين إلى أمور

(١) الترمذي، الزهد ١٣؛ ابن ماجه، الزهد ٣؛ الحاكم، المستدرک ٤ / ٣٤١.

الآخرة، لكن بالمعنى الحرفي، أي لئلا تتغنص الدنيا عليك بفنائها، فشوق الآخرة للتسلي من ألم الفناء. فأفأ وثقاً<sup>(١)</sup> لهتمك الدنية، كيف تُصير السلطان الدائمي خادماً لحقير دني زائل؟ وتعمل خاناً لسكن بعض الحيوانات في ليلة، بعمد مرصعة بالجواهر تأخذها من تحت قصر سلطاني مستمر<sup>(٢)</sup>.. فتخريبن القصر على رأسك، وتأكلين ثمرات الجنة الباقية قبل بدو صلاحها في هذا البستان الكاذب.

**اعلمي** أيتها النفس العاشقة لنفسها، المستندة على ظهور وجودها! أنك اكتفيت بقطرة سراب<sup>(٣)</sup> عن بحر ماء الحياة، وبلعمة ضعيفة في ليلة مدلهمة عن الشمس في رابعة النهار.

أما ظهور وجودك بالنسبة إلى ظهور وجود فاطرك؛ فكنسبة عدد نفسك الواحدة، إلى ضرب جميع الموجودات في ذراتها. إذ نفسك تدل على وجود نفسك بوجه واحد، وبمقدار جرمك.. وتدل على وجود موجدك بوجه لا تعد، مع دلالة كل من الموجودات على ظهور وجود موجدك بوجه لا تعد أيضاً إفراداً وتركيباً، فلا بد أن يكون ظهور وجوده عندك أظهر من وجودك بدرجة أعظمية العالم على صغرك.

وأما حبك لنفسك، لأنها مخزنٌ لذتك ومركز وجودك ومعدنٌ نفعك وأقربُ إليك. فقد التبس عليك ظل الظليل الزائل، بأصل الأصيل الكامل. فإن تحب نفسك للذة زائلة؛ فلا بد أن تحب من يفيدك لذائذ باقية بلا نهاية، ويفيض على جميع من تلتذ بسعاداتهم لذائذ تُسعدهم. وإن كانت نفسك مركز وجودك؛ فربك موجدك، وقيوم وجودك مع وجودات كل من لك علاقة بوجودهم.

وإن كانت نفسك معدن نفعك؛ فرازقك هو الذي بيده الخير كله، وهو النافع الباقي، وعنده نفعك ونفع كل من لك نفع في نفعهم.

وإن كانت نفسك أقرب إليك؛ ففاطرها أقرب منها إليها، إذ تصل يده منها إلى ما لا تصل يدها ولا شعورها ولا حبها إلى ذلك الشيء الذي هو في بحبوحة نفسها، فلا بد أن تجتمع

(١) الأف: وسخ الأذن. والنف وسخ الأنف، ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضجر منه. قاله الأصمعي.  
(٢) أي كيف تهوين من شأن الآخرة، فتجعلينها في خدمة الدنيا.. فإنك تبين عبارة موقته لنزول بعض الدواب -الشهوات- بما تسرقينه من أعمدة مذهبة لقصر سلطان في الآخرة!  
(٣) المقصود الحياة الدنيا كما سيأتي.

جميع المحبات المنقسمة على جميع الموجودات مع محبتك لنفسك فتهدى إلى جناب المحبوب الحقيقي.

**اعلم** أن مما يحجبك عن الله ويقيك في الغفلة؛ انحصارَ نظرك الجزئي على الجزء والجزئي، فيجوزُ صدوره بالتصادف عن الأسباب الواهية. وأما إذا رفع رأسه ومدّ نظره إلى الكل والكلي، لا يجوزُ صدورُ أدنى شيء من أعظم الأسباب.

مثلاً: يمكنك أن تسندَ رزقك الجزئي إلى بعض الأسباب، ثم إذا نظرتَ إلى خلو الأرض وفقرها في الشتاء، ثم امتلائها متبرجةً متزينة بالأرزاق التي طبختها القدرة في مراحل الأشجار وحفان الجنان، تيقنتَ أنه لا يمكن أن يكون رازقك إلا من يرزق كل حي بإحياء الأرض بعد موتها.

ومثلاً: يمكنك أن تسندَ ضياءك الجزئي المادي، ونورك المخصوص المعنوي إلى بعض الأسباب الظاهرية فتقول: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (القصص: ٧٨) ثم إذا نظرتَ إلى اتصال ضيائك بنور النهار، واتصال نور قلبك بضياء منبع الأنوار، تيقنتَ أنه لا يقتدر على إضاءة قلبك، وتنوير قلبك حقيقةً إلا من يُقَلِّبُ الليل والنهار بتحريك السيارات والأقمار. يضلّ من يشاء من الفجار ويهدي من يشاء من الأبرار بتنزيل التنزيل للاعتبار والاختبار.

**اعلم** أيها الإنسان أمامك مسائلٌ عظيمةٌ هائلة، تُجبر كل ذي شعور على الاهتمام بها! منها «الموت» الذي هو فراقك عن كلِّ محبوباتك من الدنيا وما فيها.. ومنها «السفر» إلى أبد الآباد في أهوال دهاشة.. ومنها «عجزك» الغير المعدود في «فقرك» الغير المحدود في سفرِكَ الغير المحصور في عمر معدودٍ محدود، وهكذا..

فما بالك تناسيتَ وتعاميتَ عنها -كطير الإبل- أي «النعامة» يخفي رأسه في الرمل، ويغمض عينه لئلا يراه الصياد.. إلى كم تهتم بالقطرات الزائلة، ولا تبالي بالبحور الدهاشة!

**اعلم** أني أحمد الله على أن فتح لي أعظمَ مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين «المعنى الحرفي والاسمي»، أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معاني غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تالياتٌ للأسماء الحسنى، لا اسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها..

فما تفرّع من الوجه الأول؛ علم وإيمان وحكمة. ومن الوجه الثاني؛ جهل مركّب، وكفرانٌ مرّجّب،<sup>(١)</sup> وفلسفة مذهّبة.

وكذا أشكره على أن فتح لي مسألة جسيمة من أعظم مسائل الربوبية بمسألة من المنطق، وهي الفرق بين «الكلي ذي الجزئي، والكل ذي الجزء»، فتجلي الجمال والأحدية كالأول.. وتجلي الجلال والواحدية كالثاني.. وتجلي الكمال والكبرياء جمع الجمع.. أي جمال في عين الجلال كالكلي في عين الكل، والجزئي في عين الجزء.

**اعلم** أن الدنيا فهرستة الآخرة؛ فيها إشارات إلى مسائلها المهمة، منها الذوق في الرزق الجسماني. فالذي أدرج في وجودك حواسّ وحسيات، وجوارح وجهازات، وأعضاء وآلات لإحساس جميع أنواع نعمه الجسمانية، ولإذاقة أقسام جلوات أسائه المتجلية على الجسمانيات، في هذه الدار الزائلة الذليلة التي ليست لذيدة ولا للذة.. يشير بهذا الصنع الحكيم، إلى أن صاحب الإحساس والإذاقة،<sup>(٢)</sup> أعدّ لضيوف عباده ضيافة جسمانية أيضاً لا تُلغى بالأبدية في قصور ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (المائدة: ١١٩).

**اعلم**<sup>(٣)</sup> أيها السعيد العاجز الخائف! أن الخوف والمحبة إذا توجّها إلى الخلق، صار الخوف بلية أليمة، وصارت المحبة مصيبة منغصة؛ إذ تخاف من لا يرحمك أو لا يسمع استرحامك. وتُحب من لا يعرفك. أو يحقرّك لمحبّتك، أو لا يرافقك، بل يفارقك على رغمك.. فاصرفهما من الدنيا وما فيها إلى فاطرك الكريم وخالقك الرحيم، ليصير خوفك تذلاً لذيدا بالالتجاء إلى صدر الرحمة كتلذذ الطفل بالخوف الذي يجبره إلى الانضمام إلى صدر أمه الشفيقة، وتصير محبّتك سعادة أبدية لا تزول ولا تُذِلّ، لا إثم ولا ألم..

**اعلم** أيها الإنسان! أنك ثمرة أو نواة لشجرة الخلقة، فبجسمانيتك أنت جزء صغير ضعيف، عاجز ذليل، مقيد محدود. لكن الصانع الحكيم رقاك بلطف صنعه من الجزء الجزئي، إلى الكل الكلي.. فبادراج الحياة في جسمك أطلقك من قيد الجزئية في الجملة، بجولان جواسيس حواسك المنبسطة على عالم الشهادة لجلب أغذيتهم المعنوية.. ثم بإعطاء الإنسانية

(١) المرجب: الذي جعل له رُجبة وهي دعامة من الأحجار تدعّم بها النخلة (مجمع الأمثال ١/ ٣٢).

(٢) أي الذي وهب هذا الإحساس والتذوق.

(٣) الغصن الخامس من «الكلمة الرابعة والعشرين» بفصل هذه الخاطرة.

جعلك كالكل بالقوة (كالنواة).. ثم بإحسان الإسلامية والإيمان، جعلك كالكلي بالقوة.. ثم بإنعام معرفته ومحبه صيرك كالنور المحيط، فاختر ما شئت.. فإن أخلدت إلى الأرض واللذائذ الجسمانية؛ صرت جزءاً جزئياً، عاجزاً، ذليلاً. وإن استعملت جهازي حياتك بحساب الإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية؛ صرت كالكل الكلي والسراج المركزي.

**اعلم** يا من يحب الموجودات الدنيوية التي لا تصل إليها إلا بمقدار جُرمك، ومساعدة قيدك. فقتلُ بسائر الفراقَات الأليمة، جزاءٌ لصرفك المحبة في غير محلها.. إن أحببت الواحد الأحد، وتوجهت بحسابه وباسمه وبإذنه وبنظره وبحوله، تنزهت بالجميع معاً في آن بلا فراق ولا ألم. كمثل من ينتسب لسلطان له مع كل جزء من مملكته ارتباط، يسمع ويبصر كل ما يجري في كل مكان ومن كل مكن، كأنه هو في كلٍّ وعند كلٍّ، فيسمع ذلك الخادم بسمع سيده، ويبصر ببصره بواسطة آلات المخابرة والمُشاهدة لذيات النغيات وجماليات الصور الموجودات في محل سلطنة بعيدة.

**اعلم**<sup>(١)</sup> يا من يشاق إلى معرفة أخبار أمثال القمر، بحيث لو قيل لك: إن أفديت نصفَ عمرِك؛ لنزل أحدٌ من القمر وأخبرك بأن في القمر كذا وكذا، وأخبرك بحقيقة استقبالك، لفديت بلا تأسف.. أنه جاء أحدٌ يخبرك أخبار من ليس القمرُ إلا كذباب يطير حول فراشٍ، يطير هو حول سراجٍ من قناديلِ سقف بيته الذي أعدّه لعبيده المسافرين.. وكذا يخبرك بأخبار الأزل والأبد، والحياة الأبدية، والحقائق الأساسية، والمسائل العظيمة التي أصغرها أعظم من انفلاق الأرض مع القمر. فإن شئت فاستمع إلى سورة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وإلى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ وأمثالها.. وكذا يريك سبيلاً سويًا إلى الوحدة، يُنْجيك من التشتت في ضلالات الكثرة الموحشة، ويمد إلى يدك العروة الوثقى وسلسلة عرشية تنقذ من استمساك بها من الغرق في ظلمات الممكنات المشتتة، ويسقيك من عين الإيمان بالحياة الأبدية ماء الحياة، لتخلّصك من الاحتراق بنار الفراق من جميع ما تجبه على الإطلاق.. وكذا يخبرك بمرضيات خالقك الذي الشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره، واستقرت الأرض بإذنه وبمطالبه منك.. وكذا صار ترجماناً لمخابرة سلطان الأزل والأبد الذي لا نهاية لقدرته وعَنائِهِ، وبمكاملته معك أيها العاجز بلا نهاية، والفقير بلا غاية.

(١) تراجع الرشفة العاشرة من «الكلمة التاسعة عشرة».



فمع كل ذلك كيف لا تترك نفسك لفهم هدى القرآن؟ ولا تنسى هوسك لاستماع رسول الرحمن؟ وكيف لا تستقبل رسوله بالتسليم والإيمان؟ وكيف لا تشتاقي إلى السلام عليه بالصلاة والسلام؟ وكيف لا تحتاج إلى الاستخبار منه ما يطلبه سيدنا الحنان ومالكنا المنان جلّ جلاله؟

**اعلم** أننا نرى الصانع الحكيم بكمال حكمته، وعدم العبثية في صنعه وعدم التضضيع، ينسج من الأشياء الحقيرة الصغيرة القصيرة الأعمار، منسوجاتٍ جسيمةً غالية عالية دائمة، لاسيما في نسج النباتات.. وكذا - بسرّ عدم العبثية مطلقا وعدم الإسراف - يوظف الفرد الواحد من الآلات والجهازات بوظائف كثيرة متنوعة، لاسيما في رأس الإنسان. فلو انفرد لكل وظيفة من الوظائف المكلفة بها ما في رأسك مقدار خردلة، للزم أن يكون رأسك كجبل الطور في الكبر ليسع أصحاب الوظائف. ألا ترى اللسان - مع سائر وظائفه العظيمة - مفتش<sup>(١)</sup> لمخدرات خزينة الرحمن، وجميع المطعومات المطبوخة في مطبخ القدرة. فله وظائف بعدد تنوع أذواق المطعومات، وقس. أفلا تشير هذه الفعاليةُ الحكيمةُ إلى أن ذلك الصانع يجوز - بل يجب - أن ينسج من الأشياء السائلة السريعة في سيل الزمان، ومن الأيام الميتة والأعوام الماضية والأعصار الخالية نسائج غيبية، ومنسوجاتٍ أخرويةً بمكوك الليل والنهار والشمس والقمر في اختلاف الملون،<sup>(٢)</sup> وتحول الفصول؟ كما نسج في الإنسان الذي هو فهرسته العالم ما يؤيد هذا، إذ يَبْقَى دقائق حياته الماضية الفانية بين منسوجات حافظته ومكتوباتها، فيكون الفناء والموت في هذه الشهادة الضيقة، انتقالا باقيا وبقاء صافيا في دوائر عوالم الغيب. وقد نسمع من منابع الوحي «أن دقائق عمر الإنسان تعود إليه»؛ فإما مظلمةً بالغفلات والسيئات، وإما مضيئةً بمصاييح الحسنات المعلقة في حلقات الدقائق.

**اعلم** أن من حكمة تفنن الصانع الجميل الحكيم في تصوير الأفراد صغيرا وكبيرا كما في الحيوان لاسيما فيما يطير بجناحيه، وفي السمك وفي المَلَك وفي العوالم في الجملة، من الذرات إلى الشمس، بجعل الصغير مثالا مصغرا للكبير.. لُطِفَ الإرشاد، وتسهّل التفكّر، وتيسر قراءة مكتوبات القدرة، وإظهار كمال القدرة، وإبراز نوعي الصنعة الجمالية والجلالية، إذ من

(١) بمعنى ناظر أو مشرف.

(٢) أي الليل والنهار. الواحد: ملا.

أسباب المجهولية الدقة والخفاء، فيزيلهما بوضوح حروف الكبير. وكذا من أسباب المجهولية الوسعة والعظمة، فلا يحيط بها النظر ولا يضبطها الفهم فيزيلهما بتقارب حروف الصغير. وأما النفس الأمارة المتلمذة عند الشيطان فتظن صغر الجسم سبب صغر الصنعة، فتجوز صدورها من أسباب صم عمي، وتدعى في الكبير المنبسط عدم الكتابة بالحكمة، ووجود العبيثة والتصادف..

**اعلم<sup>(١)</sup>** أنه إن قيل: إن الجود المطلق والرزق بلا حساب يلائمان العبيثة، وينافيان الحكمة من جهة؟ يقال له: نعم، إن انحصرت الغاية في الواحدة مع أن لكل شيء لا سيما حيي، غايات متعددة وثمرات متنوعة ووظائف مختلفة. ألا ترى أن للسانك وظائف بعدد شعر رأسك؟ فالجود باعتبار غاية بلا حساب وباعتبار وظيفة لا ينافي الحكمة والعدالة في وجوده الناظر إلى مجموع الغايات والوظائف، كالعسكر المستخدم في تعقيب ذي جنانية أو في حماية قافلة مثلاً. ففي العسكر كثرة وجود بلا حساب بالنسبة إلى أمثال هذه الخدمات الجزئية مع القلة والمساواة لما يلزم لحفظ الثغور والحدود وسائر الغايات..

**اعلم** أنه يمكن أن يتصور الإنسان خلف أثره وصنعتة الجزئية، ولا يمكن في مصنوع الصانع الأزلي إلا من خلف سبعين ألف حجاب خلف ذلك المصنوع الجزئي. ولو أمكن لك أن تنظر إلى مجموع مصنوعاته دفعة؛ لارتفعت الحجب الظلمانية، وبقيت الحجب النورانية. فالطريق الأقرب في نفسك، لا في الآفاق إلا بالعشق الشديد.

**اعلم<sup>(٢)</sup>** أن أغلب من له نسل من الحيوانات والنباتات ينوئ كل فرد -من الأغلب- الاستيلاء على وجه الأرض، ويريد التسلط عليها ليتخذها مسجداً خالصاً لنفسه يعبد بإظهار أسماء فاطره، في كل جزء منها عبادة غير متناهية لخالقها الذي لا نهاية للياقته للعبادة. فإن شئت فانظر إلى البطيخ ونواتاته، والشجر والنواتات في ثمراته، والسّمك وبيضاته، والطيور وبيضاته، إلا أن ضيق عالم الشهادة وإحاطة علم عالم الغيب والشهادة بها كان، وبها يكون، وبها لم يكن لو كان كيف يكون.. اقتضيا قبول عبادتها بالقوة<sup>(٣)</sup>، ونياتها المندمجة في بذورها.

(١) هذه المسألة الدقيقة «حكمة تعدد الغايات» توضحها حاشية الحقيقة السادسة من «الكلمة العاشرة - رسالة الحشر».

(٢) تفصيل هذه المسألة في الثمرة الثانية من الغصن الخامس للكلمة الرابعة والعشرين.

(٣) حتى ولو لم تخرج بعد إلى طور الفعل.

**اعلم** أن ذكر القرآن لبعض الغايات الراجعة إلى الإنسان إنما هو للإخطار<sup>(١)</sup> لا للانحصار. أي لتوجيه نظره إلى الدقة في فوائد نظام ذلك الشيء ذي الغاية، وفي انتظامه الدال على أسماؤه صانعه؛ إذ الإنسان إنما يهتم بما له علاقة بما به، فيرجح ذرة ما إليه على شمس ليست إليه.. مثلاً: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ (يس: ٣٩) ﴿لِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (يونس: ٥) هذه غاية من ألوف غايات تقدير القمر، وليس المراد الانحصار، أي إنها خلقت ذلك لهذا، بل إن هذا المشهود لكم من ثمرات ذلك.

**اعلم** أن من سكتته التي لا تُقْلَد، ومن خائمه الذي يختص به، ومن أبهر براهين التوحيد في قدرة غير متناهية، وعلم لا يتناهى في تصرف مطلق، في إتقان مطلق، في سهولة مطلقة.. خلق أشياء مختلفات لا تُعد، من شيء واحد بسيط، كالنباتات بأشتاتها من التراب وكمخلفات أعضاء الحيوان دماً لحماً عظماً وغيرها من غذاء بسيط.. وكذا خلق الواحد من أنواع متباينة لا تحصى كجسد الإنسان - مثلاً - من مطعوماته الغير المحصورة..

فسبحان من هو القدير على أن يجعل شيئاً كل شيء، ويجعل كل شيء شيئاً.

**اعلم** أن في ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة: ٦٤) سر عظيم ومثل عظيم! <sup>(٢)</sup> إذ كما أنك تحفظ من التفتت والضياح بعض البذور وتدّخرها ثم تزرعها في مزرعتك.. كذلك إن الوارث الباعث الحفيظ الذي يحيي الأرض بعد موتها يكتب ثمرات أعمال جميع النباتات فيرثها حافظاً لها، ثم يزرعها مثورةً بحكمة توزيع وانتظام تقسيم بإطارة بعض البذور إلى الأطراف لا مجتمعة خلف أصلها فقط، ثم ينشر أوراقها وأزهارها حتى يصير نظير: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠). فانظر من شدة اهتمامك حتى تقتدر على حفظ بعض البذور، إلى كمال حفيظة الحفيظ المطلق في محافظة ما لا يعد من الصُنَيْدِقَات اللطيفة المتضمنة لفهرسات أمهاتها المعينة بمسطر القدر، من مغيرات ومفسّسات لا تحد في انقلابات لا تُعد، مع نهاية التمييز في نهاية الاختلاط. فهذا الحفظ لا يخلّيك غاربك على عنقك <sup>(٣)</sup> تفعل ما تشاء ثم تموت وتستريح.. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦) كلا ليحاسبن على النقيير والقطمير.

(١) للتنبيه.

(٢) الأظهر: سراً عظيماً ومثلاً عظيماً.

(٣) لعله: حبلك على غاربك.

**اعلم** أن من وظائف الحياة الإنسانية فهم الإنسان بمقاييسه جزئيات صفاته وشؤونه وشؤون أبناء نوعه أو جنسه لصفات فطره وشؤونه، وأما فهم عظام شؤونه الحشرية والأخروية وکليات أفعاله في القيامة وإحياء الأموات؛ فتحتاج لفهمها بالإذعان إلى جعل الفاعلية في الحشر الربيعي والقيامة الخريفية قياساً لشؤونه في القيامة الكبرى. انظر إلى الربيع لترى فيه نظيراً - كتفسير - لأمثال ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١).

**اعلم** أن من عظمة إحاطة الإسلامية امتداد أساسات جذرائها من أعلى عليي کليات صفات ذي العرش، ومساائل خلق العرش والسموات والأرض وملائكتها، إلى جزئيات خطرات القلب، مع امتلاء ما بينهما بدساتير محكمة رصينة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلَا تَعْرَنَکُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَنَکُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣)

**اعلم** <sup>(١)</sup> يا من يدعو المسلمين إلى الحياة الدنيوية التي هي لعب في نوم وهو، ويشوقهم للخروج من دائرة ما أحلّه الله من الطيبات الكافية «لكيفهم» <sup>(٢)</sup> إلى الدخول في دائرة ما حرّمه من الخبيثات المنغصة التي تجبرهم على ترك بعض شعائر دينهم أو ترك دينهم.. إن مثلك معهم <sup>(٣)</sup> كمثل سكران بسكر لا يميّز بين الأسد المفترس والفرس المؤمن، ولا يفرق بين آلة الصلب وآلة لعب الصبيان من الحبل المتحرك في الهواء؛ ولا يعرف الجرح المبرح من الورد المفرح، بل يظن الأسد فرساً، وآلة الصلب حبل اللعب، والجرح المقشعر الورد المحمر. ومع ذلك يظن نفسه مرشداً مصلحاً.. فجاء إلى رجل هو في وضعية مدهشة؛ إذ خلف هذا الرجل أسدٌ عجيب متهمٍ للهجوم في كل آن، وقدام الرجل آلة الصلب قد نُصبت، وفي جنبه جرحٌ عميقة قد انفجرت، وقرحةٌ مزعجة قد انفجرت.. وفي يديه علاجان إذا استعملهما، انقلب - بإذن الله - الجرحان وردّين محمرّين. وفي لسانه وقلبه طلسمان إذا استعملهما انقلب

(١) الدرس الثالث من رسالة «المدخل إلى النور».

(٢) لمسراتهم البريئة المباحة شرعاً.

(٣) جاء هذا المثال بوضوح تام في الكلمة السابعة.

-بأمر الله الأسد- فرسا يركبه إلى حضور سيده الكريم الذي يدعوه إلى دار السلام يضيّقه. وانقلب جبلُ الفراق والصلب المتدلي من شجر الزوال والفناء بلطف الله آله السير والتنزّه، والمروء بالاهتزاز على المناظر السيالة المتجددة وعلى المرايا الجوالّة المتبدلة، لازدياد لذة تجدد تجليات الجمال المجرد الدائم التجلي والظهور، على مرّ الفصول والعصور والدهور، ولازدياد اللذة في تجدد صور الإنعام والنعم على مرّ الأنام والأيام والأعوام. ثم يقول ذلك السكران الذي هو أيضا في مثل تلك الوضعية، لذلك الرجل: اتركِ الطلسمين واطرح العلاجين وتعال نلّه ونلعب ونرقص ونطرب! فيقول له الرجل: يكفي لكيفي ما يساعده حِرز الطلسمين وحفظ العلاجين، ولا يمكن اللذة والسعادة في ما عداه، إن أمكن لك أن تقتل أسد الموت الذي «لا يموت إلا في الجنة»<sup>(١)</sup>.. وأن ترفع هذه الآلة المسمّرة في الأرض إلى الثرى بحكم حاكم الأرض، أي تزيل آله الزوال بتبديل الأرض غير الأرض.. وأن تشفي من هذا الجرح المستولى على كلىّ حياتي، بتبديل حياتي العاجزة الفانية حياةً باقيةً قادرة على الإطلاق وأن تُبرئ هذه القرحة المحيطة بكلية ذاتي، بتحويل ذاتي الفقيرة ذاتا سرمدية غنية على الإطلاق. وإذ لم يمكن لك هذه الأمور «الأربعة» لا يتيسر لك أيها الشيطان السكران أن تخدع إلّا مثلك سكرانا بسكرٍ لا يميّز بين الضحك والبكاء، والبقاء والفناء، والداء والدواء، والهوى والهدى. وأما أنا «فحسبي الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير».

فإذا تفتنت لسر التمثيل، أو اشتقت إلى رؤية صورة الحقيقة؛ فاعلم أن تلاميذ المدينة السفية الضالة، وطلبة الفلسفة السقيمة المضلة، قد سُكروا باحترافات عجيبة وتفرعات غريبة، فجاءوا يدعون المسلمين إلى اتباع عادات الأجانب، وترك شعائر فيها شعور وإشعار بأنوار الإسلام، فيقابلهم تلامذة القرآن بـ: يا أيها الضالون الغافلون! إن اقتدرتم أن ترفعوا من الدنيا الزوال والموت، ومن الإنسان العجز والفقر فاستغنوا من الدين وشعائره، وإلّا

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ قَيْنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَسْرِعُونَ وَيَنْظُرُونَ، يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ. ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَسْرِعُونَ وَيَنْظُرُونَ، يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ يَفُصَّى الْأَمْزُومُ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩) وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا. (رواه البخاري في تفسير هذه الآية، ورواه مسلم برقم ٢٨٤٩).

(يسرّيون: يمدّدون أعناقهم ينظرون).

فاحسبوا واتركوا وسوستكم ودمدمتكم التي هي كزممة الذباب<sup>(١)</sup> في ما بين نعرات هذه الرعود الأربعة، والآيات التكوينية المنادية بأعلى صوتها على لزوم الدين بشعائره ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

نعم، إن خلفي أسد الأجل يهددني دائما، فإن استمعتُ بسمع الإيمان صدى القرآن، انقلب الأسدُ فرسا، والفراقُ بُراقا يوصلني إلى رحمة الرحمن الرحيم وإلى حضور سيدي الحنّان الكريم. ولّا صار الموت أسدا مفترسا يمزقني على رغمي، ويفرقني عن جميع محبوباتي فراقا أبديا. وكذا بين يدي وأمامي آلات الفناء والزوال، قد نُصبت وتدلّت في اختلاف الليل والنهار، وآلات الهلاك والفراق قد تموجت على أمواج الفصول والعصور. فهذه الآلاتُ نصبت لصلبي مع جميع أحبابي، فإن أصغيت بصماخ الإيقان لإرشاد القرآن انقلبت تلك الآلاتُ مركبَ السير والتنزّه في نهر الزمان وبحر الدنيا لمشاهدة تجلّيات شؤونات القدرة على صفحات الفصول، بزنبك<sup>(٢)</sup> الشمس وسير القمر ودوران الأرض للتعمّم<sup>(٣)</sup> بلقائف الليل والنهار، والتقمّص بخُلّتي الصيف والشتاء، ولمشاهدة تجدد جلوات الأسماء على المظاهر السيالة والمرايا المتحولة والألواح المتبدلة في اختلاف الليل والنهار.

وكذا، إنّ في جنبي الأيمن من الفقر الغير المحدود قرحةً مستوليةً، فمع أي أعجزُ من أعجز حيوان من جنس الحيوان، إني أفقرُ من جميع الحيوانات، أي حاجاتي المعنوية والمادية تساوي حاجات الكل، مع أن اقتداري أقلُّ من فعالية عصفورة. فإن تداويتُ بشفاء القرآن انقلب الفقرُ المطلق الأليم شوقا لذيذا إلى ضيافة الرحمة، واشتهاء لطيفا لتناول ثمرات رحمة الرحمن الرحيم. فيزداد لذة الفقر والعجز بمراتب على لذة الغناء والقوة. ولّا بقيت في آلام إزعاجات الحاجات، وفي ذل السؤال والتعبد لكل ما عنده حاجة من مطالبي، والتذلل لكل شيء.

وفي جنبي الأيسر أيضا، جرحٌ عميق هو عجزٌ وضعفٌ بلا حد في مقابلة أعداء ومهالك

(١) تتابع صوته.

(٢) زنبك: المحرك، النابض.

(٣) لبس العمامة.

بلا عدو؛ فألم الخوف يزيل لذّة الحياة الدنيوية.. فإن أنصتُ بالتسليم لدعوة القرآن، انقلب عجزى تذكرة دعوة للاستناد بالقدير المطلق، والاتصال -بسر التوكل- بنقطة استناد فيها أمنٌ وأمان من الأعداء. وإلا بقيت مضطربا بين أعداء متشاكسين لا تعد، بعجز لا يجد.

وكذا إني على جناح سفر طويل، يمر على القبر والحشر إلى الأبد، فلا يرينا العلم والعقل نورا ينور ظلمات تلك الطريق، ولا يعطينا رزقا يصير زاد ذلك السفر؛ إلا ما يُقْتَبَس من شمس القرآن ويؤخذ من خزينة الرحمن. فإن وجدت شيئا يمنعني عن هذا السفر، لكن غير قطع الطريق بالضلالة التي هي قبول السقوط من فم القبر في دهشة ظلمات العدم الذي هو أهول وأدهش، فقل.. وإلا فاسكت حتى يقول القرآن ما يقول. فبعدما قرأت هذه الآيات الخمسة<sup>(١)</sup> من كتاب العالم على رأس الإنسان آية ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣) كيف يجوز اتباعك أيها الغرّ المغرور؟ ولا يختار مشربك إلا سكران شراب السياسة، أو حرص الشهرة، أو شهوة السُّمعة، أو رقة الجنسية، أو زندقة الفلسفة، أو سفاهة المدنية وغيرها مما يُسكر بمثله.. مع أن هذه الضربات القارعة على رأس الإنسان، وهذه الأهوال التي تضرب وجه البشر سيظهر سُكره. ومع ذلك إن الإنسان ليس -كالحيوان- مبتلى بالآلام الحال فقط، بل يضرب رأسه خوف المستقبل وحزن الماضي مع ألم الحال.

فإن أردت أن لا تبقى أشقى وأذل وأحمق وأضلّ من جميع الحيوانات؛ فأنصت واستمع بسمع الإيمان بشارة القرآن بإعلان ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤).

(١) وهي: زوال الدنيا، موت الإنسان، عجزه وفقره وسفره الطويل.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ \* وَطُورِ سِينِينَ \* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ \* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (سورة التين).

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن إتقان الصنعة وكمالها في كل شيء يدل على أن صانع الكل كما أنه عند كل في كل مكان ليس في مكان وليس عند شيء.. وأن الإنسان لاحتياجه إلى كل شيء من أصغر جزء جزئي إلى أكبر كل كلي، لا يليق أن يعبد إلا من «بيده ملكوت كل شيء»، وعنده خزان كل شيء.. وأن نفس الإنسان من جهة الوجود والإيجاد والخير والفعل في غاية الصغر والقصور والنقص، أدنى من النمل والنحل وأضعف من العنكبوت والبعوضة. ومن جهة العدم والتخريب والشر والانفعال، أعظم من السماوات والأرض والجبال. مثلاً: إذا أحسن، أحسن بما تسعه ذات يده وتصل إليه قوة ذاته. وإذا أساء، أساء بما يتعدى ويتشر.

فبسيئة الكفر يحقر مجموع الكائنات والموجودات بتنزيل قيمتها من أوج كونها مكتوبات ربانية ومرايا إلهية إلى حضيض صيرورتها مواد متغيرة سريعة الزوال والفراق، يلعب بها التصادف بالعبثية.. ويسقط الإنسان الذي هو قصيدة منظومة موزونة معلنة لجلوات الأسماء القدسية، ونواة لشجرة باقية، وخليفة تفوق على أعظم الموجودات بحمل الأمانة.. إلى دركة جعله أدل من أدل حيوان زائل فان، وأضعف وأعجز وأفقر.

وكذا إن الإنسان من جهة «أنا» له اختيار كشعة، واقتدار كذرة، وحياة كشعلة، وعمر كدقيقة، وموجودية هي جزء جزئي مما لا يعد من أنواع لاتحد في طبقات الكائنات.. ولكن من جهة عجزه وفقره له وسعة عظيمة إذ له عجز عظيم بلا نهاية، وفقر جسيم بلا غاية، يتيسر له أن يصير مرآة واسعة لتجليات القدير بلا نهاية والغني بلا غاية.

وكذا إن الإنسان من جهة الحياة الدنيوية المادية الحيوانية كنواة، تصرف الجهازات المعطاة لها للتسبل والتشجر في وسعة عالم الفضاء إلى جلب مواد واهية في مضيق التراب إلى أن تتفسخ بلا فائدة.. فمن جهة الحياة المعنوية كشجرة باقية امتدت أغصان أمانها إلى الأبد. وكذا إن الإنسان من جهة الفعل والسعي المادي حيوان ضعيف عاجز، له دائرة ضيقة

(١) الدرس التاسع من «المدخل إلى النور» وتوضيحه في «الكلمة الثالثة والعشرين».



نصف قطرها مدّ يده.. ومن جهة الانفعال والدعاء والسؤال ضيفُ عزيز للرحمن الذي فتح له خزائن رحمته وسخر له بدائع صنعته؛ له دائرة عظيمة نصف قطرها مدّ نظره بل خياله بل أوسع.

وكذا إن الإنسان من جهة لذة الحياة الحيوانية وكمالها وسلامتها ومتانتها أدنى من العصفور بمائة درجة؛ لتَنقُصَ لذائِه بأحزان الماضي ومخاوف المستقبل.. ومن جهة الجهازات وتفصيل الحواس وتنوع الحسيات وانسباط الآلات وتكثر مراتب الاستعدادات - المشيرة هذه الحالة - إلى أن وظيفته الأصلية هي الشهود لتسيبحات الموجودات، والشهادة عليها، والتفتش بالتفكر، والنظارة بالعبرة، والدعاء للحاجة، والعبودية بدرك العجز والفقر والقصور. ومن وجه جامعية استعداده المستعد لأنواع العبادات أعلى من أعلى عصفور بمائة مراتب. فبالبداهة يعلم من له عقل أنّه ما أُعطي له هذه الجهازات لهذه الحياة بل حياة باقية.

مثلا: إذا رأينا أحدا أعطى لأحدِ خَدَمِه عشرةً دينارٍ ليشتري لنفسه لباسا من قماش مخصوص، فاشترى من أعلاه. ثم أعطى لآخر ألفَ دينارٍ للاشتراء. نعلم يقينا أن هذا ليس لا شراء لباس من ذلك القماش الذي ما قيمة أعلاه إلا عشرةً دينارٍ، بل إنها أُعطي لما هو أغلى وأعلى بمائة مراتب. فإذا اشترى - لبلاسته - بالألف لباسا من ذلك مع أن ما اشتراه أدنى بمائة درجة من لباس الأول، لابد أن يعاقب عقابا مديدا ويؤدّب تأديبا شديدا.

وكذا إن الإنسان بقوة ضعفه، وقدرة عجزه أقوى وأقدر بمراتب؛ إذ يُسخر له بالدعاء والاستعداد ما لا يُقدّر على عُشر معشاره باقتداره. فهو كالصبي يصل ببكائه إلى ما لا يصل إليه بالوف أضعاف قوته. فيتفوق بالتسخير لا بالغلبة والغضب والجلب. فعليه أن يعلن عجزه وضعفه وفقره وفاقه بالاستعداد والتضرع والعبودية.

وكذا إن الإنسان من جهة نظارته لمحاسن كمالات سلطنة الربوبية، ودلالته لبدائع جلوات الأسماء القدسية، وفهمه بطعمه لمدخرات خزائن الرحمة، وعلمه بوزنه لجواهر كنوز الأسماء المتجلية، وتفكره بمطالعة لمكتوبات قلم القدرة، وشوقه برؤيته للطائف المصنوعات.. أشرف المخلوقات وخليفة الأرض.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (فاطر: ١٥) ﴿فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات: ٥٠).

**اعلم** أيها السعيد القاصر العاجز الفقير! أن في نفسك قصورا بلا نهاية، وعجزا بلا غاية، وفقرا بلا انتهاء، واحتياجا بلا حد، وآمالا بلا عد. فكما أودع فيك الجوع والعطش لمعرفة لذة نعمته تعالى، كذلك رُكِّبَت من القصور والفقر والعجز والاحتياج لتنظر بمرصاد قصورك إلى سرادقات كماله سبحانه، وبمقياس فقرك إلى درجات غناه ورحمته، وبميزان عجزك إلى قدرته وكبريائه، ومن تنوع احتياجك إلى أنواع نعمه وإحسانه.

فغاية فطرتك هي العبودية. والعبودية أن تعلن عند باب رحمته: قصورك بـ «أستغفر الله» وبـ «سبحان الله».. وفقرك بـ «حسبنا الله» وبـ «الحمد لله» وبالسؤال.. وعجزك بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله» وبـ «الله أكبر» وبلاستمداد.. فتظهر بمرآة عبوديتك جمال ربوبيته.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣-١٤)

**اعلم** <sup>(١)</sup> أيها السعيد الغافل! أن لكل أحد في سفر حياته طريقين إلى القبر، والطريقان متساويان في القصر والطول. لكن أحدهما - مع أنه لا ضرر فيه - فيه منفعة عظيمة بشهادات أهل الشهود المتواترين وإجماعهم، يصل إلى تلك المنفعة العظيمة من عشرة سالكيه تسعة.. والآخر - فمع أنه لا نفع فيه بالاتفاق - فيه ضرر عظيم بإجماع أهل الخبرة والشهود. فاحتمال الضرر من العشرة تسعة، إلا أن من يسلك في هذا لا يحمل سلاحا ولا زادا، فيخف في الظاهر، ويخلص من ثقل من<sup>(٢)</sup>، لكن يحمل على ظهر قلبه مائة من<sup>(٣)</sup> الميتة، ويثقل على عاتق روحه أحمال الأهوال والمخاوف. ولأن التمثيل يريك المعقول محسوسا، نمثل لهذه الحقيقة مثالا:

(١) الدرس الرابع من «المدخل إلى النور» وفي «الكلمة الثالثة» توضيح وافي.

(٢) المن يساوي ٢٤ أوقية.

مثلاً: تريد أن تذهب إلى إستانبول، أو تُرسل إليه، ومن مكانك إليه طريقان؛ يمينا وشمالا متساويان قصرا وطولا، متخالفان نفعا وضرا، خفّة وكلفة. ففي جانب اليمين نفعٌ عظيم بإجماع أهل الشهود والاختصاص بلا ضررٍ وبالاتفاق، وحملٌ سلاحٍ ومزودٌ زادٍ بمقدار مَنْ، مع خلاص الروح والقلب من ثِقَلَةِ حملِ المَنّةِ والخشية اللتين هما في ثِقَلَةِ الجبال.. وفي اليسار ضررٌ بشهادات ملايين من أهل الخبرة والشهود، وبلا نفعٍ باتفاقِ الموافقين والمخالفين، مع خفّةٍ ظاهرٍ في طرح السلاح الصارم اللازم، وترك الزاد الألدّ الألزم. لكن حَمَلَ<sup>(١)</sup> على عاتق روحه بدل «قيتي»<sup>(٢)</sup> السلاح قناطيرِ الخوف، وعلى ظهر قلبه بدل أربع «حقّات»<sup>(٣)</sup> الزاد مائة مَنْ من المَنّة. إذ قد يخبر الشاهدون الصادقون أن الذاهبين يُمِنُ الإيمان في اليمين في أمانٍ وأمان في مدة سيرهم، وإذا وصلوا إلى البلد حصل لتسعةٍ من العشرة نفع عظيم وربح جسيم. وأن الماشين بشؤم الضلالة والبطالة والبلاهة في اليسار، لهم في مدة سيرهم اضطرابٌ عظيم من الخوف والجوع، يتنزل الماشي لكل شيءٍ لخوفه في ضَعْفِهِ في عجزه، ويتدَلَّلُ لكل شيءٍ لاحتياجه في فقره. وإذا وصلوا إلى البلد يُحَسِّسون أو يُقْتَلون لا ينجو إلّا واحد أو اثنان. فَمَنْ له أدنى عقلٍ لا يَرَجِّح ما فيه احتمالُ الضرر، على ما لا ضرر فيه لأجل خفّةٍ قليلة. فكيف يَرَجِّح ما فيه أعظم الضرر من المائة بتسعة وتسعين احتمالا، على ما فيه أعظم النفع بتسعة وتسعين احتمالا لأجل خفّةٍ جزئية في الصورة، مع ثِقَلَةِ كَلِيّةٍ في الحقيقة؟

أما المسافر فأنّت، وأما إسطنبول فعالم البرزخ والآخرة، وأما الطريق الأيمن، فطريق القرآن الأمر بالصلاة بعد الإيمان. وأما الطريق الأيسر، فطريق أهل الفسق والطغيان. وأما أهل الخبرة والشهود، فالأولياء المشاهدون؛ إذ ذو الولاية ذو ذوق شهودي في الحقائق الإسلامية، فما يعتقدُه العامي قد يشاهده الولي. وأما السلاح والزاد، ففي ضمن التكليف المتضمّن للعبودية المتضمّنة للصلاة المتضمّنة لكلمة التوحيد المتضمّنة لنقطتي الاستناد والاستمداد المتضمّنتين للتوكل على القدير الحفيظ العليم وعلى الغني الكريم الرحيم..

فخلَص من التنزل والتدلل لكل شيءٍ له فيه جهة ضرٌّ أو نفع. إذ «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» يفيد أن لا نافع ولا ضار إلّا هو ولا نفع ولا ضرر إلّا بإذنه.

(١) أي السالك قد حمل على عاتق...

(٢) مقياس للوزن يساوي (١٢٨٢ غم).

(٣) أو أوقية؛ مقياس للوزن القديم.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

**اعلم<sup>(١)</sup>** أيها السعيد المسافر إلى الشيب، إلى القبر، إلى الحشر، إلى الأبد! إن ما أعطاك مالكك من العمر لتحصيل لوازمات الحياتين بقدر الطول والقصر، قد ضيعته كله في هذه الحياة الفانية التي هي كقطرة سرابٍ بالنسبة إلى البحر، فإن كان لك عقل فاصرف نصفه أو ثلثه لا أقل عُشره للباقية. ومن العجائب أن يقال لمثلك من أحق الناس هو عاقل ذو فنون.

مثلا: هل ترى أحمق من عبدٍ أعطاه سيده أربعة وعشرين دينارا وأرسله من «بور دور»، إلى «أنطالية»<sup>(٢)</sup>، إلى «الشام»، إلى «المدينة»، إلى «اليمن». وأمره أن يصرف تلك الدنانير في لوازمات سفره، لكن إلى «أنطالية»، يمشي راجلا له نوع اختيارٍ، لو لم يصرف شيئا لوصل أيضا. ومنها إلى سائر منازل لا اختيار له، إن اشترى وثيقة لركب سفينة أو «شمندوفر»<sup>(٣)</sup> أو طيارة وقطع مسافة شهرٍ في يومٍ. وإلا لذهب ماشيا طريدا تائها وحيدا. مع أن ذلك السائح الأبله صرف ثلاثة وعشرين دينارا في مسافة يومين! فقيل له: فلا أقل فاصرف الواحد ليزاد السفر الطويل، يمكن أن يرحك سيذك. فقال: لا أصرف لاحتمال عدم الفائدة. فقيل له: فيا للعجب لبلأهتك إلى هذه الدرجة! كيف يفتيك عقلك أن ترمي نصف مالك في قمار «البيانكو»<sup>(٤)</sup> وهو ثمانية وأربعون دينارا، مع اشتراك ألف إنسان برجاء الظفر بألف دينار، باحتمال واحد من ألف احتمال. فكيف لا يفتيك هذا العقل بأن تعطي جزءا واحدا من أربعة وعشرين جزءا من مالك لتظفر بكنوز لا نفاذ لها بتسعمائة وتسعة وتسعين احتمالا بشهادات ملايين من أهل الخبرة والاختصاص. مع أنه يهتم في مثل هذه المنفعة الجسيمة بإخبار واحد عامي، فكيف بإخبارات شمس البشر ونجومه المتواترين، وأهل الشهود الذين يُرَجَّح اثنان من مثبتي أهل الشهود على ألوف النافين المنكرين، كما يرَجَّح شاهدان لهُلال رمضان على ألوف المنكرين لرؤيته.

(١) الدرس الخامس من «المدخل إلى النور» و«الكلمة الرابعة» تكشف دقائق هذا المثال.

(٢) أسماء مدن تقع جنوبي تركيا.

(٣) شمندوفر: القطار.

(٤) البيانكو: اليانصيب.

أما العبد المسافر فأنت. وأما «بور دور» فدنياك. وأما «أنطالية» فالقبر. وأما «الشام» فالبرزخ. وأما «اليمن» فما بعد الحشر. وأما الدنانير الأربعة والعشرون، فأربعٌ وعشرون ساعة في عمر اليوم، تصرّف ثلاثا وعشرين ساعة لمصالح الحياة الفانية؛ وتتهاونُ في صرف ساعة واحدة في أداء خمس صلوات التي هي من ألزَم الزاد في السفر الطويل!

هذا التمثيل لبيان سر من أسرار الآية الكريمة:

﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنَّيْنِ \* وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠-٩١).

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا أيها الغافل التارك للدين في طلب الدنيا! أحكي لك حكاية تمثيلية، فيها مثالٌ قسم من حقائق الدنيا والدين.

كان فيما غبر من الزمان أخوان، فذهبا إلى أن انقسم الطريقَ طريقين: في أحدهما كلفةٌ اتباع القوانين، وفي الأخرى لا كلفة في الظاهر.. فذو الخلق الحسن اختار جانب اليمين مع الكلفة الخفيفة. وذو الخلق السيئ اختار جانب اليسار مع الخفة الثقيلة. فذهب ذو الشمال فيما بين القفار إلى أن دخل صحراء خالية فسمع صوتا هائلا، فرأى أسدا مدهشا يهجم عليه، ففرّ إلى أن صادف بثرا عميقا بستين ذراعا، فرمى نفسه فيه، فسقط ثلاثين ذراعا فوصل يده إلى شجرة في جداره، ولها عرقان؛ قد تسلطت عليهما فأرتان: بيضاء وسوداء تقطعان العرقين. فنظر فيما تحته فرأى ثعبانا عظيما رفع رأسه إلى قرب رجله، وسعة فمه كفم البثر. ونظر في جوانبه فرأى حشرات مضرّة مؤذية. فنظر إلى الشجرة فرآها شجرة التين، لكن أثمرت أنواعا متباينة من ثمرات الأشجار المختلفة، فبينما ضجّت لطائفه من دهشة الوضعية، إذ تجاهلت نفسه بالتغافل مع أنبيات لطائفه، فحسب - بالمغالطة - أنه في بستان، فبسرّ حديث: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»<sup>(٢)</sup> هكذا ظنّ، فهكذا عومل. فبقى أبدا بين هذه الأحوال لا يموت ولا يحيى. فهذا المسكين - بسوء فهمه - لم يتفطن أنه لا يمكن التصادف في هذه الأمور المطلسة.

فلنرجع ونترك هذا المشؤوم في عذابه؛ ولنذهب خلف الأخ الميمون المتيامن. فهذا يذهب مستأنسا بحسن ظنه الناشئ من حُسن سيرته. انظر كيف استفاد بحُسن نظره عما

(١) البحث خلاصة «الكلمة الثامنة» والدرس الثاني من «المدخل إلى النور».

(٢) البخاري، التوحيد ٣٥، ١٥؛ مسلم، الذكر ٢، ١٩، التوبة ١؛ الترمذي، الزهد ٥١، الدعوات ١٣١؛ ابن ماجه، الأدب ٥٨.

لم يستفد منه أخوه، إذ صادف في طريقه بستانا فيه أثمارٌ وأزهار، مع مستقذراتٍ وميتات. فتنزّه بالمستحسنات ولم يلتفت إلى الملوّثات كأخيه. ثم ذهب حتى دخل في صحراء خالية فسمع صوت الأسد الهاجم، فخاف لكن لا بدرجة أخيه، باحتمال أن الأسد مأمورٌ سلطانٍ الصحراء، ففرّ فصادف بثرا بستانٍ ذراعا فطرح نفسه فيه، فتعلق في نصفه بشجرة لها عرقان، تسلطت عليهما فأرتان تقطعانهما، فنظر فوقه فرأى الأسد؛ ونظر تحته فرأى ثعبانا عظيما - فمه كفم البئر - تقرب إلى رجله، فتدهّش من الخوف لكن أدنى بمراتب من دهشة أخيه. لأنه تفتّن بحسن ظنه وفهمه من تناظر هذه الأمور العجيبة أن فيه طلسمًا، وأنها تحت أمر حاكم ناظر إليه يجربّه. فتولد من خوفه «مَرَقٌ» معرفةٌ مَنْ هو الذي يتعرّف إليّ ويسوقني إلى أمرٍ من عنده. فتولد من «مَرَقه» محبةٌ صاحب الطلسم. فنظر إلى رأس الشجرة فإذا هي تينة أثمرت أثمارا متباينةً فزال خوفه بالكلية، وتيقن أنه تحت حُكم طلسم، إذ لا يمكن أن تثمر التينة ثمراتٍ سائر الأشجار. فما هي إلا إشاراتٌ إلى ألوانِ الأطعمة التي أعدّها ذلك الملك الكريم لضيوفه. فتولد من محبته له طلبٌ ما يفتح به الطلسم ويرضى به الطلسم، فألهم المفتاح، فنادى: تركتُ الكلّ لك، وتوكلتُ عليك! فانشقّ الجدار، فانفتح بابٌ إلى جنانٍ نزيهة. فرأى الأسد والثعبان انقلبا خادمين يدعوانه إلى الدخول..

فانظر إلى تفاوت حال الأخوين: ذاك ينتظر الدخول في فم الحية، وهذا يدعى إلى الدخول في باب البستان المنور المزهّر المثمر.. وذاك في دهشة أليمة وخوف يتفطر منه أعماق قلبه، وهذا في عبّرة لذيدة وخوف تتقطر منه محبةٌ وحرمةٌ ومعرفة.. وذاك في وحشةٍ ويأسٍ ويُثم، وهذا في أنسيةٍ ورجاءٍ واشتياق.. وذاك في هدفٍ تهاجم الأعداء المحشّة، وهذا ضيف يستأنس بخدام المضيف.. وذاك يعجل عذابه بأكل الثمرات اللذيذة التي أُذن في طعمها لا شراء ما هي من أنموذجها لا إلى أكلها، إذ في بعضها سمٌّ، وهذا يؤجل الأكل ويلتذ بالانتظار..

فإذا تفهّمت دقائق التمثيل فاعرف أوجه التطبيق: أما الأخوان فالروح المؤمن والكافر، والقلبُ الصالح والفاسق. وأما الطريقان فطريق القرآن والإيمان، وطريق العصيان والطغيان. وأما الصحراء فالدنيا. وأما الأسد فالموت. وأما البئر فالبدن والحياة، وأوسط العمر ستون. وأما الشجر فالعمر. وأما الفأرتان البيضاء والسوداء فالنهار والليل. وأما الثعبان فالبرزخ

الذي فمه القبر.. وأما الحشرات المضرة فالمصيبات.. وأما الثمرات فالنعم الدنيوية المشابهة المذكَرات لثمرات الجنة.. وأما المسمومة منها فالمحرمات. وأما الطلسم فسر حكمة الخلق.. وأما المفتاح ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) (أي يا الله أنت معبودي ورضاك مطلوب) و«لا إله إلا الله». وأما تبدل فم الثعبان بباب البستان؛ فلأن القبر لأهل القرآن والإيمان بابٌ إلى رحمة الرحمن في دهليز الجنان، ولأهل الضلالة والطغيان باب إلى ظلمات الوحشة والنسيان في برزخ كالزندان<sup>(١)</sup> كبطن الثعبان. وأما تبدل الأسد المفترس فرسا مونساً؛ فلأن الموت للمضال فراقٌ أبدى عن جميع محبوباته، وإخراجٌ له من جنته الكاذبة الدنيوية إلى زندان القبر في الانفراد. وأما للهادي فوصالٌ إلى أحبابه، ووصولٌ إلى أوطانه، وخروج من زندان الدنيا إلى بستان الجنان لأخذ أجرة الخدمة من فضل الحنان، المنان الديان الرحمن. جل جلاله ولا إله إلا هو.

**اعلم<sup>(٢)</sup>** أيها السعيد المغرور المفتخر بما لم تفعل! أنه لا حق لك في الفخر والغرور؛ إذ ليس منك في نفسك إلا القصور والشر. وإن كان خيراً فهو جزئي كجزئك الاختياري، لكن بجزئك الاختياري تفعل شراً كلياً، إذ بقصورك تُسقط ثمرات سائر الأسباب المتوجهة إلى مقصودك، فتستحق خسارة كلية وخجالة عامة، لكن عكست القضية فتفرغت..

مثلُك في هذا، كمثل مغرورٍ أحق صار شريكاً لجماعة في التجارة بسفينة، ففعل كل واحد وظيفته، فترك هو وظيفته التي بها تتحرك السفينة حتى غرقت فخسروا ألف دينار، فقليل له: الحق أن كل الخسارة عليك، فقال: لا، بل تنقسم علينا فعلياً بمقدار حصتي. ثم في سفر آخر، فعل كما فعلوا فربحوا ألف دينار؛ فقليل له: فليقسم الربح على رأس المال، فقال: لا، بل كل الربح لي، إذ قُتِمَ أولاً كل الخسارة عليك، فإذاً كل الربح لي. فقليل له: أيها الجاهل! «الوجود» يتوقف على وجود كل أجزاء الوجود والشرائط. فثمرَةُ الوجود تُعطى للكل، والربح وجود. وأما الخسارة فثمرَةُ العدم مع أن الكل ينعدم بعدم جزء واحد وبفقد شرط.

فيا أيها السعيد اسماً، والشقي جسماً! تُرجع ثمرَةُ العدم على من صار سبباً للعدم، فلا حق لك في الفخر والغرور.

(١) الزندان: السجن.

(٢) الدرس السادس من «المدخل إلى النور».

أما أولاً: فلأن الشرَّ منك والخير من ربك.

وأما ثانياً: فلأن شرَّك كلي وخيرك جزئي.

وأما ثالثاً: فلأنك أخذت أجرَ عملك الخير قبل العمل، بل لا تساوي جميعُ حسناتك لعُشر معشارٍ عسيرٍ ما أنعم عليك مَنْ جعلك إنساناً مسلماً. ومن هذا السر تكون الجنة من محض الفضل، وتكون جهنم عين العدل؛ إذ قد يعمل البشر بشره الجزئي الآني جنائياً كلياً دائماً.

وأما رابعاً: فلأن الخير إنما يكون خيراً إن كان لله. فإذا كان له، فالتوفيق منه، فالمِنَّة له.. فالحقُّ «الشكر» لا «الفخر» بالإراءة والرياء الذي يصيرُ الخيرَ شراً.. فمن جهلك بهذه الحقيقة صرت مغروراً في نفسك، غروراً لغيرك.. فتُسند حسنات الجماعة إليه فيتفرعنُ في نظرك، بل تقسّم مالَ الله وفعله على الطواغيت.

وكذا من هذا الجهل إسنادُك سيئاتك التي هي منك -بالنص- إلى القدرِ فراراً من المسؤولية، وتملُّكُك للحسنات التي هي من فيض فضلِ فاطرك -بالنص- إلى نفسك، لتحمَدَ بها لم تفعل.. فتأدَّبْ بأدب القرآن: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩) فالتزم ما لك، ولا تغضب ما ليس لك. وكذا تأدَّبْ بأداب القرآن؛ بجعل جزاء السيئة مثلاً.. والحسنة عشرَ أمثالها.. فلا تُعدِّي عداوتك من المسيء بصفةٍ إلى أقاربه وإلى سائر صفاته، وتجاوزُ بمحبتك من المحسن إلى أنسابه مع الصفح عن عيوبه.<sup>(١)</sup>

**اعلم** <sup>(٢)</sup> أيها السعيد الغافل الفضولي! إنك تترك وظيفتك، وتشتغل بوظيفة ربك. فمن ظلمك وجهلك ترككُك لوظيفة العبودية الخفيفة التي هي في وسعتك.. وحملكُك على ظهرك ورأسك وقلبك الضعيف وظيفة الربوبية التي تختص بمن ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾ \* في أي صورةٍ ما شاءَ رَّبُّكَ ﴿(الانفطار: ٨، ٧) فالتزم وظيفتك، وفوض إليه وظيفته لتسعدَ وتستريح.. وإلا صرت عاصياً شقياً وخائناً غوياً. مثلك <sup>(٣)</sup> كمثل نفرٍ عسكري له وظيفة أصلية هي التعليم المخصوص، والحرب والجهاد، والسلطان مُعينُه في هذه الوظيفة بإحضار

(١) هذه المعاني مفصلة في المکتوب الثاني والعشرين، رسالة «الأخوة».

(٢) «الكلمة الخامسة» والدرس السابع من «المدخل إلى النور».

(٣) هذا المثال موضح في «الكلمة الثانية».



لوازماتها، ولسلطانه وظيفةٌ مخصوصةٌ هي إعطاء أرزاق ذلك النفر وتعييناته ولباسه حتى دوائه.. لكن قد يستخدم النفر في وسائل هذه الوظيفة، لكن بحساب الدولة.

ومن هذا السر؛ إذا قلتَ لنفر يطبخ طعامه: ما تفعل؟ يقول: أفعل سُخْرَةً «وعنقرة»<sup>(١)</sup> للدولة، ولا يقول أعمل لرزقي.. لعلمه أنه ليس من وظيفته، بل على الدولة حتى أن تُدخل اللقمة في فمه، إن لم يقدر بالمرض مثلاً. فالنفر المشتغل بالتجارة لتدارك رزقه جاهلٌ شقيٌّ يُزَيِّفُ<sup>(٢)</sup> ويؤدّب.. والتارك للتعليم والجهاد خائن عصيٌّ يُضْرَبُ ويُعَنْف.

فيا سعيد الشقي! أنت ذلك النفر، وصلاتك هي تعليماتك. وتقواك - بترك الكبائر ومجاهدتك مع النفس والشیطان - هي حربك. فهذه هي غاية فطرتك لكن الله هو الموفق المعين. وأما رزقك وإدامة حياتك وما يتعلق بك من الأموال والأولاد، فهي من وظيفة فاطرك، لكنه قد يستخدمك في وسائل قرع أبواب خزائن رحمته بالسؤال الفعلي أو الحالي أو القالي، وقد يستعملك في الذهاب في المسالك التي توصلك إلى مطابخ نعمته، فتطلب بلسان الاستعداد أو الاحتياج أو الفعل أو الحال أو القول ما عين وقدر لك.. فما أجهلك في اتهامك - في حق رزقك - من رزقك أطيب الرزق، وأنت طفل صغير بلا اختيار ولا اقتدار ويرزق كل دابة لا تحمل رزقها وهو السميع العليم القدير الغني الذي جعل الأرض في الصيف مطبخةً لضيوفه يفيض فيوضه في ظروف الرياض، ويملاً أواني الأشجار بلذيزات الأطعمة.. فاعمل بحسابه وباسمه وبإذنه فيما استعملك فيه بعد إيفاء وظيفتك الأصلية.. فإذا تعارضا فعليك بوظيفتك فتوكل عليه، وقل: حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير.

(١) عنقرة: كلمة مستعملة بالتركية أصلها يوناني، وهي تعني العمل مجانا من دون رغبة ولا أجرة.

(٢) بمعنى: يهان ويحقّر.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وكذا ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

وكذا ﴿قُلْ مَا يَدْعُوْا بِيَكْرِىَ لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٧).

**اعلم**<sup>(١)</sup> يا مَنْ يدّعي أنه يدعو ولا يُجاب! إن الدعاء عبادةٌ. وثمرَةُ العبادة في الآخرة. وأما المقاصد الدنيوية فأوقاتُ تلك الأدعية التي هي عبادات مخصوصة.

فكما أن الغروبَ وقتُ صلاة المغرب. والخسوف والكسوف وقتُ صلاة الكسوفين لا غايةَ لهما، وانقطاع المطر؛ وقتُ صلاة الاستسقاء، لا أن الصلاة وُضعت لنزول المطر، بل هي عبادةٌ لوجه الله تدوم مادام لم ينزل، وإذا نزل المطر انقضى وقتها.

وكذا، تسلطُ الظالمين ونزولُ البلايا أوقاتٌ لأدعيةٍ مخصوصة تدوم مادامت هي، فإن رُفعت بها فنورٌ على نور، وإن لم تُرفع لا يُقال: لم يُقبل الدعاء، بل: لم ينقض وقت الدعاء.

وأما وعد الإجابة في ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فالإجابة غيرُ قبول الدعاء بعينها، بل الجوابُ دائمٍ، وإسعافُ الحاجة تابعٌ لحكمة المُجيب.

مثلاً: تقول لطبيك: يا حكيم! فيقول: لبيك مجيباً.. فتقول: أعطني هذا الطعام أو الدواء. فقد يعطيك عينَ ما طلبت أو أحسنَ منه، وقد يمتنعُ بضرورةٍ في مرضك. ومن أسباب عدم قبول الدعاء ظنُّ كونِ الدعاء لهذه المقاصد الدنيوية. مثلاً: يُظن صلاة الاستسقاء موضوعةً للمطر فلا تكون خالصةً فلا تُقبل.

**اعلم** أن بالانقلاب ينفرجُ وادٍ معنوي بين الطرفين، فلا بد من جسر ممدود فيه مناسبة بين العالمين ليمرَّ عليه بالتعري والتلبس من هذا العالم إلى ذلك العالم. لكن الجسر له أشكالٌ متخالفة، وماهيات متباينة وأسماءٌ متنوعة باعتبار أجناس الانقلابات وبُعد مقام المنقلب إليه عن نوع المنقلب. فالنومُ جسرٌ بين عالم اليقظة والمثال. والبرزخ جسر بين الدنيا والآخرة.

(١) الدرس الثامن من «المدخل إلى النور» وموضح في «الكلمة الثالثة والعشرين».

والمثال جسر بين العالم الجسماني والروحاني. والربيع جسر بين الشتاء والصيف. وأما في الحشر فليس فيه واحد، بل تندمج فيه انقلابات كثيرة عظيمة فجسرها أعجب وأعوج وأغرب!

**اعلم** أن في إكثار ذكر القرآن لمآل ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٠) ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨) ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: ١٨) ﴿وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (الرعد: ٣٦) بشارة عظيمة، وتسليّة جسيمة - وإن تضمنت للعاصي تهديداً - إذ تقول هذه الآيات للناس: إن الموت والزوال والفناء والفراق من الدنيا ليست أبواباً للعدم والسقوط في ظلمات الفناء والانعدام، بل هي أبوابٌ للقدوم والذهاب إلى حضور سلطان الأزل والأبد. فهذه الإشارة تُنجي القلب من دهشة ألم تصوّر تمزّقه مع جميع محبوباته بين أيدي عدّمات هائلة غير متناهية، والتفرّق بين أنياب فراقات مدهشة. فانظر إلى دهشة جهنّم المعنوية المندمجة في الكفر! إذ بسر: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ظنّ الكافر هكذا.. فصوّر فاطرُه ظنّه عذاباً أبدياً عليه.. ثم انظر إلى درجة تفوّق لذة اليقين بقاء الله حتى على الجنة، ثم بعده مرتبة الرضاء، ثم بعده درجة الرؤية، حتى إن جهنم الجسمانية للمؤمن العارف العاصي كالجنة بالنسبة إلى جهنم المعنوية للكافر الجاهل بخالقه. ولو لم يكن من البراهين الغير المحصورة للبقاء ووسائله، إلا «تضرّعات حبيب المحبوب الأزلي» وقد اصطف خلفه في تلك الصلاة الكبرى صفوف الأنبياء وصفوف الأولياء مؤمّنين على دعواته ومناجاته، لكفّت وسيلة وبرهاناً. أيمن أن يوجد في هذا الحُسن الأبدع الأجل، والجمال الأبرع الأكمل هذا القبح الأعجب والنقص الأغرب؟ أي بأن لا يسمع مَنْ يسمع أخفى هواجس الحاجات، لأخفى المخلوقات بدليل قضائها في أوقاتها الثلاثة، وأن لا يقبل أرفع الأصوات الصاعدة من الفرش إلى العرش، وأحلى المناجاة، وأعظم الدعوات، في أشد الحاجات..؟ كلا ثم كلا.. هو السميع البصير.

نعم، هذه المعاملة من أوسع مراتب شفاعته عليه الصلاة والسلام وكونه رحمةً للعالمين. **اعلم** أنه كثيراً ما أصادف الغافلين وهم يتحججون بمسألة القدر، ويتعمقون في مسألة الجزء الاختياري، وخلق الأفعال.. مع أنهم بلسان غفلتهم ينكرون القدر رأساً ويعطون الأزمة ليد التصادف، يتوهمون أنفسهم فاعلين على الإطلاق، ويقسمون مآل الله وصنّعه على أبناء جنسه وعلى الأسباب. فالتفكّر الكافرة أو الغافلة في وقت الغفلة تسلب الكلّ باطنا وإن أثبتت ظاهراً. والمؤمنّة العارفة تثبت الكلّ له إيماناً وإذعاناً؛ فهاتان المسألتان في الكلام،

غاياتنا لحدود التوكل والإيمان، ولما راقى التوحيد والإسلام، لأهل الصحو والحضور من العارفين، وبرزخُ حاجز. <sup>(١)</sup> فأين أنتم أيها الغافلون المتفرعون في أنانيتكم، وأين التحقق بهاتين المسألتين؟ فإن ترقيت في المحو والعبودية إلى درجة نفي الجزء الاختياري، وإلى مقام إحالة كل شيء على القدر، فلا بأس عليك، إذ فيك نوعٌ من الشكر؛ إذ هما حينئذٍ من المسائل الإيمانية الحالية، لا العلمية التصورية.

**اعلم** <sup>(٢)</sup> أن التواضع قد ينافي تحديث النعمة. وقد ينجرُّ تحديث النعمة إلى الكبر والغرور، فلا بد من الدقة والإمعان وترك الإفراط والتفريط.

وللاستقامة ميزان وهو أن لكل نعمة وجهين: وجهٌ إلى المنعم عليه فيزيّنه ويميّزه ويتلذّذه، فيفتخر، فيقع في السكر فينسى المالك، فيتملّك، فيظن الكمال بملكه الذاتي، فيتكبر بما لا حقّ له فيه.. ووجهٌ ينظر إلى المنعم فيظهر كرمه، ويعلن رحمته، وينادي على إنعامه، ويشهد على أسائه. وهكذا مما يتلو من آيات جلواته في إنعامه. فالتواضع إنما يكون تواضعا إذا نظر إلى الوجه الأول، وإلا تضمن كفرانا. وتحديث النعمة إنما يكون شكرا معنويا وعمدوفا إذا نظر إلى الوجه الثاني، وإلا تضمن تمدها وغرورا.

يا يوسف الكشري! <sup>(٣)</sup> إذا تلبست بلباس فاخر غالٍ لأخيك يوسف الكيشي، فقال لك سعيد: ما أحسنك! فقل: الحسن للباس، لالي، فتصير متواضعا في التحديث.

**اعلم** أن عرق الرقابة والغبطة والحسد إنما يتحرك عند أخذ الأجرة وتوزيع المكافأة وملاحظتها. وأما عند الخدمة وفي وقت العمل فلا، بل الأضعف يحبُّ الأقوى، والأدنى يميل إلى الأعلى، ويستحسن تفوقه عليه، ويجب زيادته في الخدمة عليه؛ لأنه يتخفف عنه ثقل الخدمة وكلفة العمل. فإذا كانت الدنيا دار خدمة وعمل فقط للأموال الدينية والأعمال الأخروية، لا بد أن لا يتداخل فيها الرقابة والحسد، وإذا تداخلت فيها الرقابة يظهر عدم الإخلاص، وأن العامل في تلك الأعمال يلاحظ مكافأة دنيوية أيضا، وهو تقدير الناس واستحسانهم. ولا يعرف المسكين أنه بهذه الملاحظة أبطل عمله - بدرجة - بعدم الإخلاص بتشريك الناس برب الناس في إعطاء الثواب، وأضعف قوته بتفكير الناس عن معاونته.

(١) وبرزخ حاجز لأهل الغفلة.

(٢) المسألة السابعة من «المكتوب الثامن والعشرين» توضح هذا البحث.

(٣) الكلام موجه إلى «ملا يوسف» أحد طلاب الأستاذ النورسي القدامى.

**اعلم** أن معنى الكرامة مباينٌ لمعنى الاستدراج، إذ الكرامةُ كالمعجزة فعلُ الله.. ويتفطن صاحبُها أنها منه سبحانه، وليس من نفسه، ويطمئن بأنه حامٍ له رقيبٌ عليه يختار له الخير. فيزداد يقيناً وتوكلاً. فقد يشعر بتفاصيل الكرامات بإذن الله، وقد لا يشعر وهذا أولى وأسلم. كأن أنطقه الله بها في قلب أحدٍ، أو مثله له يقظةٌ لهدايته، وهو لا يعلم ما يفعل الله به لعباده.

وأما الاستدراج فينكشف له صورةُ الأشياء الغائبة وهو في غفلة، أو يعمل أفعالاً غريبة، وهو مستند بنفسه واقتداره فيزدادُ بُعداً وأنانيةً وغروراً. فيقول: ﴿إِنَّمَا أَوْفَيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (القصص: ٧٨) وانكشف لي بصفاء نفسي وضياء قلبي.. فلا التباس بين أهل الاستدراج وأهل الولاية في الطبقة الوسطى.

وأما مظهر الفناء الأتم من أهل الطبقة العليا المنكشف لهم بإذن الله الأشياء الغيبية، فيرونها بحواسهم التي هي لله <sup>(١)</sup> فالفرق أظهر؛ إذ نورانية باطنهم المترشحة إلى الظاهر أرفع من أن تلتبس بظلماتٍ من يرائي ويدعو إلى أنانيته.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).

**اعلم** <sup>(٢)</sup> أن التسبيح والعبادة على وجوه غير محدودة في كل شيء، ولا يلزم شعورٌ كل شيء بكل وجوه تسبيحاته وعباداته دائماً. إذ لا يستلزم الحصولُ الحضورَ <sup>(٣)</sup> مثل ذلك كمثل أجير جاهل يعمل في سفينة لمالكها الذي استأجره ليجسَّ بإصبعه على بعض مسامير «الألكتريكية» في بعض الأوقات، ولا يعرف الأجير ما يترتبُ على عمله من الغايات الغالية. وإنما يعرف ما يعود إلى نفسه من الأجرة ولذة المكافأة. حتى قد يتوهم أن وضع هذا العمل ليس إلا لهذه اللذة.. كمثّل الحيوان الذي لا يعرف من غايات الازدواج إلا لذة قضاء الشهوة، ولا يضرُّ جهله هذا -ولا يمنع- من حصول النسل الذي هو غايةٌ من الغايات المطلوبة لملكه. كمثل النمل ينظف وجه الأرض من جنائز الحُيونات، مع أنه لا يعرف إلا تطمين حرصه.. أو كمثل العنكبوت الذي يزين وجه الفضاء، ورؤوس النباتات والأحجار بخيوط حريره المتلمّعة بالضياء للمسابقة مع الهوام في سير الهواء ولا يعرف إلا نسج مصيدته، ومدّ ما يطير

(١) كما جاء في الحديث الشريف «... فإذا أحبيته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها...» (رواه البخاري).

(٢) «الكلمة الرابعة والعشرون - الفصن الرابع» توضيح واف لهذه المسألة.

(٣) أي لا يستلزم حصول التسبيح جمع النفس وبلوغها تمام اليقظة عند التسبيح.

به ليمرَّ عليه.. وكمثل الساعة تُعرِّفك عددَ ما انقضى من عمرك اليومي، وهي لا تعرف إلا زوال ألم تضيق أمعائها<sup>(١)</sup>.. وكمثل النحل صنع ما صنع بحلاوة الوحي المندمج في لذته الخاصة.. وكمثل الوالدات النباتية والحيوانية والإنسانية إنما تعمل للذة الشفقة، ولا تخل جهالاتها بالغايات بحصول تلك الغايات التي زينت بيت الكائنات. بل كأن تلك الشفقة نواةٌ ومِسْطَرٌ لتلك الغايات.

ويكفي المسبحين العابدين علمهم بكيفية عملهم فقط. كما قال عز وجل: ﴿كُلُّ قَدْعِمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾ (النور: ٤١). ولا يلزمهم علمهم بكون عملهم تسبيحا مخصوصا هكذا، وشعورهم بصفة العبادة المعينة. ويكفيهم شعورٌ سائر إخوانهم المتفكرين بها في أعمالهم من لطائف العبادات وغرائب التسيحات. بل يكفي علمُ المعبود المطلق فقط. وإذا لا ابتلاء بالتكليف لا تلزمهم «النية» فلا يلزم شعورهم بوصف عملهم. على أن تلك المصنوعات في الأصل كلماتٌ تسيحاتٌ أفادت معانيها ثم صارت تلك الكلماتُ مسَبِّحاتٍ بالسُّنَّتها كذواتها. وفي تلك الكلمات مسبحاتٌ أخرى. وفي هذه أيضا مسبحات صغار، وفيها أيضا مسبحات أصاغر وهكذا، إلى ما شاء السُّبُوح القدوس جلَّ جلاله ولا إله إلا هو.

**اعلم** أن ما أرسل إليك وزيتك من الرأس إلى القدم من أشتات النعم والمحاسن واللطائف إنما تمرّ «بميزان» من خلال حُجبٍ متباينة، وتَسَلَّلُ «بنظام» من بين لفائف متخالفَةٍ، وتتوجه إليك «بالانتظام» من خلف طوائف متضادة.

**اعلم** أن في النفس أمرا لطيفا كدرهم من ورق رقيق، أظن أنه مرصاد الأبد؛ إذ ما يمسه شيء إلا ويعطيه حُكمُ الأبد ويموّه بوهَم الأبدية، وإذا استعمله الهوى والهوس، صار آلة تجلب أحجار الآخرة وأساساتها إلى الدنيا، فيبنى قصرها عليها، فيأكل أثمار الآخرة بلا نضح في الدنيا الفانية.

**اعلم** أن النفس شيءٌ عجيب! وكنزُ آلاٍ لا تُعد، وموازين لا تُحد، لدرك جلوات كنوز الأسماء الحسنى إن تزكّت.. وكهفُ حَيَاتٍ وعقارب وحشرات، إن دَسَّت وطغت. فالأولى -والله أعلم- بقاؤها لا فناؤها؛ فالبقاء مع التزكية -كما سلكت عليه الصحابة- أوفقُ بسر الحكمة من موتها الأثم كما سلك عليه معظم الأولياء.

(١) المقصود حركة النابض وانفتاحه التدريجي.

نعم، إن في جرثوم<sup>(١)</sup> النفس جوعاً شديداً، واحتياجاً عظيماً، وذوقاً عجبياً. وإذا تحوّل مجرى سجايها، انقلب حرصها المذموم اشتياقاً لا يشبع، وصار غرورها المشؤوم وسيلة النجاة عن جميع أنواع الشرك، وتحوّل حبّها الشديد لنفسها وذاتها؛ حباً ذاتياً لربها وهكذا.. حتى تنقلب سيئاتها حسنات.

**اعلم** أنه كما أن قيمة الإنسان المؤمن قيمة ما فيه من الصنعة العالية، والصبغة الغالية ونقوش جلوات الأسماء، وقيمة الإنسان الكافر أو الغافل قيمة مادته الفانية الساقطة.. كذلك قيمة هذا العالم تزيد بلا نهاية - إن نُظر إليه بالمعنى الحرفي وبحسابه سبحانه - كما علّم القرآن. وتسقط قيمته إلى درجة المادة المتغيرة الجامدة - إن نُظر إليه بالمعنى الاسمي وبحساب الأسباب - كما علّمته الحكمة الفلسفية.

فالعالم المستفاد من القرآن المتعلق بالكائنات؛ أعلى وأعلى بها لا يُحدّ من العلم المستفاد من فنون الفلسفة.

مثلاً: يقول القرآن: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦) فانظر كيف يفتح بهذا الحكم لفهمك مشكاةً إلى سلسلة جلوات الأسماء. أي أيها الإنسان! إن هذه الشمس بعظمتها مسخرة لكم، ونورٌ لبيتكم، ونارٌ لإنضاج مطعوماتكم بأمرٍ من يرزقكم، فلکم مالکٌ رحيم، عظيم القدر بدرجة ما هذه الشمس إلا مصابيح له أُسرجت في منزل معدّ للمسافرين فيها بين منازل الباقية، وهكذا فقس.

وأما ما تقول الحكمة من أن «الشمس نارٌ عظيمة متحركة على نفسها تطايرت منها أرضنا وسيارات هي منظوماتها، وارتبطت بالجاذبة جارية في مداراتها».. فلا تفيدك إلا حيرة في دهشة، وعظمة صماء، وحكمة عمياء.

**اعلم** أنه لا حقّ لك في أن تطلب حقاً من الحق سبحانه، بل حقّ عليك أن تشكره دائماً؛ إذ له الملك والحمد.

يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا كريم! اجعل هذا الكتاب نائباً عني في تكرير هذه الشهادة بعد موتي إلى يوم الدين:

(١) أي أصله.

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، يَا رَبَّ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَا رَبَّ النَّبِيِّينَ وَالْأَخْيَارِ، يَا رَبَّ الصَّادِقِينَ  
وَالْأَبْرَارِ، يَا رَبَّ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، يَا رَبَّ الْحُبُوبِ وَالْأَثَارِ، يَا رَبَّ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ، يَا رَبَّ  
الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ، يَا رَبَّ الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ، يَا رَبَّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ! نُشْهَدُكَ وَنُشْهَدُ حَمَلَةَ  
عَرْشِكَ، وَنُشْهَدُ جَمِيعَ مَلَائِكَتِكَ، وَنُشْهَدُ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِكَ، بِشَهَادَاتِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ وَبَشَهَادَاتِ  
جَمِيعِ أَوْلِيَائِكَ، وَبَشَهَادَاتِ جَمِيعِ آيَاتِكَ التَّكْوِينِيَّةِ وَالْكَلَامِيَّةِ، وَبَشَهَادَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ،  
وَبَشَهَادَاتِ ذُرَاتِ الْكَائِنَاتِ وَمَرْكَبَاتِهَا، وَبَشَهَادَاتِ حَبِيبِكَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَوَاتِكَ، الْمُتَضَمِّنَةِ  
شَهَادَتِهِ لَجَمِيعِ تِلْكَ الشَّهَادَاتِ، وَبَشَهَادَاتِ قُرْآنِكَ، بِأَنَّا كُلُّنَا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاجِبُ  
الْوُجُودَ، الْوَاحِدَ الْأَحَدَ، الْفَرْدَ الصَّمَدَ، الْحَقَّ الْمَبِينَ، الْحَيَّ الْقَيُّومَ، الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ، الْقَدِيرَ الْمَرِيدَ،  
السَّمِيعَ الْبَصِيرَ، الْمُتَكَلِّمَ، لَكَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ  
لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.. وَكَذَا نَشْهَدُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ، وَنَبِيُّكَ،  
وَحَبِيبُكَ، وَرَسُولُكَ، أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.. فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَبَدَ  
الْأَبَدِينَ آمِينَ آمِينَ آمِينَ..

في بيان جوهرة من كنوز آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

اعلم<sup>(١)</sup> يا أيها السعيد الناسي لنفسك ولوظيفة حياتك! الغافل عن حكمة خَلْقَةِ  
الإنسان، الجاهل بما أودع الصانع الحكيم في هذه المصنوعات المزيّنة! أن مثل بناء هذا العالم  
وإدخال العالم الإنساني فيه، كمثل سلطان له خزائن فيها أصناف الجواهر، وله كنوز مخفية، وله  
مهارة في صنع الغرائب، وله معرفة بعجائب فنون لا تعد وبغرائب علوم لا تحد. فأراد ذلك  
الملك أن يظهر على رؤوس الأشهاد حشمة سلطنته وشعشة ثروته وخوارق صنعتيه وغرائب  
معرفته، أي أن يشهد كماله وجماله وجلاله المعنوية بالوجهين؛ بنظره، ونظر غيره.

فبنى قصرا جسيما ذا منازل وسراقات. فزيّنها بمرصعات جواهر كنوزه، ونقشها  
بمزينات لطائف صنعته، ونظمها بدقائق فنون حكمته، ووسمها بمعجزات آثار علومه،  
وفرش فيها سُفرة لذيات نعمه ونعمته. وهكذا مما يظهر بمثله الكمالات الخفية. فدعى رعيته  
للسير والتنزه، وأضافهم بضيافة لا مثل لها، كأن كل لقمة منها أنموذج ماث صنع لطيفة.  
ثم عيّن أستاذا لتعريف ما في ذلك القصر من رموز تلك النقوش وإشارات تلك الصنائع،

(١) الدرس العاشر من «المدخل إلى النور» وهو خلاصة «الكلمة الحادية عشرة» ونواتها.



ووجوه دلالات تلك المرصعات المنظومات والجواهر الموزونات على كمالات صاحبها، ولتعليم الناس آداب الدخول والمعاملات مع صانع القصر، فيقول لهم:

أيها الناس! إن ملكي يتعرف إليكم بإظهار ما في هذا، فاعرفوه.. ويتودّد إليكم بهذه التزيينات، فتودّدوا إليه بالاستحسانات.. ويتحبّب إليكم بهذه الإحسانات، فأحبّوه.. ويرحم إليكم، فاشكروه.. ويتظاهر إليكم فاشتاقوا إليه. وهكذا مما يليق بمثله أن يقول للداخلين. فدخل الناس فافترقوا فرقتين: ففريق نظر إلى ما في القصر، فقالوا: لهذا شأن عظيم، فنظروا إلى المعلم الأستاذ فقالوا: السلام عليك! لا بد لمثل هذا، من مثلك.. فعلمنا ممّا علمك سيّدك.. فنطق فاستمعوا فاستفادوا فعملوا بمرضيات الملك.. ثم دعاهم الملك لقصر خاص لا يوصف، فأكرمهم بها يليق بمثله لمثلهم في مثل ذلك القصر..

والفريق الآخر: ما التفتوا إلى شيء غير الأطعمة، فتعاموا وتصاموا، فأكلوا أكل البهائم فتناموا، وشربوا من الإكسيرات التي لا تُشرب، فسكروا فتنهقوا، فشوشوا على الناظرين، فأخذهم جنوده فطرحهم في سجن يليق بهم.

وأنت تعلم أن الملك لما بنى هذا القصر لهذه المقاصد، وحصول هذه المقاصد مربوط بوجود هذا الأستاذ، وباستماع الناس له.. يحقّ أن يقال: لولا هذا الأستاذ لما بنى الملك القصر، وإذا لم يستمع الناس لتعليمات الأستاذ المبلّغ يخرب القصر ويبدّل.

وإذا تفتنت لسر التمثيل فانظر إلى صورة الحقيقة.. أما القصر فهذا العالم الذي نُور سقفه بمصابيح متبسمة، وزُين فرشه بأزهار متزينة. وأما الملك فهو سلطان الأزل والأبد الذي ﴿سُحِبَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَبُ بِحِجْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى أَلْيَلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: ٥٤). وأما المنازل، فالعوالم المزيّنة كلّها يناسبه. وأما الصنائع الغريبة، فهي معجزات قدرته. وأما الأطعمة، فهي خوارق ثمرات رحمته. وأما المطبخ والتنور، فالأرض وسطحها. وأما الكنوز المخفية وجواهرها، فالأسماء القدسية وجلواتها. وأما النقوش ورموزها، فمنظوماته المصنوعات الرموزات ودلالاتها على أسماء نقاشها. وأما الأستاذ المعلم ورفقاؤه وتلامذته، فسيّدنا محمد

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم.. وأما حواشي الملك في القصر؛ فالملائكة عليهم الصلاة والسلام.. وأما المسافرون المدعوون للسير والضيافة، فالإنسان مع حواشيه من الحيوانات. وأما الفريقان، فأهل الإيمان والقرآن الذي يفسر لأهله معاني آيات كتاب الكائنات. والفريق الآخر؛ أهل الكفر والطغيان التابعون للنفس والشيطان صم بكم عمي هم ﴿كَأَلَّا نَعْتِمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤) لا يفهمون إلا الحياة الدنيوية..

فأما السعداء الأبرار فاستمعوا للعبد الواصف لربه بـ«الجوشن الكبير» وللمبلغ بدلالته للقرآن الكريم. وأنصتوا للقرآن؛ فصاروا نظارين لمحاسن سلطنة الربوبية؛ فكبروا مسبحين، ثم صاروا دالين لبدايع جلوات الأسماء القدسية؛ فسبحوا حامدين وصاروا فاهمين بالطبع بحواسهم لمذخرات خزائن الرحمة؛ فحمدوا شاكرين. ثم صاروا عالمين بجواهر كنوز الأسماء المتجلية بالوزن بموازن جهازاتهم؛ فقدسوا مادحين. ثم صاروا مطالعين لمكتوبات قلم القدرة؛ فاستحسنوا متفكرين. ثم صاروا متنزهين برؤية لطائف الفطرة؛ فأحبوا الفاطر مشتاقين. ثم قابلوا تعرف الصانع إليهم بمعجزات صنعته بالمعرفة في الحيرة فقالوا: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف، بمعجزات جميع مصنوعاتك..» ثم قابلوا تودده إليهم بمزينات ثمرات الرحمة بالمحبة. ثم قابلوا تعطفه وتعهده لهم بلذائذ نعمه بالمحمدة والشكر، فقالوا: «سبحانك ما شكرناك حق شكرك يا مشكور، بأثنيته جميع إحساناتك على رؤوس الأشهاد، وإعلانات جميع نعمك ولذائذها في سوق الكائنات، وبشهادات نشائد منظومات جميع ثمرات رحمتك ونعمتك لدى أنظار المخلوقات». ثم قابلوا إظهاره لكبريائه وكماله وجماله وجلاله في مظاهر الكائنات ومرايا الموجودات السيالة؛ بالسجود في المحبة في الحيرة في المحوية. ثم قابلوا إراءته وسعة رحمته وكثرة ثروته بالفقر والسؤال. ثم قابلوا تشهيره لللطائف صنعته؛ بالتقدير والاستحسان والمشاهدة والشهادة والأشهاد. ثم قابلوا إعلائته لسلطنة ربوبيته في أقطار الكائنات؛ بالتوحيد، بالإطاعة والعبودية بإعلان عجزهم في ضعفهم وفقرهم في فاقتهم. فأدوا وظائف حياتهم في هذه الدار، حتى صاروا في أحسن تقويم، أعلى من كل الخلق خليفة أمينا ذا أمانة ويمني وإيمان. ثم دعاهم ربهم إلى دار السلام للسعادة الأبدية فأكرمهم بها لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما الفريق الآخر الفجار الأشرار، فكفروا فحقروا بالكفر جميع الموجودات بإسقاط

قيمتها كما مرّ سابقاً. وردّوا جميع تجليات الأسماء فجنوا جناية غير متناهية فاستحقوا عقاباً غير متناه.

أيها السعيد المسكين! أتحسب أن وظيفة حياتك حُسنُ محافظة النفس والتربية المدنية وخدمة البطن والهوسات؟.. أم تحسب أن غاية إدراج هذه الخواص والحسيات، والجوارح والجهازات، والأعضاء والآلات، واللطائف والمعنويات في مآكنة حياتك استعمالها في هوسات النفس الدنية في هذه الحياة الفانية؟ كلا! بل ما حكمة إدراجها في فطرتك إلّا إحساسك بجميع أنواع نعمه تعالى، وإذاقة معظم أقسام تجليات أسمائه.

فما غاياتها إلّا أن ترن بتلك الموازين مدخرات خزائن رحمته، وأن تفتح بتلك الجهازات مخفيات كنوز جلوات أسمائه جل جلاله؛ بل ما غايات حياتك إلّا إظهارك وتشهيرك بين إخوانك المخلوقات ما في حياتك من غرائب جلوات أسمائه.. ثم إعلانك بحالك وقالك عند باب ربوبيته عبوديتك.. ثم تبرّجك وتزيّنتك بمرصعات جواهر جلوات أسمائه للعرض والظهور لنظر شهود الشاهد الأزلي.. ثم فهمك لتحية ذوي الحياة بالتسبيحات لواهب الحياة، ومشاهدتك لها، وشهادتك بها، وإشهادك عليها.. ثم فهمك بمقاييسه جزئيات صفاتك وشؤونك لصفات خالقك وشؤونه المطلقة المقدسة.. ثم فهمك الكلمات الموجودات الناطقات بتوحيده وربوبيته.. ثم تفتنك بأمثال عجزك وفقرك لدرجات تجليات قدرته وغناه.

وما ماهية حياتك إلّا خزينة وخريطة وأنموذج وفذلكة ومقياس وميزان وفهرسته لغرائب آثار جلوات أسماء خالق الموت والحياة.. وما صورة حياتك إلّا كلمة مكتوبة مسموعة مفهومة لأسمائه الحسنی. وما حقيقتها إلّا مرآيتها لتجلي الأحدية. وما كمالها في سعادتها إلّا شعورها بما تمثل فيها مع المحبة والشوق لما هي مرآة له، وأما سائر ذوي الحياة فيشاركونك في بعض الغايات المذكورة لكن لا يساوونك، إذ أنت المرأة الجامعة كما روي: «ما يسعني أرض ولا سماء ويسعني قلب عبدي المؤمن»<sup>(١)</sup>.

(١) الحديث «ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية: وذكر جماعة له من الصوفية لا يريدون حقيقة ظاهره من الاتحاد والحلول لأن كلا منهما كفر، وصالحو الصوفية أعرف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وإنها يريدون بذلك أن قلب المؤمن يسع الإيمان بالله ومحبه ومعرفته. أهد. وانظر: أحمد بن حنبل، الزهد ص ٨١؛ الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/ ١٥؛ الديلمي، المسند ٣/ ١٧٤؛ الزركشي، التذكرة في الأحاديث المشتهرة ص ١٣٥؛ السخاوي، المقاصد الحسنة ص ٩٩٠؛ العجلوني، كشف الخفاء ٢/ ٢٥٥.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا فرد، يا حي، يا قيوم، يا حكم، يا عدل، يا قدوس  
 بحق اسمك الأعظم، وبحق آيات فرقانك الأحكم، صلّ على سيدنا محمد رسولك  
 الأكرم بعدد ذرات وجودنا وبعدد عاشر دقائق عمرنا وحياتنا، وأنزل علينا وعلى -ناشر هذه  
 المجموعة من طلاب النور- وعلى طلبة رسائل النور السكينة والتمكين والاطمئنان كما أنزلت  
 على أصحاب وآل نبيك المختار عليه الصلاة والسلام، وأنزل علينا وعلى طلبة رسائل النور  
 السكينة والإيمان الخالص واليقين الكامل والنية الصادقة والمتانة الأتم في خدمة القرآن والإيمان..  
 وآمن فرّعنا بدفع البدعيّات الهائلات عن شعائر الإسلام، وفرّح قلوبنا بإعلان  
 الشعائر الإسلامية في العالم عن قريب الزمان. ونشر رسائل النور بكمال الرواج بين عالم  
 الإسلام. وسلّمنا وسلّم ديننا وسلم طلبة رسالة النور من تجاوز الملحدّين.. وارزقنا  
 وارزق طلبة رسائل النور السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة. واشف أمراضنا  
 واجعل القرآن شفاء لنا ولهم من كل داء واجعلنا واجعلهم من الحامدين الشاكرين دائما  
 آمين والحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. أجمعين آمين..



الرسالة الحادية عشرة<sup>(١)</sup>

# شُعَلٌ

مِنْ أَنْوَارِ شَمْسِ الْقُرْآنِ

(١) طبعت هذه الرسالة لأول مرة بمطبعة «نجم استقبال» بإسطنبول سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م).

اعلم أن الفاطر الحكيم إنما ركب في وجودك هذه الخواس، والحسيات، والجهازات  
لإحساس أنواع نعمة، ولإذاقة أقسام تجليات أسمائه.  
فما غاياتُ حياتك وما حقوقها إلا إظهارُك لآثار تجليات أسمائه، وتشهيرُ غرائبها لدى  
أنظار المخلوقات..

وما إنسانيتك؛ إلا شعورك بهذه الوظيفة.

وما إسلاميتك؛ إلا إذعانك بهذه المظهرية.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد من الله.. وبالله.. وعلى الله.. الله.. كما يليق بالله.. الحمد لله على «الحمد لله» بدور بدور بأنابيب في تسلسل وتسلسل يتسلسل في دور دائر بلا نهاية.

اللَّهُمَّ إنا نقدم إليك بين يدي كل نعمة ورحمة، وبين يدي كل عناية وحكمة، وبين يدي كل حياة وممات، وبين يدي كل حيوان ونبات، وبين يدي كل زهرة وثمره، وبين يدي كل صنعة وصبغة، وبين يدي كل نظام وميزان، وبين يدي كل سكون وحركة في ذرات العالم ومركباتها شهادةً نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.. ونشهد أن محمدا عبده ونبه وحبيبه ورسوله أرسله رحمة للعالمين.

اللَّهُمَّ صل على محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، وشمس هدايتك، وعين عنايتك، ولسان حجتك، ومليك صنع قدرتك، ومثال محبتك، وتمثال رحمتك، وأحب الخلق إليك، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آل كل وصحب كل أجمعين، وعلى ملائكتك المقربين، وعلى عبادك الصالحين من أهل السماوات والأرضين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحانك يا من يسبح بحمدك هذا العالم بلسان محمد عليه أفضل صلواتك وأتم تسليحاتك.

سبحانك يا من تسبح لك الدنيا بآثار محمد عليه أنمى بركاتك.

سبحانك يا من تسبح بحمدك الأرض ساجدةً تحت عرش عظمتك بلسان محمدٍها عليه أزكى تحياتك.

سبحانك يا من يسبح لك المؤمنون والمؤمنات بلسان محمدهم عليه صلواتك أبداً سرمداً.

سبحانك أسبحك بلسان حبيبك محمد عليه أكمل صلواتك وأجل سلامك، فتقبل مني برحمتك كما تقبلته منه.

**اعلم** أن عظمة وَسَعَةٍ عَمُومٍ آيَةٍ ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء: ٤٤) اقتضتُ تفسيراً، فتوجهتُ إليها فترشحتُ متقطرةً منها في قلبي كلماتٍ مفسّراتٍ لها، وسُلمَ مراقبةٌ للصعود إليها. فهي منها وإليها. فإن أحببتَ أن ترشّف تلك القطرات المفسّرات المترشحات من عُمان تلك الآية، والنازلات من سجاوات عظمتها، فاستمع بقلب شهيد ما سيأتي واقراً معي هذا:

سبحانك ما عرفناك -نحن معاشر البشر- حقّ معرفتك يا معروف، بمعجزات جميع مصنوعاتك وبتوصيفات جميع مخلوقاتك، وبتعريفات جميع موجوداتك..

سبحانك ما أعظمَ سلطانك وأوضحَ برهانك!

سبحانك ما ذكرناك حقّ ذكرِك يا مذكورُ، بألسنة جميع مخلوقاتك، وبذوات جميع مصنوعاتك، وبأنفس جميع كلمات كتاب كائناتك..

سبحانك ما أجلّ ذكرِك!

سبحانك ما شكرناك حقّ شكرِك يا مشكورُ، بأثنية جميع إحساناتك على أنظار ذوي البصائر، وبإعلانات جميع نِعَمِكَ في سُوق الكائنات على رؤوس الأشهاد، وبشهادات نشائد جميع ثمرات رحمتك المُفرغة تلك الثمرات في قوالب النظام والميزان..

سبحانك ما أوسعَ رحمتك!

سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك يا معبودَ جميع ملائكتك وجميع مخلوقاتك بجميع أنواع العبادات وأصناف التمجيدات.

سبحانك ما سَبَّحناك حقّ تسييحِك يا مَنْ ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ .. آمنا.. نعم..

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ لك الملائكة بأجناسها المتفاوتة، بألسنتها المختلفة، بأذكارها المتنوعة.

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ لك هذه الكائناتُ بأفواه عوالمها، وأركانِ عوالمها، وأعضاء



أركانها، وأجزاء أعضائها، وجزئيات أنواعها، وحجيرات جزئياتها، وبُفُويَّهَاتِ ذراتها وأثير ذراتها؛ بالسنة نظاماتها الحكيمة، وموازينها العالية، وأحوالها المنظومة، وكيفياتها الموزونة بصُنْعِكَ الحَكِيمِ.

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ بحمدك الجنةُ بأفواهٍ بساتينها بنشاند هي حورُها وقصائِدُ قصورها، ومنظوماتُ أشجارها، ومتشابهاتُ ثمراتها الموزونة.. كما تسبِّحُ لك أشباهُها هنا في ضرَّتِها.

سبحانك يا مَنْ يَلْبَسُ الليل والنهار وسخَّرَ الشمس والقمر، تسبِّحُ لك هذه السماوات، بمنظومات بروجها، بأفواه شمسها بكلمات نجومها، بلسان نظامها في ميزانها، وانتظامها في زينتها، وتلاؤلُّها في حشمتها، وانقيادها في مسخَّريتها، وسكونتها في سكوتها، وحكمتها في حركاتها.

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ لك طبقاتُ الجو بأفواه رعوها وبروقها ورياحها وسحابها وشهابها وأمطارها، بكلمات لمعاتها وقطراتها، بلسان نظامها في ميزانها في غاياتها وثمراتها.

سبحانك يا مَنْ تُسَبِّحُ لك الأرضُ ساجدةً لعظمة قدرتك بمحمدِها وقرآنِها، بأفواه بحورها وجبالها وأنهارها وأشجارها، وبأصواتٍ واهتزازاتٍ صوتية -هما حيواناتها ونباتاتها- وبكلمات نورانية وحروف نورية -هما أنبياءُها وأولياؤها- بلسان نظامها وميزانها وحياتها ومماتها، وفقرها ويبسها، وتبرجها وتزينها، بإذنك الكريم وصُنْعِكَ الحَكِيمِ.

سبحانك يا مَنْ تسبح لك البحورُ بكلماتٍ -هي عجائبُ مخلوقاتِها- وبمنظومات نغماتها بلسان نظامها وميزانها وحكمتها وغاياتها.

سبحانك يا مَنْ جعل الأرض مهادا والجبال أوتادا، تسبِّحُ لك الجبال بأفواه عيونها وأنهارها وأشجارها، بلسان نظاماتها وموازينها وغاياتها ومخازنها.

سبحانك يا مَنْ جعل من الماء كلَّ شيءٍ حي.

ويا مَنْ تسبِّحُ لك الحيوانات بأفواه حواسها وحسياتها وجهازاتها وأعضائها وصنعتها وصبغتها وعقولا وقلوبها، بالسنة نظاماتها وموازينها، وبأسئلة استعداداتها واحتياجاتها ودعواتها وتنعماتها، في أمطارها، وتقلباتها في أطوارها وحياتها ومماتها.

سبحانك يا مَنْ تسبح بحمدك الهوامُ في الهواء عند دورانها بزمزمة هَزْجاتها بشركك،  
والطيورُ في أوكارها مع أفراخها بسجعاتها ونغماتها شكرا لك، بلسان نظامها وميزانها،  
وصنعتها ونقوشها وزيتها كما تناديان على إحسانك، وتصيحان على نعمتك بإظهار شركك  
في وقت تلذذاتها بثمرات نعمتك، وتنعمتا بآثار رحمتك.. كما تسبح بحمدك الحشرات في  
قرارها بدمدمتها، والوحوش في قفارها بغمغمتها بالسنة نظاماتها وموازينها وصورها  
وأشكالها وتنعمتا الكريمة وتقلباتها الحكيمة..

سبحانك ما ألطفَ صنَعك وما أنفذَ حكمك!

سبحانك يا مَنْ تُسبح لك الأشجارُ صريحا بغاية الوضوح عند انفتاح أكمامها،  
وتزايد أوراقها، وتكامل ثمارها، ورقص بناتها على أيادي أغصانها؛ بأفواه أوراقها الخضرة،  
وأزهارها المتبسمه، وأثمارها الضاحكة بلسان نظاماتها وميزانها وطعومها اللذيذة، وألوانها  
الجميلة، وروائحها اللطيفة، ونقوشها المستحسنة، وزيتها المستملحة.. كما تمجّدك وتنادي  
على كمال رأفتك، وتصف تجليات صفاتك، وتُعرّف جلوات أسمائك، وتفسر تحبّيك  
وسياستك لمصنوعاتك؛ بما يترشح من شفاء ثمارها من قطرات لمعات جلوات تحبّيك  
وتعهّدك لمخلوقاتك..

سبحانك ما ألطفَ برهانك في إحسانك، وأزّينَ لطفك في توددك!

سبحانك يا مَنْ تُسبح لك النباتاتُ بكمال الوضوح والبيان عند تنوّر أزهارها وتبسم  
بناتها وانكشاف أكمامها واشتداد جيوبها، بأفواه أزاهيرها وسنابلها بكلمات حباتها المنظومة  
وبذورها الموزونة بلسان نظامها الأرقّ وميزانها الأدق.. كما تمجّدك وتعرّفك وتشفّ عن  
وجه تحبّيك، وتصف صفاتك وتذكر أسماءك وتفسر تودّدك وتعرفك إلى عبادك بما يتقطر من  
عيون أزاهيرها وأسنان سنابلها، من رشحات جلوات توددك وتعرفك إلى مخلوقاتك.

سبحانك ما ألطفَ برهانك وما أنوّرَه وما أحلاه وما أزيّنه!

سبحانك يا مَنْ أنزل الحديد فيه بأس شديد ومَنافع للناس، تسبح لك المعادنُ  
بأنواعها وأجناسها وأشكالها وخواصها وخاصياتها وفوائدها ونقوشها وتريناتها، بلسان  
نظاماتها المرصوفة وموازينها المخصوصة.

سبحانك يا من تُسَبِّحُ لك العناصرُ باجتماعاتها المنتظمة بأمرِك وقدرتك، وتركباتها الموزونة بإذنك وصنعك الحكيم.

سبحانك يا من تُسَبِّحُ لك الذراتُ بفُؤَيَّاتِ تعيناتها ووظائفها بالسنة نظاماتها وموازينها، وعجزها المطلق في ذاتها مع حملها -بحولك- وظائفَ عظيمة، كما تشهد كلُّ ذرة منها على وجوب وجودك بلسان عجزها بنفسها عن تحمل ما لا تطيق هي على حملها من وظائفها العالية العجيبة في دقائق نظام الكون. حتى إن كلاً منها كمثّل نحلة نحلة حملت عليها نخلةً طويلةً، كما تشير كل ذرة منها إلى وحدتك بنظر وظائفها وتوجه حركاتها إلى النظام العام المحيط الدال بالقطع على وحدة الناظم. ففي كل ذرة لك شاهدان على أنك واجب واحد. وفي كل شأن لك آيتان على أنك أحد صمد، بل وفي كل شيء لك شواهد وآيات على أنك واجبٌ واحد أحد صمد، جلّ جلالُك، ولا إله غيرُك، وحدك لا شريك لك.

**اعلم** أن وجودك وحواسك وجوارحك إنما تنظر أولاً وبالذات إلى صانعها الذي يرّيها ويدبرها ووجوهها متوجهةً إليه سبحانه، ولا تنظر إليك إلّا وظيفةً وبمقدار مالكيته الموهومة.

فإن أشارت -لأجل حُسن تعهدك لها- إلى لمعة شعورك بكيفيةٍ حاصلَةٍ من كسبك، فبالمشاهدة تصرّح بعلم بارتئها بما لا يجد من كفاءتها المنتظمة وأحوالها المتقنة.. وهكذا تُفصح بسائر أسماؤه وصفاته المتجلية عليها.

وإن خَدَمْتَك بجهةٍ في دقيقة، خَدَمْتَ صانعها بكل الوجه في كل آن.. ومن خِدْمَتها تشهيرها لغرائب آثار صنعة فاطرها الحكيم، وكذا امتثال الوظائف النظرية المؤذنة بكمال الموازنة في سر التعاون المادي على لطائف رحمته تعالى ولغائِبِ حكمته سبحانه. وكذا إعلاناتها بلسان فهرستيّتها لغرائب الصنعة لمحاسن جلوات فاطرها الحكيم.

وإن نظرتُ إليك بدرجة ما يصل إليها نظرك السطحي وبمقدار ما يحيط بها علمُك الإجمالي، نظرتُ إلى صانعها بجميع ذراتها ومركباتها وكيفياتها وأحوالها، فما ميزان مالكيته

الموهومة إلا درجةً نظرك وتصرفك فيها، وما هو إلا كقطرة من بحر، فاعرف حدَّك ولا تجاوز طورَكَ.

فوجودك وتوابعه له وجهان: فبالوجه الناظر إلى الحق سبحانه له قيمة عالية غالية. وبالوجه الناظر إلى الخلق له لفئته وزواله.

إذ الوجه الأول يقول لك وللناظر: إنك صنعةٌ لطيفةٌ، وأثرٌ نظيفٌ نزبه لمن فطر السماوات والأرض. فحسبك من الوجود وكماله ولذته وقيمه علمك بأنك صنعةٌ للصانع الذي زين السماء بهذه النجوم والشموس، حتى صرّت أخا عزيزاً صغيراً لهذا العالم، يخدمك أخوك الكبير.

والوجه الثاني يقول لك ناعياً باليتم: إنك مجموعٌ عناصرٍ ترافقت باتفاقية عمية، وعن قريب تتفرق بفراق أليم ومفارقة صماء. فلا تظلم وجودك بالتمكك ولا تبخس حقه بقطعه عن الحق، المؤدي لإسقاطه من القيمة. فلا يقام له الوزن حينئذ؛ إذ قيمة ملايين سنة وألوف قنطار من هذا الوجود الأثير المكفهر لا تساوي قيمة ذرة وأن سيالٍ لذلك الوجود المظهر المطهر.. ألا ترى أنك ما اقتطعتك بارتك اقتطاعاً من مواد حاضرة، ولا أخذك أخذاً من صُبرة الكون، ولا اغترفك اغترافاً من بحر الوجود، كيفما اتفق؟ هل ترى في سوق عالم الكون والفساد دكاناً يشتري منه العيون أو مخزناً ادّخر فيه الأدمغة والألسنة، أو ماكنة تصنع القلوب وتنسج الجلود؟ كلا ثم كلا! بل أنشأك بارتك، واخترعك فاطرُك بصورة بدیعة جامعة، وخلقك من شيءٍ كلاً شيءٍ، أو من كل شيءٍ، حتى لا يطمع شيءٌ من الأشياء -ولو أعظم الأشياء الممكنة- في خلق شيءٍ من الأشياء ولو أصغر الأشياء، وحتى لا يتناول إلى دعوى خلق ذبابة مثلاً من لا يقتدر على خلق السماوات.

فمن لا يقتدر على خلق كل شيءٍ لا يقتدر على خلق شيءٍ ما من الأشياء.

**اعلم** أن المادة التي يتصرف فيها الصانع الماهر فيظهر فيها صنعةٌ عجيبة قد لا تساوي قيمة تلك المادة عشر معشار قيمة «الصناعة». كالزجاج الذي صنّع منه المرأة الإسكندرانية مثلاً. وقد تتوازن قيمة المادة والصناعة كالبقولاء<sup>(١)</sup> النفيسة من يد طابخ حاذق، وقد تزيد عليها. وإن لكل من المادة وما فيها من الصناعة غاياتٍ وثمراتٍ تغاير غاياتٍ الآخر.

(١) البقولاء: نوع من الحلويات والمعجنات المعروفة.

وأما مصنوعات الصانع الأزلي فأكثرها - بل كلها - من القسم الأول حتى كأن المصنوعَ صنعةً متجسمةً، لاسيما ذوي الحياة، ولاسيما صغارها التي تضاءلت فيها المادة وتلاشت في كثافة دقائق الصنعة، وقد يصير شيء واحد غايةً لهما، لكن بجهتين كالرزق مثلا: فمن جهة المادة والحياة ما هو إلا تغذٍ بتلذذ جزئي زائل لحفظ الحياة وبقائها.

وأما من جهة الصنعة المعلنة المثيرة لآثار جلوات الصانع، فالرزق كنز عجيب لطيف، وخزينة غريبة نظيفة، إذ في الرزق حينئذ التحسس بإحساس جميع النعم والشعور بها، والتذوق عند إذابة أقسام تجليات أسماء الرزاق الكريم، والتشرف بها والتنور بفهمها. فإن شئت فانظر إلى لسانك الذي هو واحد من ألوف آلات الارتاق بالرزق المادي والمعنوي، كيف اشتمل هذا الجرم الصغير على جهازات ذائقات بعدد طعوم الذوقات. فإن اتبه وشعر ذو اللسان شكر هذا اللسان بهذه الألسنة الدقيقات في جهازه، لطائف نعم من أذاقه برحمته هذه النعم اللذيذات.

نعم، ومن شكر النعمة - بل ألد من النعمة - الشعور بالإنعام، ودرك الثفات المنعم.

**اعلم** أنه ما من مصنوع إلا وهو منظوم، وما من مخلوق إلا وهو موزون، قد أنشأه بارئُه صحيحا صريحا، وأنشده فاطرُه واضحا فصيحاً. وإن ما يرى في هذه الأشياء الدنيوية وما في أثاثات هذا البيت الفاني من «التنظيم» بحساب معدود وبنظام مسرود، ومن «التوازن» بموازين حساسة، والموازنة بمقاييس حساسة يرمان بل يُفصحان بعظمة الحساب في الحشر وتحقق وجوده فيه، وإلى هيبة الميزان في عرصات القيامة، ووقوعه ووضعه فيها، إذ ما يشاهد هنا ما هو إلا بذور وأساسات ومباد ومبشرات وشواهد وعلامات لما يتسبّل في الآخرة.

وإن كل ما نشاهد في هذا الكون ما هو إلا مصنوع، وأثر الصنعة عليه ظاهرٌ جلي، يكاد أن ينطق، ولا يُشاهد صانعه. وما يُتوهم من جنس الممكنات أنه صانعُ شيء، فهو أضعف وأعجز بمراتب غير محدودة من أن يكون صانعه حقيقة. إذ لا بد لتصنيع كل شيء وإنشائه لاسيما من جنس النباتات والحيوانات من آلات مختلفة، وتجهيزات متنوعة، وموازين حساسة كالموازين المستعملة في تركيب الأدوية والمعجونات. وليست فليس<sup>(١)</sup>. مع أن عند كل مصنوع ومعه

(١) أي إنه ليست للمصنوع تلك الآلات المذكورة. فليس له أن يصنع شيئا قط.

وفوقه وفيه وتحتة وقبله وآخره شيء، ومع ذلك الشيء كل ما يلزم للمصنوع وجودا وبقاءً، وما ذلك الشيء إلا من لمعات وتجليات أنوار قُدرةٍ من خزائنه بين «الكاف والنون».

لكن، إن من الأسماء ما يقبل توسط الوسائط الظاهرية، فيتجلى ذلك الاسم في خلال الحُجُب، وخلف السراقات؛ كالمتكلم، والرزاق، والوهاب، وأمثالها. وبعضها لا يقبل التوسيط ولو ظاهرياً؛ كالخالق، والموجد، والمحبي، وأمثالها. كمثل السلطان مع النفس؛ ففي نفس أرزاقه وسلاحه ولباسه لا واسطة، وفي تحريكه وتعليمه وتوظيفه وتلطيفه تتوسط الوسائط، لكن يأذن السلطان. إلا أن التوسط هنا لعجز سلطان البشر وضعفه. وهناك لعزة سلطان الأزل وعظمته.

**اعلم** أي رأيت على رأس شُجيرة نابتة في صخرة، نوعين من الثمرات، فتحيرت منه<sup>(١)</sup> فتحيرتها فإذا أحد النوعين: ثمرتها الخاصة بها يقال لها بالكردي «كِرْوان»<sup>(٢)</sup>. والنوع الثاني كالباقلة بمقدار الأصابع، أو أصغر أو أكبر، مقوسة مجوفة كالمنزل المعد للمسافرين. فأخذت من الثمرة الثانية واحدة، وإذا فتحتها تسارعت إلى الطيران في الهواء طويرات، كالذر في الصغر، وهي التي تراها صافات كأخواتها من طويرات النمل والذباب، قبيل الغروب وهي ترقص في الضياء بجذبة الذكر، فلا تظن أنهن لاهيات لاعبات؛ بل ما هن إلا مجذوبات ذاكرات للرحمن الذي يمسكهن في الهواء، وهي شبان وتُجعل لهن -وهي أجنة- هذه الباقلة -التي كما أنها لا تناسبهن لمخالفة الجنس ولا تناسب الشجيرة لمخالفة النوع- أو كالأرحام لطيفةً حصينةً من أحسن الأوكار، فيها أرزاق نظيفة لذيذة.

فهذه الحالة تصرّح بأن هذه المعاملة إنما تصدر من نظيرٍ وتدير فوق نظير هذا الجامد وهذه البهيمة؛ إذ لما لم يصلح لهذا التدبير الحكيم؛ لزمّت حوالة<sup>(٣)</sup> هذا التدبير على خارجٍ عليهم، وهذا الخارج المتصرف لابد من أول الأمر البتة أن يحيط بكل أفراد هذين النوعين في جميع أقطار الأرض. وكذا بما يتعلق بهما، وكذا بمهدهما بالضرورة القطعية. ولا يكون هكذا إلا من هو عليهم بكل شيء، وقدير على كل شيء.

(١) أي تحيرت مما رأيت.

(٢) كِرْوان: الحبة الخضراء.

(٣) بمعنى إحالة.

أسألك يا من يجوّز تصرف غير الله في ملك الله، ويا من يقبل إمكان وجود التصادف في بعض لطائف صنع الله! كيف تسمع، أم كيف تفهم، أم كيف تعلم هذه الشجيرة لسان الذبابة التي باضت على رأس غصنها، مودعة بيضاتها في يد حمايتها، حتى تشرع الشجيرة في ذلك الآن تتخذ بالطف شفقة أوكارا أمينة كأرحام الأمهات، أو أرحاما كالأوكار رفيعة، ومهادا مهتزة في الهواء. فتأخذ الشجيرة من خزينة الرحمة رزقا كافيا، وافيا، لذبا، عزيزا. فتدخره في تلك الأوكار في سبيل الله لمن ليس من أبناء جنسها، ولا من جنس بناتها، بل لمسافرين هم وديعة الله. فما هذا «التجاوب» بين هؤلاء المصنوعات إلا آية شاهدة بأن كليهما -بل الكل، بل كلّ ما في الكون- خدام سيد واحد، وتحت تدبير مربّ واحد، وفي تربية مدير واحد، أحد صمد. آمنا.

**اعلم** أن النظر إلى الهوام الذاكرات لفاطرها في جو الهواء بالسنة أحوالها وأطوارها ونقوشها المنظومة وأجسامها الموزونة المكتوبة بالكلمات المنقوشة كما تذكّر الله وتفهم ذكرها لك - وإن لم تفهم هي بنفسها - بالسنتها المخصوصة وأصواتها الملفوظة، كأن كلّ طُورية منها كلمة ناطقة بلسانها عين ما تنطق به ذاتها.. وكذا النظر إلى الحشرات المسبّحات لخالقها في جوف الغبراء بالسنة نقوشها وترتيباتها المكتوبة بقلم القدرة، كما تسبح بكلامها الملفوظ المخصوص بها. لا بد أن يفيدك أمورا أربعة:

فأولا: اطمئنن النفس بأنك في مأمن حصين وحصن أمين محاط من كل وجه بمولودات وأطفال وطفيلات تربيها شفقة عليم، وتدبرها تربية حكيم، وترتيها عناية كريم، وتحسن إليها رحمة رحيم. فأنت تحت نظر هذا العليم الحكيم الكريم الرحيم دائما..

وثانيا: لا بد أن يفيدك ذلك النظر قناعة النفس، بأنك لست سدى مهملا، غاربك على عنقك<sup>(١)</sup> تسرح كما تشاء، وأن لست موكولا مفوضا إلى نفسك العاجزة عن أدنى حاجاتك الغير المحدودة حتى تقعد ملوما محسورا، متوحشا عن عجزك المطلق وحاجاتك الغير المحصورة. لأجل أنك ترى في تلك الصغار نظاما تاما خاصا في عموميته، عاما في خصوصيته. وميزانا حساسا في وسعته، وجساسا بالاقتصاد والإمساك في عين سماحته.

(١) لعله: جبلك على غاربك.

أيها الغافل! ألا تتلو عليك هذه الحواشي الدقيقة، والكتب الرقيقة الموجودة في بعض الحروف الكبيرة أنك موزون بين موازين.. فَتَنَّبَهُ وَأَقَمَ الوزن بالقسط.. والحال أنك تلهو كمجنون بين مجانين، فتبَّله وتخرس الميزان بالقسط.<sup>(١)</sup>

وثالثا: لا بد أن تلقنك هذه الرؤية التوكل والاعتماد بأن من ترجوه لكل شيء وتخافه دائما، في نهاية القرب إليك في عين نهاية بُعدك عنه. يتصرف فيك وفيما حوالبك بقدرته التي يتساوى بالنسبة إليها الأصغر والأكبر، والأقل والأكثر، والأقرب والأبعد؛ لا تكلف ولا معالجة، ولا مباشرة اختلاط في أفاعيلها بالحدس الشهودي. أفلا تقرأ عليك هذه الحقيقة أن: لا تخف ولا تحزن ولا تتوحش؛ إذ أينما كنت فهناك ملكه، وأينما توجهت فتم وجهه، وأنت في وطنك، ولو في بطن الأرض. وأنت تحت نظره، ولو في جوف العدم. تأخذك بإذنه وأمره الأيادي الرحيمة الكريمة الحكيمة من حال إلى حال، وطور إلى طور. لا تخرج من يد إلا وتسابق لأخذك يد أخرى بالانتظام، ولا تُصادف في سفرك غول التصادف أصلا. ولا تُظلم بالعدم ولا يظلمك الفناء بالإعدام. وكم من عدم ترى خلفه -إن اقتحمته- أو تحته أو فيه خزينة من خزائن الرحمة مشحونة بما «هو يبقى» من جنس ما «هو يفنى» في هذا الوجود.

ورابعا: لا بد أن تفيدك رؤية صغار الهوام وضوح برهان المخلوقية التامة، والمصنوعية العامة في كل شيء للصانع الواحد. وتُكَبِّرَ في نظرك هذا البرهان بدرجة صغرها،<sup>(٢)</sup> وتُظْهِرَ بدرجة خفائها؛<sup>(٣)</sup> إذ من المحال أن يخرج المحاط من دائرة تصرف خالق المحيط، فخالقه هو خالقه بالضرورة القطعية. إلا أن الصنعة فيها المادة وغمرتها، خلافا للمصنوعات الكبيرة.

**اعلم** أيها الغافل إن أكثر وسوستك إنها تنشأ من أمور أربعة:

فأولا: من نسيانك نفسك إلى درجة تنقلب شعرة الأنانية جبلا غليظا؛ لأنك لما نسيت الله بالهوى، فأנסاك نفسك، تغلظت أنانيتك فتفسقت من قشرها المتشقق بكبرها.

وثانيا: من قياس كل ذي حياة على نفسك.. مثلا: إذا رأيت حيوانا فمع أن المشهود

(١) أي بالخطأ.

(٢) أي صغر المصنوعية والمخلوقية.

(٣) أي رغم خفائها.



حيوان معصوم، مأمون، ممنون؛<sup>(١)</sup> تفرضه إنسانا متفكرا محزوناً متشتت الخواطر.. فتظن رقصه في فرح اضطراباً في ترح.

وثالثاً: من قَصَرَ نظرك على تجلّي اسم الظاهر فقط، حتى تتوهم أن ما خرج عن دائرة هذا الاسم لا يرجع إلى دائرة مسمّاه. كلا، إن المسمى الذي له الأسماء الحسنی، كما أنه هو فوق الفوق، فهو في أبطن البطون، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن.

ورابعاً: من طلب تجلي الأحدى التي هي أعلى التجليات، وأبعدّها وأخفّاها، وأبسطها في أوسع وأكثر وأرقّ ما انبسط إليها الكثرة وانتشرت؛ إذ تنظر إلى حيوان مثلاً: فتفنى فيه بالقياس النفسي المار آنفاً، فتدخل معك فيه أنواع حسياتك. مثلاً: تتصوره مثلك حزينا لفراق أليفه أو وطنه، ومغموماً بالتفكير في عاقبه ورزقه. فتتألم لمرض الشفقة من آلامه الموهومة، مع أنك لو دخلت في عالمه بالتحقيق لما رأيت شيئاً مما توهمته حينما دخلت فيه بالفرض من طريق القياس النفسي.

وكما أخطأت بهذا القياس قد تخطئ أعظم خطأ بقياس آخر، وهو أنك ترى النحلة -مثلاً- مصنوعة، فتقيس بلا شعور صانعها الواجب الواحد الحكيم الذي لا كلفة ولا معالجة ولا مباشرة بالاختلاط ولا تعمّل في أفاعيله؛ قياساً على الممكن المسكين الكثير الكثيف المقيد المحدود الذي أفاعيله لا تكون إلّا بالمباشرة والمخالطة والكلفة والمعالجة؛ فتتوهم من هذا القياس قربك وقرب تلك المصنوعة -التي يحول قلم الصانع عليها الآن بل دائماً- من صانعها المتقدس المتنزّه المتعالي. نعم، هو جلّ شأنه من جانبه سبحانه قريب.. لا أقرب منه، أقرب من كل قريب، وأقرب من حبل الوريد.. لكن أنت، وهذا المصنوع، من جهتكما بعيدان بعيد لا نهاية له، كمثّل الزجاجة التي تمثل فيها الشمس بالتجلي فتلاأت بشعاعها، وتوّرت بضياؤها، وتزيّنت بانكسار الألوان السبعة التي في ضيائها، وانفتح من ملكوت قلب الزجاجة إلى ذات الشمس منفذاً وسبيلاً فيرى من ظاهر ملكها تمثال الشمس مع لوازمه في بطن وجه تلك الزجاجة بالقرب من يدك. لكن إن مددت يدك ما وصلت إلى شيء، ولو مُدَّ يدك بسبعين بل بسبعمائة مثل قطر الأرض. حتى إن من في عقله بلاهة وفي قلبه محبة للشمس، قد يريد

أن يصل إلى محبوبته الشمس في كل ما تألأت فيه، مستندا بهذا الوهم السطحي، والرؤية الظاهرة.

وكذا قد يطلب من كل ما تمثل فيه الشمس تمام ما سمعه أو عرفه من أوصاف ذات الشمس، ولوازماتها التي لا يسعها إلا مجموع عالم منظومتها، فإن لم يجد الأوصاف في المثال في شيء، يشرع ينكر وجود الشمس في ذلك الشيء. بل قد ينكرها مطلقا.

والقلب مرآة الأحاد الصمد، لكن له شعور احتساس بما تجلّى فيه، وعلاقة مفتونة بما تمثّل فيه، خلافا لسائر المرايا. كما بيّنه الإمام الربّاني رضي الله عنه. وبهذه الخاصية يستعد القلب لسعادات لا تُعد.

فإن قلت: ما السر في اقتران فعالية خارقة في مصنوع ذي حياة، مع سكونية ما حوله كأنه لا شيء هناك، ومع عدم ترشح هذه الفعالية المدهشة من أرق لفائفه إلى الخارج، ولو بمقدار ذرة؟

قيل لك، كما قيل لي في قلبي: لو كانت الفعالية للأسباب الإمكانية، ومن أنفس الأشياء؛ لَزم أن يكون في كل حيوان فاعلٌ مستقل، له علم محيط، وفي كل ثمرة صانعٌ قدير له قدرة مطلقة تامة بحيث لا يتعسر على تلك القدرة خلق الأرض بما فيها، فحينئذ يكون الترشح والتفشي والانتشار والطغيان من الضروريات، ولكن هذا الأمن والأمان المشهودان في الكون والمكان، وهذا السكون والسكوت المريان في غير عالم الإنسان، وهذا الانقياد والسلم والسلام في هذا العالم في كل زمان ما هو إلا لأن هذه الصنعة الموزونة، والصبغة المنظومة صنعة وصبغة لمن ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢) ولمن يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١). فنسبة فعلك بيدك إلى فعلك بأسرع الخيال، كنسبة الفعل بالخيال - لو أمكن - إلى فعل قدرة الباري بل لا مناسبة.

**اعلم** أيها السعيد المسكين المغرور! إنه ليس إليك منك من ألوف حاجاتك إلا واحد أو أقل. والباقي بالتمام مفوّض باليقين إلى فاطرك الذي خلقك أولا كالفتير<sup>(١)</sup> بقدرته، ثم فتح صورتك في الماء بلطيف صنعه، لتصير مرآة أسائه.. وشق سمعك وبصرك برحمته،

(١) الفتير: العجين الذي لم يتم تخميره بعد.

لتسمع الحقَّ وتعتبر بالخلق فتعرف الخالق.. وعلّق في كهف وجهك بعنايته لسانا لتذكره.. وأدرج في رأسك عقلا لتعرفه.. وأودع في صدرك جنانا لتحبه.. ولطّف بك في ظلمات الأحشاء، وتصرفّ فيك بربوبيته كيف يشاء، وركّب في وجودك بحكمته هذه الحواسّ بأنواعها، وهاتيك الأعضاء بأقسامها؛ لأجل إحساس جميع أنواع ثمرات نعيمه، ولإذاقة أقسام تحليات أسمائه.

فيا أيها الغافل المغرور! إلى كم تهتمه، وهو هذا وقد لطّف بك هكذا. وتعتمد على ذرة اقتدارك الجزئي، فيفوّضك حينئذ إلى نفسك بسبب سوء اختيارك فتصير ظالما لنفسك لتحميلها ما لا طاقة لها به. وما بالك وما منعك أن تتوكل على مَنْ ناصيتك بيده، وحاجأتك راجعةٌ إليه حتى تُلقَى -بالتسليم له- ما إليك على ما إليه. وتُلْقَى بالتوكل عليه نفسك في سفينته الجارية بين طوفان الشؤن فتقول: ﴿يَسْمِ اللَّهُمَّ جَرِّبْنَاهَا وَمُرْسِنَهَا﴾ (هود: ٤١) حتى تستوي على الجودي الإسلامي، وتستريح في ساحل السلامة. ألا ترى أن شمس الحياة قد اقترب أن تغرب! وأن قمر الوجود قد انخسف بالشيب، واكفهر ببياض الهرم. وأن لا فائدة فيها سواه تعالى، بل كما أنه لا فائدة فيها سواه، إن لم يأذن به ففيه ضررٌ عظيم. فإن كان بدونه فكل شيء ضررٌ وعدو. وإن كان به فهو مُغنٍ عن كل شيء، فلا بد من التّرك على الحالين:

أما في حالٍ، فلكونه ضررا محضا. وأما في حالٍ، فلتفويت طلب الغير غاية الغايات مع فوات نفسه.

نعم، وبدونه الألمُ أزيد من اللذة في كل لذة، بل اللذة بدونه ألمٌ ممّوه... ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ<sup>ط</sup>﴾ (الذاريات: ٥٠) فإن عنده من كل شيء -يفنى عندكم- ما هو يبقى من نوع ذلك الشيء، فما يزول هنا ولا يدوم بدونه، يستمر هناك ويدوم به. مع أن الوقت ضيقٌ.. ألا ترى أنك في سكرات الموت، إذ تمامُ عمرك سُكر في سكرات، وسَفَر في سقطات. فارفع رأسك من الدنيا، كي ترى عند بارتك نعمةً أبدية، ورحمة سرمدية، ومحبة أزلية.

**اعلم** أيها المتفكر المتحير المتحري! إذا انتهى علمك إلى شيء، أو رأيت في شيء جهةً من عدم التناهي، فسبّح بحمده تعالى على قُربك إلى الحق؛ إذ المجهولية واللاتناهيّة عنوانان وعلامتان نُصبتا على حدود تصرّف ربوبيته المطلقة جل جلاله.

**اعلم** أيها الوهّام! إذا تهاجمت عليك الأوهام، فانظر يمينا لترى دوائر تصرف الخلافة تتناظر متضابفة، من دائرة المجرة ومدار السيارات؛ متسلسلة إلى دائرة الجوهر الفرد ومدار الذرات. ومن خلق السماوات مسردة، إلى خلق الثمرات. ومن إنشاء الأرض، إلى إيجاد الأرضة الآكلة للشجرة بتناظر وتشابه وتساند. تدل على اتحاد القلم، ووحدة السكة، وأنت في وسط مخروط الكائنات قائم، حامل للأمانة، مقلد بالخلافة.

ثم انظر شمالا لترى النظام العام يأمر بالعدل في كل شيء، وترى الميزان التام ينهي عن الميل في كل شيء. ففي ذلك؛ ما هو كالبرق يطير الأوهام. وفي هذا؛ ما هو كالرعد يطرّد الأحلام.

ثم انظر إليك، لترى نفسك وجسمك مصنوعين من الرأس إلى القدم، من أصغر حُجيرة، إلى تمام بدنك الذي هو أيضا حُجيرة كبرى.

ثم انظر في قلبك، إلى فوقك، لترى بإيمانك أنوار نور الأنوار.. الذي خلق النور.. ونور النور.. وصور النور.. ونفذ أنوار تجلياته في كل شيء جلّ جلاله.

**اعلم** أن استعمال اسم التفضيل في بعض أسماء الله وصفاته وأفعاله ك ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ و ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ، و«الله أكبر» وغير ذلك لا ينافي محض التوحيد. إذ المراد تفضيل الموصوف بالحقيقة وبالذات، على الموصوف بالوهم وبالنظر الظاهري الأسببي أو بالإمكانات العقلية. وكذا لا ينافي عزة الواحد القهار؛ إذ ليس المراد منه الموازنة بين صفاته أو فعله في نفس الأمر، وبين صفات المخلوقين وأفعالهم؛ لأن مجموع ما في المصنوعات من الكمال ظل مُفاض بالنسبة إلى كماله سبحانه. فلا حقّ للمجموع -من حيث المجموع- أن تكون له نسبة موازنة معه، حتى يصير مفضلاً عليه.. بل المراد الموازنة بين أثره الخاص على مفعول خاص، وتأثير المفعول من تأثيره الحقيقي فيه على درجة استعداده الخاص.. وبين أثر الوسائط الظاهرية في ذلك الشيء الخاص وتأثيره منها. كما يُقال لنفر لا يعظم إلا جأوشه<sup>(١)</sup> ويحضر شكره وحرمة عليه: يا هذا! السلطان أعظم وأرحم من جأوشك.. وليس المراد المفاضلة بين الجأوش والسلطان في نفس الأمر؛ إذ هو هزل، ما هو بالجد. بل المراد المفاضلة بالنسبة إلى ذلك النفّر، باعتبار درجة مربوطيته بالسلطان حقيقة، وبالجأوش تبعاً مع إذن السلطان.

(١) جأوش: رتبة عسكرية تقابل العريف.

وأما «أرأف من كل رؤوف»، و«أكرم من كل كريم»، و«أعز من كل عزيز» وأمثالها؛ فالمراد أن لو اجتمع جميع رَأَفَات جميع الكرماء على شخص، ما سaut ما أصاب ذلك الشخص من بحر رحمته التي لا نهاية لها. ففيها تفضيل من أربعة أوجه: إذ المفضل حقيقي وواحد وفي واحد وبواحد. والمفضل عليه اعتباري، وجماعة، وجميع ما في أيديهم، لا يساوي حصة واحدة، في شخص واحد مما لا يتناهى من فيض الأحد الصمد.. وكما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٣).

**اعلم** أن لفظ «الله» يدل بالدلالة الالتزامية، على معاني كل الأسماء الحسنى وعلى جميع الأوصاف الكمالية. خلافا لسائر الأعلام الدالة على ذوات المسميات فقط.. بسر أن صفات سائر الذوات ليست بلازمة للذوات، فلا يدل اسم الذات على صفاتها، لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما. وأما الذات الأقدس؛ فلوجود اللزوم بينه وبين صفاته وأسمائه.. وكذا لاستلزام الألوهية لها، يدل اسمه العَلَمي على جميع صفاته بالدلالة الالتزامية.. وكذا لفظ الإله، في سياق النفي.<sup>(١)</sup>

إذا علمت هذا؛ فاعلم أن «لا إله إلا الله» يتضمن من التوحيد، ومن أحكام التوحيد عددَ الأسماء الحسنى.. فهذا الكلام الواحد يشتمل على ألوف كلام، كلُّ كلام مثل هذا الكلام مركَّب من نفي وإثبات. ولأجل أن النفي يتوجه إلى فردٍ فردٍ بالاستغراق الفردي؛ يكون في الإثبات إثباتٌ مجموع ما نُفِيَ عن الغير، بالقاعدة المقررة في المنطق. فكأنه قيل: «لا خالق، ولا رازق، ولا قيوم، ولا مالك، ولا فاطر، ولا قهار، إلا الله».. وهكذا، فيمكن أن ينبسط هذا الكلام للذاكر المتلقي في الأطوار والمراتب، على كل مراتبه وأحواله. فيكون التكرار كالتأكيد بالتأسيس.

**اعلم** أنك إذا عرفت أن الكلَّ منه تعالى وأذعنتَ به، لا بد أن ترضى بها سرٌّ أو ضرٌّ. وإن لم ترضَ، اضطرت إلى الغفلة. ومن هذا السرُّ وُضِعَت الأسباب الظاهرية وُعْطِيَت الأعين بالغفلة؛ إذ ما من أحدٍ إلَّا وما يخالف هَوَسَه وهواه ومشتهاه ومناه - من حادثات الكائنات - أزيد وأكثر مما يوافقها.. إذ ما بُنِيَت الكائناتُ على هندسة هَوَسِ ذي الأماني، بل

(١) أي في: لا إله إلا الله.

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.<sup>(١)</sup> فلو لم ير المرء ذو الهوى هذه الأسباب، ولم يغفل عن مسبب الأسباب لتوجه اعتراضه الباطل وكراهته ونفرته وحدته وغيظه الواهية إلى الفاطر الحكيم والمالك الكريم. فإذا رمى الغافل سهم اعتراضه أصاب الفلك<sup>(٢)</sup> أو الشيطان أو انعكس إلى رأسه ونفسه.

**اعلم** أنك إذا أمنت النظر، تفتنت أن بُعد «الممكن» عن درجة الإيجاد، بمراتب غير متناهية، بالنسبة إلى مقدار ما يُشاهد في ذلك المصنوع المستند إلى ذلك الاقتدار الغير المتناهي.

**اعلم** أن الدعاء على ثلاثة أقسام:

الأول: دعاء الإنسان، بهذا اللسان بالقول. وكذا الحيوانات الصائحات بألسنتها المخصصة، في الحاجات المشعورة لهم.

والثاني: الدعاء بلسان الاحتياج، كدعاء جميع النباتات، والأشجار «لا سيبا في الربيع». وكذا في كل الحيوانات في الحاجات الضرورية الغير المشعورة.

والثالث: الدعاء بلسان الاستعداد، كدعاء كل ما فيه نشوء ونهاء، وتحول وتكمل. فكما أَنَّ ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤) كذلك إن من شيء إلا ويدعوه، ويشكره بذاته وحاله دائما، كما قد يدعو بلسانه.

**اعلم** أن النواة قبل أن تتشجر، والنطفة قبل أن تتبشر، والبيضة قبل أن تتطير، والحبّة قبل أن تتسنبل، لابد أن تكون تحت تدبير علم تام نافذ وتربية، لتساق من بين ما لا يحدد من الطرق العقيمة المعوجة إلى الصراط المستقيم المنتجة. فما هو إلا علم علام الغيوب الذي يصور في الأرحام كيف يشاء، عالم الغيب: «غيب الماضي، والمستقبل» والشهادة «شهادة الحال الحاضر». فكأن كلا من النواة والنطفة والبيضة والحبّة تذكرة مختصرة استنسخت من «الكتاب المبين» من كتب القدرة.. أو فهرسته استخرجت من «الإمام المبين» من كتب العلم الأزلي ومكتوباته.. أو دساتير استنبطت من «أم الكتاب» من كتب القدر الأزلي، لاسيما من باب الميزان والنظام.. أو فذلكة أوامر متمثلة متمركزة ممتزجة تنزلت من ربوبية القدير على كل شيء، العليم بكل شيء جلّ جلاله.

(١) للمثنوي: ما كُلُّ مَا يَتَنَى الرَّمْ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ.

(٢) الفلك: الدهر، المقدرات الإلهية، القدر.

اعلم أن نظر المؤمن إلى المصنوعات حرفي؛ إنها ينظر إليها لتدل على معنى في غيرها. وأما نظر الكافر إليها، فقصدي اسمي؛ لتدل على معنى في نفسها.

ففي كل مصنوع وجهان: وجه، ينظر إلى ذاته وصفاته الذاتية. ووجه، ينظر إلى صانعه، وإلى ما تجلّى إليه من أسماء فطره.. والوجه الثاني أوسع مجالا، وأكمل مالا؛ إذ كما أن كل حرف من كتاب يدل على نفسه بمقدار حرف وبوجه واحد، ويدل على كاتبه بوجوه كثيرة، ويعرف كاتبه ويصفه للناظر بمقدار كلمات كثيرة.. كذلك إن كل مصنوع الذي هو حرف من كتاب القدرة، يدل على وجوده ونفسه بمقدار جرمه ونفسه وبوجه واحد، وهو وجوده الصوري. لكن يدل على نقاشه الأزلي بوجوه متنوعة كثيرة، وينشد من أسمائه المتجلية على ذلك المصنوع، بمقدار قصيدة طويلة.

ثم إن من المقرر أن المعنى الحرفي، لا يُحكّم عليه بالأحكام القصدية، تصديقا وتكذبا. ولا يستتبع اللوازم،<sup>(١)</sup> إلّا بنظر ثانوي. فلهذا لا يتغلغل ذهن ناظره في دقائقه، إلّا إذا نظر قصدا، فحينئذ يصير الحرفُ اسما. بخلاف المعنى الاسمي.<sup>(٢)</sup>

فمن هذا السر ترى كتب الفلاسفة أحكم فيما يعود إلى الكائنات في أنفسها، مع أنها أوهن من بيت العنكبوت فيما يعود إليها بالنسبة إلى صانعها.<sup>(٣)</sup> وكلام المتكلمين مثلا لا ينظر إلى المسائل الفلسفية والعلوم الكونية إلّا بالمعنى الحرفي التبعية والاستطرادي، وللاستدلال فقط.. حتى إنه يكفي لهم أن تكون الشمس سراجا، والأرض مهادا، والليل لباسا، والنهار معاشا، والقمر نورا، والجبال أوتادا أي بمشاطيتها للهواء ومخزنتها للماء والمعادن، وحمايتها للتراب عن التوحد، وتسكين غضب الأرض المتزلزلة بتفسيها فيها، ولا يكفي للفلسفي إلّا أن تكون الشمس مركز عالم منظومتها، ونارا عظيمة بدرجة تتطاير السيارات مع أرضنا حولها كالفرّاش المبتوث. وهكذا، حتى لو لم يطابق رأي المتكلمين الواقع، مع مطابقة الحس العمومي، والتعارف العام لما ضرهم، ولا استحقوا التكذيب.<sup>(٤)</sup> فلهذا يرى آراؤهم بادي الرأي أضعف وأدنى طبقة في المسائل الفلسفية، وأقوى من الحديد في أساسات المسائل الإلهية.

(١) أي ولا يستتبع لوازم الحكم.

(٢) أي يكون محل حكم تصديقا وتكذبا (ت: ٢١٦)

(٣) إن الأحكام التي تخص الكائنات بذاتها تبدو في كتب الفلاسفة قوية في الظاهر إلّا أن حقيقتها أوهن من بيت العنكبوت (ت: ٢١٦)

(٤) لأنهم لم يذكروا الرأي إلّا للاستدلال والاستطراد.

ومن هذا السر أيضا تصوير الغلبة في الأكثر في الأوائل في الأولى لأهل الضلال، فيها يعود إلى الدنيا وإلى ظاهر هذه الحياة. إذ هم بجميع لطائفهم الساقطة إلى درجة نفوسهم، متوجهون قصدا وبالذات إلى الدنيا قائلون بأعمالهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٢٩) ولكن العاقبة للمتقين الذين قيل لهم ولسيدهم: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (الضحى: ٤) ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْفَوْنَ أَفْلًا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢) ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤) فحسبنا الله ونعم الوكيل، فنعم المولى ونعم النصير.

**اعلم** أن عفوه تعالى فضل، وعذابه عدل؛ إذ كما أن من أكل سمًا، فهو مستحق للمرض بحكم عادة الله المستمرة. فإن لم يمرض، فهو فضل وكرامة من الله بخرق العادة.

نعم، مناسبة المعصية للعذاب قويةٌ بدرجة من القوة، حتى ضلّت فيها المعتزلة فأسندوا الشرَّ إلى غيره تعالى، وأوجبوا الجزاء عليه. واستلزام الشر للعذاب -بسر النظام العام- لا يتنافى كمال الرحمة؛ إذ هذا الضرر الجزئي متصلٌ بأنبوب في سلسلة نظام محيط تدلت منه كالعناقيد خيرات كثيرة. مع أن ترك هذه الخيرات الكثيرة لمنع هذا الضرر الجزئي والشر القليل ضررٌ كلي وشرٌ كثير، وهو يتنافى حكمة عدالة العدل الحكيم الكريم.

أيها الإنسان الظلوم الجهول! اتق الشرَّ ما استطعت. وإلا استحققت جزاء تركك<sup>(١)</sup> مع جزاء تفويتك لنتيجة سائر الأسباب السابقة عليك، في سلسلة مبادي وجود النتيجة. إذ الشرُّ عدمٌ. وبعدم الجزء الآخر من العلة ينعدم المعلول. فيعود على الجزء الآخر كل ضرر عدم المعلول. إلا أن ثمرات الوجود لا تعود إليه إلا بمقدار حصته، إذ وجود الجزء ليس علةً لوجود الكل. فمن هنا يرى كمال عفوه تعالى وكمال فضله؛ إذ يجزي بالشر مثله، وبالخير عشرة أمثاله. مع اقتضاء الاستحقاق الواقعي عكسه<sup>(٢)</sup> وكذا يرى ظلم البشر بحكمهم بعكس الواقع.

**اعلم** أن الإنسان مبتلى بالنسيان، وأسوأ النسيان نسيان نفسه. إلا أن نسيان النفس

(١) جزاء تركك الخير.

(٢) حيث إن الحسنات لأنها إيجابية ووجودية فلا تتعدد ماديا ولا تحصل بإيجاد العبد، فالمفروض أن تكتب حسنة واحدة، بعكس السيئات التي تتعدد وتتجاوز، فالمفروض أن تكتب ألف سيئة. راجع -إن شئت- رسالة "حكمة الاستعاذة-اللمعة الثالثة عشرة"، فيها التفصيل الشافي.



إن كان في المعاملة والخدمة والسعي والتفكير فهو الضلال، وإن كان في النتائج والغايات فهو الكمال. فأهل الضلال وأهل الهدى متعاكسان في النسيان والتذكر؛ أما الضال فينسى نفسه عند النظر للعمل وتطبيق دساتير الوظيفة، بل يمدّ نظره إلى الآفاق لتطمين الأنانية المتفرغة، وغروره المنبسط الذي تضيق عنه النفس. لكن يتذكر نفسه في كل شيء من الغايات فتيلًا أو نقيرا. حتى لا غاية عنده إلا ما يعود إلى نفسه. وإن غاية الغايات في نظره حب ذاته.

وأما من زكّاها فيتذكر نفسه قبل كل شيء عند السعي والسلوك في الحركة، أو التفكير فكأن نفسه واحد قياسي ومبدأ مركزي لكل عمل وتفكير. لكن ينسى نفسه في النتائج والأعراض والفوائد والمقاصد. حتى كأن نفسه فانية، وداخله في لا شيء، أو مملوكة خدمت سيدها بلذة الإخلاص، في وظيفة عائدة من كل وجه إلى السيد. فلا حق لها في مقاضاة شيء، فما أعطى سيدها لها تراه النفس من محض الفضل.

**اعلم** أن سر تساند المؤمنين في عباداتهم ودعواتهم في جماعاتهم سرٌ عظيم وأمر جسيم له شأن فخم؛ إذ يصير به كل فرد كالحجر المجصوص، في البناء المرصوص. يستفيد من إخوانه في الإيمان، بألوف ألف ألف ما يستفيد من عمل نفسه. فإذا نظّمهم سلك الإيمان يصير كل لكل، وللكل شفيعا وداعيا ومسترحا وراجيا ومادحا ومزكيا. لاسيما لرئيسهم ورأسهم.<sup>(١)</sup> فيتلذذ كل فرد بسعادات سائر إخوانه كتنعم الأم الجائعة بلذة ولدها، والأخ الشفيق بسعادة شقيقه. حتى يصير هذا الإنسان المسكين الفاني مستعدا لعبودية خلاق الكائنات، وقبول السعادة الأبدية.

فانظر إلى النبي عليه الصلاة والسلام فإذا تراه، وهو يدعو بـ«يا أرحم الراحمين»، ترى الأمة كلهم يقولون: «اللَّهُمَّ صل وسلم على عبدك وحيبيك محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، وناشر ذكرك وشكرك، ودلال محاسن سلطنة ربوبيتك». فيزكوّنه عند ربهم، ويحببونه إلى من أرسله رحمة لهم، ويؤيدون شفاعته. وكذا ينادون بلسان عجزهم المطلق وفقدهم المطلق، غناءً - سبحانه - المطلق، في استغنائه الأكمل. وينادون جوّدَه المطلق في عزته الأجلّ. وينادون بلسان عبوديتهم المطلقة ربوبيّة المطلق. وبهذا التعاون العلوي المعنوي يترقى الإنسان من

(١) المقصود الرسول الأعظم ﷺ. (ت: ٢١٧).

أسفل سافلي الحقارة والصغر والعجز؛ إلى أعلى عليي الخلافة، وحمل الأمانة وقابلية المُكْرَمِيَّة بتسخير السماوات والأرض له.

**اعلم** أن من بُعدَ عن شيء لا يرى كما يراه القريب منه، ولو كان البعيد أشد ذكاءً وأحد بصرًا. فإذا تعارضا ترجّح القريب مطلقًا. فالفلاسفة الأوروبياتية المتغلغلون في المادية، تباعدوا بمراتب عديدة، ومسافات طويلة عن مقام الإسلام والإيمان والقرآن. فأعظمُ فلاسفتهم لا يساوي عاميًا يفهم بالإجمال مآل القرآن فقط.

هكذا شاهدتُ وهو الواقع. فلا تقل: مَنْ كشف خواص البرق والبخار كيف لا يفهم أسرار الحق وأنوار القرآن؟ نعم، ليس له، إذ عقله في عينه،<sup>(١)</sup> والعينُ لا ترى ما يراه القلب والروح، لاسيما مع البُعد، ولاسيما عند موت القلب بانقلاب الغفلة إلى الطبيعة ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ (النحل: ١٠٨).

**اعلم** أن من أعظم كُفران النعم، ومن أشد تكذيب الآلاء، عدم الشكر على ما عمّه وغيره كالسمع والبصر، أو دام واستمر كالنور والنار، أو أحاط وطم كالهواء والماء؛ بل إنما يشكر الله على ما يخصّه من دون الناس، أو يتجدد عليه، أو ينذر لنذر الحاجة. مع أن الأعظم الدائم الأدم هو النعمة الأعظم الأتم. العموم يدل على كمال أهميتها، والدوام على غلو قيمتها.

**اعلم** أن من آياتِ أنه تعالى ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨) التساوي والتوازن والانتظام بين أعداد المتجاورات والمتقابلات والمتشابهات كالأصابع في الأيادي، والحبات في السنابل، والنواة في الثمرات، والأوراق في الأزهار.. فسبحان من أحصى كلَّ شيء عدداً وأحاط بكل شيء علماً.

**اعلم** أن التلقيح والتولد مع التربية الشفيقة وظيفتان عامتان نافذتان ساريتان إلى أصغر الأشياء. لهما مكافأة عاجلة هي اللذة المودعة فيهما. فعموم جود المحسن الكريم، مع شدة شوق كل الأشياء (المزدوجة) في إيفاء هاتين الوظيفتين بالمشاهدة؛ يدلان على أن النباتات والأشجار والمعادن بل الجامدات أيضاً لها حصة من هذه النعمة واللذة بوجهٍ يليق بها. فمراعاة المكافأة

(١) أي لا يفهم ولا يصدق إلا ما يرى.

والرحمة والعدل بهذه الدرجة، وسُرُّ ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦) وكثرة الروايات المؤيدات للمكافأة والقصاص في الحيوانات في الحشر؛ تشير إلى بقاء أرواح الحيوانات ومكافأتها على وظائفها التي امثلوها بكمال الإطاعة والانقياد.<sup>(١)</sup> وأما المنقلب تراباً بعد الحشر فهو أجسادهم. إلا أنه يجوز أن يجتمع تمام نوع منه -مجتمعا، أو فردا فردا- في جسد شخص مبارك، كالناقة المذكورة في القرآن، والكبش والكلب والهدهد والنملة وغيرها.

**اعلم** أيها السعيد المسكين الحريص على بقاء الوجود، في هذه الدنيا الفانية، فرغماً على أنفك تفتى إلا ما أبقاءه الباقي. ويزول وجودك إلا ما توجّه إلى جهته سبحانه. وتنطفئ حياتك، إلا ما أفنيت في سبيله.

فما دام هذا هكذا.. فقل: حسبي من البقاء أن الله المالك الباقي.. وحسبي من لذة البقاء علمي بأنه معبودي الباقي.. وحسبي من غاية البقاء معرفتي بأنه ربي الباقي.. وحسبي من البقاء وكماله إيماني بأنه موجدي الباقي.. حسبي من الوجود كوني أثر واجب الوجود.. حسبي من قيمة الوجود أي صنعة من فطر السماوات والأرض.. حسبي من غاية الوجود، علمي بأني صبغة من زين السماء بمصابيح، والأرض بأزاهير.. حسبي من لذة الوجود، علمي بأني مصنوعه ومخلوقه وهو ربي وموجدي.. حسبي من الحياة، مظهرتي لتجليات أسماء خالق الموت والحياة.. حسبي من الحياة وحقوقها وغاياتها، إظهاري على رؤوس الأشهاد، وتشهيري بين ذوي الإدراك من إخواني الكائنات، وإعلاني في سوق العالم -بسرّ جامعية وجودي- لغرائب آثار تجليات أسماء خالق السماوات والأرض.. حسبي من غاية الحياة كوني أنموذجاً وفهرستاً لآثار تجليات أسائه الحسنی.. حسبي من الحياة وكمالها إظهاري بلسان أحوالي لتجليات أسماء من قامت السماوات بأمره، واستقرت الأرض بإذنه.. حسبي من لذة الحياة علمي بأني مملوكه ومصنوعه ومخلوقه وعبدته وفقيره، وهو خالقي وإلهي وربّي وفاطري ومالكي ورحيمّي ومنعمٌ عليّ.. حسبي من الكمال، الإيمان بالله.. وحسبي من كل شيء «الله».

**اعلم** أن في التوحيد، وإسناد الأشياء إلى الواحد سهولة بلا نهاية، إلى درجة الوجوب، وقيمة غالية بلا نهاية.. وأن في الشرك، وإسناد المصنوعات إلى الكثرة صعوبة بلا نهاية إلى

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «التؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للجلاء الجلاء من الشاة القرناء»؛ رواه مسلم برقم ٢٥٨٢ والترمذي ٢٥٣٥ (تحفة الأحوذى). (ومعنى الجلاء: التي لا قرن لها).

درجة الامتناع، وسقوط قيمة، وذلة نازلة بلا غاية، كما مرّ مرارا.. ألا ترى كيف يتعاضم ما في يد الجندي مما يُنسب إلى السلطان ويعزّ منه ما هو في أمر السلطان، ويغلو كلامه الذي هو بحساب السلطان قيمةً وأهميةً. ويتيسر بكمال السهولة «تدارك كل لوازمات الحياة» من خزائن الملك وماكيناته. وكيف يتساقط ما ذُكر هباءً منثورا إن انقطع الربط بعصيان الجندي!

**اعلم** أن الضرّ - كالنفع - منه.. وكذا الشرّ - كالخير - منه.. والموت - كالحياة - بقدرته وقدره؛ إذ في موت شيء حياةٌ آخر أو مبدؤها. أو هو هي. وكذا الشر والضر.

**اعلم** أن في روح الإنسان قابليةً - بوجهين - للذات غير متناهية وآلام غير محصورة من جهة جامعية ماهيته وكثرة جهازاته بلا حد، ومن جهة تلذذه بتنعمات أولاده وإخوانه من أبناء نوعه أو جنسه أو إخوانه من أجزاء الكائنات، وتألّمه بتألماتها.

**اعلم** أني قد شاهدتُ أن النظر إلى الغير مع نسيان النفس يقلب الحقائق، كالنظر في الماء يريك الأشياء المعنوية معكوسةً متكسة. فمع أنك تجهل تعتقد أنك تعلم.

**اعلم** أن ما اقتضى «تكرار بعض أجزاء القرآن» ما اقتضى تكرار الأذكار والأدعية؛ إذ القرآن كما أنه كتابٌ حقيقة وشريعة وكتاب معرفة وحكمة، كذلك هو كتاب ذكر ودعاء ودعوة.. والذكر يُردّد، والدعاء يُكرّر، والدعوة تؤكّد.

**اعلم** أن من مزيّات علو القرآن إيرادَ مذكّرات الوحدة خلفَ مباحث الكثرة، والإجمال عقيب التفصيل، وترديف بحث الجزئيات بدساتير الربوبية المطلقة، ونواميس الصفات الكمالية العامة الشاملة بذكر فذلكات كالتائج أو كالتعليلات في أخريات الآيات، لأجل أن لا يتغلغل ذهنُ السامع في ذلك الجزء الكوني المذكور، فينسى «عظمة مرتبة الألوهية المطلقة». حتى يخلّ بلوازم آداب العبودية الفكرية لذي العظمة والهيبة والكبرياء. وكذا ليسيّط ذهنك من ذلك الجزئي إلى أمثاله وأشباهه.. وكذا يريك القرآنُ بهذا الأسلوب، ويفهمك أنّ في كل جزئي - ولو حقيرا وزائلا - سبيلا واضحا، وصرطا مستقيما، ومحجة بيضاء إلى معرفة سلطان الأزل والأبد، وإلى شهود جلوات أسماء الأُحد الصمد.

مثّل القرآن في هذا الأسلوب كمثّل من يريك قطرة ماء فيها شُميسة، أو زهرة فيها تجلي

ألوان ضياء الشمس. فيريك بلا مهلة «الشمس» في رابعة النهار بحشمتها، ويرفع رأسك إليها، لئلا تشوش عليك الحال، فتصاغر عندك الشمس فتصير تنكر لوازم عظمتها.

مثلا في سورة يوسف: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦) خلف أمر جزئي<sup>(١)</sup>.. وكذا في سورة الحج: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الحج: ٧٤) وفي سورة النور: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسِّرُوا لَهُمْ﴾ (النور: ٥٩). وفي سورة العنكبوت: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١) وأمثالها.

**اعلم** أن همة الأولياء ومددهم، وأفاعيلهم المعنوية بالإفاضات نوع من الدعاء، حالي أو فعلي. والهادي هو الله وهو المغيث المعين. ولقد تلمع لي شيء، لكن ما تشخص واضحا؛ وهو أن في الإنسان لطيفة وحالة، إذا دعا الإنسان -ولو كان فاسقا- بلسانها استجيب له قطعاً. نعم هي لطيفة إذا أقسمت على الله أبرها.

**اعلم** يا مَنْ يتيقن الماضي، ويشك في الآتي! اذهب بنفسك إلى عصرين من قبل، وافرض نفسك جدك الذي هو في وسط شجرة نسبك. ثم انظر إلى أجدادك الذين هم موجودات ماضوية. ثم إلى أولادك المتسلسلين منك إليك، الذين هم ممكنات استقبالية، هل ترى تفاوتاً بين الجناحين؟ كلا لا ترى، لا في الانتظام، ولا في شيء يوهم وجود التصادف. بل كما أن الأول مصنوع بعلم وإتقان يراه صانعه، كذا الثاني سيُصنع كذلك وهو مشهود لصانعه قبل كونه. فإعادة أجدادك ليست بأغرب من إيجاد أولادك. بل هو أهون منه. كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧). فقس على هذا الجزء الجزئي، الكل الكلي. لترى كل الوقوعات الماضية معجزات تشهد على أن صانعها قدير على كل الممكنات الاستقبالية وعليه بتفاصيلها ومحيط وبصير بها.

نعم، كما أن هذه الموجودات الجلية والأجرام العلوية في بستان الكائنات؛ معجزات تشهد وتنادي على أن خلّاقها على كل شيء قدير وبكل شيء عليم. كذلك هذه النباتات المتلونة المتزهرة المنشورة، وهذه الحيوانات المتنوعة المتزينة المنشورة في حديقة الأرض، خوارق صنعة

(١) المقصود: الكيد الذي دبر لإبقاء الأخ الشقيق الحقيقي لسيدنا يوسف عليه السلام.

تشهد بأعلى صوتها على أن صانعها على كل شيء قدير وبكل شيء عليم. تتساوى بالنسبة إلى قدرته الذرات والشموس، ونشرُ أثمار الشجر، وحشرُ أبناء البشر.. نعم، ليس إنشاء أزهار شجرة منشورة على أغصانها الرقيقة الدقيقة بأهونَ من إنشاء أبناء نوع الإنسان على عظامهم الرقيقة المتفرقة.

**اعلم** أنه كم من نعمة كقطرة معصورة بنظام رقيق، وميزان دقيق من كل الكون كالثمرة من الشجرة. فإن كانت معصورة محلوبة على الحقيقة مع غاية البُعد، فما المنعم إلا مَنْ في قبضته كل الكون يعصره كيف يشاء، كما هو الظاهر الحق المشهود. فما المنعم إلا الذي خزائنه بين «الكاف والنون». فما من نعمة إلا من الذي صيّر «كن» مصدر الكون. وما المنّة والشكر إلا له سبحانه.

**اعلم** أن مما أفيض على قلبي من فيض القرآن من كثرة ذكره إحياء الأرض، وجليه أنظار البشر إلى التراب؛ أن الأرض قلبُ العالم، والتراب قلبُ الأرض. وأن أقرب السبل إلى المقصود يذهب في التراب، من باب التواضع والمحوية والفناء. بل هو أقرب من أعلى السماوات إلى خالق السماوات؛ إذ لا يُرى في الكائنات شيء يساوي التراب في تجلي الربوبية عليها وفعالية القدرة فيها وظهور الخلاقية منها والمظهرية لجلوات اسمي الحي القيوم.

وهكذا، فكما أن «عرش الرحمة» على الماء، كذلك إن «عرش الحياة والإحياء» على التراب، والتراب أجمع المرايا وأتمّها. إذ مرآة الكثيف كلما كان ألطف وأشفّ؛ تريك صورة الكثيف أوضَح وأظهر وأتم. لكن مرآة اللطيف النوراني كلما كان أكثف؛ كان التجلي بالأسماء عليها أتم. ألا ترى الهواء لا يأخذ من فيض الشمس إلا ضياءً ضعيفاً. والماء وإن أراك الشمس بضيائها، لكن لا يفصل ألوانه. مع أن التراب يريك بأزاهيره مفصل كل ما اندمج في ضيائها من الألوان السبعة ومركباتها. مع أن هذه الشمس قطرة متلمعة كثيفة بالنسبة إلى نور شمس الأزل. وتترّين التراب وتبرّجه في الربيع بما لا يُحد ولا يُعد من لطيفات الأزاهير، وجماليات الحيوانات المنادية على كمال ربوبيته، شاهد مشهود. فإن شئت فانظر إلى هذه الواحدة المسماة بالتركي «هرجائي منكشه»<sup>(١)</sup> كيف تتصرف يدُ الصانع الحكيم في تلويناتها وتزييناتها وهي واحدة. لكن تظهر وتُنظر إليك متبسمة، لا بل متعبسة في عشرين صورة.

(١) نوع من الأقحوان من نباتات الظل.

فسبحان من يتعرف إلينا بلطيف صنعه، ويعرّف الخلائق قدرته بعجائب تصرفه في التراب. ومما يرمز إلى هذا السر حديث «أقرب ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد»<sup>(١)</sup>.

فإن كان هذا هكذا؛ فلا تتوحش من التراب وذهابك فيه، ولا تندesh من القبر وسكونك فيه.

**اعلم** أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره؛ فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيُبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي. ومن تلك الحقائق أن الفاطر الحكيم كما أنه بعيد بلا نهاية، كذلك قريب بلا غاية. وكما أنه في أبطن البطن، كذلك فوق الفوق. وكما أنه ليس داخلا، كذلك ليس خارجا.

فإن شئت فانظر إلى آثار رحمته المنشورة على سطح كرة الأرض، وإلى معمولات قدرته المنشورة في دوائر صحائف الأرض لتشاهد هذا السر متلمعا من سطورها؛ إذ لابد لصانع ذرتين أو زهرتين أو ثمرتين أو نخلتين في مكانين في آن واحد، من بُعدٍ أزيد من البعد بينهما. وإذا كانتا في الكرة والدائرة<sup>(٢)</sup> مع تخلل أعظم القوس بينهما، فحينئذٍ لابد للمقابلة التامة - على التساوي الضرورية المشهودة - من بُعدٍ بلا حد.. هذا في وجه الظاهر وفي جانب المُلْك. وأما في وجه الباطن وفي جهة الملوك؛ فلا بد لتساوي المقابلة - بلا كيفية - المشهودة، في كمال سهولة الإيجاد وسرعته، مع الجود المطلق، في الإتيان المطلق من قرب بلا نهاية، لا كقرب المركز لتفاوت نسب نقاط الدوائر المتداخلة بالنسبة إلى المركز. مع أنه لا تفاوت بالنسبة إلى «الموجد» الذي أتقن كل شيء صنعا، وأحسن كل شيء خلقه.

نعم، هذا السر من خصائص دائرة الوجوب والتجرد، ومن خواص الإطلاق، ومن خصوصيات تجلي الأحدية في الوحدة، ومن لوازم مباينة ماهية الفاعل الأصلي للمفعول الظلي.

مثلا: - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ -: إن لذات الشمس قُربا بلا حد من تماثلها في المرايا والأزاهير. إذ ذات الشمس قيوم التماثل، وأقربُ إليها من لصيقها، بل من أنفسها. وكذا لها بُعد بلا حد من تلك الظلال؛ إذ لا يتيسر - بل لا يمكن - قطع المسافة المتخللة بين الظل المتمكن في مرآتك، وبين الأصل.

(١) تكملة الحديث: «فأكثرُوا الدعاء» (مسلم، الصلاة: ٢١٥؛ أبو داود، الصلاة: ١٤٨؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢/ ٤٢١).  
(٢) أي إحداها في الكرة الأرضية والأخرى في مدارها.

فسبحان من تقدس عن الأشباه ذاته، وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

اللَّهُمَّ يا عدل، يا حكم، يا عليم، يا حكيم، إنه ليس في الرياح مرّة، ولا في السحاب قطرة، ولا في الرعود زجرة، ولا في البروق لمعة، ولا في الرياض زهرة، ولا في الجنان ثمرة، ولا في الهواء نحلة، ولا في النبات صبغة، ولا في الحيوان صنعة، ولا في الوجود زينة، ولا في الكون ذرة، ولا في الخلق نظام، ولا في الفطرة ميزان، ولا في العرش شيء، ولا في الكرسي شأن، ولا في السماء نجم، ولا في الأرض آية؛ إلا وهي لك أدلة شهدت، وآيات تشهد على أنك واجب، واحد، أحد، صمد. وبراهين نيرة شاهدات على أنك أنت الله، وأنت علام الغيوب مُخرجُ الحبوب، مسخرُ القلوب. جميع الخلق مقهورون تحت قدرتك، قلوبهم في قبضتك، نواصيهم بيدك، مقاليدهم لديك. لا تتحرك ذرة إلا بإذنك.

يا إله الأولين والآخرين، يا رب محمد عليه الصلاة والسلام

وإبراهيم وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام!

أسألك باسمك العظيم، وبنور وجهك الكريم، وبدينك القويم، وبصراطك المستقيم، وبالسبع المثاني، وبالقرآن العظيم، وبألف ألف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبألف ألف «فاتحة الكتاب»، وبأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم، وبالحجر الأسود، وببيتك المكرم، وبليلة القدر، وبرمضان المعظم، وبأنبيائك المكرمين، وبحبيبك الأكرم ﷺ؛

أن ترحم أمة محمد، وأشرح صدورهم للإيمان والإسلام، وسلّمنا من شر الملاحدة وسلّم ديننا، ونور برهان القرآن، وعظم شريعة الإسلام.

آمين يا أرحم الراحمين..

[بارك الله فيكم ألف مرة ووفقكم الله] <sup>(١)</sup>

(١) كتب الأستاذ النورسي هذه الجملة الطيبة بالتركية في المخطوط بخط يده.



## ذيل الشعلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على نبيه.

**اعلم** أنه لا يتسر عن النور المحض المحيط شيء من الأشياء، وكذا لا يخرج أمر من الأمور عن دائرة القدرة الغير المتناهية؛ وإلا لزم تناهي غير المتناهي بالتحديد بالمتناهي، وهو محال بوجوه.

وكذا إن الحكمة تعطي كل شيء الفيض بقدره، كما يقال: [كل بقدره].. وإن بقدر الظرف يُعترف من البحر، وإن المقدّر القدير الحكيم لا يشغله صغير عن كبير، ولا خطير عن حقير. وإن المحيط الظاهر الباطن المجرد عن المادة لا يوارى الأكبر عنه الأصغر. ولا النوع الفرد. وإن الصغير مادة قد يكون كبيرا من جهة الصنعة. وإن نوع الصغير عظيم كثير كبير. وإن العظمة المطلقة لا تقبل الشركة أصلا ولا تتحملها.

وإن ما يشاهد من الجود المطلق في السهولة المطلقة، في السرعة المطلقة، في الإتيان المطلق، مع إرادة التعرف التام، مع محبة ذي الجمال مشاهدة جماله المطلق وكماله المطلق وتشهيرهما، ومع الرحمة المطلقة، والغناء المطلق بشهادة الآيات التكوينية، ومع وجود ما لا يحد ولا يعد من الناظرين المتفكرين المشاهدين المعبرين.. يقتضي -بهذه الأسباب- بلا شك وجود أنواع الحوينات والطويرات أيضا، بل أولى، إذ الصغير الأدق أقرب إلى الوجود، وإلى القدرة النورانية.

**اعلم** يا «أنا»، إذا كان نفسك أحب إليك، لأنها أقرب إليك من كل شيء؛ فلا بد أن يكون ربك أحب إليك منك؛ إذ هو أقرب إليك من نفسك. ألا ترى أن ما لا يصل اختيارك وخیالك إليه من أسرار ما ركب فيك، هو حاضر مشاهد لربك.

**اعلم** أنه لا تصادف؛ فانظر إلى الرياض واستمع كيف تقرأ على الناظر بنهاية الانتظام في غاية الاختلاط، وكمال الامتياز في كمال امتزاج أشتات الأشياء.. آياتِ حكمة الصانع العليم المحيط.

**اعلم** أنك إن لم تُؤخِّدُ بنسبة كلِّ شيء إلى الواحد، تضطر إلى فرض وجود آلهة بعدد تجليات الله على جميع أفراد الأنواع في العالم. كما إذا أغمضتَ عينيك عن الشمس، وتغافلت عنها، وقطعت عنها نسبة الشَّمِيسات المتلمعات في قطرات وجه البحر بتجليها، اضطرت إلى قبول وجود شمسوس بالأصالة فيها بعدد تلك القطرات. مع أن القطرة لا تسع أصغر مصباح، فكيف بسراج العالم!

**اعلم** أنه يشاهد للمدقق أن طوائف المخلوقات وأصناف المصنوعات تتسابق بالرقابة والاشتياق إلى التبرُّج والتزين، للعرض والظهور، لنظرٍ شاهدٍ جليل يشاهدها كلها، ودائها، وبجميع دقائق محاسنها؛ إذ المصنوعات تُظهرُ بالمشاهدة هيئةً تتضمن ما لا يتناهى من لطائف إتقان الصنعة الجالبة لنظر الدقة، والاستحسان والحيرة. فما هذا التهالك بالمسابقة للظهور، متزينة إلا لأجل العرض لنظر لا يتناهى. وما هو إلا نظر الشاهد الأزلي الذي خَلَقَ الخلق ليشاهد في مرايا أطوارها جلواتِ أنوارِ جماله وجلاله وكماله.. ثم يستشهد عليها شهداء تعرف إليهم، بإراءة ذلك الكنز الخفي. فأعلى غايات وجود الشيء وأعلى حقوق حياة الحي هو المشهودة والظهور لنظر فاطره، بمظهريته لأثار أسماؤه. وألذُّ لذائذ هذه الحياة هو الشعور بهذا الشهود.

وأما الظهور لأنظار إخوانه من المخلوقات فهو أيضا غاية، لكن نسبتها إلى الغاية الأولى كنسبة المتناهي إلى غير المتناهي.

وأما ما اشتهر بين الناس من «حق الحياة» -وهو حفظ الحياة مع نوع راحة- فأقلُّ وأصغر وأدنى وأحق من أن يكون جزءا من ملايين أجزاء «حق الحياة»، تلك الحياة التي هي من أعلى وأعلى وأعجب وأغرب وألطف وأشرف معجزات قدرة الحي القيوم الأحد الصمد. بل ما هو إلا وسيلة، وإنما يتشرف ما بقي وسيلة، فإذا ترقى إلى المقصدية، سقط بالزوال هباءً منثورا.

أتظن -أيها الغافل- أن غايةَ عَجيبِ صنعةِ الرمانة مثلاً، هي أكلُك ومضغُك في دقيقة بغفلة.. كلا، بل إنما هي كلمةٌ أفادت معناها للمكوّن سبحانه، وللكون؛ فوفّت فتوفّت فدُفنت من فيك فيك، ويكفي من الزمان والبقاء لهذه الغاية أن سيال.. فلا عبثية.

وكذا فاعلم أن من له جمال فائق، فلذته الحقيقية في المشاهدة لجماله شهودا بالذات، وشهودا بإراءة مصنوعاته لمخلوقاته فيشهدونها.. فيشهد أيضاً في شهودهم بشهودهم. وأما لذة التفوق بملاحظة الغير فغير ذاتية، بل عرضيةٌ ضعيفة، ومشوبةٌ مخصوصة بالأُمور النسبية. وأما ذو الكمال الذاتي والجمال الحقيقي المجرد السرمدي، المحبوب لذاته لذاته، الذي له المثل الأعلى، فقد أخبرنا على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام «أنه خلَق الخلق ليُعرف»<sup>(١)</sup>.. أي صوّر مرآيا ليُشاهد فيها تجليات جماله المحبوب لذاته بذاته.

**اعلم** أيها الفاني، كفاك بقاء أنك مشهودٌ في علمه ومعلومٌ في شهوده بعد فنائك من بعض الوجوه. «يا هو»<sup>(٢)</sup> أعط كل شيء لصاحبه الحقيقي وانسبه إليه. وخذه باسمه. ثم استرح، ولا اضطرت إلى قبول آلهة بعدد تجليات الله كما مرّ آنفاً. بل بعدد ذرات الكائنات كما مر مراراً أيضاً. وكذا بعدد أجزاء التراب.. إذ أيّ جزء من التراب تراه، يصلح لحصول ما لا يعد من المصنوعات المنتظمة المتنوعة.

فسبحان من تنزّه عن الأشباه ذاته. وتقدست عن مشابهة الأمثال صفاته. ودلّت على وحدانيته مصنوعاته. وشهدت بربوبيته آياته. وأحاط بكل شيء علمه وقدرته.  
جلّ جلاله. ولا إله إلا هو.

(١) وهذا مقارب بالمعنى ما ورد: «كنت كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً، فعرّفهم لي فعرّفوني»: لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، إلا أن علياً القاري قال: ولكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما. (كشف الخفاء ٢/ ١٣٢ باختصار).

(٢) يا هذا



الرسالة الثانية عشرة (١)

الرسالة القيمة

نُقْطَرُ

مِنْ نُورِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ

(١) طبعت هذه الرسالة باللغة التركية لأول مرة بمطبعة «أوقاف» بإسطنبول سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) على أبواب ثلاثة، ولم يدرج الأستاذ المؤلف هنا إلا الباب الأول منها فترجمناه كاملاً.

## إيضاح

إذا ما دخلتُ بستاناً فلا أجنبي إلّا الأجودَ من الثمرات، حتى إذا ما تعبْتُ في قطفها أجد المتعة واللذة. ولو وقع نظري على الفاسدة منها، أصرّفه عنها، آخذاً بالقاعدة: «خذ ما صفا دع ما كدر»... هكذا أنا، فأرجو أن يكون قرائي أيضاً مثلي.

يقال: إنَّ كلامَكَ لا يُفهم بوضوح.

- نعم، ما حيلتي.. هكذا ترد السانحاتُ إلى القلب.. فبينما أجدني كأنني أتكلم فوق منارة عالية، إذأبي - في أحيان أخرى - أنادي من قعر بئر عميقة.

فيا قارئِي العزيز! أرجو أن تلاحظ في هذه الرسالة:

أنَّ المتكلم: هو قلبي العاجز.

أما المخاطَب: فهو نفسي العاصية.

بينما المستمع: هو ذلك الياباني<sup>(١)</sup> الذي يتحرى الحقيقة.

وسنشير في هذه الرسالة إلى ما نقصده بالذات، وهو التوحيد، في أربعة براهين عظيمة من بين براهينه التي لا تُحصر.

آمنت بالله، وملأئكته، وكتبه، ورساله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، والبعث بعد الموت حق، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

سعيد النورسي

(١) حضر القائد العام الياباني الجنرال (Nogi Maresuke) إسطنبول سنة ١٩٠٧م. أي أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ووجه جملة من الأسئلة حول العقيدة وعلامات الساعة إلى المشيخة الإسلامية، فوجّه العلماء بدورهم تلك الأسئلة مع أسئلة أخرى إلى الأستاذ النورسي، أورد قسماً من أجوبته التي تخص العقيدة في المقالة الثالثة في مؤلفه «المحاكمات»، وفصله في رسالة «نقطة من معرفة الله جل جلاله»، وخصّ «الشعاع الخامس» للأجوبة التي تخص أشراف الساعة والدجال.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.  
إن مقصودنا ومطلوبنا هو: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) فمن بين  
براهينه الكلية التي لا تُعدّ نورد هنا أربعة منها:

البرهان الأول: هو محمد ﷺ. (وقد بسطنا هذا البرهان في رسالة «شعاعات»<sup>(١)</sup>).

البرهان الثاني: هذا الكون وهذا الإنسان الأكبر، ذلك الكتاب الكبير المنظور.

البرهان الثالث: هو القرآن الكريم.. ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه وهو الكلام  
المقدس.

البرهان الرابع: الوجدان الحي، أو الفطرة الشاعرة، الذي يمثل البرزخ ونقطة اتصال  
عالمي الغيب والشهادة. فالفطرة الشاعرة أو الوجدان نافذة إلى العقل يُنشر منها شعاع  
التوحيد.

البرهان الأول: وهو حقيقة محمد ﷺ

تلك المجهّزة بالرسالة والإسلام، فمن حيث الرسالة تتضمن شهادة أعظم إجماع  
وأوسع تواتر لجميع الأنبياء عليهم السلام. ومن حيث الإسلام تحمل روح الأديان السماوية  
كلها وتصديقها المستند إلى الوحي.

فالرسول الكريم ﷺ يبين للبشرية جمعاء وجود الله ووحدانيته في جميع أقواله الصادقة  
المصدّقة بمعجزاته الباهرة، وبشهادة الأنبياء عليهم السلام وتصديق الأديان كلها. فهو ﷺ  
يُظهر ذلك النور باسم المصطفين الأخيار من البشرية الذين اتحدوا في هذه الدعوة.

تُرى هل يمكن أن يتسلل الباطل إلى مثل هذه الحقيقة الباهرة التي تنال هذا القدر من  
التصديق، وتبصرها العيون النافذة في الحقائق، فتراها واضحة جلية خالصة لا شائبة فيها؟..

كلا.. ثم كلا.

(١) «شعاعات من معرفة النبي ﷺ» رسالة صغيرة من مؤلفات سعيد القديم.

## البرهان الثاني: وهو كتاب الكون

نعم، إن حروفَ هذا الكتاب ونقاطه فردا فردا أو مجموعة، يتلو كلُّ بلسانه الخاص: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤). ويبيّن وجودَ الخالق العظيم ووحدانيته.. فكلُّ ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جلّ جلاله. فبينما تراها تتردّد بين إمكانيات واحتمالات غير متناهية، في صفاتها وذاتها وأحوالها ووجودها، إذا بها تنتعش وتسلّك طريقا معينا، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدّد، وتتوجه إلى قصد معين.. فتنتج حكما ومصالح تُبهر الأبواب.. فتزيد سطوع الإيمان بالله في اللطيفة الربانية الممثّلة لنموذج عوالم الغيب في الإنسان. أفلا تنادي الذرة بلسانها الخاص وتصرّح بقصد صانعها الجليل، وبحكمته البالغة؟ فكلُّ ذرة من الذرات كما أنها تدل على الخالق الحكيم بوجودها المنفرد وبصفتها الخاصة وبكيفيةاتها المعينة: فإن هذه الدلالة تتزايد، باعتبار كون الذرة جزءا من مركبات متداخلة متصاعدة، ومن حيث الإمكانيات والاحتمالات التي تسلكها، إذ لها في كل مركّب مقام، وفي كل مقام نسبةٌ معينة وارتباط معين، وفي كل نسبة لها وظيفةٌ خاصة، وفي كل موقع تحافظ على التوازن العام، وفي كل وظيفة تثمر مصالح شتى وحكما عديدة. في كل مرتبة إذن تتلو الذرة بلسانها الخاص دلائل وجوب وجود صانعها الجليل وتُظهر قصدَ خالقها الحكيم، وكأنها ترتّل الآيات الكريمة الدالة على الوجدانية. مثّلها في هذا كمثل الجندي الذي له وظيفة معينة وارتباط خاص مع كلّ من فصيله وفرقه والجيش كله.. ألا تكون إذن البراهين الدالة على الله سبحانه وتعالى أكثر بكثير من عدد ذرات الكون، فما يُقال من أن: «الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق» إنها هي حقيقة صادقة لا مبالغة فيها قط، بل قد تكون قاصرة.

سؤال: لماذا لا يرى الجميع بعقولهم الخالق العظيم؟

الجواب: لكمال ظهوره جلّ وعلا، ولعدم الضد.

تَأْمَلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ

فهذا الكتاب الكوني العظيم يتجلّى فيه النظام بوضوح تام بحيث يظهر النظام كالشمس في رابعة النهار، فتظهر معجزة القدرة في كل كلمة أو حرف فيه. فتأليفُ هذا الكتاب البديع



فيه من الإعجاز الباهر بحيث لو فرضنا -فرضا محالا- أن كل سبب من الأسباب الطبيعية فاعلٌ مختار، لسجدت تلك الأسباب جميعا -بكمال العجز- أمام ذلك الإعجاز، قائلة: «سبحانك... لا قدرة لنا... إنك أنت العزيز الحكيم». فإنك ترى أن في هذا الكتاب من النظم الدقيق المتشابك المتساند بحيث يلزم لإيجاد نقطة في مكانها الصحيح قدرة مطلقة تستطيع إيجاد الكون كله، وذلك لأن كل حرف من حروفه -ولاسيما ما كان ذا حياة- له وجهٌ ناظر إلى كل جملة من جمل الكتاب، وله عينٌ شاخصة إليها، بل إن كل كلمة فيه لها ارتباط وثيق مع كلمات الكتاب كلها..

فالذي خلق عينَ البعوضة إذن هو خالقُ الشمس أيضا، والذي نظمَ معدة البرغوث هو الذي ينظم المنظومة الشمسية.

فإن شئت راجع كتاب «السانحات» لترى حقيقة الآية الكريمة: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْتَكُمُ إِلَّا كَفَيسٌ وَحْدَهُ﴾ (لقمان: ٢٨). ولتشهد كيف يقطر شهد الشهادة الصادقة من لسان معجزة القدرة، النحل، الذي يمثل كلمة صغيرة من هذا الكتاب. أو إن شئت فتأمل في نقطة من هذا الكتاب، في حيوان مجهرى لا يرى بالعين المجردة، لتشهد كيف أنه يمثل نموذجا مصغرا للكائنات. فالذي كتبه على هذه الصورة المعجزة كتب الكائنات. فلو أمعنت النظر فيه لرأيتَه يضم من المكائن الدقيقة والأجهزة البديعة ما يُثبت لك يقينا؛ أنه لا يمكن أن يفوّض أمره إلى الأسباب الجامدة البسيطة الطبيعية التي لا تميز بين الإمكانيات، إلّا إذا توهمت أن في كل ذرة شعورَ الحكماء وحكمةَ الأطباء ودهاءَ الساسة والحكام، وأنها تتحاور فيما بينها دون وساطة!! وما هذا إلّا خرافة يخجل منها الخرافيون. فلا يمكن أن تكون تلك الماكينة الحية الصغيرة إذن إلّا معجزة قدرة إلهية. ألا ترى أن العقول تنبهر أمامها؟ فهي إذن ليست من صنع الأسباب الطبيعية، بل من إبداع من يقدر على إيجاد الكائنات كلها وينظم شؤونها، إذ هو محال أن يجتمع أسس أساس تلك الأسباب المادية وهو: القوة الجاذبة والقوة الدافعة معا في جزء لا يتجزأ للقيام بتلك الصنعة الحكيمة.

نعم، إن ما يظنونه أساسا لكل شيء من جذب ودفع وحركة وقوة وأمثالها، إنها هو ناموسٌ إلهي يمثل قوانين عادات الله، واسم لها. فهذه القوانين مقبولة بشرط ألا تنتقل من

كونها قاعدةً إلى طبيعة فاعلة، ومن شيء ذهني إلى حقيقة خارجية، ومن أمرٍ اعتباري إلى حقيقة مشهودة، ومن آلةٍ قياس إلى مؤثر حقيقي.

سؤال: مع أن هذه الشهادة قاطعة، فكيف إذن يعتقد البعض بأزلية المادة، وتشكّل الأنواع من حركات الذرات (أي بالمصادفة) وأمثالها من الأمور؟

الجواب: لمجرد إقناع النفس بشيء آخر -غير الإيمان بالله-، ولأنهم لا يدركون فساد الفكرة بالنظر السطحي التقليدي، ينشأ لديهم هذا الاحتمال. ولكن إذا قصد الإنسان وتوجّه بالذات إلى إقناع نفسه، فلا بد أنه سيقف على محالية الفكرة وبُعدها عن المنطق والعقل. ولو اعتقد بها فلا يعتقد إلّا بسبب التغافل عن الخالق سبحانه. فما أعجب الضلال! إنَّ مَنْ يضيق عقله عن أزلية الله سبحانه وإيجاده الأشياء كلها -وهي صفة لازمة ضرورية للذات الجليلة- كيف يعطي تلك الأزلية والإيجاد إلى ذرات غير متناهية وإلى أشياء عاجزة؟. فلقد اشتهرت حادثة: أنه بينما كان الناس يراقبون هلال العيد، ولم يره أحدٌ، إذا بشيخ هرم يحلف أنه قد رأى الهلال، ثم تبين أن ما رآه لم يكن هلالاً بل شعرة بيضاء مقوسة قد تدلت من حاجبه! فأين تلك الشعرة من الهلال؟ وأين حركات الذرات من تشكيل الأنواع؟

إنَّ الإنسان لكونه مكرّماً فطره يبحث عن الحق دوماً، وأثناء بحثه يعثر على الباطل أحياناً فيخفيه في صدره ويحفظه. وقد يقع الضلال -بلا اختيار منه- على رأسه أثناء تنقيبه عن الحقيقة، فيظنه حقاً، فيلبسه كالقلنسوة على رأسه!

سؤال: ما هذه «الطبيعة» و«القوانين» و«القوى» التي يسلّون بها أنفسهم؟

الجواب: إنَّ الطبيعة هي شريعة إلهية كبرى أوقعت نظاماً دقيقاً بين أفعالٍ وعناصرٍ وأعضاءٍ جسد الخليفة المسمى بعالم الشهادة. هذه الشريعة الفطرية هي التي تسمى بـ«سنة الله» و«الطبيعة» وهي محصلةٌ وخلاصةٌ مجموع القوانين الاعتبارية الجارية في الكون.

أما ما يسمونه بـ«القوى» فكل منها هو حكمٌ من أحكام هذه الشريعة.

و«القوانين» كل منها عبارة عن مسألة من مسائلها.

ولكن لاستمرار أحكام هذه الشريعة وأطراد مسائلها توهم الخيال فجسمها في «الطبيعة» واعتبرها موجوداً خارجياً مؤثراً وحقيقةً واقعيةً فاعلة، بينما هي أمر اعتباري ذهني.

فترى النفوس التي ترى الخيال حقيقةً والأمر الاعتباري الذهني أمراً خارجياً ألْبست هذه الطبيعة طورَ المؤثر الحقيقي. والحال لا يقنع القلبُ بأي مبرر، ولا يعجب الفكر بأي مسوغ، بل لا تأنس الحقيقة بكون هذه الطبيعة الجاهلة مصدراً للأشياء. فما ساقهم إلى هذه الفكرة غير المعقولة إلا توهمهم إنكار الخالق الجليل، وذلك لعجزهم عن إدراك آثار قدرته المعجزة المحيرة للعقول.

فالطبيعة؛ مطبوعةٌ مثالية وليست طابعة، نقشٌ لا نقاشة، قابلةٌ للانفعال لا فاعلة، مسطرٌ لا مصدر، نظامٌ لا نظام، قانونٌ لا قدرة، شريعةٌ إرادية لا حقيقة خارجية.

فلو قدّم شخص في ريعان الشباب إلى هذا العالم البديع مباشرة، ودخل قصرًا فخماً مزينا بأروع الآثار، وافترض لنفسه أن ليس هناك من أحد خارج البناء قد قام بتشيدته وتزيينه، وبدأ يتحرى السبب الفاعل في أرجاء القصر، ووقع بصره على كتاب جامع لأنظمة القصر وخارطته، فإنه يتصور -من جهله- أن هذا الكتاب هو الفاعل، لما انعكس في شعوره من البحث عن علّة حقيقية، فيضطر إلى هذه العلة بسبب افتراضه الموهوم مقدماً! وهكذا البعض يسلي نفسه بالطبيعة بسبب تغافله عن الخالق الجليل، فيضطر إلى خداع نفسه بنفسه، ويتيه في مثل هذه الأمور الخارجة عن منطق العقل.

والشريعة الإلهية اثنتان:

إحدهما: الشريعة الآتية من صفة الكلام التي تنظم أفعال العباد الاختيارية.

والثانية: الشريعة الآتية من صفة الإرادة التي تسمى بالأوامر التكوينية والشريعة الفطرية وهي محصلة قوانين عادات الله الجارية في الكون.

فكما أن الشريعة الأولى عبارة عن قوانين معقولة، فإن الشريعة الثانية أيضاً عبارة عن مجموع القوانين الاعتبارية، والتي تسمى -خطأً- بالطبيعة فهذه القوانين لا تملك التأثير الحقيقي ولا الإيجاد للذين هما من خواص القدرة الإلهية.

ولقد شرحنا -أثناء بياننا التوحيد- أن كل شيء مرتبط بالأشياء جميعاً، فلا شيء يحدث من دون الأشياء جميعاً. فالذي يخلق شيئاً قد خلق جميع الأشياء، لذا فليس الخالق لشيء إلا الواحد الأحد الصمد. بينما الأسباب الطبيعية التي يسوقها أهل الضلالة هي متعددة، فضلاً

عن أنها جاهلة لا يعرف بعضها بعضاً. علاوة على أنها عمياء، وليس بين يديها إلا المصادفة العمياء.. ف ﴿قُلِ اللَّهُ تَرَدَّدَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١).

الخلاصة: أنَّ الإعجاز الباهر الظاهر في النظام والتناسق والاطراد المشاهد في كتاب الكون الكبير - وهو برهاننا الثاني على التوحيد - يظهر بوضوح تام كالشمس الساطعة أنَّ الكون وما فيه ليس إلا آثار قدرة مطلقة وعلم لا يتناهى وإرادة أزلية.

سؤال: بَمَ يثبت النظام والانتظام والتناسق؟

الجواب: إِنَّ العلوم الكونية التي توصل إليها الإنسان، هي كالجواس لنوع الإنسان وكالجواسيس تكشف له عن مجاهيل لا يصلها بنفسه. فبالاستقراء التام يمكنه أن يتوصل إلى كشف ذلك النظام بتلك الجواسيس. فكل نوع من أنواع الكائنات قد خصَّ بعلم أو في طريقه إلى ذلك، لذا يُظهر كلُّ علمٍ ما في نوعه من انتظام ونظام بكلية قواعده، لأنَّ كل علم في الحقيقة عبارة عن دساتير وقواعد كلية. وكلية القواعد تدل على حسن النظام؛ إذ ما لا نظام له لا تجري فيه الكلية. فالإنسان مع أنه قد لا يحيط بنفسه بالنظام كله إلا أنه يدركه بجواسيس العلوم، فيرى أن الإنسان الأكبر - وهو العالم - منظم كالإنسان الأصغر سواءً بسواء. فما من شيء إلا ومبني على أسس حكيمة، فلا عبث، ولا شيء سدى. فبرهاننا هذا ليس قاصراً - كما ترى - على أركان الكائنات وأعضائها، بل يشمل الخلایا وجميع الكائنات الحية، بل يشمل الذرات جميعاً، فكلها لسانٌ ذاكِر يلهج بالتوحيد، والجميعُ يذكرُون معاً: «لا إله إلا الله».

البرهان الثالث: هو القرآن الحكيم

إذا ما ألصقتَ أذنك إلى صدر هذا البرهان الناطق ستسمع حتماً أنه يردد: «لا إله إلا هو». فبرهاننا هذا يمثل شجرة عظيمة متشعبة الأغصان والفروع، تتدلَّى منها ثمرات الحق والحقيقة من كل جانب بغزارة ووفرة وحيوية، بحيث لا تدع لأحد أن يداخله ريبٌ من أن بذرتها الأصلية - وهي التوحيد - قوية، حقة، حية؛ إذ لا يخفى أن البذرة الفاسدة لا تؤتي شجرتها الثمار الغضة كل حين.

أما غصن هذه الشجرة الوارفة الممتدُّ إلى عالم الشهادة. فهو يحمل أثمار الأحكام الصائبة للحقة، مثلما أن الغصن العظيم الممتد إلى عالم الغيب غنيٌّ بالثمرات اللبنة الحقة للتوحيد والإيمان بالغيب.

فإذا ما شُهِد هذا البرهان العظيم من جميع جوانبه عُلِمَ يقيناً أنَّ الذي يعلنه واثق كل الثقة، من نتيجته -وهي التوحيد- ومطمئن اطمئناناً لا يشوبه تردد قط، إذ بيني جميع الأمور على هذه النتيجة الرصينة، بل يجعلها حجر الزاوية لكل شيء في الوجود.. فمثل هذا الأساس الراسخ لا يمكن أن يكون تكلفاً وتصنعاً البتة، بل يجعل الإعجاز الباهر على هذا البرهان مستغنياً عن تصديق الآخرين له، فأنباؤه كلها صدق، ثابتة وحق وحقيقة بنفسها.

نعم، إن الجهات الست لهذا البرهان المنير شفافة راقية، فعليه: الإعجاز الظاهر، وتحتة: المنطق والدليل، وفي يمينه: استنطاق العقل، وفي يساره: استشهاد الوجدان، أمامه وهدفه: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، نقطة استناده: الوحي المحض.. أفيجراً وهمُّ أن يقتحم هذا الحصن الحصين؟

وهناك أصول أربعة للعروج إلى عرش الكمالات وهو «معرفة الله» جلّ جلاله:

أولها: منهج الصوفية، المؤسَّس على تركية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: منهج علماء الكلام المبني على «الحدوث والإمكان» في إثبات واجب الوجود.

ومع أن هذين الأصلين قد تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن البشر قد أفرغهما في صور شتى، لذا أصبحا منهجين طويلين، وذوَي مشاكل، فلم يبقيا مصانين من الأوهام والشكوك.

ثالثها: مسلك الفلاسفة المشوب بالشكوك والشبهات والأوهام.

رابعها وأولها: طريق القرآن الكريم الذي يعلنه ببلاغته المعجزة وبجزالته الساطعة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق إلى الله وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان.

ولبلوغ عرش هذا الأصل هناك أربع وسائل: الإلهام، التعليم، التزكية، التدبر.

هذا وإن للقرآن الكريم في معرفة الله سبحانه، وإثبات وحدانيته طريقين:

الأول: دليل العناية والغاية

إنَّ جميع الآيات الكريمة التي تُعدُّ منافع الأشياء، وتذكر حِكَمها، هي نساجة لهذا الدليل، ومظاهر لتجلي هذا البرهان.

وزبدة هذا الدليل هي: إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات، وما فيها من رعاية المصالح والحكم، إذ النظام المندمج في الكائنات، وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفياً قاطعاً وهم المصادفة والاتفاق الأعمى. لأن الإتقان لا يكون دون اختيار. فكل علم من العلوم الكونية شاهدٌ صدق على النظام، ويشير إلى المصالح والثمرات المتدلية كالعناقيد في أغصان الموجودات، ويلوح في الوقت نفسه إلى الحكم والفوائد المستترة في ثنايا انقلاب الأحوال وتغير الأطوار.

فإن شئت فانظر إلى علم الحيوان والنبات. فقد ثبت فيهما أن الأنواع التي يزيد عددها على مئتي ألف نوع، كلُّ له أصل معين، وجدُّ أكبر - مثلاً الإنسان له أصل وهو آدم عليه السلام - وكل فرد من هذه الأنواع الوفيرة كأنه مأكنة بديعة عجيبة تبهر الأفهام. فلا يمكن أن تكون القوانين الموهومة الاعتبارية والأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة، موجدةً لهذه السلاسل العجيبة من الأفراد والأنواع. أي إن كل فرد، وكل نوع، يعلن بذاته أنه صادرٌ مباشرةً من يد القدرة الإلهية الحكيمة.

ويذكرنا القرآن الكريم بهذا الدليل، في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجِعْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (المك: ٣) بل بيّنه على أفضل وأكمل وجه، إذ كما أنه يأمرنا بالتفكير في المخلوقات فإنه يقرر في الأذهان هذا الدليل (دليل العناية) بتعداده الفوائد والنعم، ومن بعد ذلك الإحالة إلى العقل في خواتيم الآيات وفواصلها. فينبه العقل ويحرك الوجدان في أمثال هذه الآيات: ﴿...أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿...أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿...أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿...فَاعْتَبِرُوا...﴾.

### الدليل القرآني الثاني: هو دليل الاختراع

وخلاصته: أن الله تعالى أعطى لكل فرد ولكل نوع، وجوداً خاصاً، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبُع كماله اللائقة، إذ لا نوع يتسلسل من الأزل. لأنه من الممكنات، ولبطلان التسلسل. وأن الحقائق لا تنقلب بل ثابتة، والأنواع المتوسطة لا تدوم سلاسلها، أما تحوُّل الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق، إذ ما يسمونه من تغيير صور المادة ما هو إلّا حادث، لأن حدوث بعضها مشهود، وبعضها الآخر يثبت بالضرورة العقلية. فالقوى والصور من حيث إنها عرضية لا تشكّل التباين الجوهرى الموجود في الأنواع. فلا يكون العرض جوهرًا.

ففصائل الأنواع إذن وميزات عموم الأعراض وخواصها قد أبدع واخترع من العدم البحث، أما التناسل في السلسلة فهو من الشرائط الاعتبارية الاعتيادية. فيا عجباً كيف تستوعب أذهان الضلالة أزلية المادة - وهي تنافي الأزلية قطعاً - بينما تعجز تلك الأذهان عن إدراك أزلية الخالق الجليل التي هي من ألزم صفاته الضرورية؟

ثم كيف وجدت الذرات المتناهية في الصغر قوة وثباتاً بحيث تقاوم أوامر القدرة الإلهية وتبقى أزلية، بينما الكون بعظمته منقاد إلى تلك الأوامر انقياداً طاعة وخضوع؟ وكيف يُسند الإبداع والإيجاد - وهما من خواص القدرة الإلهية - إلى أعجز شيء وأهونه وهو الأسباب؟

فالقرآن الكريم يرسخ هذا الدليل في آياته التي تبحث عن الخلق والإيجاد، ويقرر أن لا مؤثر إلا الله وحده. فالأسباب لا تأثير لها تأثيراً حقيقياً، وإنما هي ستائر أمام عزة القدرة وعظمتها، لئلا يرى العقل مباشرة يد القدرة بالأمور الخسيسة بنظره الظاهر، إذ إن لكل شيء جهتين:

إحدهما: جهة الملك، وهي كالوجه المملون المطلي للمرأة، تَرُدُّه الأضداد، وتصبح حقيرة، عظيمة، قبيحة، شريرة.. إلخ. فالأسباب في هذا الوجه موجودة لأجل إظهار العظمة والعزة.

والجهة الثانية: جهة الملكوت، وهي كالوجه الشفاف للمرأة. هذه الجهة جميلة في كل شيء، إذ لا تأثير للأسباب فيها، فالوحدانية تقتضي هذا. وحيث إن كلا من الحياة والروح والنور والوجود قد خرج من يد القدرة الإلهية دون وساطة فالوجهان شفافان جيلان، أي جميل ملكا وملكوتا.

البرهان الرابع: هو وجدان الإنسان المسمى بالفطرة الشاعرة

لاحظ النكات الأربع التالية:

أولاًها: أن الفطرة لا تكذب، ففي البذرة ميلان للنمو، إذا قال: سأنبت، سأثمر، فهو صادق. وفي البيضة ميلان للحياة، إذا قال: سأكون فرخاً، فيكون بإذن الله، وهو صادق. وإذا

قال ميلانُ التجمد في عَرَفَة من ماء: سأحتل مكاناً أوسع، فلا يستطيع الحديد -رغم صلابته- أن يكذّبه، بل صدقُ قوله يفتت الحديد. فهذه الميول إنما هي تجليات الأوامر التكوينية الصادرة من الإرادة الإلهية.

النكتة الثانية: لا تقتصر حواسُّ الإنسان الظاهرة والباطنة على الحواس الخمس المعروفة: حاسة السمع والذوق والبصر.. إلخ، وإنما له نوافذ كثيرة مطلّة إلى عالم الغيب، فله حواسُّ كثيرة غير معلومة. أمثال حاسة السّوق وحاسة الشوق التي لا تكذب ولا تزلّ.

النكتة الثالثة: لا يمكن أن يكون شيءٌ موهوم مبدءاً لحقيقة خارجية؛ فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروztان في الفطرة والوجدان، حيث إن الإنسان مكرم وهو صفوة المخلوقات، فلولاها لتردى الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يرّد هذا الاحتمال.

النكتة الرابعة: أن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطلّ العقل نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه، فالوجدان يبصر الخالق ويراه، ويتأمل فيه ويتوجه إليه. والحدس -الذي هو سرعة انتقال في الفهم- يحركه دائماً. وكذا الإلهام -الذي هو الحدس المضاعف- ينوره دوماً. والعشق الإلهي يسوقه ويدفعه دوماً إلى معرفة الله تعالى، ذلك العشق المنبعث من تضاعف الشوق المتولد من تضاعف الرغبة الناشئة من تضاعف الميلان المغروز في الفطرة. فالانجذاب والجذبة المغروز في الفطرة ليس إلّا من جاذب حقيقي.

وبعد ما تبين لك هذه النكات، أمعن في الوجدان لترى كيف أنه برهان مودّع في نفس كل إنسان يثبت التوحيد، ولتشاهد أيضاً أن قلب الإنسان مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد؛ فالعقدة الحياتية فيه وهي معرفة الله، تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبة في مواهبه واستعداداته غير المحدودة، كلّ بها يلائمه، فتُفطّر فيها اللذة والنشوة وتزيدها قيمة وأهمية، بل تبسطها وتصلقها.. فهذه هي نقطة الاستمداد.

والمعرفة الإلهية نفسها هي نقطة استناد للإنسان أمام تقلبات الحياة ودوّاماتها، وأمام تزاخم المصائب والنكبات وتواليها عليه، إذ الإنسان إن لم يعتقد بالخالق الحكيم الذي كلّ أمره نظام وحكمة، وأسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إلى ما يملكه من



قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً من المصائب.. فإنه سينهار حتماً من فزعه وخوفه من هول ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تذكره بعذاب جهنم. وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرّم، إذ يستلزم سقوطه إلى هاوية الذل والمهانة، مما ينافي النظام المتقن القائم في الكون كله، أي إن هاتين النقطتين: نقطة الاستمداد والاستناد ضروريتان لروح الإنسان. فخالق الكريم ينشر نور معرفته ويثبها في وجدان كل إنسان من هاتين النافذتين -نقطة الاستمداد ونقطة الاستناد- فمهما أطبق العقل جفنه ومهما أغمض عينه، فعيون الوجدان مفتحة دائماً.

وهكذا فشهادة هذه البراهين الأربعة العظيمة القاطعة تدلنا على: أن الخالق الجليل كما أنه واجب الوجود أزلي واحد أحد فرد صمد عليم قدير مريد سميع بصير متكلم حي قيوم، فهو متصف كذلك بجميع الأوصاف الجلالية والجمالية، لأن ما في المخلوقات من فيض الكمال إنما هو مقتبس من ظل تجلي كمال خالقه الجليل، فبالضرورة يوجد في الخالق سبحانه من الحُسن والجمال والكمال ما هو أعلى بدرجات غير متناهية ويمراتب مطلقة من عموم ما في الكائنات من الحُسن والكمال والجمال. ثم إن الخالق سبحانه منزّه عن كل النقائص، لأن النقائص إنما تنشأ عن افتقار استعداد ما هيئات الماديات وقابلياتها، وهو سبحانه وتعالى منزّه عن الماديات، مقدس متعال عن لوازم وأوصاف نشأت عن إمكان ما هيئات الكائنات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

فسبحان من اختفى لشدة ظهوره.. سبحان من استتر لعدم ضده.. سبحان من احتجب بالأسباب لعزته.

سؤال: ما ترى في «وحدة الوجود»؟

الجواب: إنه استغراق في التوحيد، وتوحيدٌ ذوقي لا ينحصر في نظر العقل والفكر؛ إذ إن شدة الاستغراق في التوحيد -بعد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية- يُفضي إلى وحدة القدرة، أي لا مؤثر في الكون إلا الله. ثم يؤدي هذا إلى وحدة الإدارة، وهذا يسوق إلى «وحدة الشهود» ثم إلى «وحدة الوجود». ومن بعدها رؤية وجود واحد ثم إلى رؤية موجود واحد... فشطحات علماء الصوفية التي هي من قبيل التشابهات لا تقام دليلاً على هذا المذهب. فالذي لم تتخلص روحه من تأثير الأسباب، ولم تتجرد من دائرتها، إذا ما تكلم عن وحدة الوجود يتجاوز

حدّه. والذين يتكلمون به إنما حصروا نظرهم في «واجب الوجود» حصراً؛ بحيث تجرّدوا عن الممكنات، فأصبحوا لا يرون إلّا وجوداً واحداً، بل موجوداً واحداً.. نعم، إن رؤية النتيجة ضمن الدليل، أي رؤية الصانع الجليل ضمن موجودات العالم شيء ذوقي ولا يمكن بلوغها إلّا باستغراق ذوقي. فإدراك حقيقة جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان، وسريان الفيوضات الإلهية في ملكوتية الأشياء، ورؤية تحلي الأسماء والصفات في مرايا الموجودات.. أقول: إن إدراك هذه الحقائق أمرٌ ذوقي. إلّا أن أصحاب مذهب وحدة الوجود لضيق الألفاظ عبّروا عن هذه الحقيقة بالألوهية السارية والحياة السارية في الموجودات، وحينها حصّر أهل الفكر والعقل هذه الحقائق الذوقية في مقاييس فكرية وعقلية جعلوها مصدر كثير من الأوهام والأفكار الباطلة.

ثم إن بين ما لدى الفلاسفة الماديين، ومن وهنت عقيدتهم من المفكرين من مذهب «وحدة الوجود» وما لدى الأولياء منه بونا شاسعاً وفروقا كثيرة بل إنها متضادان ونقيضان. فهناك خمسة فروق بينهم:

الفرق الأول: أن علماء الصوفية قد حصروا نظرهم في «واجب الوجود» واستغرقوا في التأمل فيه بكل قواهم حتى أنكروا وجود الكائنات ولم يعودوا يرون في الوجود إلّا هو. أما الآخرون (الفلاسفة الماديون وضعفاء الإيمان) فقد صرفوا كلّ تفكيرهم ونظرهم في المادة حتى ابتعدوا عن إدراك الألوهية بل أولّوا المادة أهمية عظيمة حتى جعلتهم لا يرون من الوجود إلّا المادة، بل تهادوا في الضلالة بحيث مزجوا الألوهية في المادة بل استغنّوا عنها لشدة حصّرتهم النظر في الكائنات.

الفرق الثاني: أنّ ما لدى الصوفية من «وحدة الوجود» تتضمن «وحدة الشهود» في حين أن ما لدى الآخرين يتضمن «وحدة الموجود».

الفرق الثالث: أنّ مسلك الأولياء مسلك ذوقي؛ بينما مسلك الآخرين مسلك عقلي.

الفرق الرابع: يحصر الأولياء نظرهم في الحق تعالى ثم ينظرون نظراً تبعياً ثانوياً إلى المخلوقات، بينما الآخرون يحصرون نظرهم أولاً وبالذات في المخلوقات.

الفرق الخامس: أن الأولياء عبادُ الله ومحَبّوه، بينما الفلاسفة يعبدون أنفسهم وهواهم، فأين الثرى من الثريا.. وأين الضياء الساطع، من الظلمة الدامسة.

### تنوير

لو افترض -مثلا- أن الكرة الأرضية قد تشكلت من قطع زجاجية صغيرة جدا ومختلفة الألوان، فلا شك أن كل قطعة ستستفيض من نور الشمس حسب تركيبها وجرمها ولونها وشكلها.. فهذا الفيض الخيالي ليس الشمس بذاتها ولا ضياءها بعينه.

فلو نطق ألوان الأزهار الزاهية المتجددة والتي هي تجليات ضياء الشمس وانعكاسات ألوانه السبعة، لقال كل لون منها: إن الشمس مثلي. أو إن الشمس تخصني أنا.

أَنْ خَيَّالَاتِي كِه دَامِ أَوْلِيَا سَتْ عَكْسِ مَهْرُويَانِ بُوسْتَانِ خُدَا سَتْ<sup>(١)</sup>

ولكن مشرب أهل وحدة الشهود هو: الصحو والتميز والانتباه، بينما مشرب أهل وحدة الوجود هو: الفناء والسكر. والمشرب الصافي هو مشرب الصحو والتميز.

«تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا»<sup>(٢)</sup>

حَقِيقَةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يَدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الْجَبَّارِ ذِي الْقَدَمِ  
هُوَ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ وَأَنْشَأَهَا فَكَيْفَ يَدْرِكُهَا مُسْتَحْدِثُ النَّسَمِ<sup>(٣)</sup>

هذا ولم يُدرج هنا القسم الثاني -الذي يخص بقاء الروح- من رسالة «نقطة» حيث أوفته حقّ الإيفاء «الكلمة التاسعة والعشرون» و«الكلمة العاشرة - الحشر». فنحيل القارئ الكريم إليها. أما القسم الثالث الذي هو عبارة عن أربعة عشر درساً فقد نُشر مستقلاً تحت عنوان: «المدخل إلى النور».

(١) «إن الخيالات التي هي شركاء الأولياء إنها هي مرآة عاكسة تعكس الوجوه النيرة في حديقة الله» والبيت لجلال الدين الرومي في مثنويه ٣/ ١.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط ٦٤٥٦؛ اللالكائي، السنة ١/ ١١٩ - ١/ ٢؛ البيهقي، شعب الإيمان ١/ ٧٥.

(٣) ينسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه، ديوان الإمام علي ص ١٨٥ - بيروت.



الرسالة الثالثة عشرة

نور

مِنْ أَنْوَارِ نُجُومِ الْقُرْآنِ

## باسمه سبحانه

**اعلم** لقد كشف هذه الرسالة الباحثُ الدؤوب أخونا الكريم «نجم الدين شاهين أر» وذلك أثناء تحرّيه وتنقيبه عن آثار الأستاذ النورسي، فوجدها ضمن مجموعة هائلة من الأوراق المتفرقة المدفونة تحت منصّة الوعظ في الجامع الملاصق لمنزل الأستاذ النورسي في منفاه: «بارلا». ولما كانت الرسالة مؤلّفة باللغة العربية سلّمها لي مشكورا وقد قمّتُ بترجمتها إلى اللغة التركية وضممتها إلى ترجمتي للمثنوي العربي.

والمخطوط هو بخط جيّد للحافظ توفيق الشامي، وقد أجرى عليه الأستاذ تصحيحاتٍ دقيقة. والرسالة بحد ذاتها أصول موجزة وأسس ملخّصة لأجزاء من رسائل النور، ومن هنا فلها أهمية خاصة.

وإذ أقدم هذا المخطوط لأخي الكريم إحسان قاسم الصالحي أبارك له عمله في التحقيق والنشر راجيا له التوفيق.<sup>(١)</sup>

عبد القادر بادليّ

أورفة

---

(١) وقد وضعنا أرقام الصفحات كما في المخطوط بين قوسين مركّبين [ ].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ  
لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ٤٣).

والصلاة والسلام على حجة الحق على الخلق سلطان الأنبياء وبرهان الأصفياء  
حبيب رب العالمين وعلى آله وصحبه أبد الآبدين.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أنه ما من سهل ولا جبل ولا وادٍ ولا بادٍ ولا بحرٍ ولا برٍّ ولا قطعةٍ ولا بقعةٍ  
في أقطار الأرض إلّا وقد تراحمّت عليها أنواع سكاتٍ الأحد الصمديّ، حتى كأن هذا الجبل  
-مثلاً- يُعلم أنه مملوكه سبحانه، بعدد ما فيه من ممالكه المتوطنة فيه من أقسام الحيوانات  
وأصناف الأشجار.. وكذا يُعرف أنه مصنوعه تعالى بعدد شهاداتٍ ما ضُرب عليه من سكاتِهِ  
المتألّثة عليه من أجناس النباتات وأنواع الطيور.. ويُفهم أنه مكتوبه جلّ جلاله بعدد ما  
ضُرب على جوانبه من خواتمه سبحانه من مُزيّنات الأزهار وجماليّات الأثمار.  
فإذا عرفت أن النخل والنخل -مثلاً- ماله وصنعه سبحانه تعرف أن كل ما يوجد فيه  
نحلة أو نخلة هو أيضاً ملكه. وهكذا الكل شاهد الكل. وكلّ دليل كلّ.

والدليل على أن السكات والخواتم في جميع الأقطار لملك واحد ومالك صمدٍ وحده  
زمانٍ ضربها ووضعها. ففي آنٍ واحدٍ يوجد ما لا يُحدّ في أقطار الأرض من المتأثلاث من  
أجناس الأشياء. فما هذا التوافق في الوجود والإيجاد والصورة والإنشاء والزمان إلّا لأن  
صانعها واحد أحد لا يمنعه فعل عن فعل ولا يشغله شأن عن شأن ولا يلهيه قول عن قول  
ولا يختلط عليه سؤال -قولاً أو حاجةً أو استعداداً- بسؤالٍ كذلك، جلّ جلاله ولا إله إلّا هو.  
**اعلم<sup>(٢)</sup>** أنك إن شئت أن ترشّف إعجازيّة أفيضت على قلبي من عَمّان القرآن..  
فاستمع بقلبٍ شهيد ما أخطب نفسي.

(١) تفصيل هذا البحث في «الكلمة الثانية والعشرين»، لاسمها اللمعة السادسة والثامنة منها.

(٢) توضيح هذا البحث في «الكلمة الثانية والعشرين» وبخاصة اللمعة الرابعة والثامنة، وكذا اللمعة الثالثة والعشرون،  
رسالة «الطبيعة».

أيها السعيد الغافل حتى عن نفسه وعن غفلته! إِنَّ الغفلة والكفران والكفر تأسست على محالات متضاعفة متسلسلة غير محصورة؛ إذ إذا نظرت إلى أي شيء كان - لاسيما من ذوي الحياة - ثم غفلت بسبب عدم الإسناد إليه تعالى (أي إلى الإله الواحد) لزمك هذه المحالات العجيبة بقبول آلهات بعدد أجزاء التراب والهواء والماء، بل بعدد الذرات ومركباتها، بل بعدد تجليات الله.. ولو أمكن عدم الإسناد لما لزم من فرض وقوعه محال - إذ إذا لزم المحال فهو ممتنع، لا ممكن، مع أنه لا يلزم محال واحد - بل محالات غير محصورة.

أما لزوم آلهات بعدد أجزاء التراب، فلأنك تعلم أن أي جزء من التراب ترى، يصلح لحصول أي نبات وشجر وآية زهرة وثمره.. فإن شئت عي ن اليقين فاملاً قصعتك هذه من التراب.. ثم ادفن فيها نواة التين حتى تتشجر تينة مثمرة.. ثم اقلعها وادفن بدلكها نواة الرمان. ثم بعد نواة التفاح.. ثم.. وثم.. وثم.. حتى تستوعب جميع الأشجار المثمرة، وقد ترى كم ما بينها من التفاوت في الجهازات المنظمة والتشكلات الموزونة.

مثلاً: لو كانت «الماكينة القدرية» المندجة في نواة التينة «كالفابريكة» التي تصنع السكر من النباتات، لكانت «الميكانيكية القدرية» المندرجة في نواة الرمان كالماكينة التي تنسج الحرير وهكذا فقس. ثم ادفن بدل نواة الأثمار كل واحد من بذور الأزهار، بذرا فبذرا، واحدا بعد واحد إلى أن لا تبقى بذرة في الدنيا إلا وقد دخلت في قصعتك ذرة ميتة جامدة ثم خرجت حية متسنبلة متزهرة.

فيا صاحب القصة إن حصلت غفلتك من مذهب الماديين؛ لزمك البتة وبالقطع واليقين الأولي - لإدامة غفلتك - أن تقبل وجود «فابريكات» معنوية بعدد الأشجار «وماكينات» بعدد الأزهار في قصعتك هذه. فلو كان المرجع «الطبيعة» لزم أن يكون للطبيعة في كل جزء من التراب بل في ذرة مطبعت غير محصورة.. وما النواتات والبذور إلا أمور متائلة في المادة، ومشابهة في التشكيل، ومتقاربة في الشكل.. وما هي إلا كمثل مثقال واحد من قطن مع أنه ينسج منه قناطير مقنطرة من أثواب الحرير والجوخ والصوف وغيرها. وآية ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١) وآية ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ (النور: ٤٥) وغيرهما، تشير إلى أن المادة التي تخلقون منها لما كانت واحدة لا مركبة كمثل أحدكم بل أصغر، لا



يمكن أن تكون مصدرا تنشّقون منه أو منشأ تُصنّعون منه، للزوم كون المصنوع منه أكبر أو مساويا للمصنوع، على أن إيجاد البذور والنواتات -التي كل منها مع بساطتها كأنها مسطر قُدّرت خيوطه بهندسة القَدَر، ومع صغرها كأنها أصل متضمن لمجموع دساتير وجود ما هو كأصلها- مع إبداعها في رقائِقِ نهاياتِ دقائقِ حدودِ أغصانِ الشجر وأعضاءِ النبات.. من أصدقِ شاهد على أن خلَقها هكذا لا يُتصوّر إلّا من خلَقِ السماوات والأرض، الذي تتساوى بالنسبة إلى قدرته الذراتُ والشموس.

وإن نشأتْ غفلتُك من مذهب الطبيعيين، لَزِمَك لحفظِ غفلتِك -إن كنتَ ذا شعور- أن تقبلَ في قصعتك وجودَ قدرةٍ بصيرةٍ خارقةٍ، بحيث تقدر على تصوير جميع الأثمار والأزهار وإنشائها وإبداعها.. وكذا وجودَ علمٍ محيط بتفاصيل خواصها وخاصيّاتها.. وكذا وجودَ إرادة علمية بتفاريق موازينها ولوازماتها.. وهكذا من سائر الأسماء المطلقة المحيطة التي لا يمكن أن يكون مسمّى لها إلّا مَنْ يطوي ﴿السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) وَمَنْ؛ كما أن الأرض قبضته يتصرف فيها كيفما يريد، كذلك القلبُ بين إصبعيه يقلّبه كيفما يشاء، لا يشغله كبير عن صغير، ولا يلهيه خطير عن حقير.. وإلّا من يتجلّى بنور قدرته على العرش والشمس والذرّ، باليسر والتساوي؛ كانعكاس الشمس على البحر والمرآة والقطرات بكمال السهولة والمساواة في ماهية الفيض وإن تفاوتت الكيفيّة التابعة للقابلية.

كما يشهد لهذا السرّ ما يشاهد في الربيع من الجود المطلق نوعا.. في الإتيان الأكمل -شخصا-، في السهولة المطلقة، في السرعة المطلقة في إيجاد ما لا يحدّ من أفراد ما لا يُعدّ من أنواع الأزهار والأثمار المنشورة والمنشورة في غالب وجه الأرض في زمان واحد.

ثم أفرغ قصعتك في هذا التراب واملأها من صُبرة الأرض واعمل في هذا أيضا كل المعاملة الجارية في أخيه الأول، ثم جدّد الكيل والمعاملة إلى أن تكيل كلّ التراب.

كما يشهد لمساواة المعاملة في كلّ كَيْلٍ جريان المعاملة بالفعل في الجملة في غالب وجه التراب بظهور أَشْثَاتِ أفرادٍ كثيرٍ من الأنواع في ما صادفته من صفحات التراب في سيرك في الأرض.

ثم توجه إلى الهواء والماء والضيء فَرَنَ وكلَّ بقسطاس قصعتك تخرج لك النتيجة سواءً بسواء.

هذا بالنظر إلى جميع أفراد جميع الأنواع، والحال أن كل فرد واحد من كل زهرة وثمره وحيوان وحويثة كقطرة محلوية معصورة من كل الكون، ومأخوذة من أجزاء العالم بموازين دقيقة حساسة وبنظومات رقيقة حساسة لا يقتدر على خلقها هكذا إلا مَنْ في قبضته تصرف كل الكون، فيعصر تلك القطرة من تلك الكائنات بموازين ومقادير قدره إن شاء النشوء،<sup>(١)</sup> أو يُبدع مثالا مصغرا يكتب في نسخته مآل ما في الكائنات، إن أراد الإبداع وإيجاد الأيس من الليس،<sup>(٢)</sup> كما هو الحق أو الأكثر المطلق.

وأما لزوم ذي الكفر والكفران آلهة بعدد ذرات العالم، فقد مرّ في «حَبَاب» و«قطرة» وغيرهما.. [٤] وأما بعدد تجليات الله، فقد مرّ في ذيل «شعلة» زبدته؛ كما أن تماثيل الشمس المتجلية على الشفافات والقطرات إذا لم تُسند إلى الشمس الواحدة بالتجلي السهل، لزم قبول شمس بالأصالة في كل شفاف وقطرة وذرة متمشمة.

فإن تفهمت ما تلوث على نفسي، تفتنت للমেعة من أنوار إعجاز بيان القرآن من جهة المعنى، إذ هذه المسألة رشحة من رشحات بحر إعجازه الزاخر المعنوي.

**اعلم**<sup>(٣)</sup> أن الإيمان أكسير يقلب فحم المادة الفانية ألماسا مصنعا مرصعا باقيا بمعناه بنسبته إلى الصانع الباقي.. والإنسان بالكفر يعكس فيتنكس، إذ كما أنه يوجد في مصنوعات البشر ما تكون قيمة مادته خمسة دراهم، وقيمة صنعه ألوف الدنانير، وتزايد القيمة بكون صانعه شخصا مشهورا خارقا عتيقا. كذلك في مصنوعات الصانع القديم ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: ٥٤) وزين السماء بمصابيح، والأرض بأزاهير. بل من أغرب مصنوعاته «الإنسان» الذي مادته «صلصال كالفخار» ينكسر ويتمزق بسرعة، ما قيمته إلا شيء قليل.. وأما ما فيه من الصنعة فأمر عظيم تزيد قيمتها على قيمة المادة بدرجات لا تعد ولا تحصى.. إذ الإنسان بنقش الصنعة قصيدة منظومة من لطائف آثار جلوات الأساء الحسنی.. ومرآة مجلوة لتجليات أشعات شؤون شمس الأزل والأبد.

(١) النشوء: البناء.

(٢) الأيس: الوجود. والليس: العدم الصرف.

(٣) «الكلمة الثالثة والعشرون» توضح هذا المبحث.

فالإيمان نسبةٌ يَنْسِبُ الإنسانَ إلى مالِكه، وجههُ النسبةُ إنما تنظرُ إلى الصَّنعة، فيكون مدارُ النظرِ حينئذٍ إلى المصنوعية والصنعة. فبالإيمان تزيد قيمةُ الإنسان إلى أن تصيرَ الجنةُ ثمنه، وتكون الخلافةُ رتبته، ويطبق على حمل الأمانة.. وأما الكفر فهو قاطعُ النسبة، وقاطعُ الوصلة.. فإذا انقطعت النسبةُ استر الصنعُ، وانتكست الصنعةُ واختفى التجلي، وظهرت المادةُ، وانقلبت المرأةُ، وسقطت القيمةُ إلى دركة يتمنى الكافرُ العدمَ، أو ينقلبَ تراباً.

الحاصل: أنَّ الإنسانَ كما كينةٌ مشتملة على ملايينِ آلاتِ الوزنِ وميزاتِ الفهم، توزنُ بها مدخراتُ خزينة الرحمة، وجواهر ثروة الكنز الخفي، حتى أُودِعَ في اللسانِ فقط جهازاتٌ للوزن بعددِ المطعومات، لِيُحَسَّ ذوو اللسانِ بأنواعِ دقائقِ نِعَمِ الحق. فإذا استعمل تلك الماكينةَ أمينٌ يمينُ يمينِ الإيمانِ أثمرت ثمراتٍ وأورثت آثاراً عند مَنْ لا يضلُّ ولا ينسى.. وأما إذا ما وقعت في يد الكفر صارت كمثل ماكينة غالية القيمة بلا مثيل، أخذها وحشي لا يعرف ما هي، فاستعملها في خدمة النار - كآلة عادية - حتى أحرقها.

فيا مَنْ بيده ملكوتُ كلِّ شيء، وبيده مقاليدُ كلِّ شيء، ويا مَنْ هو آخذٌ بناصية كلِّ شيء، ويا مَنْ عنده خزائن كلِّ شيء، لا تكلِّنا إلى أنفسنا، وارحمنا، ونور قلوبنا بنور الإيمان والقرآن.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان: ٢٣)

**اعلم<sup>(١)</sup>** أيها السكران السفیه الغافل الضال! تورطت في مزيلة الدنيا فترید إضلالَ الناس بتصوير تلك المزيلة معدن السعادة ليتخفف عنك. فإن أمكن لك قلبُ أربعِ حقائق فاصنع ما شئت.

أحدها: الموت؛ مع أنَّك لا تقلِّب، بل تبدِّل الموتَ الذي هو تبدِّلُ لمكان في نظر المؤمن إعداماً أبدياً.

والثاني: العجز؛ في مقابلة الحاجات والأعداء الغير المحصورين، مع أنَّك تحوّل العجزَ المنجر للاستناد إلى القدير المطلق - كأن العجزَ داعٍ يدعوك إليه - إلى عجزٍ مطلقٍ مع اليُتم وعدم نقطة الاستناد.

(١) «الكلمة الثامنة» توضح هذا البحث بتمثيل لطيف.

والثالث: الفقر؛ في الأكثر المطلق، مع أنك تصرّف الفقر -الذي هو وسيلة التوجه إلى خزانة الغني المطلق كأن الفقر تذكرة دعوة- إلى فقرٍ مظلمٍ مؤلمٍ متزايدٍ بتزايدٍ رذائل المدنية.

والرابع: الزوال؛ إذ زوال اللذة ألمٌ دائم. فلا خيرٍ في لذةٍ لا تدوم. مع أنك تحوّل الزوال -الذي هو وسيلة الوصول إلى اللذة الباقية إن قارنَ نيةً صالحة- زوالاً أليماً، لا إلى بديلٍ، مورثاً آلاماً وأثاماً. فمن ينتظر الموتَ دائماً، ويحيط به العجزُ، ويستولي عليه الفقر، وهو على جناح السفر.. إنما ينخدع بسفسطياتك حالة السكر فقط، والسكر لا يدوم. [٥] فالتّي تسمّيها سعادة الحياة، هي عينُ شقاوة الحياة من كل الوجوه، وإنما تكون سعادةً ظاهريّة بشرط دفع الموت أو نسيانه على الإطلاق.. ورفع العجز أو الغرور المطلق.. ودفع الفقر. أو الجنة المطلقة ودوام الخلود أو تسكين جرح الفلك.

نّبهي الله وإياكم عن نوم الغفلة الذي تظنون فيه البقطة الكاذبة -التي هي انغماسٌ في غمرات النوم- انتباها، وأفاقني الله وإياكم من الجنون المطلق الذي توهّمونه عقلاً منوراً.

**اعلم** وانظر كيف أدرج الصانعُ القدير ملايينَ عوالمٍ من أنواع الحيوانات والنباتات في سطح الأرض، كلُّ عالمٍ كبحرٍ صارت قطراتٍ للتوظيف، كتوظيف النمل لتنظيف وجه الأرض من جنائز الحوّنات. وقد أطبقت تلك القطرات على وجه الأرض.. أو ككلّ ذي أجزاء صار ككُلّي ذي جزئيات.

كما أن الماء والهواء والضياء والتراب لاسيما الثلج كقطراتٍ صارت بحراً، لتماثل الوظيفة، ووحدة الأمر، وتلقي الأمر الواحداني. فأجزاء الأربعة ككلياتٍ تلك مشعورةٌ معلومةٌ موظفةٌ. فتداخلت تلك العوالمُ الغيرُ المحصورة واختلط الكل بالكل واشتبك، مع أن الصانعَ الحكيمَ ميّز كل واحدٍ عن كل واحدٍ بتشخصاته المخصوصة ولوازماته المشخصّة، فأظهر نهاية الامتياز في غاية الاختلاط، بحيث يَضَعُ عالمُ النمل أو الذباب -مثلاً- فيما بين أجزاء عوالم ذوي الحياة بإيجاد يخصّه ثم يرفعه بإماتة تخصّه، كأن سطح الأرض وطنه فقط، فلا تتشوّش حياة الخاصة ولا مماتها المعين. فنسبة عالمٍ إلى سائر العوالم المجاورة له، كنسبة حُسن انتظام تربية فردٍ -مغمور في الأفراد- إلى تدبير النوع. لا يشغل الصانعَ هذا عن ذاك، ولا ذاك عن هذا.

فيا مَنْ غشى بصره بالطبيعة! وختم قلبه بالطبع! إنَّ تصورت الطبيعة الموهومة -التي لو تحققت لكانت كالمطبعة- طابعةً صانعةً لزمك أن ترى للطبيعة في كلِّ جزءٍ من التراب مطبوعات مكمّلات تزيد على جميع مطابع المدنيين.

**اعلم** أيها الحيوان! لا تفتخر هكذا على النبات؛ إذ تفنن الصنعة في أختك أتمَّ منها فيك. ألا ترى أن أجناس الحيوانات متقاربةٌ أو متماثلة في لحومهم مع أن لحوم أجناس الثمرات حتى أنواعها بل حتى أصنافها متفاوتةٌ متخالفة؟ فهذا أمارَةٌ على أن قلم القدرة تأتق فيها. وكذا إنَّ بركة النسل في الحيوان والبشر إذا كانت سبعة في النبات والشجر سبعون، وسبع مائة، وسبعة آلاف. إلَّا السمك فإنه -لأجل ضعف الحسيات الحيوانية فيه- ملحقٌ بالنباتات. تشير هذه الحالة إلى أنه للإطعام كالحب.. فهذا علامةٌ خيرية والأهمية فيه.

وكذا إن أختك النبات والشجر مخدومةٌ متوكِّلةٌ، يجيء إليها رزقُها ورزق أولادها الكثيرة. حتى كأن جرثومة كل شجرٍ متصلةٌ بخزينة الرحمة، لها منها منفذٌ إليها. فتقسم الرحمة عليها ما يوافق حاجاتها المتخالفة فتعطي الوالدين لبنا خالصا، ولبنات الرمان شرابا طهورا، ولأبناء الزيتون دهنا مباركا.. وللجوز زيتا منورا.. وهكذا فهذا آية «الحرمة».<sup>(١)</sup>

فيا أيها الحيوان المتكبر إنَّ سبب ترجيح مرجوحك بمراتب، عليك بثلاث مراتب هو أنايتك ومرضك واختيارك فأسلم تسلم.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨)

**اعلم**<sup>(٢)</sup> أيها الإنسان! لا تتكبر على الحيوان، إن سبب رفعتك على سائر الحيوانات إنما هو ضعفك وعجزك، كما أنَّ الصبيَّ يحكم على والديه وإخوانه بقدرة عجزه وقوة ضعفه.. هل ترى في الحيوانات أعجز منك في تحصيل لوازمات الحياة، بل ما يحصل لك بالتجارب والتدريس في عشرين سنة -مما يلزم لحفظ حياتك- يحصل للحيوان في عشرين يوما، وبعضا في عشرين ساعة، وبعضا في عشرين دقيقة، بل فردُه برأسه يساوي في حفظ الحياة الحيوانية جماعة متعاونة منكم. كما أن فردا منكم يساوي أنواعا منهم، من جهة كمال الإنسانية المنحصرة في الإسلامية والعبودية.

(١) أي الاحترام والتقدير.

(٢) «الكلمة الثالثة والعشرون» توضح هذا المبحث بتفصيل.

يا هذا ويا أنا! إِمَّا تصير أدنى من أدنى الحيوانات وأذَلُّ وأعَجَزُ. وإِمَّا تصير أعزَّ وأكَمَلُ من أنوعها. فاختَر ما شئت.. فإِذَا هذا هكذا فاعرف عَجَزَكَ وضعفَكَ. واعلم بأن قدرتَكَ وقوتَكَ في الدعاء والبكاء لدى مالِكِكَ.

وأما ما تفتخِرُ به من المصنوعات الإنسانية فمن أثر إلهامه وخَلقه وإكرامه، ليجمع بك أشتات الأنواع المتخالفة، لإظهار حُسنٍ غريب، وإيجادِ كتابةٍ عجيبة، وتشهير مصنوعاتهِ المختلفة مجتمعة، وإذاقة مراتبِ نِعَمهِ الحاصلة من تمزيج بسائط النعم بهندسة هَوَسات الإنسان.

**اعلم<sup>(١)</sup>** يا مَنْ يتوسوس من اختلافات الروايات في أمثالِ مسألة المهدي، وقرب الساعة والملاحم الاستقبالية! أتريدُ إيماناً ضرورياً في كل مسألة؟ حتى في المسائل الفرعية التي ليست من ضروريات الاعتقاد؟! بل يكفي فيها القبول التسليمي، وعدم الرد، لا الإذعان اليقيني القصدي حتى تحتاج إلى طلب البرهان القطعي.

ألا تعلم أن متشابهات القرآن كما تحتاج إلى التأويل كذلك مشكلات الأخبار تحتاج إلى التعبير والتفسير؟ فإذا صادفَكَ روايةٌ مخالفةٌ للواقع -في نظرك الظاهري- فمع احتمال أن تكون من الإسرائيليات، وأن تكون من أقوال الرواة، وأن تكون من مستنبطات الناقلين، وأن تكون من كشافات الأولياء المُحدثين المحتاجة للتعبير، وأن تكون من المسموعات المتعارفة بين الناس، يذكرها النبي عليه الصلاة والسلام لا للتبليغ السماوي بل للمصاحبة العُرفية للتنبيه.. يلزم الناظر أن لا يَقْصُر النظرَ على الظاهر، بل يؤوّل بتأويل تمثيلي كنائي مسوق لمقصدٍ إرشادي.. أو يفسّر بتعبير كنعاني النائم في نومه ما رآه اليقظان في يقظته.. فكما تُعبرُ أيُّها اليقظان ما رآه النائم، كذلك فعبّرُ أيُّها النائم -إن استطعت- في غفلة هذه الحياة ما رآه اليقظان الذي لا ينام قلبه الذي هو مظهرٌ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٧).

ثم إن الحكمة في إيهام أجل الشخص وموته.. «ليتنظره دائماً فيستعدّ لآخرته» هي الحكمة في إيهام الساعة، التي هي موتُ الدنيا ليتنظرها أبناءُ الدنيا.

ومن هذا السر؛ انتظرها أهلُ كلِّ عصرٍ من عصرِ السعادة إلى الآن، كما هي الحكمة

(١) راجع إن شئت توضيحاً لهذا المبحث «الكلمة الرابعة والعشرين - الغصن الثالث».

الدافعة للغفلة العامة، وهذا الانتظار من هذه الحكمة، لا من إرشاد النبوة في التعيين والحكم بالانتظار للوقوع، بل بالانتظار الذي يقتضيه الإبهام لدفع الغفلة. ولقد سها مَنْ لم يميّز الحكمة من العلة.

وأما المهديّ، فلتقوية القوة المعنوية وردّ اليأس عند استيلاء الضلالة، ولتشجيع ذوي الهمم المجدّدين في الانسلاخ في سلك نوراني إمامه ورأسه المهدي رضي الله تعالى عنه. فهذه الحكمة تقتضي الإبهام ليُمكن الانتظار في كلّ زمان.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أيها المسلم في الظاهر والاسم! مثلك في تقليد الكفار في السفاهة ومعارضة الأحكام الإسلامية، كمثل فردٍ من عشيرة يرى رجلا عدواً من عشيرة أخرى يذمُّ عشيرة الأول ويزيف رئيسها ويحقّر عاداتها، مستنداً إلى عشيرته متمدّحاً بمفاخرها. فيظنّ ذلك المسكين أنّ لو ذمّ هو أيضاً عشيرة نفسه وحقّر عاداتها صار كذلك الرجل العدو! ولا يعرف ذلك أنّه بهذا الردّ والارتداد، إما مجنونٌ جريء أو رذيلٌ دنيء يكسر ظهره فيصير يتيماً طريداً.

ألا ترى أن الشخص الأوروبي ينكر محمّداً عليه الصلاة والسلام ولكن يتسلّى «بالخرستانية»<sup>(٢)</sup> المموّهة وبمدينتهم المخصوصة المزوجة بعاداتهم الملية، فيمكن أن يبقى في روحه بعض الأخلاق الحسنة الدنيوية، وبعض الهمم العالية لأجل هذه الحياة الدنيوية. فلا يرى بسبب هذا التسلي ظلماتٍ روحه ولا يُتمّ قلبه.

وأما أنت أيّها المرتد! إن أنكرت محمداً عليه الصلاة والسلام وآثاره لا يمكن لك قبول واحدٍ من الأنبياء. بل ولا قبول ربك، بل ولا قبول شيء من الكمالات الحقيقية. فانظر إلى دهشة التخريبات في روحك، وأبصر شدة الظلمات في وجدانك، ووحشة اليأس في قلبك، وعن قريب يترشح قبّح باطنك إلى ظاهره فيصير حُسْنُكُمْ وجميلتكم المرتدة أقبح من أقبح كافر. فالمرتدّ محرومٌ من الحياتين دون الكافر، إذ الكافر له حقّ حياةٍ إن لم يُحارب.

**اعلم<sup>(٣)</sup>** يا من يضيق صدره ولا يسع فكره عظمة بعض المسائل من الحقائق القرآنية كأمثال ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (يونس: ٣) و ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ

(١) المسألة الثالثة من «رسالة الثمرة - الشعاع الحادي عشر» توضح هذا المبحث.

(٢) الخرستانية: كلمة يونانية يقصد بها: النصرانية.

(٣) إن شئت التفصيل راجع «الكلمة الرابعة عشرة».

أَلْبَصِرُ ﴿ (النحل: ٧٧) و ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَحِدَةٍ ﴿ (لقمان: ٢٨) و ﴿ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿ (الزمر: ٦٨) و ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴿ (الأنبياء: ١٠٤) وأمثالها...

إن كتاب الكون المشهود بآياته الشؤونية تفسر تلك الآيات القرآنية، وتقرّبها إلى فهمك بإراءة كثير من نظائرها المشهودة لعينك، في تلافيف اختلاف الليل والنهار، وفي معاطف تحول الفصول والأعصار.

فإن شئت الشهود فافتح كنز آية ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ ﴿ (الروم: ٥٠) لترى بعينك ما لا يُعد من المسائل العظيمة نظائر ما استبعدت!

مثلاً: تشاهد في الحشر الربيعي إحياء آلاف عوالم من أنواع النباتات والحيوانات التي ماتت في القيامة الخريفية، وإيجاد كلّ منها بنظومات مخصوصة وموازين معينة في أيام معدودة. مع أن لكل واحد من أكثر تلك العوالم وسعة بحيث يُرّين أكثر وجه الأرض كبرقع منمنم.. وهكذا ما لا يحصى من الشواهد المشهودة الصادقة.

فما لا يحصى من تلك العوالم انظر إلى عالم الشجر.. وما لا يعد من أنواعها إلى نوع شجر التفاح.. وما لا يحصى من أفرادها إلى هذه الشجرة! لترى ثلاث حشرٍ ونشرٍ<sup>(١)</sup> متعاقبة متداخلة.. بنشر أوراقها المهترئة المنتظمة.. وحشر أزهارها المزينة المنظومة.. وإحياء أثمارها اللذيذة الموزونة.. فمن يفعل هذه الأفاعيل في سطح الأرض ويكتب بتقليب صحيفة الشتاء ألوف صحائف كصفحة الأرض في الوسعة، هو الذي يُخبر عن نفسه بأنه ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿ إلى آخر ما مرّ.

اعلم<sup>(٢)</sup> أن لكل أحدٍ علاقاتٍ بالمحبة والشفقة مع أقاربه، ثم مع أفراد عشيرته، ثم مع أفراد ملّته، ثم مع أفراد نوعه، ثم مع أبناء جنسه، ثم مع أجزاء الكائنات، بحيث يمكن أن يتألّم بمصائبهم ويتلذذ بسعاداتهم وإن لم يشعر. لاسيّما مع من أحبه لكماله من جماهير الأنبياء

(١) أي ثلاثة أنواع من الحشر والنشر.

(٢) «المسألة الثامنة من رسالة الثمرة» فيها بيان قيم لهذا المبحث.



والأولياء والأتقياء. وكم من أحدٍ لاسيما إذا كانت «أما» تغدي نفسها وتزِيل راحتها لعلاقة واحدة، ولمحجوب واحدٍ مما لا يُحد من أودائها.. فالغافل الحاكم على نفسه وعلى أودائه حالة الغفلة باليتم وعدم التعهد مُبتلى بحمل الآم لا تعد منهم، مع آلام نفسه وإن لم تشعر نفسه السكرانة بعذاب قلبه وروحه! فلو ظفر هذا الغافل بجنة -مثلا- صار مثل الذبيبة المتلمعة في الليل لها لمعة نورٍ لكن استولت الظلمات الموحشة على جميع مناظرها ومحجوباتها ومأنوساتها، مع أن نورها الذاتي قد يضرها باراءتها لرقبيها. وأما إذا طرد الغفلة وردَّ المُلْك إلى مالكه الحقيقي يفتح قلبه منفذاً إلى أشعَات شمسٍ سرمد، خطُ استوائها الأزل والأبد، ورأى أن كل هذه المحجبات المنتشرة على هذه المحجوبات الكثيرة كانت لهذا الواحد الذي يكفي عن الكل ويُنسك الكل، ولا يكفي عنه الكل، بل ولا عن تجلٍّ من تجليات حبه. فلو دخل هذا المؤمن الموقن جهنم -مثلا- أمكن له بإذن الله الظفرُ بجنة روحانية بالتلذذ بالعلم بأن كل أودائه مصونون من الفراق الأبدي، ومنعمون بالسعادة السرمدية.

فيا أيها السعيد الغافل؛ اترك نفسك ووهَم مالكيتك؛ تظفر بسلامة جميع محبوباتك وسعاداتهم؛ بتسليمهم للمكهم الكريم الرحيم.

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن كل شيء بخلقِه سبحانه، إلّا أن الشرور والقبايح والقصور والمساوي إنّما تترتب على لوازمات ماهيات الممكنات وقابليتها، فيُجيب الخالق الجواد المطلق بالإيجاد، كلّ ما تسألُه الممكنات بألسنة استعداداتها.. فالحُسن راجعٌ إليه بالوجهين: أي بالخلق والاقضاء. وأما القبحُ والقصور، فبالخلق راجعٌ إليه، دون المقاضاة والسؤال. فله الحمد دائماً؛ إذ السؤال في الحُسن والخير كالجواب منه ومن أسأته. وله التسبيح دائماً؛ إذ سؤال الشر والقبح من الممكنات، والجواب المتضمن لمحاسن كثيرة مرتبة على وجود القبح منه سبحانه ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩).

**اعلم** أن أنواع المصنوعات في العالم لاسيما أنواع النباتات والحيوانات في سطح الأرض كالللفائف المبسوطة المفروشة على وجه الأرض بعضٌ على بعض، وكالأقمصة المنمنمة المتراكبة المتداخلة، لبستها الأرض أو العالم. لكن بعضها أرق، وبعضها أقصر، وبعضها منفصل الأنساج، وبعضها يتمزق خريفاً ويتجدد ربيعاً، وفيها كلها نسجٌ موزون بانسجام منظوم.

(١) «رسالة القدر - الكلمة السادسة والعشرون» فيها شرح وافٍ.

فتعانق الأنواع وتعاونها بشوق، وترافق الأفراد وتجاورها بحسن معاشرته تشهد: بأن الكل نسج نسج واحد وخدام سيد واحد. ونسج كل واحد منها بنسج مخصوص بلا مزج، وبإسداء<sup>(١)</sup> ممتاز بلا درج، وإلحام<sup>(٢)</sup> معين بلا التحام، في تلايف تلك اللقائف المشتبكة المختلطة بلا تشوش ولا خلط ولا غلط يشهد كعين اليقين: بأنها صنعة من لا نهاية لقدرة وحكمته.

وإن ما يشاهد من ترتب أمثال التزيين القصدي على جميع المتخالفات يشهد: بأن من زين قصر العالم بمزينات ألوان الأنواع؛ هو الذي خلق لوازماته وأساساته وأجزائه. كعمرك إن التزيين في الصنعة من أهم المقاصد المهمة المعرفة للصانع، ومن أشق مرايا التودد والتعرف، ومن ألطف عنوانات التحبب.

فإن شئت فانظر مما لا يتناهى من الأمثلة إلى هذه الواحدة وهي: الزهرة الصفراء الشمسية المتبرقة ليلاً والمتبرجة نهاراً، الشابة من أول الربيع إلى آخر الخريف. صيرها صانعها مسكناً لطيفاً نظيفاً لبعض الحوينات اللطيفة تجول مسبات - جماعة منها في واحدة منها - كأنها حديقة لها أو قصر أو قرية.

فسبحان من ظهر في كل شيء لطفه.. ويعرف الخلائق قدرته، ويتعرف متودداً إلى عباده بتزيينات مصنوعاته، جلّ جلاله ولا إله إلا هو.

[٩] ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ (الأنعام: ٧٣).. ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

اعلم<sup>(٣)</sup> أنه لا يسأل عما يفعل. فلا حق لشيء ولا لعلم ولحكمة أن يسأل عنه؛ إذ يتصرف في ملكه كيف يشاء وهو عليم حكيم، يعلم ما لا نعلم. فعدم علمنا بحكمة شيء لا يدل على عدمها؛ إذ شهود الحكمة في الأكثر المطلق شاهد على وجود حكمة مستورة عنا هنا أيضاً.

مثلاً: نتألم من موت ذوي الحياة، ولا نرى حسناً في قصر عمر بعض الحيوانات اللطيفة، ولا نفهم وجه الرحمة في انقراض بعض المصنوعات الحيوية الطالبة للحياة في أمثال

(١) مصدر أسدى الثوب: جعل له سدى، وهو ما يمد طولاً في النسج خلاف اللحمة.

(٢) يقال: ألحم الثوب: نسجه. واللحمة خيوط النسج العرضية يلحم بها السدى.

(٣) «الكلمة السابعة عشرة» توضح مسألة وجه الرحمة في الموت والانقراض الذي يعترى الموجودات.

الشتاء.. والحال أن هذا التألم والاعتراض المعنوي إنما ينشأ من جهلنا بحقيقة الحال، إذ ما من ذي حياة إلا وهو كَنَفِرٍ موظفٍ وعبدٍ مأمورٍ بإيفاء وظائف تكاليف الحياة، الكاتبة تلك الوظائف تسيحاتٍ وتحميداتٍ بحساب خالق الموت والحياة وباسمه. وحقوق الحياة وغاياتها عائدة إليه سبحانه، يكفي لشهوده أن، بل تكفي النية الحالية بالقوة، كما في نية النوات والبذور. فما الموت إلا ترخيصٌ وتحريرٌ وإذنٌ وترويضٌ ودعوةٌ حضور، كما قال: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) على أن من كمال رحمته أن لا يُبْقِي ذوي الحياة في أرذل العمر، وأن لا يديمهم في شدائد العمر في الشرائط المزعجة، كترخيص عشاق الأزاهير وسفرائها، والمتلذذين بالخضراوات وأمرائها من الوظيفة التي صارت كلفةً بعد ما كانت لذةً، فاستعملهم صانعهم، واستخدمهم سيدهم، في مدة شوقهم مع موافقة شرائط الحياة وسهولة حمل تكاليف الحياة. فإذا تعبَسَ في وجوههم شرائط الحياة بأمثال الشيب والشتاء واستيلاء سلطنتها بتحولات الشؤون وانطفاء شوقهم، أمدَّهم رحمة الرحمن بالإذن والترخيص. إلى أن يُرسل أمثالهم فينسجون على منوالهم فيسبحون مولاهم.. يبتدئون في أعمالهم من حيث انتهت أعمال أسلافهم.

فيا أيها الغافل المتفرعن الزاعم أنك مالك نفسك وحياتك، والمتوهم أن سعادتك في بقاء حياتك بالراحة! أخطأت وخَلَطْتَ وَغَلِطْتَ وعصيتَ وَقَسَّتَ الحيوانَ الممنون<sup>(١)</sup> المأمور والمتمثل المسرور على نفسك الناسية لمالكها، فترأت لك وَلَوْلَهُ جلوات الرحمة العامة في الشؤون «واويلاه» نعيات الماتم العمومي، فلا تتألم لهم حتى يكون «التألم» شفقةً ممدوحة، بل «تألم» لنفسك المفروضة في موقعهم، الفانية بطريق القياس فيهم.

وأما تسليط<sup>(٢)</sup> بعض الحيوانات على بعض؛ فلحمل الضعفاء على الخزم والتبقيظ والجوالية والخفة واستعمال جهازاتها اللطيفة وإخراج استعداداتها من القوة إلى الفعل وغير ذلك.. فوزن بين الأهلية والوحشية كي ترى هذه الحكمة ظاهرةً باهرةً.

اعلم<sup>(٣)</sup> أن سرَّ تخالف أحكام الأولياء في مشهوداتهم مع الاتفاق في الأصول.. وأن سرَّ إجمال الأنبياء السالفين وإبهام الأولياء العارفين في غير التوحيد من سائر أركان الإيمان

(١) السعيد والقانع.

(٢) «النقطة الثانية من الكلمة الثامنة عشرة» تشرح الحكمة في هذا.

(٣) راجع - إن شئت - بالتفصيل «الكلمة الرابعة والعشرين - الغصن الثاني».

- إذ قد أجمل قسمٌ من أولئك في الجملة في تفاصيل الحشر وغيره وأبهم بعض من هؤلاء في ما سوى معرفة الله، مع أن القرآن والمنزل عليه القرآن فصلًا كلاً من المقاصد الإيانية بما لا مزيد عليه تفصيلاً قصدياً واضحاً- وأن حكمتها؛ هو توسط البرازخ.. وتفاوت القابليات.. وتنوع ألوان جلوات الأسماء في المظاهر الكلية والجزئية والظلية والأصلية.

[١٠] مثلاً - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - أن الشمس لها تجلٌ كليٌ بإذن خالقها على الأزاهير، ثم تجلٌ أخصّ على نوعٍ نوعٍ منها، ثم تجلٌ جزئيّ على زهرةٍ زهرةٍ، على قولٍ من يقول: إن ألوانها من استحالات ضياء الشمس.. وكذا لها تنويرٌ وإفاضةٌ كليةٌ بإذن مُبدعها على السيارات والقمر، مع أن القمر يفيض ذلك النور الظليّ المُستفاد منها على البحار وحباباتها وقطراتها وعلى التراب وشفافاته وعلى الهواء وذراته.. وكذا لها انعكاسٌ صافٍ كليّ بأمر فاطرها في مرايا جوّ الهواء ووجوه البحار. ثم لها انعكاساتٌ جزئيةٌ وتماثلٌ صغيرةٌ في الظاهر على حبابات وجه البحر، وقطرات الماء، ورشحات الهواء، وزجيجات الثلج.

فللشمس إلى كلّ زهرة، وقطرة، ورشحة في الوجه الثلاثة طريقان:

أحدهما: بالأصالة وبلا برزخ، بلا حجاب.. الممثل لمنهاج فيض النبوة.

والثاني: تتوسط فيها البرازخ، وتُصبغ الجلوات بقابليات المرايا والمظاهر، وهذا ممثّلٌ لمسلك الولاية.

فللزهرة، والقطرة، والرشحة أن تقول في الأول: أنا مرآة شمس العالم، وفي الثاني: إنها تقول: أنا مرآة شمسي أو شمسٍ نوعي. مع أن شمسَ نفسها أو نوعها أو جنسها لا تسع - وهي في مضيقات البرازخ - كلّ لوازمات الشمس المطلقة من ربط السيارات بها وتسخين الأرض وتنويرها وتحريك حياة النباتات وغيرها، بل إنها تسندها إلى المقيد المشهود لها، من جهة أن المقيّد عينُ المطلق، لكن هذا الحُكم له، عقليٌّ لا شهودي. بل قد يصادم شهوده.

يا رفيقي فلنفرض أنفسنا إياها؛ فصِرْ أنت يا ذا النفس الكثيفة الترابية «زهرة» تضمّن لوئها ضياءً محلّلاً متضمناً للمثال الممتزج للشمس. وليكن هذا الفيلسوف المنغمس في الأسباب «قطرة» تأخذ من القمر ظلّ ضوء الشمس. أنا قائلًا: «لا مؤثر في الكون إلا الله»، شُبْنة<sup>(١)</sup> فقيرة خالية من كلّ لَوْن، صيرتُ مثالَ عين الشمس إنسانَ عينيها.

ثم إن جاذبة حبة من بإحسانه تَنَوَّرْنَا وَتَزَيَّنَّا، حَرَكْنَا لطلبِ قربهِ وقصدِ شهودهِ. فسلكت «أيتها الزهرة» إلى أن وصلت إلى المرتبة الكلية لجنس الزهرة (المرأة الكثيفة التي تحلل فيها ألوانُ ضياء تُمثال الشمس). فلا تخلص من التفرق والتشتت بين خصوصيات ألوان المقيدات، ولا تسلّم من الفراق بتستر عين الشمس بحُجب البرازخ والصور، إلّا أن ترفع رأسك من الولوغ في محبة ذاتك، وتُصعد نظرك من الافتتان والتلذذ والتفاخر بمحاسن نفسك إلى عين الشمس في وجه السماء. وتُوجه بباطن وجهك المتوجه إلى التراب بجلب الرزق المرسل المسرع إليك - وإن لم تتوجه إليه ولم تعلم به- إلى هذه الشمس.. إذ أنت مرأتها كما أنها قطرة متلمعة من بحر السماء صارت مرآة للَمعة من أنوار قدرة «النور الحق» سبحانه.. ومع ذلك لا تراها كما هي في نفسها بل متلوّنة بلون صفاتك ومرصادك ومقيدة بقيود قابلياتك.

وذهبت أيها «القطرة» إلى أن ترقبت إلى القمر بسلم فلسفتك، فرأيت القمر كثيفا مظلمًا لا ضياء في جرمه بل ولا حياة. فصار سعيك وعملك هباءً منثورًا. فلا تخلص من ظلمات اليأس ووحشة اليُم ودهشة الاضطراب بين ازعاجات الغيلان المتشاكسين إلّا بترك ليل الطبيعة، والتوجه إلى شمس الحقيقة، واليقين بأن الأنوار الليلية ظلال للأضواء الشمسية؛ ومع ذلك لا يصفو لك شهود الشمس وصفائها، وإنما تتجلى لك خلف مألوفاتك ومعلوماتك بصيغ من لون قابلياتك.

فاذهبي أنت أيتها «الرشحة» [١١] الفقيرة الضعيفة بالتبخّر رابكة على البخار إلى الهواء، ثم انقلبي نارا، ثم تحوّلي نورا، ثم اركبي على شعاع من أشعات جلوات الضياء.. فأين ما كنت من تلك المراتب لك منفذ صافٍ إلى العين،<sup>(١)</sup> تراها بالعين اليقين - وإن لم يكن بالعين<sup>(٢)</sup> - وترى لزوم لوازماتها لها، ولا يأخذ على يدك في إثبات آثار سلطتها الذاتية ضيق البرازخ، ولا قيد القابليات، ولا صغر المرايا.

إذ تفتنت أن ما يُشاهد في المظاهر جلوائها لا هي أي ذاتها في ذاتها. فالواصلون من هذه الطرق الثلاثة متفاوتون في تفاصيل المزايا والشهود وإن اتفقوا على الحق والتصديق.

(١) المقصود: الشمس.

(٢) أي بالبصر.

اعلم<sup>(١)</sup> أيها الإنسان أنك واحدٌ قياسيٌّ بخمسة وجوه:

إذ أنت فهرستٌ جامعةٌ لغرائب آثار جلوات الأسماء الحسنَى.

ومقياسٌ بجزئيات صفاتك وربوبيتك الموهومة لمعرفة صفاته المحيطة وفهمها بتصور حدودٍ موهومة.

وميزانٌ لدرجات نفى الشركة في الآفاق، بحيث إذا أذعنتَ بأنك كذلك ملكه، آمنتَ بأن لا شريك له في العالم. وإذا أُعطيتَ ثلثك له وثلثك للأسباب وثلثك لنفسك حصل هذا التقسم في جميع الكائنات. وإذا ملكتَ أنانيتك درهما من مُلكه لزمك أن تصدّق مالكيّة كل فردٍ وكل سببٍ لدرهمٍ فتُقسّم مآل الله على ما سواه.

وكذا خريطةٌ للعلوم الكونية والمعارف الآفاقية، فإذا انفتحت «أنت»<sup>(٢)</sup> لك انكشف لك الكون، وإذا أُنسيتَ نفسك انغلق عليك المعارف الآفاقية، وانقلبت إلى جهالات مركبات وسفسطيات ما لا يعنيات.

وكذا خزينَةٌ مفاتيحٍ لمطلسمات الكنوز المخفية في الأسماء الإلهية؛ فإذا رأيتَ فيك عجزاً بلا نهاية؛ شاهدتَ خالفك قدرةً بلا غاية.. وإذا شاهدتَ فيك فقراً بلا غاية، رأيتَ لرازقك غناءً بلا نهاية.. وهكذا كأن جلواتِ أسمائه حروف نورية مكتوبة في ظلمات حالاتك. فبدرجة ظهور شدة الظلمة تظهر نورانية الكتابة.

فأنت في الوجه الأول حاملٌ، وقابلٌ، ومَظهرٌ، ليس لك منك شيء، بل أنت قصيدةٌ منظومة للسان كن فيكون.

وأما في الوجه الخامس فأنت عاملٌ، وفاعلٌ، ومَعكِسٌ -برابطة الضدية- وسائلٌ بألسنة الاستعدادات والاحتياجات والأفعال والأقوال، لك منك كل السيئات والقصورات والظلمات والفاقات، ولفاطرك منك كُلُّ الحسنات والكمالات والنورانيات والفيوضات. وكذا إن الأول يُظهر الأصل، والخامس يُظهر مراتب الاسم المتجلي. كما أن الحُسْنَ بلا ملاحظة القبح واحد، وبه تتفاضل مراتب الحُسْن ودرجاته.

(١) توضيح هذا المبحث في «اللمعة الثلاثين - اسم الله القيوم» و«النافذة الحادية والثلاثين من الكلمة الثالثة والثلاثين».

(٢) أي أنانيتك أنت.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: ١١١)

**اعلم<sup>(١)</sup>** أيها الإنسان ﴿مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦) الذي يشتري منك مملكته الذي عندك أمانةً ليحفظه لك من الضياع.. ولترقى قيمته من درجةٍ إلى ألوف.. ويعطيك بذله ثمنا عظيما.. ويبقيه [١٢] في يدك لاستفادتك.. ويتكفل عنك كلفة تعهده.. ربحا في ربح في ربح في ربح في ربح.

وأنت أيها الغافل لا تبعه.. فتخون في أمانته.. وتُسقط قيمته من الثريا إلى الثرى.. ثم يضيع بلا فائدة.. فيفوتك ذلك الثمن العظيم، وتبقى في ذمتك تكاليف تعهده وآثامه ويثقل ظهرك كلفةً محافظته وآلامه.. خسارة في خسارة في خسارة في خسارة في خسارة.

مثلك في هذه المعاملة كمثل رجل مسكين في رأس جبل، أصابت ذلك الجبل زلزلة جعلت يتساقط منه في أعماق الأودية جميع أمثال ذلك الرجل فيتمزق ما في أيديهم، ويرى هذه الحالة وهو أيضا «على شفا جرف هار» أوشك أن ينهار به في البوار. مع أن في يده أمانة وهي ماكنة مرصعة عجيبة، فيها موازين لا تعد وآلات لا تحد وفوائد لا تُحصى وثمرات لا تستقصى. فقال له مالك الماكنة كرما ورحمة: أريد أن أشتري منك مالي الذي في يدك كأنه مالك -لثلا تنكسر ضايعا بسقوطك- فأحافظها وأسلمها لك حين خروجك من الوادي بصورة باقية لا تنكسر أبدا. ولأجل أن تتصرف في آلائها وتستعمل موازينها في بساطيني الواسعة وخزائني المشحونة، فتزايد قيمتها وتأخذ أنواع أجوراتها وثمراتها، وإلا صارت كآلة عادية ساقطة القيمة مستعملة في مضيقات بطنك وغاريك.<sup>(٢)</sup> إذ أين بطنك وشهوتك وأين البساتين والخزائن الإلهية، وكيف يسع غارك استعمال ماكنة تضيق عنها الدنيا. وها أنا أعطيك بذلها ثمنا عظيما، ولا أخرجها من يدك في مدة بقائك في هذا الجبل، بل آخذ حلقتها العليا ليتخفف عنك ثقلها ولا تعجز بكلفتها. فإن قبلت البيع فتصرفت فيها باسمي وحسابي كنفر يعمل في ما في يده باسم السلطان وحسابه بلا خوف مما يأتي ولا حزن على ما مضى، وإن لم تقبل هذا البيع الذي فيه ربح بخمسة وجوه؛ خسرت بخمسة وجوه وصرت خائنا في الأمانة مسؤولا عن ضياعها.

(١) «الكلمة السادسة» شرحت هذا المبحث بمثال جميل.

(٢) الغاران: فم الإنسان وفرجه، وقيل: هما البطن والفرج؛ ومنه قيل: المرء يسعى لغاريه؛ وقال: ألم تر أن الدهر يوم وليلة، وأن الفتى يسعى لغاريه دائما؟ (لسان العرب).

«خُدايْ بُرْكَرَمْخود ملك خود را می خَرَد اَز تو»

بهاء بی کران داده نیکه دارد براء تو»<sup>(١)</sup>

و درس القرآن للبشر وتعليمه له: «البيع»، يقول له: بع تريح.. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَبَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، وأما درس فلسفة مدينة الكفار يقول: تملك، ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٢٩). فانظر التفاوت بين الهدى المنور، والدّهاء المزور.

اعلم<sup>(٢)</sup>....

[٢٤] **اعلم**<sup>(٣)</sup> أنه سبحانه قريب، وأنت بعيد، إذ كما أنه معك، هو مع جميع أفراد نوعك.. وكما أنه مع نوعك، هو مع جميع أفراد جنسك.. وكما أنه هو مع جنسك، هو مع جميع جزئيات ذوي الحياة، وكما أنه مع جميع ذوي الحياة هو مع سائر طبقات الموجودات ودوائرها، طبقةً إلى طبقة جميع الموجودات وإلى طبقة الذرات والأثير والروحانيات والمعنويات وإلى ما لا يحيط به الوهم.

فإذا أردت القرب من جهتك؛ لا بد أن تمرّ منك متبسّطاً مترفعاً من الجزئية إلى مقام كلية النوع، ثم تذهب مترقياً في الكلية بإطلاق الروح في التجرد إلى مقام الجنس، وهكذا إلى قطع قريب من سبعين ألف حجاب؛ إذ إنه كما أنه عندك فهو عند كل شيء. فإنما تكون عنده -من عندك- إن كنت عند كل شيء، ثم بعده يصادفك ما لا يُحد من مسافة ما بين الإمكان والوجوب.. كيف الوصول إلى بعيد في قربه ودونته ألو ف سرادقات؟ ودونهنّ حتوف، فإذا كان هذا هكذا فأفني مثك بُعدك لتبقى به وتقرّب بقربه.

اعلم<sup>(٤)</sup>...

[٣١]....

**اعلم** أن الله أقرب إلينا متناً، ونحن بعيدون بلا نهاية. ومن شواهد قربه تصرّفه، وإذا

(١) يعني: إن الله ذا الكرم الواسع يشتري ملكه منك، وأعطى مقابل ذلك ثمنا غالبا، ثم يحافظ عليه لأجلك.

(٢) المباحث الموجودة هنا ابتداء من ص [١٢] إلى ص [١٦] ومن ص [١٧] إلى ص [٢٤] من المخطوط منشورة في رسائل متفرقة من «المثنوي العربي النوري».

(٣) هذه المسألة الدقيقة تتناولها «الكلمة الرابعة عشرة» بتفصيل وتوضيح.

(٤) هذا المبحث من هذه الصفحة [٢٤] منشور في «المثنوي العربي النوري».



طلبناه عند ما يتصرّف فيه لا نجده إلّا «عند كلّ شيء»، وإذا وصلنا بالترقي إلى «عند كلّ شيء» بالإحاطة بدائرة الإمكان، لا نجده أيضا إلّا خَلَفَ الحُجُبَ النورانية في دائرة الوجوب من سُرَادِقَاتِ الأسماء والصفات والشؤونات في العزّة والعظمة والكبرياء، وأما إذا طلبناه من جهة قُربِه بترك نفسنا، فالأمر سهل إن شاء الله لا حول ولا قوة إلّا بالله.

اعلم<sup>(١)</sup>....

[٣٦] **اعلم<sup>(٢)</sup>** يا مَنْ يجب أن يعرفَ الفرقَ بين حكمةِ القرآن وحكمةِ الفلسفة! أن مثَلهما كمثَل قرآنٍ كُتِبَ في حروفاته بتذهيبات متنوعة ونقوش مزينة بعضها بالذهب والفضة وبعضها بالآلماس والزمرد وبعضها بالجواهر والعقيق.. وهكذا. وقرأه شخصان فاستحسناه فقالا: فلنكتب على محاسن هذا الشيء المزيّن كتابا؛ فكتب كل منهما كتابا.

أما أحدهما: فهو أجنبيّ لا يعرف من العربية حرفا واحدا حتى لا يعرف أنّ مشهوده كتابٌ، لكن له مهارة في الهندسة والتصوير ومعرفة الجواهر وخاصياتها، فكتب كتابا عظيما يبحث عن نقوش الحروف ومناسباتها وجواهرها وخاصياتها ووضعياتها وتعريفاتها.

وأما الآخر: فحينما رآه عرف أنه كتاب مبین، وقرآن حكيم، فلم يشتغل بنقوش حروفه المزيّنة؛ بل اشتغل بما هو أعلى وأغلى وألطف وأشرف وأزین وأحسن بملايين المراتب مما اشتغل به رفيقه، وهو بيان جواهر معانيه وأنوار أسرارهِ، فكتب تفسيرا يبحث عن حقائق الآيات.

يا مَنْ له عقل! فبالله عليك، لأيّ هذين الكتابين يُقال إنه كتاب حكمةِ هذا القرآن؟ فإذ فهمت التمثيلَ فانظر إلى وجه الحقيقة: أما القرآن فهو هذا العالمُ وأما الشخصان فكتب الفلسفة والحكماء، والقرآن وتلامذته.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)

**اعلم<sup>(٣)</sup>** يا أيها السعيد! أنّ السعادةَ في التوكل، فتوكل على الله لتستريح في الدنيا وتستفيد في الأخرى.

(١) المباحث الموجودة ضمن صفحات المخطوط [٣١-٣٥] منشورة في «المثنوي العربي النوري».

(٢) راجع -إن شئت- «الكلمة الثانية عشرة -الأساس الأول والثاني والثالث».

(٣) «الكلمة الثالثة والعشرون» فيها توضيح وافٍ.

مَثَلُ المتوكل وغير المتوكل الذي يرجع إلى التوكل، كَمَثَلِ رجلين حاملين على ظهورهما ورؤوسهما أحمالاً ثَقِيلَةً، فدخلَا سَفِينَةً، فأما أَحَدُهُما فوضع حِمْلَهُ في السَفِينَةِ وَقَعَدَ على متاعِهِ مستريحاً. وأما الآخر فَلَبِلَاهُتِهِ في غروره لم يضع حِمْلَهُ، فقيل له: اطرَحْ حِمْلَكَ الثَقِيلَ على السَفِينَةِ. فقال: أنا قويّ. فقيل له: إن السَفِينَةَ التي حَمَلْتَكْ أَقْوَى وأحفظُ، مع أن ظَهَرَكَ ورَأْسُكَ -المتزايدَ ضعُفُهما- لا يُطِيقَانِ حَمْلَ هذهِ الأحمالِ المتزايدِ ثِقُلُها. فقيل له: بل سلامَتُكَ أيضاً مَربوطةٌ بوضعِ حِمْلِكَ؛ إذا رَأَىكَ صاحبُ السَفِينَةِ في هذهِ الوَضْعِيَةِ فإما يقول: هو مجنونٌ فليُطْرَدْ أو خائنٌ يَتَّهَمُ سَفِينَتَنَا ويستَهْزِئُ بنا، فليُحْبَسْ. بل لا تخلص من السخرية واستهزاء الخلق، إذ لَمَّا لم تكفِ قوتُكَ لدوامِ الحِمْلِ اضطَرتَّ إلى التَصَنُّعِ المُشيرِ إلى الرياء، وإلى التَكَبُّرِ المُشيرِ إلى الضعف، وإلى الغرور المُشيرِ إلى العجز، فتصيرُ أَضْحوكَةً يضحكُ من حَالِكَ الناسُ. فتفطنَ إلى خطئِهِ. فرجع من عناده فوضع حِمْلَهُ فَعَدَّ عليه. فتَنَفَّسَ فاستراح فقال: جزاك الله خيراً أُرشدتني إلى ما فيه راحتي وسلامي وحيثيتي.

## [٥٠] النكتة الخامسة

**اعلم** أن في ختم الآيات في الأغلب بفذلكات متضمنة للأسماء الحسنى، أو بعينها، أو متضمنة للأمر بالتفكير والحوالة على العقل، أو متضمنة لأمر كلي من المقاصد القرآنية، شرارات من نور حكمته العلوية ورشاشات من ماء هدايته الإلهية؛ إذ القرآن الحكيم بيانه الإعجازي، يسط الأثار وأفعال الصانع للنظر، ثم يستخرج منها الأسماء، أو ثبوت الحشر، أو التوحيد، كأمثال: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٩)، ﴿ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا \* وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا \* وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا \* وَجَعَلْنَا أَلَيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا \* وَبَيْنَنَا وَفَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا \* وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا \* وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا \* لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا \* وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا \* إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ (النبا: ٦-١٧).

وكذا ينشر للبشر منسوجات صنعِهِ ثم يطويها في الأسماء، أو الحوالة على العقل كأمثال: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَنُقَوِّنَ \*

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ﴿٣١-٣٢﴾ (يونس: ٣١-٣٢) و ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَافَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤)

وكذا يفصل أفعيله ثم يُجملها بأسمائه أو بصفته، كأمثال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: ٦) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦)

وكذا يرتب المخلوقات ويشفها بإراءة نظامها وميزانها وثمراتها ثم يُريك الأسماء المتجلية عليها، كأن تلك المخلوقات ألفاظ. وهذه الأسماء معانيها أو ماؤها أو نواتها أو خلاصتها، كأمثال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤) .. ﴿إِنَّ رَبَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)

وكذا قد يذكر الجزئيات المادية التكيفية المتغيرة ثم يُجملها بالأسماء الكلية النورانية الثابتة وبفذلكة مشوقة على التفكير والعبرة، كأمثال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣١-٣٢). ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُعَلِّمُكُمُ مَنَافِيَ بَطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ قَرْبٍ وَذَمٍّ لَبْنَا خَالِصًا سَابِغًا لِلشَّرِيبِينَ \* وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتُخَذِّلُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ \* ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ ۚ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٦-٦٩).

وكذا يفرش الكثرة المتوسعة ثم يضع عليها مظاهر الوحدة، كجهة الوحدة ويلفها بالقاعدة الكلية، كأمثال:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٢-٣٤).

وكذا قد يُظهر بُعد السبب الظاهري عن قابلية إيجاد المسبب وثمراته، إذ أين السبب الجامد من تلك المسافة من قصد غايات عالية حكيمة، وللدلالة على أن الأسباب - وإن قارنت واتصلت في النظر بالمسببات - لكن بينهما مسافة طويلة من تلك المسافة، تظهر مطالع الأسماء، إذ لا طاقة لأعظم الأسباب على حمل أخف المسببات، كما ترى تماس دائرة الأفق من الجبال بالسما، مع ما بينهما من المسافة العظيمة التي تطلع فيها النجوم، كأمثال: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ \* أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا \* ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا \* فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعَبَا وَقَضَبًّا \* وَزَيَّنَّاهَا وَنَحَلًا \* وَحَدَائِقَ غُلَبًا \* وَفُكْهَةً وَأَبًّا \* مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعِمَ كُمْ ﴾ (عبس: ٢٤-٣٢).

نعم، أشار بلفظ «متاعا» وبذكر الثمرات العجيبة الصنعة والحكمة إلى عزل الأسباب الظاهرية الجامدة عن التأثير الحقيقي.

وكذا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ \* يَقُلُّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ \* وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور: ٤٣-٤٥)

وكذا قد يُعَدُّ عجائب أفعاله تعالى ليعبد الذهن ويُحضره لقبول خوارق أفعاله الأخروية، أو يذكر أفعاله الاستقبالية الأخروية بصورة تشير إلى نظائرها المشهودة لنا كأمثال: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ \* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ

يُحْيِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ \* أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٧٧-٨١﴾. ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: ١) ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١).

[٥١] فإننا نرى في الحشر الربيعي كثيرا من نظائر الحشر الأخرى مثلا: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠) ترى نظيرها - بل نظائرها - في نشر البذورات والنواتات صحائف أعمال أمهاتها وأصولها وتاريخ حياتها في الحشر الربيعي.

وكذا قد يذكر مقاصد جزئية ثم يقررها ويحققها بأسماء هي كالقواعد الكلية كأمثال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١) ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِلرَّيَّةِ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَّثَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ١)

وكذا قد يذكر أفعال الخلق فيهدد ثم يسلي بأسماء تشير إلى الرحمة كأمثال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا \* سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا \* نُسِخَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسِخَّرُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ سُبْحَانَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٢-٤٤).

اعلم<sup>(١)</sup>

[٥٢] مبحث عظيم.<sup>(٢)</sup> فإن قلت: ما وجه تفوق قيمة القرآن على الكل مع أن القرآن يقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكُنْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفْدِكَمَنِّي رَبِّي﴾ (الكهف: ١٠٩).

قليل لك: إنَّ القرآن كلامُ الله باعتبار أنه ربُّ العالمين، وبعنوان إله العالمين، وباسم ربِّ

(١) هذه المباحث الموجودة في ص [٣٦-٥٠] وكذا [٥١] وقسم من [٥٢] من المخطوط منشورة في «المنثور العربي النوري».

(٢) الأساس الرابع من «الكلمة الثانية عشرة» وكذلك «الكلمة الخامسة والعشرون» (المعجزات القرآنية) تفضلان هذا المبحث، وانظر إن شئت أيضا رسالة «المعراج النبوي».

السموات والأرضين، ومن جهة الربوبية المطلقة، ومن جهة السلطنة العامة، ومن جانب الرحمة الواسعة، ومن حيثة حشمة عظمة الألوهية، ومن محيط اسمه الأعظم إلى مُحاط عرشه الأعظم.

وأما سائر الكلمات الإلهية: فمنها ما هو باعتبار خاص، وبمعنوان خاص، باسم جزئي، في تجلّ جزئي، ومن جهة ربوبية خاصة وسلطنة مخصوصة، ورحمة خصوصية، كأكثر الإلهامات. ومن هذا السرّ يقول الوليّ: «حدّثني قلبي عن ربي» ولا يقول: «عن رب العالمين».

نعم، أين فيضُك بمقدار قابليتك من تجلي ربّك في مرآة قلبك أيّها الولي، ثم أين فيضُ النبيّ من تجلي رب العالمين بالاسم الأعظم في مرآة العرش الأعظم الأم لجميع العروش باعتبار الأسماء بجلواتها؟.. كما أين فيضُك من شمسك في مرآتك الصغيرة المكدّرة، ثم أين الفيض من شمس العالم في سقف السماء؟.. وكما أين خطابُ ملكٍ لأحد رعيته بأمر جزئي لحاجة بتلفونه الخاص، ثم أين فرمان ذلك الملك بمعنوان السلطنة العظمى وباسم الخلافة الكبرى ومن حيثة حشمة مالكيته العليا ويقصد تشهير أوامره في أطراف مملكته بواسطة سفرائه وأمنائه؟

فمن هذا السرّ العظيم يفهم سرُّ كون أكثر الوحي بواسطة المَلَك، والإلهام الإلهي بدونه.. وسرُّ عدم بلوغ أعلى وليّ درجة أحدِ نبيّ من الأنبياء.. وسرُّ عظمة القرآن وعزة قدسيته وعلو إعجازه في غلو إيجازه.. وسرُّ لزوم المعراج إلى السماء إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين، لمناجاة مَنْ هو أقرب إليه من جبل الوريد.. ثم الرجوع في طرفة عين.. وغير ذلك من الأسرار.

ثم إن الكلام النفسي كالعلم والإرادة صفةٌ أزلية بسيطة معلومُ الوجود والثبوت، مجهولُ الكُنْه والكيفية. وإن الكلمات لا نهاية لها.

﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢)

أيها الناظر! هذا المبحث العظيم من تنمات القطرة الرابعة من الرشحة الرابعة عشرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين..

بسم الله..

**اعلم<sup>(١)</sup>** أن كل شيء يقول: بسم الله. إما بلسان قاله أو حاله أو استعداده؛ إذ ترى: أنه ما من شيء من الأشياء، -من الذرات إلى الشمس- إلا وهو مع عجزه في ذاته قد تحمّل وظيفة عجيبة لا تكفي قوّته لعشر معشار عَشِير تلك الوظيفة. فبالداهة يُعلم أنه إنما تحمّلها بحولٍ قويٍّ عزيز، وإنما يباشرها باسمٍ قديرٍ حكيم.

وكذا هو مع جهله قد حمل على ظهره ورأسه غاياتٍ موزونةً وثمرات منظومة، فيها نفع العموم، مع أنه لا يعود منها إلى نفسه عشر معشار عَشِيرها، فبالداهة يُعلم أن ذلك الشيء؛ إنما حُمّل تلك الغايات الحكيمة باسمٍ عظيمٍ حكيم، ويوصلها إلى ذوي الحياة باسمِ رحمنٍ رحيم وبحسابٍ عليمٍ كريم.

فإن شئت فانظر إلى النواتات والبذور وما تحمّلت من الأشجار والسنابل، وإلى الأشجار وثمراتها، وإلى الحيوانات والحوينات ووظائفها العجيبة. فمَن له أدنى شعور كما يفهم أن نفرا منفردا إذا ساق جميع أهل بلد إلى محل بعيد بغير رضاهم ثم قسّمهم إلى وظائف وخدمات مختلفة، أنه ما يفعل إلا بقوة سلطانه، وما يعمل إلا باسمه، وما يستخدمهم إلا بحسابه، كذلك لابد أن يفهم أن هذه الموجودات العاجزات الجاهلات، ما تحمّل هذه الوظائف العظيمة المنتظمت، إلا باسمٍ قديرٍ عليم، وبحسابٍ عزيزٍ حكيم، وإنما تُهدي إلينا هذه الثمرات باسمِ رحمنٍ رحيم، وليس من وظائفها وغاياتها إلا ما أعطته الرحمة العامة لكل فرد من اللذة الخصوصية في خدمته الخاصة، كلدّة الترحم في شفقة الوالدات، وكحلاوة الفعالية في استعداد النحل بامتثال الوحي، وكذوق التلقيح في الفحول، وكالتلذذ في التغذي، وكالاستراحة والتنفس في الخروج من القوة إلى الفعل في نمو الأشياء، فإن ما بالقوة كالمحبوس المقيّد، وما خرج إلى الفعل كالمتنفّس المطلق... وهكذا فقس.

(١) «الكلمة الأولى» توضح هذه المسألة.

فجعل الفاطر الحكيم والمالك الكريم هذه اللذات الجزئية معاشاتٍ لخدماتها.. وفهرسته لكيفيات وظائفها.. وزنبركا لحرركاتها.

فيا أيها الإنسان الحامل للأمانة الكبرى! كيف لا تطيع قانونا أحاط بكل شيء من العرش إلى الفرش! وكيف تتجاسر على العصيان في مقابلة دستور مسخر الشمس والقمر، ومستخدم النجم والذرة.

**اعلم** أن الفرق بين طريق التوحيد وطريق الإلحاد، كالفرق بين الجنة والجحيم، والواجب والمحال. فإن شئت فانظر إلى الموازنة بين الطريقتين:

أما التوحيد، فيُسند الكثير الغير المحدود إلى الواحد، فيتخفف الكلفة والمصرف بدرجة تتساوى الشمس والذرات والقليل والكثير الغير المتناهي بالنسبة إلى قدرته.

وكذا يُظهر التوحيد في كل شيء غايات كثيرة مهمة من جهة نظره إلى صانعه. ومن تلك الغايات إظهار الشيء لأسماء خالقه، كأن الشيء كلمة واحدة جامعة لرموز الأسماء، فتدل عليها.

وأما الغاية المشهورة بين أهل الغفلة التي هي جهة استفادتنا منه من الأكل وغيره، فأقل وأحصر، وأذل وأصغر من أن تكون غاية تامة لخلقة الشيء، بل هي وسيلة إحدى غاياته.

وأما الإلحاد، فيُسند الواحد إلى الكثير الغير المحدود، أي يُسند كل شيء إلى العناصر والطبائع العاجزة الجامدة، وإلى القوى والنواميس الصم العمي. فتتضاعف الكلفة بدرجة تساوي كلفة الفرد كلفة عام النوع، بل تساوي كلفة شيء واحد كلفة كل الأشياء.

وكذا لا يرى الإلحاد من غايات الشيء إلا ما يعود إلى الإنسان في حظ نفسه الحيوانية أو إلى نفس الشيء في حفظ حياته الدنيوية.

فمَثَل الموحّد والمَلحد، كمَثَل رجلين رأيا نواة تمر، وأرادا تعريفها:

أما أحدهما، فقال: هي فهرسته واحدة مما لا يحدّ من الفهرستات المسماة بالنواتات، ومن بعض غايات هذه النواة، أنها تعرف معنوية لشجرة.. وتعريف لتاريخ حياتها.. وخريطة كينونتها بقبلياتها لأن تكون ما كينة تنسج نخلة كأصلها.



وأما الآخر، فقال: لا، بل هذه الشجرة بجميع أجزائها وأوراقها اجتمعت عند هذه النواة، فأوجدتها، وجمعت جهازات نخلة باسقة فجهّزتها، لكن بلا فائدة. فلا غاية لهذه الشجرة إلا هذه النواة، ولا غاية لهذه النواة إلا أكل الإبل بعد السحق والدق.

فيا مَنْ له أدنى شعور -ولو كشعرة- هل يمكن مع مشاهدة هذه السهولة المطلقة في الجود المطلق في رخيصة مطلقة، ومع شهود هذه الحكمة العامة في الانتظام المطلق، أن يستند خلق الشيء كهذه الرمانة مثلاً إلى أسباب جامدة، لكن تُجلبّ جهازات أكثر الأشياء لتصنيع ذلك الشيء الواحد الذي هو مثلاً مصغّر لكل تلك الأشياء.. وأن لا تكون لهذه الرمانة غاية إلا أكلها في دقيقة للذة حيوانية.

نعم، كيف تساعد هذه الحكمة التي وظّفت رأس الإنسان في حواسه بوظائف عديدة، لو خصصت لكل وظيفة منها في رأس الإنسان مقدار خردلة لصار رأس الإنسان كجبل الطور.

انظر إلى لسانك ووظائفه، ومن بعض وظائفه وزنه لجميع مدخّرات خزائن الرحمة..

بل وكيف توافق تلك الحكمة لأن لا تكون لمثل هذه الرمانة الحارقة الصنعة غاية إلا أكلك في آن في غفلة. فمحالّ ظاهر أن يثمر رأسك جبلاً من الأثمار، وأن لا يثمر مثل الجبل إلا ثمرة كراسك. إذ يلزم حينئذ جمع نهاية الحكمة مع نهاية العبثية، وهو من أمحل المحال وأبطل الباطل، بل تلك الرمانة -كأمثالها- تضمنت قصيدة في بيان الأسماء الحسنى، فأفادت معانيها، فوقّت فوقّت فدفت من فيك فيك.

سبحان من تحيّرت العقول في صنعته.

[١٠] هذه نورة من شجرة آية: ﴿سُحِبَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا إِسْحَاقُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤) رأيته وقت انكشاف الأزهار من الأشجار في زمن الربيع فهيّجت جذبتني، فتفكرت في تسيبحاتها، فتكلّمت أنا لي لا لغيري بهذه التسيبحات الفكرية، فظهرت هكذا في بعضها رقص الجذبة بنوع وزن يشبه الشعر وليس شعر بل قافية ذكر في جذبة فكر.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يسبح له كل شيء بكلماته المخصوصة المُبصرة كالمسموعة، مثلاً:  
الأنوار والأنهار والأعصار كلمات الضياء والماء والهواء. فقس.  
سبحان من يحمده:

الضياء بالأنوار.. والماء والهواء بالأنهار والأعصار..  
والترب والنبات بالأحجار والأزهار..  
والجق والأشجار بالطيار والأثمار..  
والسحب والسماء بالأمطار والأقمار..  
تلاؤ الضياء من تنويره، تشهيره..  
تموج الهواء من تصريفه، توظيفه..  
تفجر المياه من تسخيره، تدويره.. مدح بليغ بين القادر.  
ترين الأحجار من تديره، تصويره..  
تبسم الأزهار من تزينه، تحسينه..  
تبرج الأثمار من إنعامه، إكرامه.. حمد جميل ظاهر للفاطر.  
تسجع الطيار من إنطاقه، إرفاقه..  
تهرج الأمطار من تنزله، تفضيله..  
تحرك الأقمار من تقديره، تدويره.. تسبيحة فصيحة للقادر، بل آية نيرة للقاهر.  
سبحان من تحمده:

السماء بالبروج والأنوار..  
والأفلاك بالشموس والنجوم والأقمار..  
والجق بالرعود والبرق والأمطار..

والأرض بالحيوان والنبات والأشجار ..  
 وتحمّد الأشجارُ بالأوراق والأزهار .. منظومةً موزونةً الشمار .  
 إذ تسكّت الأزهار من إنشادها، فتنطق الأثمار بالبدار .. حمداً بليغاً ناشراً الأنوار .  
 وتتشدّ النواة في قلبها، ذكرًا خفياً جامع الأسرار .  
 مكتوبةً مطويةً في سرّها صحائف الأعمال للأشجار ..  
 فيُظهر لسانها حبات مدح الفالق والفاطر ..  
 كلُّ نباتٍ حامدٌ وعابدٌ مسبحٌ وساجدٌ للقادر ..  
 تبسّم النبات في تنوير الأزهار .. تحمّدةً ظاهرةً للناظر ..  
 أفواهها السنبُل والأكمَام، ألفاظُها البذور والحبوب في الأشعار<sup>(١)</sup> ..  
 منظومةً موزونةً الأشعار ..  
 لسانها نظامُها، ميزانُها في نقشها النوار ..  
 صنعُها صبغُها تزيينُها البهار ..  
 بطعمها، بلونها، بريحها، واصفةً حامدةً للفاطر ..  
 إذ تصف أوصافه، تُعرّف أسماءه، تفسّر تودّداً تعرفاً للقادر .  
 إذ ترشّح الأسنان السنبُل، وتقطر العيون الأزهار .. قطراتٍ رشحاتٍ جلواتٍ الفاطر ..  
 تودّداً لعبده .. تعرفاً لخلقه .. من غيبه في الظاهر .

[١١]

حتى كأن الشجرَ المزهرة ..  
 قصيدةً منظومةً محررة ..  
 أوفتحت بكثرة عيونها المبصرة ..  
 أو زينت لعيدها أعضاءها المُخضرة ..

(١) الأشعار: وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهُذْب.

ليشهد سلطانها آثارها المنورة .  
 وتُشهر في المحضر مُرَصَّعات الجواهر .  
 لتُعرض للنظر . كالعسكر المظفر .  
 وتُعِين للبشر: حكمة خلق الشجر .  
 بكنزها المدخر من جود رب الثمر .  
 سبحانه ما أحسن إحسانه! ما أزين برهانه! ما أبين تبيانه!  
 من باريٍّ مصوِّر . من خالقٍ مقتدر . من فاطرٍ منوِّر .  
 فانظر إلى رحمته . في موسم ريعه . لتشهير صنعته:  
 يظهر لك فصل الربيع: يوم عيد لعبده .  
 يوم زينة خلقه . من شجرٍ من نبتة .  
 فيُظهر كل نبات مقدار رتبته:  
 سلطنة سلطانه . هدية مالكة . منتظرٌ لأمره . ويخدم باسمه .  
 مزهرٌ مشمٌ بإذنه . كسفرة نظيفة لضيئه .  
 فالنور والهواء والتراب مع الماء:  
 سُفراء أمره، حَمَلَةٌ عرشه .  
 في نشر صنعته . في تبليغ حكمه .  
 فالعلم والحكمة عرشهما في: النور  
 فالفضل والرحمة عرشهما على: الماء  
 فالحفظ والإحياء عرشهما: التراب  
 فالأمر والإرادة عرشهما في: الهواء

فاعلم بأن كلّها - في فعلها - مَظَاهِرُ باسمه، مَسَاطِرُ لا مصدرُ، قَوَائِلُ لا فاعل، حَوَامِلُ بحوله، تَحْمِلُ ما تحمله بإذنه، باسمه.. تفعل ما تفعله بطّوله، بحوله.

لو لم يكن هذا حقّ الأشياء؛ يلزم للتراب والهواء، والنور مع الماء أن تدّخر في كل جزء ذرةً، وقطرةً من كلِّها معرفةً وقدرةً وصنعةً بلا انتهاء.

إذ مثلاً هذا الهواء يمرّ في جوّ الفضاء.. يزور بذراته كلّ نباتٍ ذي نماء.

فيُظهر مروّره خوارق بلا انتهاء.. في معجزات صنعةٍ لمن له خلقُ السماء.

إن أمكن للذرة بسيطةً واحدة جامدة جاهلة أن تنشئ هاتاً الأشجار.. وتضع تارك الأثار.. تصوّر هذه الأزهار، بل جملة هذي الأشياء.

وتقدّر أن تحمل هذي الأرضُ، هذي الدنيا، حقّ لك أن تشكّ في وحدة لا شريك.

فإذ هذا ليس ذاك، فلا شك أن لا مُلْكَ إِلَّا لِمَنْ كُلُّ الخلق في قبضة قدرته.. في قبضة حكمته.

لأن كلّ حبةٍ، وقطرة، وذرة تصلح لكل خضرة، ثمرة، وزهرة. فيلزم في ذرة واحدة وحدة وقطرة - إن لم تكن مأمورةً بأمر رب السماوات - من صنعةٍ وحكمة وقدرَةٍ تكفي لكل المصنوعات، لحمل هذي الموجودات.

سبحان من تحمده الأشجار؛ بالأوراق والأزهار والأثمار..

تُكشِّفُ الأزهار في تزايد الأوراق، في تكامل الثمار..

في رقص بناتها على أيادي غصنها الخضار.

تهرّها مراوح نسائِ الأشجار..

نُطِقُ فصيحٌ واضح للناظر، في مدح من يُنشئها، يُنشِدها للواحد القهار.

أفواهاها، حروفها، ألفاظها.. الأوراق والأزهار والثمار.

إذ تَرَقُّصُ الأوراق من فرحها في ذكرها للفاطر..

وتَبَسُّمُ الأزهار من زينتها تشكراً للقادر..

وتضحك الأثمار بالرحمة في النثار.. لسانها ذونغماتٍ عشرة في الناظر..

نظامها الممتزن، ميزانها المنظم في لونها المنور..

صنعها المنقشة، نقوشها المصنعة، في شكلها المصور..

صبغها المزينة، زينتها المصبغة، في طعمها المسرر..

عجائب صنعها، تكثر أنواعها، تنوع لحومها -بكلها-

حامدة للفاطر.. واصفة للقادر..

إذ تصف أوصافه، تُعرف أسماءه تفسر تحبها، تحننا للصانع، للناظر..

إذ ترشح الثمار من شفاها قطرات رشحات جلوات الفاطر..

تحبها تعرفا لعبده.. تعهدا ترحما لخلقه المفقير..

سبحانه ما أنور حجته! ما أبهر قدرته! ما أظهر رحمته!

من منشئ مصور ومنشد مدبر.. ومنشر مبشر..

سبحانه ما أجمل جلاله!

ما أجل جماله!

ما أكبر سلطانه!

(فانظر إلى أرضك فقل: الله أكبر. وانظر إلى الكائنات فقل: الله أكبر، هو الخلاق

الفعال، هو الفتاح العلام، هو الوهاب الفياض، هو العزيز الحكيم، هو الكريم الرحيم).

[١٢] إن شئت أن تعرف معنى «الله أكبر» فانظر إلى الكائنات فإنها كلها ظلال أنواره..

آثار أفعاله.. خطوط قلم قضائه وقدره.. نقوش أسمائه.. مرايا أوصافه.

فاعلم فقل: «الله أكبر».. انظر إلى العوالم.. فإنها كلها مأخوذة بالتهام في قبضة علمه، في

قبضة قدرته، في قبضة عدله، في قبضة حكمته.. منظومة وزنه، موزونة نظمته.

فالتنظيم بالنظام، والتوزين بالميزان: قبضتان للرحمن، عنوانان للباين.. من «الإمام

المبين»، من «الكتاب المبين».. فذلك الكتاب مع ذاك الإمام.. عنوانان بينان.. العلم والقدرة

للقادر العليم، للعدل الحكيم.. فلا شيء يخرج من نظم هذا النظام، من وزن هذا الميزان..

يَشْهَدُهُ مَنْ لَهُ فِي رَأْسِهِ الْإِذْعَانُ، فِي وَجْهِهِ الْعَيْنَانُ.. فَبِالْحَدْسِ الشَّهَوْدِي بَلْ بِالشَّهَوْدِ الْحَسِّي..  
لَا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَوْنِ وَالزَّمَانِ، يُخْرِجُ مِنْ قَبْضَةِ تَصَرَّفِ الرَّحْمَنِ.

فَأَبْصُرْ، فَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ».. هُوَ الْعَدْلُ الْحَاكِمُ، هُوَ الْحَكْمُ الْفَرْدُ، هُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ..  
إِذْ هُوَ الَّذِي أَسَّسَ بَنِيَانِ الْكَائِنَاتِ، بِمِسْطَرِّ الْمَشِئَةِ، بِالْحِكْمَةِ النَّظَامَةِ.. أَصُولُ حِكْمَتِهِ  
رَابِطَةُ الْمَوْجُودَاتِ.. فَفَصَّلَ الْمَوْجُودَاتِ بِدُسْتُورِ الْقَضَاءِ، بِقَانُونِ الْقَدْرِ.. قَوَانِينِ الْقُدْرَةِ،  
خِيَاطَةَ الصُّورِ، لِقَامَةِ الْمَصْنُوعَاتِ.. فَنَظَّمَ الْكَائِنَاتِ بِنَامُوسِ السُّنَّةِ، بِقَانُونِ الْعَادَاتِ..  
نَوَامِيسِ السُّنَّةِ، قَوَانِينِ الْعَادَةِ.. نَظَامَةَ الْمَخْلُوقَاتِ.. إِذْ «يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ»  
فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.. بِتَلَطُّيفِ الرَّحْمَةِ، بِتَكْرِيمِ الْعَنَاءِ.. قَدْ زَيَّنَ الْكَائِنَاتِ.. نَوَامِيسِ  
الرَّحْمَةِ.. دَسَائِيرِ الْعَنَاءِ.. حَسَنَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ وَزِينَةَ الْمَوْجُودَاتِ.. فَتَوَرَّ الْكَائِنَاتِ.. بِجَلْوَةِ  
الْأَسَاءِ، تَجَلَّى الصِّفَاتِ.. تَظَاهَرَتِ الْأَسْمَاءُ.. فِي جَلْوَاتِ الصِّفَاتِ.. نَوْرَةُ الْمَوْجُودَاتِ..  
فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

فَافْهَمْ وَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ».. هُوَ الْفَاطِرُ الْعَلِيمُ، هُوَ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ.. ذَاكَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ، هَذَا  
الْعَالَمُ الصَّغِيرُ.. مَصْنُوعَا قُدْرَتِهِ مَكْتُوبَا قُدْرِهِ.. إِبْدَاعُهُ لَذَاكَ، صَيَّرَهُ مَسْجِدًا.. إِيْجَادُهُ لِهَذَا صَيَّرَهُ  
عَابِدًا، إِنْشَاؤُهُ لَذَاكَ، صَيَّرَ ذَاكَ مُلْكًا.. بِنَاؤُهُ لِهَذَا صَيَّرَهُ مَمْلُوكًا.. صَنَعَتُهُ لَذَاكَ تَظَاهَرَتْ كِتَابًا،  
صَبَغَتُهُ لِهَذَا، تَظَاهَرَتْ خَطَابًا.. قُدْرَتُهُ فِي ذَاكَ، تُظْهِرُ عَزَّتَهُ.. وَرَحْمَتُهُ فِي هَذَا تَنْظِمُ نِعْمَتَهُ.. سَكَّتَهُ  
فِي ذَاكَ، فِي الْكُلِّ وَالْأَجْزَاءِ.. خَاتَمَهُ فِي هَذَا فِي الْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ..

فَانْظُرْ وَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ».. هُوَ الْقَادِرُ الْمُقِيمُ.. هُوَ الْبَارِئُ الْعَلِيمُ.. هُوَ اللَّطِيفُ الْكَرِيمُ..  
هُوَ الْوَدُودُ الرَّحِيمُ.. هُوَ الْجَمِيلُ الْعَظِيمُ.. هُوَ نَقَاشُ الْعَالَمِ.. إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْعَالَمَ مَا  
هُوَ كُلُّهُ أَجْزَاؤُهُ، الْكَائِنَاتُ مَا هِيَ نَوْعًا وَجُزْئِيَّاتٍ، فَإِنَّا هُوَ هِيَ، خَطُوطُ قَضَائِهِ.. رَسُومُ قُدْرِهِ..  
فِي تَنْظِيمِ الذَّرَاتِ.. فِي تَعْيِينِ الْغَايَاتِ.. فِي تَقْدِيرِ الْهَيْئَاتِ.

فَبَعْدَ هَذَا التَّرْسِيمِ.. لَتَعْيِينِ الْخُدُودِ.. لِمَقْدَارِ الْقُدُودِ.. تَحْيِيءُ قُدْرَتُهُ لِتَشْخِصِ الصُّورِ..  
بِبِرْكَارِ الْقَدْرِ.. فِي حِكْمَةِ الْأَثَرِ.. مِرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ بِالْقَطْعِ قَدْ شَهِدَتْ: أَنَّ النُّقُوشَ فَاضَتْ، مِنْ  
قَلَمِ عَلِيمٍ، مِنْ تَدْبِيرِ حَكِيمٍ.

فَبَعْدَ هَذَا التَّشْخِصِ تَحْيِيءُ الْعَنَاءِ، لِتَزْيِينِ الصُّورِ، بِيَدِ بِيضَائِهِ، بِلُطْفِ إِنْشَائِهِ.. تَزْيِينُ

الصور بأبدع ما يمكن.. يشهد باليقين لصاحب العينين.. أن الزينة والحسن، من أثر لطفه.. آية كرمه.

فبعد هذا التزيين.. يجيء كرمه.. بالتلطيف والتحسين.. لإبراز التودد.. في تزيين الحسان.. وإظهار التعرّف للجن والإنسان.. فما تلك المحاسن وما هاتى اللطائف إلا من هذا التودد.. إلا من هذا التعرف.. تحبّب الفاطر، يقطر للناظر، من تحسين الأثر.. تعرّف القادر.. من تزيين الأثر، يظهر للنظر، بعد هذا التودد.

بعد هذا التودد تجيء رحمته، لإبراز الإنعام في نشر سُفرته لتلذذ الأنام.. ترخّم الخالق، يرشح من الأثر.. تحنّ الرزاق، يقطر من الثمر.

الحاصل:

هذا العالم.. خطوطُ قدره.. نقوش قلمه.. زيناتُ كرمه.. أزاهير لطفه.. بالحدس والعيان.

أثمارُ رحمته.. لمعاتُ جماله.. جلوات جلاله.. مرايا كماله.. بالحق والإيمان.  
ما يُشْهَدُ من جمال.. ما يُشْهر من كمال.. مظاهرُ سيالة. مرايا جِوالة [١٣] ظلال أنواره.. آيات كماله. ويشهد لهذا: كمال آثاره..

فالأثر المكمل، يشهد لذى العقل، على الفعل المكمل. ثم الفعل المكمل يدل لذى الفهم على الاسم المكمل. والفاعل المكمل، والاسم المكمل يدل بالبداهة على الوصف المكمل. والوصف المكمل يدل بالضرورة على الشأن المكمل. ثم الشأن المكمل، يدل باليقين على كمال الذات، مما يليق بالذات، وهو الحق المبين. رفيع الدرجات، خلاق العالم. يشهد لذى العين: أن الجمال الظاهر ليس مُلك المظاهر.

نعم، تفاني المرايا، زوأل الموجودات، مع التجلي الدائم، مع الفيض الملازم، من أوضح برهان، من أفصح تبيان، للجمال المجرد، للإحسان المجدّد، للواجب الوجود، للباقي الودود.

فاعرف.. وقل: «الله أكبر».. هو الخلاق الكبير، هو الفعال القدير.



فالأجسام السفلية، والزينات الأرضية، والأجرام العلوية والكواكب الدرية، في بستان الكائنات: معجزات القدرة، شواهد الحكمة، براهين للواحد الأحد، والقادر الصمد.

سبحان من جعل حديقة أرضه: مشهر صنعته. مزهر النباتات، مثمر الشجرات، مزين الحيوانات، محسن الطيور. خوارق صنعه، شواهد علمه، دلائل لطفه.

تبسم الأزهار، من زينة الأثمار، في هذه الجنان: تودد الرحمن، ترحم الحنان، تعرف المنان، للجن والإنسان، والروح والحيوان.

فالزهر والثمر، والحب والبذر، معجزات الحكمة، هدايا الرحمة، براهين الوحدة.. بشائر لطفه، في دار الآخرة، شواهد صادقة، بأن صانعها بكل شيء عليم، لكل شيء قدير، قد وسع كل شيء بالرحمة والعلم، باللطف والتدبير.

فالشمس كالذرة، والنجم كالزهرة، والأرض كالبيضة، لا تثقل عليه في الخلق والتدوير، والحفظ والتصوير، والصنع والتنوير.

فافهم.. وقل: «الله أكبر».. هو سلطان الأزل.. هو حاكم الأبد.. هو الملك السرمد.

انظر إلى وجه السماء.. كيف ترى سكوتا في سكونية.. حركة في حكمة.. تألؤا في حشمة.. تبسمًا في زينة.. مع انتظام الخلقة.

تألؤ نجومها.. تعلن لأهل النهى.. سلطنة بلا انتهاء.

فهذه النيرات.. وهذه السيارات.. براهين منيرة.. شواهد مضيئة.. معلنة لعزة كبرياء الألوهية.. مظهر لشوكة سلطنة الربوبية.. مبيّنة لحشمة عظمة قدرته.. مشيرة لوسعة إحاطة حكمته.

آمن وقل: «الله أكبر».. ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾..

سبحانك يا مَنْ في كل شيء لك شاهدان على أنك واجب واحد.

سبحانك يا مَنْ في كل حيّ لك آيتان على أنك أحد صمد.

سبحانك يا مَنْ سكته مضروبة على جباه الخلق.. بالصدق شاهدة، بالحق ناطقة.

فانظر إلى آثاره كيف ترى كالفلق.. سخاوة مطلقة في انتظام مطلق.. وقد ترى النظام في سهولة في اتزان مطلق.. في سرعة مطلقة في حسن صنع مطلق.. في وسعة مطلقة في إتقان مطلق.. في رخيصة مطلقة مع غلو مطلق.. في خلطة مطلقة في امتياز مطلق.. في بُعد مطلقة في اتفاق مطلق.. في كثرة مطلقة مع كمال مطلق.

فهذه الكيفية المشهوددة شاهدة للعاقل المحقق، مُجبرة للأحمق المنافق.. على قبول الوحدة والصنعة للحق، ذي القدرة المطلقة.. وهو العليم المطلق.

فتأمل وقل: لا خالق إلا هو.. لا فاطر إلا الحق.

«تمت الجذبة الفكرية بهزجاتها»

[١٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).

**اعلم** <sup>(١)</sup> أن القرآن الحكيم يصرّح: بأن كل شيء من العرش إلى الفرش، ومن النجوم إلى الهوام، ومن الأملاك إلى الأسماك، ومن السيارات إلى الذرات يعبد الله ويسجد له ويحمده ويسبح له. إلا أن عباداته متنوعة. فنشير إلى وجه من وجوه التنوع بنوع تمثيل.

مثلا: - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - إن ملكا عظيما إذا بنى مدينة جسيمة وبنى قصرا محتشا، فذلك الملك يستعمل فيها أربعة أنواع من العملة:

الأول: مماليكته: فليس لهم معاش <sup>(٢)</sup> ولا أجرة. بل لهم ذوق وشوق في كل ما يعملون بأمره، ويقولون في مدحه، ويكتفون بشرف انتسابهم له، ولذة نظرهم بحسابه.

والثاني: خدمة عاميون يستعملهم الملك بعلمه بأجرة جزئية تليق بهم. ولا يعرفون ما

(١) هذا المبحث القيم خلاصة جيدة للغصن الرابع من «الكلمة الرابعة والعشرين».

(٢) أي المرتب والأجرة.

يترتب على عملهم من الغايات العالية الكلية. حتى قد يتوهم البعض أن ليس لعمله غاية إلا ما يعود إلى نفسه من الأجرة والمعاش.

والثالث: حيوانات له يستخدمها، فليس لها إلا العلف والتلذذ بالعمل فيما تستعد له، إذ في خروج الاستعداد من «القوة» إلى «الفعل» لذة عامة.

والرابع: عملة عالمون بهم ولم يعملون وتعمل سائر العملة، وعارفون بمقاصد الملك. فلهم رياضة ونظارة على سائر الخدمة، ولهم معاش متفاوت على درجات رتبهم.

كذلك إن مالك السماوات والأرض وبانيها، استخدم واستعبد الملائكة، ثم الحيوانات، ثم الجمادات والنباتات، ثم الأناسي، لا للحاجة؛ إذ هو خالقهم وما يعملون، بل للعزة والعظمة وشؤون الربوبية وغير ذلك.

فأما الملائكة فليس لهم ترقيات بالمجاهدة. بل لكل منهم «مقام معلوم» لكن له ذوق مخصوص في نفس عملهم وفيوضات بنسبة درجاتهم، في نفس عباداتهم. فمكافآت خدماتهم مندرجة في عين خدماتهم. فكما يتغذى الإنسان بالماء والهواء والضياء والغذاء ويتلذذ بها، كذلك الملائكة يتغذون ويتعمون ويتلذذون بأنوار الذكر والتسبيح والحمد والعبادة والمعرفة والمحبة، لأنهم من النور فيكفي لغذائهم النور والنوراني، كالروائح الطيبة، ولهم سعادة عظيمة في فعلهم بأمر معبودهم، وفي عملهم بحسابه، وخدمتهم باسمه، ونظارتهم بنظره، وتشرفهم بانتسابه، وتنزههم بمطالعة ملكه وملكوته، وتنعمهم بمشاهدة تجليات جماله وجلاله.

وأما الحيوانات فوجود النفس المشتتة فيها مع اختيار جزئي ليست أعمالها خالصة بحسابه وحسبة محضة لوجهه، فلهذا يعطيها مالكها الكريم معاشا في ضمن عملها لأجله.

مثلا: إن العنديل المشهور بالعشق للورد يستخدمه فاطره الحكيم لإعلان المناسبة الشديدة بين طوائف النبات وقبائل الحيوان. فالعنديل خطيب رباني من طرف الحيوانات -التي هي ضيوف الرحمن- وموظف لإعلان السرور بهدايا رازقها. ولإظهاره حسن الاستقبال للنباتات المرسله لإمداد أبناء جنسه، ولبیان احتياج نوعه البالغ ذلك الاحتياج إلى درجة العشق، على رؤوس جميلات النباتات، ولتقديم اللطف شكر في اللطف شوق في اللطف وجه لجناب مالك الملك ذي الجلال والجمال والإكرام.. فهذه غاية عمله بحسابه

سبحانه، فهو يتكلم بلسانه فنفهم هذه المعاني منه، وإن لم يعرف هو معنى نغماته بتمامها. وعدم معرفة البلبل بهذه الغايات بتفصيلها لا يستلزم عدمها، لا أقل يكون كالساعة تُعلمك الأوقات وهي لا تعلم ما تعمل. وأما معاشه الجزئي فذوقه بمشاهدة الأزهار المتبسمة وتلذذه محاورتها. فليست نغماته الحزينة تألمت شكايات حيوانية، كلاً بل هي «تَشْكُرُ» عطايا رحمانية». وقس عليه النحل والفحل والعنكبوت والنمل وبلابل الهوام وغيرها. فلكل منها معاش جزئي في ذوق خصوصي في ضمن خدمتها لغايات كلية ولصنعة ربانية كالنفر المستخدم في سفينة سلطانية.

فالحيوانات بامتثالها للأوامر التكوينية بكمال الإطاعة، وإظهارها لغايات فطرتها بأحسن وجه باسمه، وتظاهرات حياتها بوظائف [١٥] بأبداع طرز بحوله، وهكذا من سائر تسييحاتها.. تقدم هدايا عباداتها ومزايا تحياتها لجناب فاطرها.

فالتحيات تظاهرات الحياة بلطائف آثارها المطلوبة لوأهب الحياة.

وأما النباتات والجمادات فلاجل أن لا اختيار لها، لا معاش لها، فأعمالها خالصة لوجه الله، وحاصلة بمحض إرادة الله وباسمه وبحسابه وبحوله. إلا أنه يتظاهر من حال النباتات أن لها تلذذات بوظائفها ولا تألمت لها، خلافا للحيوان المختار. فله الألم كاللذة. ولأجل عدم تدخل الاختيار في أعمال الجماد والنبات تكون آثارها أكمل من أعمال ذوي الاختيار، ثم عمل ذي الاختيار المنور بالوحي والإلهام كالنحل وأمثاله أجمل من غيره المعتمد على اختياره.

وأما الإنسان فهو كالمَلَك في كلية العبادة وشمول النظارة وإحاطة المعرفة ودلالة الربوبية، بل أجمع منه. إلا أن له نفسا شريرة مشتبهة، فله ترقيات وتدنيات.

وكالحيوان في إدخاله في عمله حظا لنفسه وحصة لذاته، فله معاشان معجل جزئي حيواني، والآخر مؤجل كلي ملكي. فتأمل تنل.

ولقد ذكرنا في دروس «رسالة النور» كثيرا من أسرار عبودية الإنسان ووظيفته وقسما من عبادة النبات والجماد وتسييحاتها فلا حاجة إلى التطويل هنا، فإن شئت فراجع تلك الدروس لترى سر سورة «التين والزيتون» وسورة «العصر».

## «تمة لمبحث العندليب»

ولا تحسبن أن هذه الوظيفة الربّانية في الإعلان والدّلالة والتغني لذوي الأسعاج بهزجات التسيّحات مخصوصةٌ بالعندليب. بل كل نوع له عندليب يمثل اللّطفَ حسيّات ذلك النوع باللّطف تسيّح في اللّطف تسجيّع. لاسيّما في أنواع الهوام والحشرات؛

فمنها ما له عندليب وبلابل كثيرة، تنشّد على رؤوس كثير من أنواع الهوام والحشرات الصغيرة المختلفة سجعاتٍ تسيّحاتٍ يلتدّ باستماعها جميعٌ من له سمع.

فمنها ليلية ذات سرود<sup>(١)</sup>؛ في مسامرةٍ لصغار الحوّنات من نوعها وغير جنسها في سكوت الليل وسكونه حتّى كأنها قطب حلقةٍ ذكرٍ خفي. لأن الغناء كاللسان المشترك العمومي يفهمه كل من له سمع وحسّ.

ومنها نهارية؛ ذات تسيّحات بتسجيّعات وهزجات لطيفة رفيعة تنشدها في فصل الصيف على منابر الأشجار على رؤوس جميع ذوي الحياة. وهي تفوق البلبل المشهور بمراتب حتّى كأنها رئيس حلقةٍ ذكرٍ جهريّ تهيج جذبات المستمعين وتُنطقهم كلّ بلسانه.

وأفضل جميع الأنواع وأشرفُ عندليبيها وأنورُها وأبهّرها وأعظمُها وأكرمُها وأعلاها صوتا وأجلاها نعتا وأتمّها ذكرا وأعمّها شكرا، عندليبُ نوعِ البشر في بُستان الكائنات، حتّى صار بلطيفاتٍ سجعاته بلبلٌ جميع الموجودات في الأرض والسموات.. عليه وعلى آله وأمثاله أفضل الصلوات وأجمل التسليّات. آمين.

**اعلم**<sup>(٢)</sup> أنه يُفهم من كمال ذكاوة الحيوان وقتَ خروجه إلى الدنيا، ومهارته في العلم العملي المتعلق بحياته، أن إرساله إلى الدنيا للتعلّم لا للتكمّل بالتعلّم.

ويُفهم من كمال جهالة الإنسان وعجزه وقت إخراجه إلى الدنيا واحتياجه إلى التعلّم في كل مطالبه وفي جميع عمره أن إرساله إلى الدنيا للتكمّل بالتعلّم والتعبّد لا للتعلّم. وما عمله المطلوب إلّا تنظيم أعمالٍ ما سخره الله له من النباتات والحيوانات والاستفادة من نوااميس الرحمة.. وإلّا الدعاء والاتّجاء والسؤال والتضرّع والتعبّد لمن سخر له مع نهاية ضعفه وعجزه

(١) سرد سرودا الحديث أو القراءة: أجاد في سياقها.

(٢) «الكلمة الثالثة والعشرون» توضح هذه المسألة.

و غاية فقره واحتياجه هذه الموجودات. وما علمه المقبول إلا معرفة مَنْ كَرَّمَهُ وسَخَّرَ له وجْهَهُ للعبادة والسعادة بتعلّم حكمه الكائنات بوجهٍ يُنتج معرفةَ خالقها بأسمائه، وصفاته وجلاله وجماله وكَماله. وغيرُ هذا الوجه إما ما لا يعينيات أو ضلالات.

اللَّهُمَّ اجعلنا لك عبيدا في كل مقام قائمين بعبوديتك متضرّعين لألوهيتك مشغولين بمعرفتك.

**اعلم** أن الخالق الحكيم، لامتناع العجز عليه، ولكمال جُوده، يخلق الذرة كما يخلق الشمس، ويعطي لها الوجود مثلها.. فكما يخلق الذرة مع الشمس، كذلك يخلق أصغر النبات كأكبر الشجر. وكما يخلق المَلَك المسخّر على الشمس مع المَلَك المسخّر على القطرة، كذلك يخلق أصغر الحويّنات كأكبر الحيوان، فيستعبده مثله، ويوجد الفرد الواحد بأحسن وجه، كما يوجد مجموع الأفراد الغير المحدودة.. ولكل من الموجودات صغيرا وكبيرا قليلا وكثيرا وظيفّة لائقة.. وحكمة مناسبة وغاية حسنة.. من خزينة رحمة مَنْ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢، ٨٣).

[١٦] **اعلم** <sup>(١)</sup> أيها المسلم أن لك في تطبيق عملك العرفي ومعاملتك العادية على الأصول الشرعية.. خزينةً أخروية وإكسيرا كبيرا. يصير به كل عمرك عملا، وكل عاداتك المباحة عبادةً، وغفلتُك بمشاغلِكَ حضورا.

مثلا: إذا بعْتَ أو اشتريت شيئا وعملت بما يقوله الشرع في تلك المعاملة فتخطرتُ حكمه في الإيجاب والقبول، صار لك نوع حضورٍ وعبادةٍ وإطاعةٍ وعملا أخرويا، فقس واغتنم.

طوبى لمن نورَ حركاته بالآداب الشرعية. فيا سعادة مَنْ وفقه الله لاتباع السنّة في أعماله ومعاملاته حتى أورث عمره الفاني أثمارا باقية.. ويا خسارة مَنْ خذله الله باتباع الهوى فاتخذ إلهه هواه حتى صار عمره هواء وعمله هباء.

اللَّهُمَّ وفقنا لمرضاتك والعمل بكتابك وسنة نبيك. آمين.

(١) «النكتة الأولى من اللمعة الحادية عشرة» تفصّل هذه المسألة.

**اعلم** <sup>(١)</sup> أنه كما أن من الإنسان من هم رعاة، ولهم نظارة على تنظيم حركات قسم من الحيوانات، ونوع محافظة له. وكذا منهم زراع لهم نظارة على تنظيم زرع قسم من الحبوب، ونوع ترتيب له.. كذلك إن من الملائكة من هو راع بنوع من الحيوان في مرعى وجه الأرض، لكن ليس كالإنسان، بل نظارته ورعيه بمحض حساب الله وباسمه وبحوله وبأمره، بل نظارته هي مشاهدته لتجليات الربوبية في ذلك النوع، ومطالعة جلوات القدرة والرحمة فيه، وإلهام الأوامر الإلهية لها لأفعال ذلك النوع الاختيارية.

ومنهم من له نظارة على نشر نوع من النباتات في مزرعة الأرض بإذن الله وبأمره وباسمه وبحوله. بل نظارته لها تمثيل تسبيحاتها وتحياتها لفاطرها، وإعلانها، مع نوع تنظيم وحماية بحسن استعمال الجهازات الموهوبة لها.

فهذه الخدمة، بنوع كسب، بدون تصرف حقيقي - إذ في كل شيء سكة خاصة بخالق كل الأشياء ليس لغيره فيها مجال - عبودية وعبادات لهم، لا عادات كالإنسان. فحضره ميكائيل عليه السلام الذي هو من حملة عرش الرزاقية، له عبودية بنظارة على جنس النباتات في مزرعة الأرض، وتحت نظار على نوع نوع بقوة الله وبحوله وبأمره وباسمه، وهكذا نظار الحيوانات.

فإن شئت ذلك هذا المعنى فانظر إلى الأرض كيف صيرها الفاطر الحكيم مزرعة واسعة ومرعى عظيمًا للنباتات والحيوانات.. ثم انظر إلى أنواع النباتات المنشورة بانتظام عجيب في توزيع بذوراتها في الأطراف بتقسيم غريب بحكمة فاطرها القدير العليم.. وإلى أنواع الحيوانات المنشورة بطرز غريب بتقسيم عجيب وهي ترحل في مرعى الأرض في حسن انتظام بعناية خالقها الحكيم الكريم جل جلاله وعم نواله ولا إله إلا هو.

(١) تراجع «الكلمة الرابعة والعشرون - الغصن الرابع».





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا فَرْدُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا حَكَمُ،  
يَا عَدْلُ، يَا قُدُّوسُ

بحق الاسم الأعظم وبجزمة القرآن المعجز البيان وبكرامة الرسول  
الأعظم ﷺ، أدخل الذين قاموا بطبع هذه المجموعة ومعاونيهم الميامين  
جنة الفردوس والسعادة الأبدية. . آمين. ووفقهم في خدمة الإيمان والقرآن  
دوما وأبدا. . آمين. واكتب في صحيفة حسناتهم ألف حسنة لكل حرف  
من حروف كتاب «المثنوي العربي النوري». . آمين. وأحسن إليهم  
الثبات والدوام والإخلاص في نشر رسائل النور. . آمين  
يا أرحم الراحمين! آت جميع طلاب النور في الدنيا حسنة وفي الآخرة  
حسنة. . آمين. واحفظهم من شر شياطين الجن والإنس. . آمين. واعف  
عن ذنوب هذا العبد العاجز الضعيف سعيد. . آمين

باسم جميع طلاب النور

سعيد النورسي

استسغيت واستغفرت وما ظننتم تحت كثافة الفلسفة ما في سائر الأديان من  
 انوار فكر الالهية وصحة بوسائله تتأهر للبشر ومضيات رب العالمين  
 وصحة به اشد من البشر الى ايمان الذي هو نور الكون والوجود... الحمد لله  
 على نعمة الاسلامية هي مضيئات رب العالمين... اذا اسلوا هو الذي ادى ما مضى  
 به وريده ويحييه ربنا ورب العالمين ورب السموات والارضين... الحمد لله  
 على نور ايمان المستغني بنسبنا... الحمد لله الذي هو الرحيم لا يد على احد  
 ان ينظر من النعمة الا انما هو يريد ان المعصية يصير به والوفية اليه يعترف  
 بالانصاف ويؤد بالاحسان ويجيب بالاحكام الى الانسان... فالانسان انما  
 يكون شاكراً اذا استغفر وذاك العتق والتورود...

بسم الله الرحمن الرحيم  
 الحمد لله الذي هدانا لهذا  
 الذي كنا لنهتدي لاه  
 في الله اكبر

مثلاً وفيه التلخيص الاولي يتبادى في اخذ تجلي البشر في ظاهرها الذرات  
 الرباعية والبحر الارضية والسيارات المتبادلة بسر الشفافية...  
 وان المصباح المكنون في الخطية يتبادى بالنسبة الى المصباح ربانية  
 من زجاجات اصغرها لذة اكبر الدلالة بسر انعام الله... وان النور والنوراني  
 تتبادى بالنسبة الى الاستفاح والاستفاحية الواحدة والاولف  
 لا زهر فيه بسر النورية... فلنعم نورانية في لطافة الكلمة يتبادى  
 في الاستماع الواحد والاولف... ومثلاً في البرزخ الحساس بدرجة يقتبس  
 بذرة لوهجته في صفتيه بنسبته وجوزان ما تقاوت بين رفع كفة  
 الى لؤلؤها وصكته فلا تفتى بوضع جوزة اخضر في كفة بسر التوازن...  
 ومثلاً ان اعطى الانسان ان يقسم سوره ويخبره على صهي كما لا يقتصر  
 عليه خيريك سميته التي هي ملحيته في كفه وتخبرك ساعته بسر النظام  
 ومثلاً ان الذي قد ان لا فرق في امره دأرش بين نفس وفلك يتبادى في تجويزي  
 والنوراني البصر وصلى العسكر بسر التوازن... ومثلاً ان الالهية

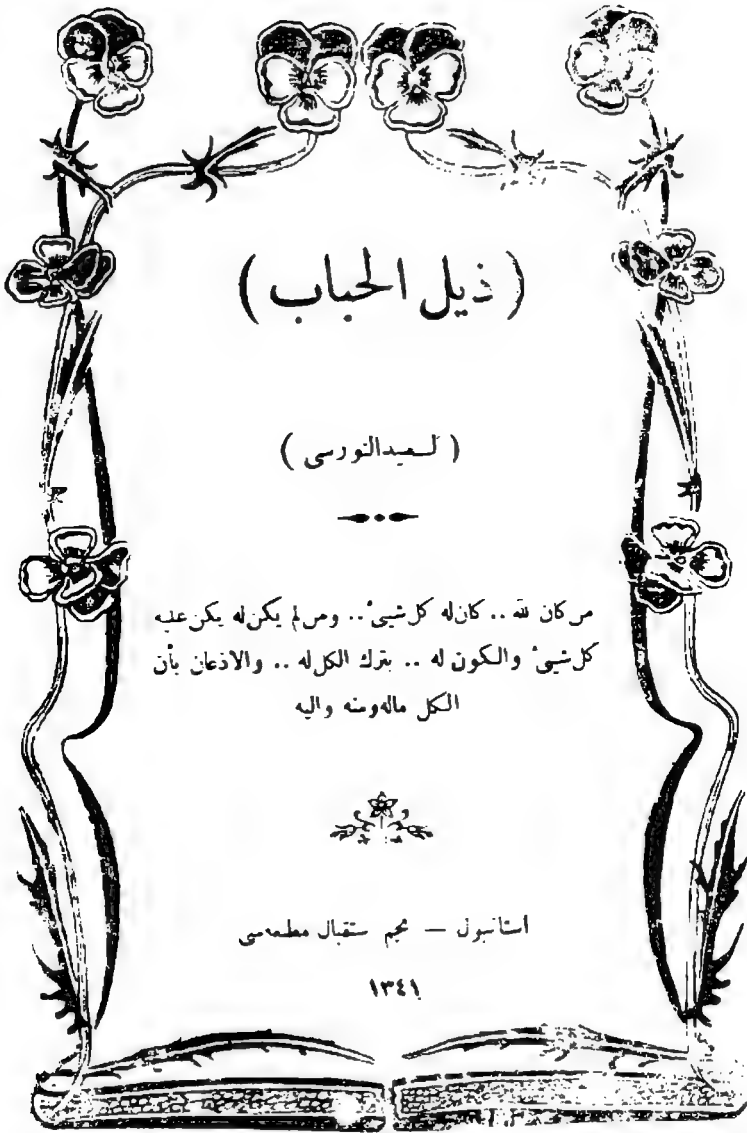
# زهرة من رياض القرآن الحكيم

لسميد النورسي

كل حي في الدنيا.. كمسكر موظف .. أنما يعمل  
بحساب الملك .. وباسمه .. فمن زعم أنه ملك  
فهو هالك : ان هذا النظام والميزان المشهودين  
عنوانان لقبضتي الرحمن و باين من الكتاب المبين  
ومن كتاب الكاشات.. والقرآن ترجمان الكتاين  
و فهرسة البايين وفذلكة القبطين .

استانبول — نجم استقبال مطبعه سي

١٣٤١





## نبذة عن بعض الأعلام

ابن سمعون الزاهد البغدادي: (٣٠٠-٣٨٧هـ) وهو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل (أو سمعون) كان يلقب الناطق بالحكمة، مولده ووفاته ببغداد، علت شهرته، حتى قيل: «أوعظ من ابن سمعون!».

أبو حنيفة: (النعمان بن ثابت) (٨٠-١٥٠هـ) إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد ونشأ بالكوفة، وتوفي ببغداد، وأخباره كثيرة، وله تصانيف منها: «مسند» في الحديث، جمعه تلاميذه و«الفقه الأكبر» و«المخارج» في الفقه. (الأعلام للزركلي ٣٦/٨).

أبو يزيد البسطامي (١٨٨-٢٦١ هـ / ٨٠٤-٨٧٥ م): طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بابيزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها.

جلال الدين الرومي: (٦٠٤-٦٧٢هـ / ١٢٠٧-١٢٧٣م) عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف صاحب «المثنوي» المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف في ستة وعشرين ألف بيت، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ (بفارس). استقر في «قونية» سنة ٦٢٣هـ عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٨هـ. من مؤلفاته: ديوان كبير، فيه مافيه، مكتوبات.

الجنيد (البغدادي): (ت ٢٩٧هـ / ٩١٠م) هو الجنيد بن محمد أبو القاسم الزجاج القواريري. صوفي وزاهد، سيد الطائفة. ولد وتوفي ببغداد. تلقى العلوم الفقهية عن سفيان الثوري والعلوم الصوفية عن خاله السري السقطي.

الإمام الرباني: (٩٧١-١٠٣٤هـ) هو أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي الملقب بحق «مجدد الألف الثاني» برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس

والإخلاص لله وحضور القلب، رفض المناصب التي عرضت عليه، قاوم فتنة «الملك أكبر» التي كادت أن تحقق الإسلام. وفقه المولى العزيز إلى صرف الدولة المغولية القوية من الإلحاد والبرهمية إلى احتضان الإسلام بما بث من نظام البيعة والأخوة والإرشاد بين الناس، طهر معين التصوف من الأكدار، تنامت دعوته في القارة الهندية حتى ظهر من ثمارها الملك الصالح «أورنك زيب» فانتصر المسلمون في زمانه وهان الكفار. انتشرت طريقته «النقشبندية» في أرجاء العالم الإسلامي بوساطة العلامة خالد الشهرزوري المشهور بمولانا خالد (١١٩٢-١٢٤٣هـ). له مؤلفات عديدة أشهرها «مكتوبات» ترجمها إلى العربية محمد مراد في مجلدين.

الشيخ صفوت أفندي: (مصطفى صفوت) (١٢٨٢هـ - ١٩٢٧م) ولد في أورفة، تخرج في الأزهر، كان يتقن العربية والتركية والفارسية. أصدر مجلة أسبوعية في إسطنبول سنة ١٣٢٧ باسم «التصوف». تقلّد مناصب علمية عديدة، حتى أصبح عضواً في «دار الحكمة الإسلامية» وعيّن رئيساً لهيئة تدقيق المصاحف والمؤلفات الشرعية سنة ١٣٣٥ هـ. انتخب للمرة الثانية نائباً من أورفة.

سفيان بن عيينة: (١٠٧-١٩٨هـ) ولد في الكوفة وتوفي بمكة المكرمة. كان إماماً عالماً ثبناً، حجة زاهداً ورعاً مجتمعا على صحة حديثه وروايته. حج سبعين حجة، أدرك نيفا وثمانين نفساً من التابعين. وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة ومحمد بن إسحاق وابن جريج وابن بكار وعمه مصعب والصنعاني ويحيى بن أكثم وخلق كثير رضي الله عنهم.

سنان (المعماري): (١٤٨٩-١٥٧٨م) أكبر مهندس معماري تركي أشرف على بناء جوامع كثيرة أهمها: شهزادة، سليمانية، سليمية.

الشاذلي: (٥٩١-٦٥٦هـ) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، والشاذلة قرية من إفريقيا، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، صاحب الأوراد المسماة «حزب الشاذلي».

الشافعي: (١٥٠-٢٠٤هـ / ٧٦٧-٨٢٠م) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة، وكان من أحذق قريش بالرمي برع في ذلك أولاً كما

برع في الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وله تصانيف كثير أشهرها كتاب «الأم» في الفقه و«أحكام القرآن» (الأعلام للزركلي ٦/ ٢٦).

الشعراني: (٨٩٨-٩٧٣ هـ/ ١٤٩٣-١٥٦٥ م) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: وتوفي في القاهرة. له تصانيف، منها «الميزان الكبرى».

الرفاعي: (٥١٢-٥٧٨ هـ) أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي، أبو العباس، الإمام الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية. ولد في قرية حسن في واسط بالعراق سنة ٥١٢ هـ وتفقّه وتأدّب في واسط. وكان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح (بين واسط والبصرة) وتوفي بها سنة ٥٧٨ هـ.

الكيلاني (عبد القادر): (٤٧٠-٥٦١ هـ) هو ابن أبي صالح أبو محمد الجلي. ولد بجيلان جنوب غرب بحر الخزر، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه، دخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنيلي، وهو أحد الأقطاب المعروفين لدى أهل السنة والجماعة، ومجدد عظيم استقام على يديه كثير من المسلمين وأسلم كثير من اليهود والنصارى. من مصنفاته؛ كتاب الغنية وفتوح الغيب والفتح الرباني، توفي ببغداد.

الإمام الغزالي: (٤٥٠-٥٠٥ م) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني واجتماعي، وصاحب رسالة روحية، كان لها أثرها في الحياة الإسلامية، ولد بطوس من أعمال خراسان، ودرس علوم الفقهاء وعلم الكلام على إمام الحرمين، وعلوم الفلاسفة وبخاصة الفارابي وابن سينا وعلوم الباطنية، فلم يجد في هذه العلوم ما يشبع حاجة عقله إلى اليقين ولا ما يرضي رغبة قلبه في السعادة واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية وارتحل إلى بلاد كثيرة منها دمشق وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية ومكة المكرمة. ومن مصنفاته «إحياء علوم الدين» و«تهافت الفلاسفة» و«المنقذ من الضلال».

محمد شفيق الأرواسي: (١٨٨٤-١٩٧٠ م) ولد في قرية «أرواس» التابعة لقضاء «هيزان» في ولاية «بتليس». من أصدقاء الأستاذ النورسي. تتلمذ عليه من مدرسة خورخور في «وان» وسجن معه في دنيزلي سنة ١٩٤٣. تولى رئاسة لجنة تدقيق المصاحف بإسطنبول لمدة طويلة. كان رئيساً للأئمة في جامع السلطان أحمد لمدة سبع عشرة سنة. تولى مهمة الوعظ



والإرشاد في جامع أبي أيوب الأنصاري طوال أربعين سنة. له مؤلف تحت اسم «خطب الرسول ﷺ ومجالسه».

محي الدين بن عربي: (٥٦٠-٦٣٨ هـ / ١١٦٥-١٢٤٠ م) هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائفي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بـ«الأندلس» وانتقل إلى أشبيلية. وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية «شطحات» صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي فنجاه. واستقر في دمشق، فتوفي فيها. له نحو أربعمئة كتاب ورسالة، منها «الفتوحات المكية» في التصوف وعلم النفس و«فصوص الحكم».

النقشبند (الشاه): هو محمد بهاء الدين، مؤسس الطريقة النقشبندية. ولد في قرية قصر العارفين، قرب بخارى، ودرس في سمرقند، تزوج في الثامنة عشرة من عمره، انتسب إلى شيوخ كثيرين وعاد أخيراً إلى بخارى ولم يغادرها حتى وفاته، وأنشأ فيها طريقتة ونشرها، وتوفي ٣ ربيع الأول ٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م عن (٧٣) سنة من العمر.



الفهارست



## فهرس الآيات

سورة آل عمران

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ ٣١٨  
٤٤٧

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ٢٥٠، ١٨٦

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٢٥٥

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ ٢٨٦

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ٢٠٨

سورة إبراهيم

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ ٤٤٨

سورة الأحزاب

وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٤٣

سورة الأعراف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ٤٢٧

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

٣٤٢، ٣٧٣، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٤٧

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ٣٥٤، ٣٣٣، ٩٠

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ٤٤٧، ٣٧٣، ٢٤٣

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ٣٩٩، ٢٧٥

وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ ٢٦٦

سورة الأنبياء

أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ٢٢٧

كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكَتُوبِ ٤٣٦، ٣٤٢، ٢٤٣، ٢١٨

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ٤٣٨، ١٦٩

سورة الأنعام

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ ٤١٨

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ٣٦٧

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ٤٤٤، ٣٩٦

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٤٣٩

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ ٤١٦

قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ٤٣٨، ٧٤

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ٢٥٦

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٦١

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٣٣٢

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ٣٩٦

سورة الأنفال

نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ١٨٦

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ٢٩٥

سورة الإسراء

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ ٣٤٢، ٢٨٤

٤٥٣، ٤٤٩، ٣٨٠، ٣٧٣

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ ٤٤٩

قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ٩٣

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ ٤٤٩

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ٣١٢، ٢٨٤، ٢٧٥

٤٤٩، ٤١٢، ٣٩٤، ٣٨٠، ٣٧٣، ٣٦٩

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ١٥١

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ٢٦٦

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٥٧

سورة الإنسان

وَمَا تَسْأَلُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٢٨٦

سورة الانشقاق

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ٤٤٩

سورة الانفطار

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ٤٤٩، ٣٤٨، ٧٧

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٣٥٨

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ٣٥٦	خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٣٦٤
سورة الجن	مَا عَزَاكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٤٤٣
وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٣٩٨	وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ٢١٢
سورة الحج	سورة البقرة
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٤٦٢	إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ٢٢٧، ١٧٦، ١٤٢
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ٣٩٣	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ٢١٥	وَالنَّهَارِ ٤٤٧، ٣١٨
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٤٠١	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٤١١، ٣٦٣، ١٢١
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ٨٩	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ ٢٨٩
سورة الحجر	بَشِيرًا وَنَذِيرًا ٢٩٥
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ٣٩٠، ٥٥	خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ٤٤٦
سورة الحجرات	شُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ٤٥٠، ٤٤٧
قَالَتِ الْأَعْرَابُ ٣٠٦	فَمَنْ يَخْفَرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ ٣٢٥
سورة الحديد	لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢٦٧
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ٢٠٠، ٢٤٣، ٢٨٦	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ٣٦٦
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ٢٤٣	وَالِيهِ تُرْجَعُونَ ٣٦٧
سورة الحشر	وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ ٤٤٨، ٢٤٣
فَاعْبِرُوا ٤١٨	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ٤٤٧
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ٣٣٥	وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ ٩١
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ١٣١، ١٣٤	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٢٩٥
سورة الذاريات	سورة التكويد
فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ ٣٩١، ٣٥٨، ١٣٢، ١٢٥	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ٤٤٩، ٣٥٢، ٣٤٨، ٧٧
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٦٧	وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ٤٤٩، ٣٥١
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٣٧٢، ٢٧٥، ٤٠٧	سورة التوبة
سورة الرحمن	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٤٤٣
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٩٤	إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٦٦
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ٣٣٢	فَاتَّخِذُوا اللَّهَ أَنْتَى يُؤَفَّقُونَ ٣٢٥، ٣٠٤
	سورة التين
	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٣٣٩

سورة الشعراء	سورة الرعد
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ ٤٠، ٢٢٥، ٢٥٦، ٤٢١	أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ١٢٥، ١٣٢
سورة الصافات	وَالِيهِ مَابَ ٣٦٧
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٢٤٣، ٣٤٣	وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدَارٍ ٢٤٩
سورة الضحى	سورة الروم
وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ٣٩٦	فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ٦٠، ١١٢، ٤٣٦
سورة الطلاق	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ٢٦٦
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٤٤٥	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ٢٦٦
سورة العنكبوت	٢٩٦، ٣١٨
وَإِنْ أُوْحِيَ الْبُيُوتُ ٤٠١	وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ٣٣٤، ٤٠١
وَكَايْنٍ مِنْ ذَاتِهِ لَا تَحْمِلُ وِزْرَهَا ٢٧٥	سورة الزلزلة
وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ ٣٦٠، ٣٩٦، ٤٤٤	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ٧٧
سورة الفرقان	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٢٦٤
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ٢٢٨، ٢٤٩	سورة الزمر
قُلْ مَا يَعْبُدُونَ رَبِّي إِلَّا دُعَاؤُكُمْ ١٩، ٢١٤، ٣٦٦	اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٥٥،
كَأَلَّا نَسْأَلَهُمْ بَلْ هُمْ أَصْلُ ٣٧٤	١٩٩، ٣٤٣
سورة القارعة	بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ٢٦٦
القَارِعَةُ ٧٧	ثُمَّ نُنْفِخُ فِيهِ أُخْرَى ٤٣٦
سورة القصص	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ١٣٧
إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ ٢٦٦، ٣٤٦، ٣٦٩	لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٥٥، ٣٤٣
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ٢٥٠، ٣٣٥	وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ ٢١٨، ٢٤٣، ٢٨٦، ٣٤٢
سورة القمر	وَلَوْ أَنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ١٠٠
وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ ٣٣٧	سورة السجدة
سورة القيامة	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٦٣
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً ١١٠، ٢٦٥، ٣٥١	سورة الشعراء
سورة الكهف	وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ٣٦١
قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي ٤٤٩	سورة الشمس
سورة المؤمنون	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ٢٢٣
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ٢٧٦، ٤٤٧	وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ٣٢٤

- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ٤٤٧  
وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ٣١٦  
سورة المائدة  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ٣٤٧  
وَالَيْهِ الْمَصِيرُ ٣٦٧  
سورة المجادلة  
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي ٤٤٩  
سورة المدثر  
وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ ٢٨٣  
سورة الملك  
أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ ١٤٧، ١٥٨، ٢٧٦  
أَوَّلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ ٢٤٣  
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ١٨، ٢٦٥  
وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ٣٣١  
سورة النبأ  
أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ ٤٤٦  
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٣١٨  
سورة التجم  
إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ٧٧  
فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ٣٣٥  
مَا رَاغَ الْبَصَرُ ٤٣٤  
سورة النحل  
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ٢٦٧  
طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ٣٩٨  
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ٤٤٧، ٢٤٣  
وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصَرِ ٣٥، ٣٤٢  
سورة النساء  
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٢٠٥  
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ١١١
- خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ٢٢٨  
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ٣٣٥، ٣٦٤، ٤٣٧  
وَأَنْتُمْ سُكَارَى ٢٩٩  
وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ٤٣٣  
سورة النمل  
أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ١٣٤، ٢١٥  
سورة النور  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ٤٤٨  
خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ٤٢٨، ٤٤٨  
كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ٣٧٠  
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ ٤٠١  
سورة الواقعة  
أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٣٥١  
سورة عبس  
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٤٤٨  
سورة غافر  
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٣٦٦  
يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا ١٧١  
سورة فاطر  
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٤٤٩  
وَالِى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ١٣٢  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ٣٥٨  
سورة فصلت  
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِي طَوْعًا ٩٢  
وَرَبَّنَا السَّمَاءُ الدُّنْيَا ٢٤٤  
سورة ق  
أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ٢٢٨  
أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ٩٢، ١٥٨  
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ٢٨٦



سورة لقمان

لِتَعْلَمُوا عَظَمَ السَّيِّئِ وَالْجَسَابِ ٣٥١

إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلُمٌ عَظِيمٌ ٣٥٠

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٥٥

فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ٣٥٢، ٣٥٥، ٤٣١

وَأَجْرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ٢٢٩

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ ١٤٧، ١٩٩،

وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ٢٦٤

٤٣٦، ٤١٣، ٢٤٦، ٢١٥

سورة محمد

فهرس الأحاديث الشريفة

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٢٠

أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ٢٣، ٤٠٣

سورة نوح

أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ٣٦١

وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ٨٨، ٣٧١

أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ نوري ٢٢٧

سورة هود

المرء مع من أحبَّ ٢٨٥

بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ٣٩١

تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ ٤٢٣

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ٥٥، ٢٤٣، ٢٨٦

سجن المؤمن وجنة الكافر ١٦٥

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ

سقف الجنة عرش الرحمن ٢٠٠

يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ٩٢، ١٦٣

فله سبحانه حُجُبٌ نورانية ٣٣٨

سورة يس

كنت كنزًا لا أعرف ٤٠٧

أَوَّلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ٤٤٨

لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ ٧٤، ١٠٧، ٣٠٩

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ ٩٨، ١٩٩، ٢١٥،

لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ٣٤٤

٤٦٦، ٣٩٠، ٢٧٥

ما وسعني سمائي ولا أرضي ٣٧٥

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ ٥٥، ٤٦٦

من قرأ هذا أعطي له مثل ثواب موسى ٢٩٢

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ٨٨

وَالْقَمَرُ قَدْرُزَاهُ مَنَازِلَ ٣٥١

سورة يوسف

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ٤٠١

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ٣٠٦

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ ٤٤٧

سورة يونس

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ٣٥٥

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٣٥٥

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ٤٤٦

## إيهام ٤٣٤

إتقان ١٢٧، ١٢٢، ١٢١، ١٠٠، ٩٩، ٨٢، ٦١، ١٢٧،  
١٢٨، ١٤٥، ١٤٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢١٤،  
٢١٧، ٢٦٧، ٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٦، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٦٢

إثبات ١٣٦، ١٦٧، ١٨١، ٢٠٤، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٤٢،  
٣٩٣، ٤١٧، ٤٤١

إسطنبول ٧، ٢٦، ١١٥، ٢٢١، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٩٣،  
٣١٣، ٣٥٩، ٤٠٩، ٤١٠

إعجاز القرآن ٨٤، ٩١، ١٦٣، ٢٥٠

إنجيل ٢٣٥

ابتلاء ٢٠، ٢٣٣، ٢٧١، ٣٧٠

الآخر ٨، ٣٣، ٣٧، ٤٠، ٨٢، ١١٣، ١٦٤، ٢٩٨،  
٣١٢، ٣١٧، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨٤، ٣٩٦، ٤١٠، ٤١٨،  
٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٣

الآخرة ١٥، ١٧، ٧٩، ٩٠، ١٠٠، ١٠٤، ١١٣،  
١١٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٨، ٢٣٢،  
٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٠،  
٣١٧، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٦٦، ٣٧٠،  
٣٨٥، ٤٦١، ٤٦٩

الآفاق ١٣، ٤٩، ١٨٣، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٥٧،  
٢٦٦، ٢٦٨، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٩٧، ٤٤٢

الآفاقية ٧٢، ١٣٦، ١٤٥، ٢٢٩، ٢٦٦، ٣٢٤، ٤٤٢،  
الآيات التكوينية ١٩٤، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٦٧، ٣٥٤،  
٤٠٥

الآثير ١٦٠، ٢٤٦، ٣١٦، ٤٤٤

الأجل ٤١، ٢٥١، ٢٩٩، ٣٥٤

الأحذية ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٨١، ١٠٠،  
٢١٤، ٢٧٧، ٢٨٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٧، ٣٧٥،  
٣٨٩، ٤٠٣

الأخوة ١٨٦، ٢٩٧، ٣٦٤

الأديان ٣٩، ١٤٦، ١٨٧، ٢٦٧، ٤١١

## فهرس تحليلي

## أ

آياصوفيا ١٦٧، ٣٢٢

ألفاظ القرآن ٩٣، ١٦٤

اللماس ١٦٥، ٢٤٣، ٤٣٠، ٤٤٥

أنا ٢٠، ٢٩، ٣٥، ٦٣، ٩٩، ١١٨، ١٣٩، ١٤١،  
١٤٢، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٤، ١٩٤، ١٩٥،  
١٩٧، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥١،  
٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩،  
٢٩١، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥،  
٣٥٣، ٣٥٦، ٤٠٥، ٤١٠، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٣،  
٤٤٦، ٤٥٣

أنطالية ٣٦٠، ٣٦١

أهل الإسلام ٢٧٣

أهل الاستدراج ٣٦٩

أهل الحقيقة ٤٧، ٣٣٢، ٣٤١

أهل الحل ٢٠٥

أهل السنة ١٦، ٢٠٦

أهل الشهود ٧٧، ١٤٨، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠

أهل الطريقة ٤٧

أهل الفسق ٣٥٩

أهل القرآن ١٨، ١٨٦

أهل الكشف ١١٣

أهل النظر ١٧٥

أهل وحدة الشهود ٣٣٦، ٤٢٣

أهل وحدة الوجود ٣٣٦، ٤٢٣

أوروبا ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١

إبداع ١٤٨، ٢١١، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٥٩





الاستدراج ٣٦٩	البدوين ٣٣٩
الاستغراق ٤٨، ٣٩٣، ٤٢١	البذرة ٥٨، ١٥٤، ١٨٢، ٤١٦، ٤١٩
الاستغفار ٢١٦، ٣٢٧	البر ١٦٩، ٢١٨، ٢٨٥
الاستقلالية ١٣٥، ٣٠٢	البراهمة ٢٧٢
الاستمداد ٣٤٤، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤٢٠، ٤٢١	البرخ ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٦٥، ٢٧٨، ٣٥٩، ٣٦١
الاستناد ١٤٢، ١٤٦، ١٧٥، ٢٠٧، ٢٦٩، ٣٢٤	٣٦٢، ٣٦٦، ٤١١
٣٥٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣١	البرغوث ٣٠٣، ٤١٣
الاستنكار ١٢٣، ١٢٥، ١٣٢	البرهان ٤٩، ٧١، ٧٢، ٢٣٠، ٣١٥، ٣٢١، ٣٨٨
الاسم الأعظم ٢٣٩، ٢٤٠، ٤٥٠، ٤٦٩	٤١١، ٤١٢، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٣٤
الاقتران ٢٦٢	البصر ١٠٧، ١١٢، ١٦٤، ١٧١، ١٨١، ١٩٠، ٢٦٤
الامثال ١٩١، ٢٠٥، ٢٧٣	٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٤٠، ٤٢٠
الامتناع ٥٩، ٦٥، ٢٥٥، ٢٩٦، ٤٠٠	البطيخ ٢٧٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٢١، ٣٥٠
الانتساب ٣٨، ٨٣، ٢٤٠، ٤٦٢	البعوضة ١٧٥، ١٩٢، ٢١٧، ٢٥٤، ٢٧٥، ٢٩١
الانفعال ١٣٣، ٢٥٦، ٣٥٧	٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٥٦، ٤١٣
ب	البقاء ٤٣، ١٠٩، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٦
الباذنجان ١٦٩	٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٨٨
البارئ ٤١، ١٥١، ٥٩	٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٧، ٣١٨، ٣٤٤، ٣٩٩
الباطل ٣٤، ٥٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٨٥، ١٩٩	البكاء ٢٩٠، ٣٥٣، ٤٣٤
٢٢٢، ٣١١، ٣٩٤، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٢، ٤٥٣	البلاغة ٣١، ٨٤، ٨٧، ٢٦٧
الباطن ١٣٢، ١٧٤، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٣٤، ٢٤٣	البلايا ٨، ٩، ١٠، ١٣٢، ٣٤٤، ٣٦٦
٢٥٨، ٢٥٦، ٢٩٥، ٣٠٣، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥	البلبل ٤٦٤، ٤٦٥
الباقة ٣٨٦	باريس ١٨٧
الباقي ١٣١، ١٣٣، ١٤٤، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٣٧	بقر ١٦، ١٦٧، ٢٩٦، ٢٩٧
٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٩٠، ٣٠٤، ٣١٧، ٣١٨، ٣٤٥	بورردور ٣٦٠، ٣٦١
٣٩٩، ٤٣٠	ت
بايزيد ٣٠٥	التأويل ٣٠، ٤٣٤
البحر ٤٩، ٦٥، ٨٣، ١٠٠، ١٦٩، ١٧١، ١٧٩	التابع ٢٤٩
٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٨	التابعين ٤٧٥
٢٧٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٢٠	التاريخ ١٠، ١٨، ٣٤، ٢٤٢، ٣٠٥
٣٦٠، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٢٩، ٤٤٠	

التجرد	٤٠٣، ٢٥٥، ١٩٢، ١٢٥	التكليف	٣٧٠، ٣٥٩، ١٨٨، ١٦٩
التخالف	٣٠٨، ٢٩٦	التلقيح والتولد	٣٩٨
التدبير	٤٦١، ٣٨٦، ٣٠٢، ٧٩، ٦٤	التواضع	٤٠٢، ٣٦٨، ٣٢٥
التدليس	٧٧	التوافق	٤٢٧، ٣٠٨، ٢٩٦، ١٢٣، ٩٩، ٣٥
التراب	٣١٩، ١٨٣، ١٧٢، ١٣١، ١١٧، ٥٩، ٣٩	التوت	٢١١
٣٣٤، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٥٦، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٢٨		التوحيد	١٤، ٢١، ٢٢، ٣٨، ٣٩، ٥١، ٥٣، ٥٥
٤٢٩، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٦			١٧٧، ١٧٢، ١٢٧، ١١٥، ٨٩، ٧٨، ٧٢، ٦٤، ٦٢، ٥٦
التربية	٣٩٨، ٣٠٢، ٢٢٨، ٧٩، ٦٤، ٢٦، ١٢		١٨٣، ١٨٥، ٢٢١، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣٢١
الترك	٢٧٣، ٢٢٦		٣٣٨، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٩٢، ٣٩٣
التزكية	٤١٧، ٣٧٠، ٢٦		٣٩٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢١
التزيين	٣٣٢، ٣٣١، ٣٠٧، ٢١٤، ١٠٩، ٨٢، ٦٦	التوراة	٤٥٢، ٤٤٦، ٤٣٩
٣٧٣، ٤٣٨، ٤٦٠			٢٣٥
التساند	١٢٤، ١٢٢، ١٢١، ٩١، ٦٤، ٦٣، ٤٣، ٢١	التوكل	٤٤٦، ٤٤٥، ٣٩١، ٣٨٨، ٣٥٥، ٣٤٤
١٣٥، ١٩٠، ٢٣٣، ٢٧٢، ٢٩٩، ٣١٦، ٣٣٩		التين	٤٢٨، ٣٦١، ٣٥٦، ٣٣٩، ٢٧٣، ٢٦٤، ٥٧
التسييح	٤٥٣، ٤٣٧، ٣٧٥، ٣٦٩، ٣٣٤، ٢٧٠	تجليات الأسماء الحسنى	٢٤٧، ١١٧، ٩٥
٤٦٣، ٤٦٥		تشريك المساعي	٢٥٥
التسليم	١٣٤، ١٢٨، ١٢٥، ١٢١، ١١٨، ٣٥، ٣١	تلاحق الأفكار	٣٠٤
١٣٥، ١٩٣، ٣٢٠، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٩١		تلاميذ المدنية	٣٥٣
التصوير	٤٦١، ٤٤٥، ٣٣٢، ٢٣٠	تلميذ القرآن	٢٧٠
التعاون	٢٣٣، ١٩٠، ١٨٥، ٩١، ٦٣، ٦٢، ٤٣، ٢١	ث	
٢٦٩، ٢٧٣، ٣١٦، ٣٤٤، ٣٨٣، ٣٩٧		ثعبان	٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣
التعطيل	٣٢٤، ٣٠٠، ٢٤٣	الثمرة	٦٤، ٨٢، ٩٧، ١٣٦، ١٨٢، ١٩٤، ٢١٢
التعليم	٤١٧، ٣٦٤، ١٢		٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣٠٩، ٣٢٥، ٣٣٦
التفاح	٤٣٦، ٤٢٨، ٣٢١، ١٨٢		٣٥٠، ٣٨٦، ٤٣٥، ٤٣٦
التفكر	٣٠٧، ٢٦٩، ٢٥٨، ٢٥٦، ٢٢٣، ١٤٥، ٨٣	الثواب	٢٦، ٢٩٢، ٣٦٨
٣٩٧، ٤١٨، ٤٤٦		ج	
التقوى	٣٠١، ٢٧٣، ١٨٨	جبل آارات	٢٣٠
التكبر	٤٤٦، ٣٢٥، ٢١٥	الجاموس	٣٠٣
التكرار	٣٩٣، ٨٦، ٨٥	الجيال	٧، ١٧، ٦١، ١٢٤، ١٣٢، ١٧٠، ١٨٩
التكلف	٢٤٣، ١٩٢		٣٠١، ٣١٩، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٨١، ٣٩٥
			٤٤٨

الجدال ٣٤٤	الجواد ٤٣٧، ٢٧٥، ٢١٥، ١٤٥
الجرائد ٣٠٥، ٢٢٩، ١٨٦	الجواهر ١٢٣، ١٦٤، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٦٣، ٢٨١، ٤٤٥، ٣٧٢، ٣٤٥، ٣٤٣، ٣٤١، ٣١٦، ٣٠٨، ٢٨٦
الجزء الاختياري ٣٦٧، ٢٩٧، ٢٠٤، ٢٠٣، ١٧٦	الجود ٦١، ٢٠٤، ٢١٥، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥٠، ٤٠٣، ٤٥٣، ٤٢٩، ٤٠٥
الجزء والكل ٣٠١، ٢٤٦، ١٩١، ١٢٥، ٥٨	الجوز الهندي ٢٥٥
الجزئي ١٠٥، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٨٣	الجوشن الكبير ٣٧٤، ٣٣٨
٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٩١	جناية ٣٧٥، ٣٥٠
٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٦٤	جهنم ١٨، ١٨٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٦٨، ٢٩٦، ٣٦٤، ٤٢١، ٣٦٧
الجزئي والكلي ١٥٩، ٥٨	جبل سُبْحَانَ ٢٣٠
الجزيرة ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٠	ح
الجسد ٣٦، ١٣٨، ٣١٧، ٣٢٢، ٤٢٠	الحاجة ٨، ٩، ٦٢، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٨٧، ١٩٦، ٤٦٣
الجلال ٣٩، ٥٥، ٦٦، ١١٨، ١٢٩، ١٦٢، ١٦٩	الحافظة ١٢٦، ١٨٤، ٣٣٣، ٣٩٨، ٣٦٦، ٢٥٤
٢٤٠، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٩٠، ٣٠٧، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٧	الحاكمية ١٠٣
٤٦٣	الحلس ١٢٥، ١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٣، ١٦٠، ١٩٢، ٢١٥، ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٢٠
الجمادات ١٥٣، ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٤١، ٤٦٤	الحديد ٥١، ٥٩، ١٥٩، ١٧٢، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٧٤، ٢٨٦، ٣٣٤، ٣٨٢، ٣٩٥، ٤٢٠
الجماعة ١٦، ١٨، ٧٨، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٤، ٢٠٦	الحرص ١٦، ١٣٥، ١٦٥، ١٦٧، ١٧١، ٢٢٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣
٢٧٨، ٢٦٢، ٢٠٨	الحرف التبعية ٢٤٩
الجمال ٤٠، ٤١، ٤٤، ٨٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥	الحريز ٦٢، ٢٣٨، ٤٢٨
١٠٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٩، ١٤٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٢	الحسّ ٢١٥، ٢٦٨، ٢٧١، ٣٩٥
٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥٣	الحسد ٣٦٨
٤٠٥	الحسن ٨٠، ١٢١، ١٢٩، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣٠٧، ٣٣١، ٤٤٣، ٤٤٤
الجميل ٨١، ٣٢٦	٣٦٧، ٣٦٨، ٤٢١، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٦٠
الجن ٧٣، ١١٩، ١٣٤، ١٩٤، ٢٥٥، ٢٩٧، ٣٣١	الحسنة ٣٧، ٨٠، ٨٣، ٣٠٧، ٣٦٤، ٣٧٥، ٤٣٥
٣٣٢، ٣٧٢، ٣٩٨، ٤٦٩	الحشر ٦٠، ٩٥، ١٠٢، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣
الجنة ٤٠، ٤١، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٩٤	
١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٧٠، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٢٢	
٣٤٥، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٢، ٣٨١، ٤٣١، ٤٣٢	
٤٤٣، ٤٤٣	
الجهاد ٢١٦، ٣٦٤، ٣٦٥	
الجهل ٨، ٩، ١١، ١١١، ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٦٤	
الجو ٩٠، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٨١	

٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٢٠، ٤٠٥، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٢٥، ٢٨٦، ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٢٤، ٢١١، ١٣٤، ١٣١، ٣٣٥، ٣٥٢، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٨٥، ٤٥٣، ٤٦١	٤٤٩، ٤٤٦، ٤٤٠، ٤٣٦، ٤٢٣، ٣٩٩
الحكيم ٨٨، ٧١، ٦٦، ٦٣، ٦٢، ٥٦، ٥١، ٣١، ١٨	الحضارة ٢٠٧
١٧٢، ١٤٤، ١٢١، ١١٩، ١١٤، ١١٣، ١٠٥، ٩٨، ٨٩، ١٧٩، ١٨٦، ١٩٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٦٩، ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٥٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٣، ٣٨١، ٣٧٨، ٣٧٢، ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٧، ٤٦٦، ٤٦٣، ٤٦٢، ٤٦١، ٤٥٩، ٤٥٨	الحفيظ ٣١٧، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٠٤، ١١٤، ١١٣، ٣٥٩، ٣٥١
الحمية الإسلامية ٢١٦	الحفيظية ١١٠، ١٠٣
الحمة الجاهلية ٣٠٥	الحق ١١٧، ٧٨، ٧٧، ٧٥، ٧٣، ٤٢، ٣٣، ٢٢، ١٣٣، ١٥٥، ١٩٣، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٨، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٤٤، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٤، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٤١، ٤٦٠، ٤٦٢
الحنطة ٢٩٦	الحقائق ٨٩، ٨٠، ٥١، ٤٧، ٣٩، ٣٦، ٢٢، ١١، ٩٣، ١٠٣، ١٠٦، ١١٣، ١٢٠، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٤٢، ٢٧٦، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٥٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٣٥
الحنفية ٤٣	الحقائق الإيمانية ٣٣٩، ٣٢٦، ١٩٦، ١٦٤، ٩٣، ١١، ٦، ١١٣، ١٠٦، ١١٤، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٣٨، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١١١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٦٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٩١، ١٩٣، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٦٤، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧٣، ٣٨٨، ٤٠٢، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٤١، ٤٢٢، ٤١٦، ٤١٥
الحوار العن ١٥٥	الحكام ٤١٣
الحياة ٥٧، ٥٦، ٤٣، ٣٥، ١٧، ١٦، ١٣، ١٢، ٧، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٧٤، ١٠٦، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨، ١٣١، ١٣٦، ١٤٥، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٦٤، ٤٦٥	الحكمة ٨٧، ٨٦، ٨٤، ٧٤، ٦٣، ٥٥، ٤٩، ١٥، ٨٩، ١٠٣، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١٢١، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٧، ١٧٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٣٢، ٣٥٠
الحي القيوم ٤٠٦، ٤٠٢، ٣٧٢، ٣٦٣، ٢٨٣، ١٣١	
الحية ٣٦٢	
الحيلة ١٨٨، ٧٧، ٧٦	
الحيوان ٢٢٣، ٢١٩، ٢١٧، ١٦٩، ١٥٥، ١٩	



٢٢٥، ٢٤٧، ٢٨١، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٩	د
٣٥١، ٣٥٤، ٣٦٩، ٤٠٤، ٤١٨، ٤٣٣، ٤٦٣، ٤٦٥	الدجاجة ١٦، ١٦٧، ٢٧٣
٤٦٦، ٤٦٦	الدعاء ٨٥، ٩٤، ١٧١، ١٨٣، ٢٠٠، ٣٦٦، ٣٩٤
٢٥٠، ٢٤١، ٢٠٨، ١٨٦	حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٣٤، ٤٦٥
٣٩٦	الدقة ٧٧، ١٠٣، ١٠٨، ٣٥١، ٣٦٨، ٤٠٦
حقائق الأشياء ٧٧	الدلائل العقلية ١٢٠، ٢٤٨
خ	الدلالة الالتزامية ٣٩٣
الخالق ١١، ٣٥، ٤١، ٨٣، ٨٨، ١٠١، ١٤٩، ١٧٤	الدليل ٨٧، ١٠٩، ٢٢٧، ٣١٨، ٣٣٣، ٤١٧، ٤١٨
٢٩٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٩١	٤١٩، ٤٢٢
٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٠	الدم ١٠، ٣٤
٤٦٦	الدنيا ٩، ١٢، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٣، ٣٣، ٤١، ٤٢
الخالقية ١٥٠	٦٠، ٧٨، ٧٩، ٨٥، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١١
الخدمة ٢١٦، ٢٧٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٦٣، ٣٦٨	١١٢، ١١٨، ١٣٣، ١٤٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣، ١٨٤
٤٦٧، ٣٩٧	١٨٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٣
الخرافيون ٤١٣	٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٧
الخردلة ١٢٦، ١٨٤، ٣٣٣، ٣٣٩	٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤
الخطبة ١٨٨، ١٨٩	٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥
الخطيب العمومي ١٨٦	٢٧٦، ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥
الخلافة ١٦١، ٣٩٢، ٤٠٢	٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٩، ٣٢٢
الخلق ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٨٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١١	٣٢٣، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧
١١٣، ١٣٣، ٢٢٨، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٣٥	٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧
٣٤٢، ٣٤٧، ٣٧٤، ٣٧٩، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٩	٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤١٧، ٤٢٨
٤٣٧، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦١	٤٣١، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٩
الخوف ٧٥، ١٧١، ١٩٧، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٢	الدهريين ٣٢٥
الخيال ٣٧، ٧٧، ١٣٧، ١٩٢، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٨٣	الدود ٦٢
٣١١، ٣٢٠، ٣٩٠	الديك ٢٧٣
الخبر ٣٣، ١٤٥، ٣٢٣، ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٦٩	الدين ١٢، ٤٨، ٨٦، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٦
٣٧٩، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤١٧، ٤٣٧، ٤٤٧	١٨٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٨٦
خجل ٧، ٦٠، ٧٦، ٢٢٨، ٢٥٤، ٣١٤، ٣٢٦، ٤١٣	٣١٢، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٦
٢٠٨، ٢٣٢، ٢٥٨، ٣٦٨	الدينية ١٠، ١١، ١٢، ٢٣، ٤٢، ٤٣، ١٨٧، ٢٠٧

٣٩٦، ٣٨٨، ٣٨٧، ٣٧٤، ٣٥٧، ٣٥٤، ٣٤٧، ٣٤٢	دليل الاختراع ٤١٨
٤٥٠، ٤٤٩، ٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٣، ٤٣١، ٤٠٥، ٤٠٢	دليل العناية ٤١٨
٤٦٧، ٤٦٥، ٤٦١، ٤٥٩، ٤٥٣	دم ٢٦٧
الرحمن ٢١، ٤١، ٦٢، ٩٣، ١٠٩، ١٢٨، ١٤٦، ١٤٩، ١٦٤، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٣٤، ٢٧٧، ٣٣٢، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٣، ٤٣٩، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٣	ذ الذئب ٧٢، ٨١، ٣٢٦ الذاتي ٦٦، ٨٠، ١٢٩، ١٤٤، ١٨٣، ٣٤١، ٣٦٨
الرحيم ٤١، ٧٩، ٨٥، ١١٤، ١٢٨، ١٤٦، ١٩٦، ٢٨٠، ٣٢٤، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٨٧، ٤٣٧، ٤٥٩، ٤٥٨	٤٠٧، ٤٣٧ الذئبة ٥٨، ١٥٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٣، ١٩٩، ٢١٥، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٢، ٣٤٨، ٣٤٣، ٣٥٤، ٣٨٤
الرزاق ٤١، ١٤٩، ١٦٨، ١٦٩، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٦٠	٣٨٧ الذرات ٥٧، ٦٢، ٦٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٩، ٢١٢، ٢١٨، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٠٢، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٩٢، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٨، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٩
الرزق ٦٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٦٨، ١٦٩، ٢٧٥، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦٥، ٣٨٥، ٤٤١	الذكر ٧٢، ٧٤، ٨٥، ١٦٨، ١٨٥، ١٩٧، ٣٦١، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٦٣
الرسالة ١٥، ٢٢، ٣٦، ٥١، ٥٣، ٦٩، ٧٣، ٨١، ٨٩، ٩١، ٩٥، ١٠٠، ١١٥، ١١٦، ١٤٥، ١٥٥، ١٧٩، ١٩٧، ٢٢١، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٣، ٣٢٩، ٣٧٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٦	الذهب ٢١، ٢٤٦، ٤٤٥ ذمي ٢٧٢
الزمان ١٣٩، ١٩٥، ٢٧٤، ٢٧٦، ٤٢٨، ٤٣٣، ٤٥٣	
الرواة ٧٢، ٤٣٤	
الروح ١٢، ١٥، ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٩، ١٤١، ١٤٦، ١٥٤، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٥٩، ٤٢٣	الرؤيا ٣٢٠ الراحَةُ ١٧٥، ٢٧٤، ٣٩٩
الرياء ٦، ١٧٦، ١٨٥، ٢١٦، ٣٠٥، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٦٤، ٤٤٦	الربوبية ٣٣، ٣٤، ٥٥، ٧٥، ٨٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٣٤، ٢٤٢، ٢٩١، ٣٠٧، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٧٤، ٤٠٠
رُخْصَةٌ ١٥٢	٤٠٢، ٤٢١، ٤٥٠، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٧
رسائل النور ١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٤٨، ٤٩، ١٤٣، ٣٧٦، ٤٢٩، ٤٢٦	الربيع ١٣، ٦١، ٩٩، ١١١، ١٣١، ٢١١، ٢٦٤، ٣٣٣، ٣٥٢، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٥٣، ٤٥٦
روتكن ٢٤٦، ٣١٨	الرحمة ٤١، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ١٠٤، ١٠٧، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٢٨، ١٤٦، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٦٧، ٢٧٩، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣١١، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٥

السلف الصالح ١٢	ز	الزُّبُور ٨١
السلوك ٤١٧، ٣٩٧، ٣٣٥، ٤٧، ٢٣		الزجاج ٥٧، ١٤٠، ١٦٥، ١٩١، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٢، ٣٨٩، ٣٨٤
السما ١٧، ٧٨، ٨٩، ٩٠، ١٢٢، ١٣٥، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٥، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٨٤، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٣٠، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٦١		الزحمة ٢٧٤
السمع ٤٤٧، ٤٢٠، ٣٩٨، ٣٣٩، ٢٨٥، ١٩٣، ١٦٨		الزمان ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٤٨، ٧٣، ٧٦، ٩٠، ٩٨، ١١٦، ١٧٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢٥٨
السمك ٣٠٨، ٢٩٦، ٢٧٨، ٢٦٩، ٢٣٥، ١٢٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٣٣		الزهر ٢٩٥، ٣٠٢، ٣١٢، ٣٢١، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٤
السنة النبوية ٤٣، ١٦		الزنابير ١٩٥، ١٦٤، ٩٣
السُّور ١٦٧، ١٦		الزهرة ١٠٩، ١٥٥، ١٦٠، ١٩٤، ١٩٨، ٢١٦
السفسطائي ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٥٤، ١١٣، ١٠٣، ٦٠، ٣٤٠		الزوال ٧٣، ١٠٤، ١٤٤، ١٦٦، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٧
السيئة ٣٦٤، ٣١١، ١٦٩، ٧٥		الزيتون ٤٦٤، ٤٣٣، ٣٥٦
السياسة ٣٥٥، ١٨٨، ١٨٧		س
سهل ٤٤٥، ٤٢٧، ٣٤١، ١٧٢، ١٣٦، ١٣٥، ١١٠		الساسة ٤١٣
سوء الظن ١٣٨		السالية الكَلْبِيَّة ٢٩٩
ش		السر ١٣٤، ١٦٥، ١٨١، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٣٤
الشافعي ٣٩٦، ٣٠٩، ٢٣٥، ١٠، ٨		السرمدية ٥٧، ٦٥، ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ٤٣٧
الشام ٣٦١، ٣٦٠		السعادة ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ١٠٧، ١١٤، ١٢٠، ١٨٧، ١٨٨، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٥٧، ٢٧٨، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٩٧، ٤٣٤
الشجرة ٢١٢، ١٨٢، ١٣٩، ٩٧، ٩٣، ٦٤، ٥٩، ١٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٨٢، ٢٩٠، ٣٠٤		السعادة الأبدية ٧٨، ٧٩، ١٠٧، ١٤٦، ١٨٧، ٢١٣، ٢٥٧، ٢٨٩، ٣٩٧
٣٢٥، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٠٢، ٤١٦، ٤٣٦، ٤٥٣		السعادة الدنيوية ٧٧، ١٨٨، ٢٨٩
الشخصية المعنوية ٢٠٨		
الشرك ٣٩٧، ٤٠٠، ٣٩٦، ٣٦٣، ٣٢٣، ٣٤		
الشرك ٣٠٠، ٢٩٧، ٢٩٦، ١٨٥، ١٧٢، ١٦٨، ٩٧، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٩٩		
الشرك الخفي ٣٠١، ٣٠٠، ٢٦٢		
الشريعة ٤١٥، ٤١٤، ٢٩٨، ١٨٨، ١٦٩، ١١٩، ٩٣		

ص	الشريعة الإلهية ٤١٥
الصحابة ٣٣١، ٣٧٠	الشريعة الفطرية ١٦٩، ٢٢٥، ٤١٤، ٤١٥
الصدى ١٩٣	الشعائر ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٥، ٢٠٨، ٣٧٦
الصراط المستقيم ١٩٥، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٧١، ٣٩٤	الشعر ٣١، ١١٠، ٢٦٥، ٣١٩، ٤٥٣، ٤٥٥
الصراع ٤٣، ٣٧	الشعراء ٤٤، ٣٢٠، ٣٦١
الصلاة ١٣، ١٩، ٢٢، ٤٣، ٥٤، ٧١، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٠١، ١١٣، ١٤٩، ١٧٠، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٠، ٣٢٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٣٤، ٤٣٥	الشعور ١١، ٦٣، ٨٢، ١٣١، ١٦٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢١٥، ٢٤٨، ٢٩٩، ٣١٩، ٣٨٥، ٤٠٦
الصمدانية ١٥، ٥٥، ٧٤	الشفافية ١٢٥، ١٥٩، ١٩١، ٢٥٥
الصنعة الإلهية ١٨٣، ٢٥٤	الشفقة ٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٤١، ١٤٢، ١٩٨، ٢٣٧، ٣٧٠، ٣٨٩، ٤٣٦
الصين ٢٦٣	الشك ٣٨، ١٧٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٩٩
ض	الشكر ٢٠، ٧٤، ٨٢، ٩٧، ١٠٤، ١٩٤، ٢٠٥، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٤٢، ٣٠٤، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٩٨، ٤٠٢
الضالون ٧٨، ٢٥٧، ٣١٢، ٣٥٣	الشمس ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٥، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٤، ١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨، ١٩٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٧١، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٢، ٤٦٦
الضرب ٧٢، ٨١	الشُّهْب ٣٣٢
الضلالة ٨، ١٦، ٤٨، ٥٦، ١٠٠، ١٦٨، ١٨١، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٧، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٩، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٣، ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٣٥	الشهرة ٦، ١٧٦، ٣٠٥، ٣٥٥
الضياء ٦٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٧، ١٧٢، ٢١٢، ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٧٧، ٢٨٢، ٣٠٠، ٣٣١، ٣٨٦، ٤٢٣، ٤٤١، ٤٥٤	الشوق ٧، ٢٣، ١٩٢، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٢٨، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٧٤، ٣٩٤
ط	شرك الأسباب ٣٠٠
الطاعة ٢٠٨، ٣٧٤، ٣٩٩، ٤١٩	شطحات ٤٢١
الطاغوت ٢٠، ٢٢٥، ٢٨٩، ٣٢٥	شمس الشمس ٢٣٤، ٢٣٥، ٣٠٤
الطبيعة ٢٠، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٥٩، ٦٠، ٩٠، ٩٧، ١٨٩، ١٩٧، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣١٢، ٣٩٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٧، ٤٤١	
الطبعين ٢٩	
الطريقة ١٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٣٤٢، ٤٧٦	
الطور ٣٤٩، ٥٣	

الطير ٢٧٦، ٢٤٣، ٢٣٥، ٢١٨، ١٨٣، ١٧٤	٣١٤، ٣٣٥، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٩٨، ٤١٣، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٦، ٤٦٦
الطيور ٤٢٧، ٢٩٩، ٢٧٦	
طلاب النور ٣٧٦	العدالة ٢١، ٧٩، ٨٩، ١٠٣، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ٢٣٣، ٣٥٠
طور القفل ٣٥٠	
طير همائي ١٨٢	العداوة ١٦٥
ظ	العدل ٣٣، ١٥٦، ٢١٥، ٣٦٤، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٥٩
الظاهر ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٠٠، ١٧٤، ١٣٢، ١١١، ٧٥	العلم ٤٠، ٦٥، ٧٤، ١٣٣، ١٤٤، ١٦٥، ١٨٤، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٥٥
الظبي ٣٢٦، ١٦٩، ٧٢	العذاب ٢٠، ١٣٧، ١٨٥، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٤٦٢، ٧٢، ١٦٩، ٣٢٦، ٤١٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٥٥
الظلم ٢١٦، ١٨٤، ١٨، ٩	العرش ٧٩، ٨١، ٨٣، ١٣٤، ٢٠٠، ٢١٤، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٢٧، ٣٥٢، ٣٦٧، ٤٠٤، ٤٢٩، ٤٥٠، ٤٦٢، ٤٥٢
ع	
العادات ٤٥٩، ٣٢٠، ٣١٩، ١٦٦، ١١	العزة ٥٥، ٥٦، ١٠٤، ٢٧٨، ٤٤٥، ٤٤٩
العاذل ٤٥٩، ٢١٥، ١٦٠، ١٥٦، ١١٤، ١١٣، ١٠٥	العشق ٥، ٦، ١٢١، ١٢٩، ١٥٦، ٣٠٧، ٣٣٥، ٣٥٠، ٤٢٠، ٤٦٣
العاديّات ٣٢٠، ٣١٩	العصية ٢١٦
العالم الإسلامي ٢٠٧، ٢٠٦، ٩٣، ٨٦، ١٠، ٦، ٥	العصر ٦، ١٠، ١٢، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٧٨، ٧٦، ٨٠، ٢٠٨، ٢٣٣، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠
العجب ٢٦٦، ٢٣٧، ١٣٨، ١٣٧	العقيق ٤٤٥
العجز ٢٦٩، ١٥، ٧٤، ١٥٠، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٦٩	العلة ١٩٨، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٩٦، ٤١٥

العلماء	٤٩، ٩٣، ١٧٧، ١٨٩، ٢١٦، ٤١٠
العلوم	١٦، ٤٩، ٥٦، ٨٧، ١٦٥، ١٨٨، ٢١٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٣٤٣، ٣٩٥، ٤١٦، ٤١٨
العالم الضياء	٢٤٦
العالم الطيور	٢٧٦، ٤١، ٧٩، ٨٨، ١١١، ١٤٧، ٢٥٤، ٢٩٦
عالم الغيب	٢٣، ١١٩، ٢٤٢، ٢٩٥، ٣٥٠، ٣٩٤، ٤٠٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٧
العمر	٧٧، ١٠٤، ١١٧، ١٦٦، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٢
عالم الكهرباء	٢١٣، ٢١٩، ٣١٧، ٣٢١، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٩٠
العمل	٣٢، ٢١٩، ٢٧٣، ٢٩٩، ٣٣٧، ٣٦٤، ٣٦٥
عالم الملكوت	٢٩٥، ٣٦٨، ٣٦٩
العناية	٦٣، ١٠٣، ١١٢، ١١٤، ١٢٨، ١٨٨، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٠٤، ٣٢٥، ٤١٨، ٤٥٩
العنب	١٢٥، ١٩٢، ٢١٥، ٢٩٦
العندليب	٢٤٢، ٤٦٣، ٤٦٥
العنكبوت	١٣٠، ٢٧٥، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٩، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٤٤، ٤٦٤
العين	٤٣، ٦١، ١٢٣، ١٥٥، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٧، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٦٣، ٢٩٩، ٣٠٢، ٤٤١
عالم الآخرة	٢٩٠
عالم الأثير	٢٤٦
عالم الأمر	٢٢٤
عالم الإسلام	٦، ١٠، ٨٦، ٩٣، ١٦٤، ١٧٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٩٨، ٣٧٦
عالم الإطلاق	٢٩٢
عالم الإنسان	٧٥، ٨٢، ٨٤، ٢٧٦، ٣٧٢، ٣٩٠
عالم البرزخ	٣٥٩
عالم البقاء	١٠٩، ٣٤٤
عالم الجاذبة	٢٤٦
عالم الحرارة	٢٤٦
عالم السماء	٢٩٢
عالم الشهادة	٨٤، ١١٠، ١١٩، ١٢٠، ١٦٤، ١٨٤
عالم الكفر	٢٠٦
عالم الممكّنات	٢٤٥
عالم الهواء	٢٤٦
عالم البقطة	٣٦٦
عشائر	١٢، ٢٠٦
عقارب	١٨٧، ٢٨٩، ٣٧٠
علوم الإيمان	٢١٩
غ	
الغذاء	٨٥، ١٨٧، ١٩٣، ٢٣٤، ٢٧٣، ٤٦٣
الغرور	٢٣، ٣٣، ١٣٨، ١٨٥، ١٩٥، ١٩٦، ٢٦٦، ٣٠٠، ٣٦٣، ٤٣٢، ٤٤٦
الغفلة	٢٠، ٩٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٦٨، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٥٢
الغنم	١٣٩، ٢٢٧، ٣٩٩
ف	
الفاسق	١٧٤، ٢٧٣، ٢٧٧، ٣٦٢
الفاطر	٥٧، ٨٣، ١٠٤، ١٩٨، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٧

القدرة ٣٨، ٤٠، ٤١، ٥٥، ٥٦، ٦٣، ١٠٩، ١١٧،	الفخر ٣٦٤، ٣٦٣، ٣٣٦
١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٣،	الفرائض الدينية ٢٠٧
١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢،	القَرَّاش ٣٩٥، ١٩٦، ٧٧
١٩٣، ١٩٧، ٢١٢، ٢٢٩، ٢٦٧، ٢٨٤، ٢٩٧، ٣٠٢،	الفرس ٣٥٢، ٢٤٢، ١٧٣
٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٧٤،	الفرض ٣٨٩، ٣٢٣، ٢٤٦، ٢٢٤، ٢١٥، ١٢٧، ٥٨
٣٨٧، ٣٩٠، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٨،	الفرنك ١٨٦، ١٨
٤١٩، ٤٢١، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧،	
القدرة الإلهية ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩،	الفطرة ١٦، ١٢٠، ١٣١، ١٣٣، ١٦٧، ٢٠٣، ٢٥٥،
٢٥، ٥٨، ٧٩، ٨٩، ١٠٠، ١٢١، ١٣١،	٢٧٥، ٢٩٧، ٣٧٤، ٤٠٤، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٠،
١٤٣، ١٤٧، ١٦٧، ٢١٤، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٧٤، ٢٩٧،	الفعالية ٦٢، ٩٩، ١٣٠، ٢١٥، ٣٠٩، ٣٩٠، ٤٥١،
٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤٣١،	الفاعل ٦٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٨٤، ٢٦٥، ٢٩٧،
٤٣٢، ٤٦٠، ٤٦٧،	٣٥٠، ٣٥٦، ٣٦٥، ٣٩٠، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٦٣،
القرآن ٩، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٤،	الفلاسفة ٤٧، ٨٩، ٩٠، ١٣٩، ١٧٥، ٢٠٦، ٣١٢،
٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٦،	٣٢٥، ٣٤٤، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٧٦،
٦٦، ٧١، ٧٤، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠،	الفلسفة ٧، ١٥، ٤٨، ٨٦، ٩٠، ٩١، ١٢٨، ١٤٦،
٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٣٥، ١٦٣،	٣٢٤، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٧١، ٤٤٥،
١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٤،	
٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢١،	الضم ١٢٦، ١٩٣، ٢٧٩،
٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٢،	الفناء ٢١٣، ٢٢٦، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٨٨، ٢٩٦،
٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨،	٣١٨، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٨٨، ٤٢٣،
٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨١،	الفيل ١٦٠، ٢١٥، ٣٠٣، ٣٠٥،
٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣،	فاس ٢٦٣
٣١٤، ٣١٥، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣٢،	فحم ٤٣٠
٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥١،	
٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧،	ق
٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤،	القابلية ١٩٧، ٢٥٦، ٢٩٧،
٤١١، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٤،	القيح ٨٠، ٣٦٧، ٤٣٧، ٤٤٢،
٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٢،	القبر ٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٣٥،
٢٣٦، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٠، ٣١٠، ٣٥٥، ٣٥٨،	٣٦٠، ٣٦٣، ٤٠٣،
٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣،	القدر ٤٣، ٤٤، ٩٨، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٤،
٢٨، ٣١، ٤٨، ٧٥، ١٣٤، ١٤١، ١٦٤،	١٥٦، ٢١٤، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٥١، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٩٤،
١٦٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨،	٤٠٤، ٤٣٧، ٤٥٩،
٢٠١، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٤،	القدر الإلهي ١١٦، ٣١٧،

٣٠٣، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٣، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٠، ٣٩٠، ٣٥٢، ٣٢٢، ٣١٥، ٢٩٤، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٥٧	
٣٣١، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣١٧، ٣١٠، ٣٠٨، ٣٠٦	٤١٠، ٣٩٨
٣٧٢، ٣٧٠، ٣٥٦، ٣٤٦، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٣٦، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٠، ٣٢٦، ٨٥، ٧٧، ٧٢، ٦٣، ٦٢	القمر
٤٠١، ٤٠٠، ٣٩٧، ٣٩٥، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٨٠، ٣٧٤	٤٥٢، ٤٤١، ٤٤٠، ٣٩٥، ٣٥٤، ٣٥١، ٣٤٩، ٣٤٨
٤٠٢، ٤٠٧، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢	القهار
٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٦	٤٥٧، ٣٩٢، ١٤٥
الكافر ٩٧، ٩٨، ١٦٥، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧، ٣٤١	القوانين
٣٧١، ٣٩٥، ٤٣٥	٤١٨
الكبائر ٣٦٥	القوانين الاعتبارية
الكبريت ١٨٨	٤١٥، ٤١٤
الكتاب المبين ١٦٠، ١٦١، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٧٥	القوة
٢٧٧، ٣٩٤، ٤٥٨	٢١، ٨٢، ١٨٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٣٤، ٢٧٢
الكنزة ٦٤، ٦٥، ٨٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٧، ١١٠	٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٩٦، ٤١٣، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٥١
١٢٤، ١٣٥، ١٨٩، ١٩٧، ٢١٠، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٢	القوة البهيمية
٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٩٩، ٤٠٠	٣٢٤
الكذب ١٨٨	القوة الجاذبة
الكرامة ٢١٧، ٢٤٠، ٣٦٩	٤١٣
الكرم ١٠٤، ١٠٥، ١٧٩، ٢١٧، ٤٤٤	القوة الدافعة
الكريوات الحمراء والبيضاء ٢٦٧	٤١٣
الكريم ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٤١، ٤٣	القوة الغضبية
٤٤، ٦٢، ٧٩، ١٠٧، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ٢٠٣، ٢٠٥	٣٢٤
٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٣٠٤	القياس
٣١٤، ٣١٥، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٢	٤٣٩، ٣٨٩، ٣٠٣، ٢٣٩، ١٩٩
٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٤	القيامة
٤١١، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٧	٥٤، ٩٢، ٩٤، ١١٠، ١٦٣، ٢١١، ٢١٣
٤٥٢، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٧	٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٨٥
الكمية ١٧٠، ٣٠٥	٤٣٦، ٣٩٩
الكنفار ١٨، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٣١	القيوم
٤٣٥، ٤٤٤	١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣٧٢
الكنفر ٧، ١٨، ٢٠، ٣١، ١٦٥، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٧	٤٤٢، ٤٠٦، ٤٠٢
٢٠٦، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٦٧، ٢٧١، ٣٠٠، ٣٥٦	قَلَمُ الْقَدْرِ
٣٦٧، ٣٧٤، ٤٣١	٢٢٨، ١٦١
	ك
	الكائنات
	١٤، ١٥، ١٩، ٢٥، ٤١، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨
	٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ١٠٠
	١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١١١، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩
	١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
	١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧
	١٤٨، ١٥٠، ١٦٧، ١٧١، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٢
	١٩٣، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٦
	٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٤



الكلام	٣٢، ٣٦، ٩٢، ١١٨، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧،
لازم اللازم	٢٤٩
لذائذ	١٦٣، ٢٠٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٩٣، ٤١١،
٤٠٦، ٣٤٣	٤١٥، ٤١٧، ٤٥٠، ٤٧٦
الكلب	١٦، ١٦٧، ١٩٥، ٣٩٩
الكمال	٣٩، ٦٧، ١٠١، ١٠٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠،
١٣٣، ١٣٨، ١٤٣، ١٨٥، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٧٨، ٢٩٠،	
٢٩٩، ٣٤٧، ٣٩٢، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧، ٤٢١	
الكلمات	١٠٥، ١٣٧، ١٨٣، ٣٠٧، ٣٧٢، ٤١٧،
٤٣٥	
الكهرياء	٢٤٦
الكوفة	٤٧٥
الكون	٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢١، ٢٥، ٣٤، ٣٩،
٥٦، ٥٧، ٦٤، ٧٩، ١١٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،	
١٣٢، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٦٧، ١٨٢، ١٨٦،	
٢٣٣، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٤،	
٢٩١، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٨٣،	
٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١١، ٤١٢،	
٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢١، ٤٣٠، ٤٣٦،	
٤٤٢، ٤٥٩	
كردستان	٢٠٦
كِرْزَوَان	٣٨٦
ل	
اللذة	١٦٦، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٧٥، ٣٠٧، ٣٥٣، ٣٦٩،
٣٩١، ٣٩٨، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٥١	
اللسان	١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠،
١٣٣، ١٣٤، ١٧١، ١٨٥، ٣٤٩، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤٣١،	
اللفظ	٤١، ١٩٦، ٢١٨، ٢٣١، ٤٦١،
اللطيف	٤١، ١٣٤، ٢٥٦، ٣٣٤، ٤٠٢، ٤٥٩،
اللفظ	٣٢، ٩٣، ١٦٤، ٣١٧،
الليل والنهار	٦٢، ٦٥، ٨٨، ٢٢٣، ٣٠٢، ٣١٨،
٣٧٥	٣٢٧، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٧٢، ٣٨١، ٤٣٦،
لغة المنجاة	٢٥٨
لطائف الإنسان	٤٣، ٢٨٣
م	
المؤمن	١٣٤، ١٦٥، ١٨١، ١٨٦، ٢٤٧، ٢٧٢،
٣٤١، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٩٥، ٤٣١، ٤٣٧،	
المؤمنون	٣٥، ٢٧٦، ٣١٦، ٣٧٩، ٤٤٧،
المؤمنين	٣٧، ٧١، ١٦٨، ١٧٠، ١٨١، ١٨٦، ١٨٨،
٢٠٧، ٢٣٢، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٣، ٣٩٧،	
الماء	٤٣، ٦٥، ٧٢، ١٣١، ١٤٨، ١٧٢، ١٧٥،
١٩٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٠٥،	
٣١٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٨١، ٣٩٠، ٣٩٨، ٤٠٠،	
٤٠٢، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٤٠، ٤٥٧،	
المادة	٩، ٢٢٧، ٢٨٦، ٣٧١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٨،
٤٠٥، ٤١٤، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٠،	
الماديين	٣٢٥، ٤٢٢، ٤٢٨،
الماضي	١٠، ٧٢، ٧٤، ١٤٠، ١٦٨، ٢٠٣، ٢٤٢،
٢٦٤، ٢٨٩، ٣٣٤، ٣٥٥، ٣٩٤، ٤٠١،	
المالك	١٣٨، ١٦٩، ١٧٤، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٨٣،
٢٩٧، ٣٤٤، ٣٦٨، ٣٩٩،	
المالكية	١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ٢٩١،
المتدينين	٢٢٢، ٢٧٣،
المتصوفة	٢٣، ٢٤٣،
المتكلمين	١٨١، ٢٢٢، ٣٩٥،
المجهولية	٣٣٤، ٣٥٠، ٣٩١،
المجوس	٢٧٢،
المحبة	١٩، ٨٢، ١٦٨، ٢٢٣، ٢٢٩، ٣٣٤، ٣٧٤،

المحبوبة ٢٩١	المطر ٧٢، ٨١، ١٢٤، ١٩٠، ٢٢٩، ٣٢٠، ٣٦٦
المحرر ١٨٦	المظهرية ١٧، ١٨٣، ١٩٨، ٢٨١، ٣٧٨، ٤٠٢
المحظورات ١٨٨	المعتزلة ٣٩٦
المحوية ٤٠٢، ٣٧٤، ٣٦٨، ٢٩١	المعدة ٨٥، ٣٣٧
المحيي ١٧، ١٣١، ١٩٨، ٢١٧، ٢٤٧، ٣٠٩	المعصية ٢٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٩٦
المخلوقات ٦٣، ٧٩، ٨٢، ١٠٥، ١١٠، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٧٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٨، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٤٧، ٤٤٩	المعكسية ١٨٣، ٣٠٩
المدلول الظلي ٢١٧	المعلومات الآفاقية ٢٢٩، ٣٢٤
المدنية الإسلامية ١٨٧، ٢٦٧	المعنى الاسمي ١٧، ٨٦، ١١٧، ١٧٣، ١٨٣، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٧١، ٣٩٥
المدنية السفهية ٩٠، ١٩٦، ٢٢٩، ٣٣٣، ٣٥٣	المعنى الحرفي ٨٦، ١١٧، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٩٥
المدنيين ٢٣٢، ٣٣٩، ٤٣٣	المقابلة ٢٦، ١٢٥، ١٥٩، ١٩١، ٢٥٥، ٤٠٣
المدنية ٧١، ٧٣، ٣٦٠	المكافأة ٤، ١٠٤، ١٧١، ١٨٥، ٣٣١، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٩٨
المرتد ٢٧٢، ٤٣٥	المكروب ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٥
المرض ١٥، ٩٢، ١٦٥	الملائكة ٤٠، ٩٧، ١١٩، ١٤٤، ٢٣٣، ٢٨٣، ٣٣١، ٣٨٠، ٤٤٧، ٤٦٣، ٤٦٧
المسائل الإيمانية ١٨١، ٣٦٨	الملحنين ٢١٦، ٣٧٦
المستقبل ١١، ٧٤، ١٤٠، ١٦١، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٤٢، ٣٣٤، ٣٥٥	الملك ١٤، ٥٦، ٨٣، ١٠٣، ١٠٨، ١١٨، ١٢٠، ١٣٨، ١٤١، ١٤٧، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٩، ٤١٨، ٤٥٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣
المسلمون ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧	الممكنات ١٣٣، ١٤٤، ٢٠٠، ٢٤٥، ٣٤٨، ٣٨٥، ٤٠١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٣٧
المسلمين ١٤، ٣٨، ١٨٨، ٢٠٧، ٢٧٢، ٢٧٥، ٣٥٣، ٣٥٢	المميت ١٣١
المشتري ٧٧، ٢١٥	المنظرة ٤٨، ٢١٦
المشمش ٢١١	المنبعية ١٨٣
المصائب ٩، ١٠، ١٦٩، ١٩٦، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٦٤، ٤٢٠، ٤٢١	المنظومة الشمسية ٨٩، ٣١٦، ٤١٣
المصادفة ٤١٤، ٤١٦، ٤١٨	المنعم ١٦، ٨٣، ١٤٩، ١٩٤، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٦٢، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٠٤، ٣٦٨، ٤٠١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٣٧، ٤٥٨، ٣٠٩، ١٥٧، ١٥٥، ١٥١، ١٤٩، ٤١
المصدرية ١٨٣	
المصلحة ١٨٨، ٢٩٧	

الموازنة ٢١، ٩٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٣، ١٥٩، ١٦٤،	ن
١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٤٢، ٢٤٣، ٣٨٣، ٣٨٥،	النار ٧، ٣٣، ٤٠، ٩٤، ١١٢، ١٩٦، ٢٢٤، ٢٥٨،
٤٥٢، ٣٩٢	٢٦٢، ٣٥٣، ٣٧٢، ٣٩٨
الموت ٧، ١٣، ١١٨، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٧١،	الناقة ٣٩٩
٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٧٥،	الناموس ١٢٦
٣٩١، ٣٩٩، ٤١٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٨، ٤٣٩،	النبات ٢٨١، ٢٨٢، ٣٣٠، ٣٤٤، ٤٠٤، ٤٢٩،
الموجبة الكلية ٢٩٩	٤٣٣، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٦،
الموجد ١٤١، ٢٥٠، ٢٩٩، ٣٨٦، ٤٠٣،	النيرة ٢٢، ٧١، ٨٤، ١٢١، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٤،
الموجودات ٤٣، ٥٨، ٦٥، ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٧٨، ٧٩،	١٣٥، ١٣٦، ١٨٢، ٢٤٨، ٣٢٤، ٤٣٥، ٤٤٠،
٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٣،	النجوم ٦٣، ٩٣، ١٠٠، ١٢٣، ١٦٠، ١٦٤، ٢١٣،
١١٤، ١١٧، ١٤٨، ١٦٢، ١٨٩، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٥،	٢٢٥، ٢٣٩، ٢٦٦، ٢٨١، ٣٠٤، ٣٣٠، ٣٨٤، ٤٤٨،
٢٧٣، ٢٨٣، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨،	٤٥٤، ٤٦٢،
٣٥٦، ٣٥٧، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٠١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٣٨،	النحل ٣٩، ٥٧، ٦٢، ١٢٢، ١٢٤، ١٤٢، ١٧٢،
٤٤٤، ٤٥١، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٦،	١٨٩، ١٩٢، ١٩٩، ٢١٨، ٢٤٣، ٢٦٧، ٢٩٦، ٣٠٥،
الميزان ١١٠، ١٤٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٩١، ٢١٥،	٣٠٩، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٧،
٢٥٧، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٤،	٤٥١، ٤٦٤،
٤٥٨	النخلة ١٥٢، ١٦٠، ١٧٥، ١٩٧، ٣٤٧،
مبارزة ١٩٧، ٣٣١، ٣٣٢،	النسيان ٣٣٦، ٣٩٦، ٣٩٧،
مباينة ١٥٩، ٣٣٧، ٤٠٣،	النظام ٢١، ٦٦، ٩٢، ١٣٣، ١٤٧، ١٩٠، ٢١٥،
مجلس الأمة ٢٧، ٢٠٥،	٢٣٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٣٢، ٣٣٥،
محبة الله ١٦٨	٣٤١، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢١،
مدينة القرآن ١٨٧	٤٥٨، ٤٦٢،
مدينة الكفار ١٨٧	النظر ١٨، ١٩، ٢٧، ٤٧، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ١١٧،
مراتب ١٢٧، ١٥١، ١٧٥، ١٩١، ١٩٣، ١٩٦،	١٢٣، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٧٢، ١٨١، ١٨٣،
٢١٧، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٩٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٧،	١٨٨، ١٨٩، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٥٠،
٣٦٧، ٤٤٢،	٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣٥،
مشكلات الأخبار ٤٣٤	٣٣٧، ٣٥٠، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٣، ٤٢٢،
معرفة الله ٢٧، ٣٣، ٤٩، ٢٤٨، ٤١٠، ٤١٧، ٤٢٠،	٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٨،
مكة ٧١	النعامة ١٧٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٤٦،
	النعمة ٢٣، ١١٧، ١٥٣، ١٦٦، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٠،
	٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٨٥، ٣٠٤،
	٣٢١، ٣٣٦، ٣٦٨، ٣٨٥، ٣٩٨،

هـ	النفس ٣٩، ٣٨، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٢٩، ٢٦، ٢٥
الهداية ٢٩٤، ٢٨٩	٤١، ٤٣، ٤٨، ٥١، ١١١، ١١٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧
الهدم ٣٩٩	١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢
الهواء ٢٤٦، ٢٣٤، ١٧٢، ١٣٥، ٩٧، ٨٥، ٨١، ٥٩	١٧٤، ١٧٥، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٧
٢٦١، ٣١٩، ٣٥٢، ٣٦٩، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٨٧، ٤٠٢	٢٢٨، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٠٠
٤٠٤، ٤٣٠، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٣	٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٤٥
الهوى ٣٥٣، ٢٩٩، ٢٩٥، ٢٢٢، ١٧٢، ١٧١، ٣٣	٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٨٧، ٣٩٦، ٣٩٧
٤٦٦، ٣٩٤، ٣٨٨، ٣٧٠	٤٠٠، ٤١٤، ٤١٧، ٤٤٠، ٤٦٣
هرجاني منكشه ٤٠٢	النفع ٤٠٠، ٣٥٩، ٢٦
همة الأولياء ٤٠١	النفي ٣٩٣، ٣٤١، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٠٤، ١٨١
و	النقشبديون ١٩٧
الواجب الوجود ١٢٧، ١٢٥، ١٢٣، ١٢٠، ٦٥، ٥٨	النماز ١٧٥
١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٤، ١٤٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢	النمرة ١٦٩
٣٧٢، ٢٤٥، ٢٣١، ١٩٣	النمل ٢٩٦، ٢١٨، ٢١٥، ١٥٢، ١٤٢، ١٣٤، ١٢٢
الواحد الأحد ١٢٥، ١٢٣، ١٢١، ١٢٠، ٦٦، ٥٩	٣١٩، ٣٥٦، ٣٦٩، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٣٢، ٤٦٤
١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٥، ١٦٧	النور ١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩
١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ٢١٤، ٢٦٥، ٣٧٢، ٤١٥	٣١، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٨٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٣، ١٤٣
الواحدية ٣٣٩، ٣٣٨، ٢٨٢، ٢٧٧، ٢١٤، ٦٠	١٩١، ١٩٦، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٤٨
٣٤٠	٢٥٦، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣١٨، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٥٦
الوثنيين ١٨٤، ٤٠، ٣٥، ١٨	٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٢
الوجدان ٤١٨، ٤١٧، ٤١١، ٢٦٨، ١٢٠، ٣٩، ٢٣	٣٧٦، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٤٠، ٤٤١
٤٢١، ٤٢٠	٤٥٦، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٩
الوجوب ١٢٧، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ٦٥، ٥٩	النورانية ١٩٠، ١٣١، ١٢٦، ١٢٤، ١١١، ٩٨
٣١٨، ٢٥٥، ٢٠٠، ١٩٠، ١٨٩، ١٣٣، ١٣٠	١٩١، ١٩٦، ١٩٩، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٣١، ٣٣٥، ٣٥٠
٤٤٥، ٤٠٣، ٣٩٩، ٣٣٧	٤٠٥، ٤٤٥، ٤٤٧
الوحدانية ٤١٩، ٤١٢، ١١٣، ١١٠، ٧٨، ٦٤	النوم ٤٣٢، ٣٣٩، ٢٣٢، ٢٢٦
الوحدة ٢١١، ١٨٩، ١٨٥، ١٠٧، ٦٥، ٦٤، ١٢، ٨	النية ٤٣٩، ٣٧٠، ٣٢٥، ٣٢٣، ١٦٦، ١١٧
٢٩٦، ٢٨٢، ٢٨٠، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢١٤، ٢١٢	النيل ٢٣٠
٤٤٨، ٤٠٣، ٤٠٠، ٣٤٨، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٥، ٢٩٩	الهند ٢٣٥
٤٦٢، ٤٦١	نِعْمَةُ الْإِيمَانِ ٢٤٢، ١٤٥
	نورشين ١٨٧

الوحي	١١٩، ١٢٠، ١٣٦، ١٨٨، ٣٤٩، ٣٧٠، ٤١١، ٤١٧، ٤٥٠، ٤٥١
الوسائط	١٦، ٢٢، ٥٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٠، ١٦٧، ١٩٢، ١٩٤، ٢٤٨، ٣٨٦، ٣٩٢
الوسوسة	١٨٨، ١٦٩
الوسيلة	٢٦٢
الوصال	٢٢٦، ٢٣١، ٢٨٨
الوعد	١٠٣، ١١٠، ١١١
الولاية	١٣٤، ٢٨٥، ٣٥٩، ٣٦٩، ٤٤٠
الوهاب	١٦٢، ٣٨٦، ٤٥٨
الوهم	٣٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣٩٢، ٣٩٠
وحدة	٣٥، ٦٦، ١٢٢، ١٢٧، ١٤٣، ١٧٢، ١٨٩، ٢١٤، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٧٤، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٣٦، ٣٨٣، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٥٧
ي	
اليأس	١٣٧، ١٣٨، ٢٨٩، ٤٣٥، ٤٤١
اليراعة	٥٨، ٢٤٨
اليمن	٢٦٣، ٣٦٠، ٣٦١
اليونانيين	١٨٤، ١٨
ياقوت	٢٤٣
آدم	٤١٨
أبي الحسن الشاذلي	٨٠
أبي حنيفة	٨٠
أبي يزيد البسطامي	٨٠، ٤٧٤
ابن سمعون	٣١٠، ٤٧٤
ابن سينا	٤٧٦
الإمام الرباني	٤٧، ١٧١، ٢٣٥
الإمام الشافعي	٨٠، ٢٣٤
الإمام الغزالي	٤٨، ٨٠، ٣٧٥
الجنيّد البغدادي	٨٠
الرفاعي	٢٧٠
الشافعي	٤٧٥
الشاه النقشبند	٨٠
الشعراني	٤٧٦
الشيخ الكيلاني	٨٠، ٢٧٠، ٣٢٦
الغزالي	٤٧٦
الفارابي	٤٧٦
المهدي	٨٤، ٤٣٥
جبرائيل	٢٢، ٢٤٨
جلال الدين الرومي	٣١، ٤٨، ٥٠، ٤٢٣
سعيد الجديد	٤٨، ٥٣، ٥٥
سعيد القديم	٤٧، ٤٨، ٤٩، ٤١١
سفيان ابن عيينه	١٨٨، ٤٧٦
سنان	٤٧٥
سيّد	٢٧٩
شعراني	٣٢٠

## فهرس الأسماء

صفوت أفندي ١٧٧

عبد المجيد النورسي ٥٠، ٤٧، ٢٧

عزرائيل ٥٥

عيسى ٤٧٤

فرعون ٢٦٩، ١٧١، ١٧

محيي الدين بن عربي ٨٠

معمار سنان ١٦٧

موسى ٢٩٢، ٢٨١، ٢٣٤، ٤٩

نمرود ١٧٥

يوسف الكشري ٣٦٨

يوسف الكيشي ٣٦٨

## فهرس الأشعار والأمثال والحكم

آن خيالاني كه دام أولياست ٤٢٣

أجدى من تفريق العصا ٢٣٤

أحمق من هبة ١١٣

أى خدا من الله الله مى زنى ٣١١

إلهي عبدك العاصي أناك ٣١٠

إن الفنون جنون ٩١

إن المسك ما كررته يتضوع ٢٣٤

الواحد لا يصدر إلا عن الواحد ١٢٨

بعد اللتي والتي ١٨٧

تأمل شطور الكائنات فإنها ٤١٢، ٢٥٢، ٢٣٠

تنفع في غير ضرر ٢٦٢

حبلك على غاربك ٣٨٧، ٣٥١

حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ٢٤٣

حقيقة المرء ليس المرء يدر كها ٤٢٣

خدا بر كرم خود ملك ٤٤٤

خذ ما صفادع ما كدر ٤١٠

عبارتنا شتى وحسبك واحد ٢٨٢، ٢٥٢، ٢٣٠، ٤٩

كل كلام خلا عن الذكر فهو لغو ٣١٠

لا مؤثر في الكون ٤٤٠، ٤٢١

لا يحمل عطايا الملك إلا مطايا ١٧١

للسيد أن يختبر عبده ٢٥٨

ليس في الإمكان أبدع مما كان ٨٠

وعيني قد نامت بليل شبيبي ٢٣٢

وفي كل شيء له آية ٢٨٨، ٤٨

يارب زكناه زشت خود متعلم ٣١١

# فهرس عام للموضوعات

٥	تقديم العالم الفاضل محمد فتح الله كولن.....
٢٥	مقدمة المحقق.....
٣٣	المدخل لأديب إبراهيم الدباغ.....
٤٧	مقدمة المؤلف.....
٥١	تنبيه.....

## لمعات من شمس التوحيد

٥٤	تسبيح.....
٥٥	حكمة وضع الأسباب.....
٥٦	توحيد عامي وحقيقي.....
٥٦	اللمعة الأولى: أختام على الحياة.....
٥٧	اللمعة الثانية: أختام على الإحياء.....
٥٧	اللمعة الثالثة: منح الحياة.....
٥٩	اللمعة الرابعة: القلم الواحد.....
٦٠	اللمعة الخامسة: كتاب الكائنات.....
٦٠	اللمعة السادسة: أختام على كل نوع.....
٦٢	اللمعة السابعة: أختام على العالم.....
٦٣	اللمعة الثامنة: ختم الرزق.....
٦٣	اللمعة التاسعة: العناصر.....
٦٤	اللمعة العاشرة: أختام على الكل.....
٦٥	اللمعة الحادية عشرة: التوافق والتخالف.....
٦٥	اللمعة الثانية عشرة: الموت دليل السرمدية.....

- اللمعة الثالثة عشرة: دلالة الذرات..... ٦٦
- اللمعة الرابعة عشرة: دلالة الموجودات..... ٦٦

### رشحات من معرفة النبي ﷺ

- تنبيه..... ٧١
- الرشحة الأولى: شخصيته ﷺ..... ٧١
- الرشحة الثانية: دلائل صدقه..... ٧٢
- الرشحة الثالثة: دلالة ذاته..... ٧٢
- الرشحة الرابعة: رحلة إلى عصره..... ٧٣
- الرشحة الخامسة: الوجود بنوره..... ٧٣
- الرشحة السادسة: السراج المنير..... ٧٥
- الرشحة السابعة: إجراءاته..... ٧٥
- الرشحة الثامنة: خوارق أعماله..... ٧٦
- الرشحة التاسعة: الصادق الأمين..... ٧٦
- الرشحة العاشرة: عمّ يبحث؟..... ٧٧
- الرشحة الحادية عشرة: دلالاته على الحشر..... ٧٨
- الرشحة الثانية عشرة: ثمرات سعيه..... ٧٩
- الرشحة الثالثة عشرة: رحلة في العصور..... ٨٠
- شهادة الكائنات على نبوته ﷺ..... ٨١
- الرشحة الرابعة عشرة: تتضمن ست قطرات..... ٨٤
- الأولى: تعريف القرآن..... ٨٤
- الثانية: تعريف القرآن..... ٨٤
- الثالثة: تكرارات القرآن..... ٨٥
- الرابعة: سبب إيهام القرآن بعض المسائل في ست نكات..... ٨٦
- الخامسة: بلاغة القرآن المعجز..... ٩١
- السادسة: منابع علو القرآن..... ٩٢



## لاسيا

- ٩٧..... الكفر تأسيس على محالات
- ٩٨..... القدر المحسوس والقدر المعقول
- ٩٨..... من أختام الأحد الصمد
- ١٠٠..... تلازم أركان الإيمان
- ١٠١..... من وظائف النبوة
- ١٠٢..... دلالات إثبات الآخرة

## قطرة من بحر التوحيد

- ١١٦..... إفادة مرام
- ١١٧..... المقدمة: حصيلة أربعين سنة
- ١١٩..... الباب الأول: في «لا إله إلا الله»
- ١٢١..... شهادة خمسة وخمسين لسانا للتوحيد
- ١٣٥..... تنبيه حول البراهين
- ١٣٧..... أربعة أمراض: اليأس، العجب، الغرور، سوء الظن
- ١٣٨..... مشاهدة الحقائق الأربع:
- ١٣٨..... الأولى: الغفلة سبب فرعونية النفس
- ١٤٠..... الثانية: الموت حق
- ١٤٠..... الثالثة: ربي واحد
- ١٤١..... الرابعة: ماهية «أنا»
- ١٤٣..... الباب الثاني: في «سبحان الله»
- ١٤٥..... الباب الثالث: في «الحمد لله»
- ١٤٧..... الباب الرابع: في «الله أكبر»
- ١٥١..... الباب الرابع المفصل: في سبع مراتب
- ١٦٣..... خاتمة في مسائل مشهودة
- ١٦٣..... لمعة من إعجاز القرآن

- الإيمان يؤسس الأخوة ..... ١٦٥
- فعل الإيمان ..... ١٦٥
- ازدياد المرض في ازدياد الفلسفة ..... ١٦٥
- النية ..... ١٦٦
- التعلق بالأسباب سبب الذلة ..... ١٦٧
- يا خسارة الإنسان ! ..... ١٦٨
- من أعاجيب شأن الضلالة ..... ١٦٨
- أسرار «ن» نعيد ..... ١٦٨
- محبة ما سوى الله ..... ١٦٨
- نوعا الرزق ..... ١٦٨
- حكمة الاقتصاص من الأبرياء ..... ١٦٩
- ذيل القطرة
- الصلاة في أول وقتها ..... ١٧٠
- ضرورة اتباع السنة ..... ١٧٠
- عقدة النفس المغلقة ..... ١٧١
- الله أبصر بك منك ..... ١٧١
- دعاء المضطرب من أمراض ضلالة النفس ..... ١٧١
- يسر التوحيد وصعوبة الكفر ..... ١٧٢
- نسبة الأشياء إلى القدرة ..... ١٧٢
- جامعية القرآن الكريم ..... ١٧٣
- أنت ووجوه الدنيا ..... ١٧٣
- تعهد أمانتك ..... ١٧٣
- من مزلق خلط الأحكام ..... ١٧٤
- الإسلام رحمة عامة ..... ١٧٤
- النفس تريد الربوبية ..... ١٧٤

- ١٧٤..... النفس لا تريد رقبيا عليها
- ١٧٥..... تفاوت الأشياء منهج قرآني كعصا موسى
- ١٧٥..... من جهالة النفس
- ١٧٦..... لا تحمل ما لا طاقة لك به
- ١٧٦..... الشهرة عين الرياء
- ١٧٧..... تقرظ الشيخ صفوت أفندي

### حباب من عُمّان القرآن الحكيم

- ١٨١..... المصلي بصدقه الملايين
- ١٨١..... المثبت يرجح على النافي
- ١٨٢..... الجزء يستند بقوة الكل
- ١٨٢..... كل جزء واحد قياسي
- ١٨٢..... خالق الحجيرة خالق الشجرة
- ١٨٢..... الثمرات تشهد على النواة
- ١٨٣..... كيف تنظر إلى شخصيته ﷺ
- ١٨٣..... توهم الصنعة الإلهية طبيعة
- ١٨٣..... الدعاء سر التوحيد
- ١٨٣..... المظهرية والمصدرية
- ١٨٤..... عجزك يا «أنا»
- ١٨٤..... من صغر الإنسان
- ١٨٤..... أشد ظلم الإنسان
- ١٨٤..... دوائر وظائف الإنسان
- ١٨٤..... الذكر لا يخلو من الإفاضة
- ١٨٥..... لذائد الإيمان وآلام الضلالة
- ١٨٥..... فوائد عدم تعيين الآجال
- ١٨٥..... شعائر لا يناها الرياء

- ١٨٥..... سر تكرار كلمة التوحيد
- ١٨٥..... ثواب الفاتحة
- ١٨٥..... الصلاة على النبي ﷺ
- ١٨٥..... أيها العالم الديني!
- ١٨٦..... أيها المحرر والخطيب!
- ١٨٦..... سر عداء الكفار للمسلمين
- ١٨٦..... مدينة الكافرين والمؤمنين
- ١٨٧..... باب الاجتهاد مفتوح ولكن
- ١٩٠..... خلاص الروح من محالات الكفر
- ١٩٣..... مسابير جولان همة الإنسان
- ١٩٣..... النعم الآفاقية والأنفسية
- ١٩٤..... من تجليات «الأول والآخر»
- ١٩٤..... بِمَ حُفِظَ الْقُرْآنُ؟
- ١٩٤..... ﴿فَيَأَيُّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾
- ١٩٤..... علاج الوسوسة
- ١٩٥..... أيها المتفلسف!
- ١٩٥..... غلبة الفجار على الأبرار
- ١٩٦..... ما هذا الغرور!
- ١٩٦..... النتيجة والدليل
- ١٩٧..... شدة المحبة وشدة الخوف
- ١٩٧..... بذرة الكفر والإيمان
- ١٩٧..... ما يفعله الذكر في «أنا»
- ١٩٧..... أثر الحكمة والإنقان
- ١٩٨..... ما العلة الغائية للحياة؟
- ١٩٨..... لذائد الدنيا

١٩٨.....	وجها كل شيء
١٩٨.....	الوجود الظلي وبالأصالة
١٩٩.....	ضرب الأمثال في القرآن
٢٠٠.....	العرش كالقلب
٢٠٠.....	العجز معدن النداء
٢٠١.....	مناجاة تخطرت بالفارسية
٢٠٣.....	ترجمة المناجاة الفارسية
٢٠٥.....	خطاب إلى مجلس الأمة
	ذيل الحباب
٢١٠.....	إفادة مرام
٢١١.....	تحميد ومناجاة
٢١١.....	وجودك إباحة لا تمليك
٢١١.....	ما لا يحصى من الحشر
٢١٢.....	السورة الواحدة قرآن
٢١٢.....	مباينة الماهية
٢١٢.....	الجزء أنموذج الكل
٢١٢.....	يا من اطمأن إلى الدنيا!
٢١٣.....	من أسرار التوحيد
٢١٤.....	أصدق شواهد الأحدية
٢١٤.....	منشأ الرخص في المصنوع
٢١٦.....	خلق الأسباب والمسبب
٢١٦.....	آمنُ تؤمن
٢١٦.....	العصبية الجاهلية
٢١٦.....	خطر المناظرة الحياضية
٢١٦.....	الشيء لا يعمل لنفسه

- ٢١٧..... اطلب من كل ما يليق به .....
- ٢١٧..... كيف تنظر؟ .....
- ٢١٧..... غايات الحياة .....
- ٢١٨..... ما يميز الإنسان عن غيره .....
- ٢١٩..... الألزم بعد علوم الإيمان .....

### حبة من ثمرات جنان القرآن

- ٢٢٢..... إفادة مرام .....
- ٢٢٣..... نور محمد ﷺ .....
- ٢٢٣..... الإنسان ثمرة شجرة الخلقة .....
- ٢٢٤..... مفتاح العالم في نفس الشخص .....
- ٢٢٥..... مجادلة مع طاغوتين .....
- ٢٢٥..... أمور تعامى عنها «أنا» .....
- ٢٢٧..... الإنسان والقدر .....
- ٢٢٧..... القلب مرآة الصمد .....
- ٢٢٧..... القرآن مائدة سماوية .....
- ٢٢٨..... مغلفة يخجل منها الشيطان .....
- ٢٢٨..... قلم القدر .....
- ٢٢٨..... صانع الشيء ليس في الشيء .....
- ٢٢٩..... العقل يغرق في قطرة .....
- ٢٢٩..... الحمد عين اللذة .....
- ٢٢٩..... كيف تتصفى المعلومات؟ .....
- ٢٢٩..... من مساوي المدنية .....
- ٢٢٩..... الذرة لا تسع ذرتين بالذات .....
- ٢٣١..... سرُّ يفتح مغلفات أسرار .....
- ٢٣١..... متى نحمد ومتى نسبح؟ .....

٢٣١	لا بد أن ترك الدنيا .....
٢٣٢	أيها المتبهبهون النائمون! .....
٢٣٢	في ماهية المعصية بذر الكفر .....
٢٣٣	من لمعات معجزات القرآن .....
٢٣٤	التباس أحكام اللطائف والحواس .....
٢٣٥	الأصل في الأشياء البقاء .....
٢٣٥	أحباؤك خلف باب القبر .....
٢٣٦	شوق القلب إلى التسبيح والتحميد .....
٢٣٧	بسيئاتك لا تضر إلا نفسك .....
٢٣٧	حسبي الله ونعم الوكيل .....
٢٣٨	انتبه قبل سكرات الموت .....
٢٣٨	المعلوم المجهول .....
٢٣٩	تضمّن الأسماء الحسنى للكل .....
٢٣٩	تضرّع .....

### ذيل الحبة

٢٤٢	تحميد .....
٢٤٢	لكل منزل شرائط تخصّه .....
٢٤٢	لو كشف غطاء الغفلة .....
٢٤٢	شمولية القرآن وموازينه .....
٢٤٤	توصيف السماء بالدنيا .....
٢٤٤	أنت قلادة النعم .....
٢٤٤	أعط كل ذي حق حقه .....
٢٤٤	لا خير فيما لا يبقى .....
٢٤٥	ما في المرأة ليس عينا ولا غيرا .....

- لا نزاحم بين العوالم المختلفة ..... ٢٤٥
- ضرورة النبوة ..... ٢٤٥
- اتفاق الخواسب على الحق ..... ٢٤٦
- عوالم الغيب في أرضنا ..... ٢٤٦
- الجزء والكل في النور سواء ..... ٢٤٦
- القدر والعلم المحيط ..... ٢٤٧
- الحاجة إلى شمس النبوة ..... ٢٤٧
- ثمرات وجود الحي ..... ٢٤٧
- فرد الإنسان كنوع غيره ..... ٢٤٧
- أدب الاستماع إلى القرآن ..... ٢٤٨
- علم الإنسان وعلمه تعالى ..... ٢٤٨
- زوايا الرؤية إلى المخلوقات ..... ٢٤٨
- لا حول ولا قوة إلا بالله ..... ٢٤٩
- ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ..... ٢٥٠
- لكل قرآن يخصه ويربيه ..... ٢٥٠
- ذيل الذيل
- تحميد ..... ٢٥٢
- أنت عجز متجسد ..... ٢٥٢
- خلاصة رسالة «الطبيعة» ..... ٢٥٣
- شأن اللطيف المادي ..... ٢٥٦
- التفكر يذيب الغفلة ..... ٢٥٦
- حقائق عن الرزق ..... ٢٥٧



٢٥٧.....	ما أجهل الغافل!
٢٥٧.....	مغلطة شيطانية
٢٥٨.....	العبودية تستلزم التسليم
٢٥٨.....	تداخل الاسم «الباطن والظاهر»

## زهرة من رياض القرآن الحكيم

٢٦١.....	تحميد
٢٦٢.....	الاقتران ليس عليّة
٢٦٢.....	يا مَنْ يستمد من الأسباب!
٢٦٣.....	يا باقي أنت الباقي
٢٦٣.....	انتبه قبل أن تغرق
٢٦٤.....	دنياك قبر
٢٦٤.....	من تجليات «الحفيظ»
٢٦٥.....	أطع سلطان لطائفك
٢٦٦.....	إنك ودنياك في زوال
٢٦٦.....	يعاد الإنسان بعينه وجسمه
٢٦٦.....	فذلكات في أواخر الآيات
٢٦٧.....	زوايا النظر إلى النعمة
٢٦٧.....	خطاب إلى أوروبا
٢٧١.....	يا من يستكثر الكفار
٢٧٢.....	ما يحتاج إليه المسلمون
٢٧٣.....	أجرة العمل في العمل نفسه
٢٧٥.....	يا من يدعو المسلمين إلى الدنيا
٢٧٥.....	ألا يعلم من خلق
٢٧٦.....	فاطرك أرحم بك من كل قريب
٢٧٧.....	كتاب القدرة والعلم

- خالق النوع خالق الكل ..... ٢٧٨
- النبوة فذللكة الكمال والخير ..... ٢٧٨
- براهين نور معرفة الله ..... ٢٧٩
- من رحمة القرآن ..... ٢٧٩
- تضرع ..... ٢٨٠

### ذيل الزهرة

- صغار المخلوقات أوسع ميادين القدرة ..... ٢٨١
- يا من يتوهم الإسراف والعبثية! ..... ٢٨٣
- بمقدار توسع تصرف القدرة تتقوى العناية ..... ٢٨٤
- كمال النعمة في كمال الحكمة ..... ٢٨٥
- اختلاط الأشياء لا يتنافى النظام ..... ٢٨٥
- الحجة القاطعة على خاتمية الرسالة الأحمدية ..... ٢٨٦
- بكاء فيها يشبه الشعر ..... ٢٨٧
- يا من يتوهم السعادة في الغفلة! ..... ٢٨٩
- العبودية ضد الربوبية والمالكية ..... ٢٩٠
- لا مبالغة فيها ورد في فضائل الأعمال ..... ٢٩١

### ذرة من شعاع هداية القرآن

- إفادة مرام ..... ٢٩٤
- نداء القرآن ..... ٢٩٥
- الأبواب إلى الله بعدد الموجودات ..... ٢٩٥
- الباطن أكمل من الظاهر ..... ٢٩٥
- سر التوافق ونفي المصادفة ..... ٢٩٥
- المطلق والمقيد في المصنوع ..... ٢٩٦
- أنت مجسم الحكمة ..... ٢٩٧
- لا تتوهم نفسك خارجة ..... ٢٩٧

٢٩٨.....	خالقك خالق العالم
٢٩٨.....	اصرف عمرك للباقى
٢٩٨.....	منبع الأوهام
٢٩٨.....	النفس نعمة
٢٩٩.....	الله خالق كل شيء
٢٩٩.....	لا يكون الموجد غير موجود
٢٩٩.....	النفس تطلب البقاء
٣٠٠.....	لا تشرك بالله
٣٠٠.....	بمّ ضلت الفلاسفة؟
٣٠٠.....	ما يترتب على الشرك الخفى
٣٠٠.....	انسل من الظلمة
٣٠٠.....	«أنا» مفتاح لتنوير الصفات
٣٠١.....	دستور الإخلاص
٣٠١.....	الواجب لا يشبه الممكن
٣٠١.....	الإنسان مخلوق للعبودية

### القطعة الثانية «من ذرة»

٣٠٢.....	التصرفات فى الجزء والكل
٣٠٣.....	التصرف المطلق دليل الوحدانية
٣٠٣.....	دلالة اتفاق الصنعة
٣٠٣.....	الهوية الظلية والماهية الأصلية
٣٠٣.....	والله من ورائهم محيط
٣٠٤.....	كل شىء مختار مختب
٣٠٤.....	شمول الإنعام لا ينافى القصد
٣٠٤.....	الكتاب المشهود والمقروء
٣٠٥.....	سبحان من يرزق

- ٣٠٥..... تصوّر العالم وقت الصلاة
- ٣٠٥..... اترك الدنيا وأنت كريم
- ٣٠٥..... تعذر الإخلاص مع المدنية
- ٣٠٦..... جمع الضعفاء قوي
- ٣٠٦..... انفتاح الجنة
- ٣٠٦..... أظهر براهين النبوة الأحمدية

### القطعة الثالثة من «ذرة»

- ٣٠٧..... ضرورة الإنسان في الكون
- ٣٠٧..... من كمال السعادة
- ٣٠٨..... دلالة التوافق والتخالف
- ٣٠٨..... أظلم الخلق الإنسان
- ٣٠٨..... عبود الشريعة الفطرية
- ٣٠٨..... القدرة المطلقة
- ٣٠٨..... تجلي الأسماء
- ٣٠٩..... بم تتصفى الحياة؟
- ٣٠٩..... الرابط الأمين
- ٣١٠..... خاتمة: لله درُّ العلة
- ٣١٠..... استغفار
- ٣١٢..... تقرّظ السيد محمد شفيق الأرواسي

### شمة من نسيم هداية القرآن

- ٣١٤..... إفادة مرام
- ٣١٦..... العالم بأجزائه يشهد بالتوحيد
- ٣١٦..... لا حق لأحد في التشكي
- ٣١٧..... خالق الجزء خالق الكل
- ٣١٧..... الوجود ينجرّ إلى البقاء

٣١٧.....	لا يهمل الحفيظ البشر
٣١٧.....	جريان قانون البقاء
٣١٨.....	بعدك لا يستلزم بُعدَه
٣١٨.....	عظمته تستلزم الإحاطة
٣١٨.....	تأنيس القرآن أفهام العوام
٣١٩.....	تنزه الآيات عن الشعر
٣١٩.....	مرايا وحدة الخالق
٣١٩.....	كلمات الموجودات
٣١٩.....	رب الواحد رب الكل
٣٢٠.....	فسق الخيال
٣٢٠.....	ظن المألوف معلوما
٣٢٠.....	القرآن يمزق حجاب الألفة
٣٢٠.....	لا شئ يحجبك عن العناية
٣٢٠.....	بسط الزمان وطيه
٣٢١.....	قيوم النتيجة: الإيمان
٣٢١.....	موازيب الرحمة

#### القطعة الثانية من «شمة»

٣٢٢.....	ما أرق الحجاب!
٣٢٣.....	مفتاح العالم
٣٢٥.....	حياة الحسنات وموتها
٣٢٥.....	الحقيقة المحمدية
٣٢٦.....	دعاء الشيخ الكيلاني

#### القطعة الثالثة من «شمة»

٣٣٠.....	تسبيح
٣٣١.....	﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾

- ﴿وَلَا رَظِيٍّ وَلَا يَاسِيٍّ﴾ ..... ٣٣٢
- حقيقة الدنيا في القرآن والفلسفة ..... ٣٣٣
- مميّز الإنسان عن الحيوان ..... ٣٣٤
- الله عطايا وقضايا ومقدرات ..... ٣٣٤
- تخميم الآيات بفذلكات ..... ٣٣٤
- أقصر الطرق إلى الله ..... ٣٣٥
- أيها الإنسان أخذت أجرتك! ..... ٣٣٦
- عدم تناهي تجلياته سبحانه ..... ٣٣٧
- سهولة الخلق دليل العلم المطلق ..... ٣٣٧
- المحاط كالمحيط صنعٌ واحد ..... ٣٣٧
- مراتب الأسماء الحسنى ..... ٣٣٨
- جامعية فطرة الإنسان ..... ٣٣٩
- دلالة الواحدية والأحادية ..... ٣٤٠
- تجليات الجلال والجمال ..... ٣٤٠
- أشنع من السوفسطائي ..... ٣٤٠
- البذر سور معنوي ..... ٣٤٠
- سر الانتظام في عدم الانتظام ..... ٣٤٠
- من مزايا فطرة الإنسان ..... ٣٤١
- بين التوحيد العامي والحقيقي ..... ٣٤١
- حكمة إمهال الكافر ..... ٣٤١
- الطريق من الظاهر إلى الحقيقة ..... ٣٤٢
- دليل الموت والحياة ..... ٣٤٢
- من وظائف حياة الإنسان ..... ٣٤٢
- عمّ يبحث القرآن والرسول ﷺ ..... ٣٤٢
- لا تشئت جنود صبرك ..... ٣٤٣

٣٤٤	الدنيا وجناح البعوضة
٣٤٤	التعاون دستور الحياة
٣٤٤	السهولة المطلقة برهان التوحيد
٣٤٤	قد تشناق النفس إلى الآخرة
٣٤٥	الدنيا قطرة سراب
٣٤٦	ما الذي يجب عن الله؟
٣٤٦	أعظم مسائل الإنسان
٣٤٦	المعنى الاسمي والحرفي
٣٤٧	الدنيا فهرس لجسمانية الآخرة
٣٤٧	الخوف والمحبة
٣٤٧	الإنسان ثمرة لشجرة الخلقة
٣٤٨	«كنتُ سمعه الذي يسمع به»
٣٤٨	شوق الإنسان إلى مستقبله
٣٤٩	لا إسراف ولا عبث
٣٤٩	من أسباب المجهولية
٣٥٠	التوفيق بين الحكمة والوجود
٣٥٠	الطريق الأقرب في نفسك
٣٥٠	نبات الاستعدادات
٣٥١	ذكر القرآن لبعض الغايات
٣٥١	خلق المختلفات من شئ
٣٥١	﴿أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ﴾
٣٥٢	فهم الإنسان لصفات فطره
٣٥٢	عظمة إحاطة الإسلام
٣٥٢	﴿فَلَا تَعْرِضْكُمْ لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾
٣٥٢	جواب تلامذة القرآن للفلسفة

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ..... ٣٥٦
- ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ ..... ٣٥٨
- ﴿إِنَّ الْآثِرَ لَنَرَىٰ عَمِيرٍ﴾ ..... ٣٥٨
- ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ ..... ٣٦٠
- ﴿وَأَزَلَفَتِ الْحَنَّةُ﴾ ..... ٣٦١
- لا حق لك في الفخر ..... ٣٦٣
- التزم وظيفتك ..... ٣٦٤
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ ..... ٣٦٦
- انقلابات وجسور ..... ٣٦٦
- حكمة تكرار ﴿وَالْيَتِيهِ الْمَصِيرُ﴾ ..... ٣٦٧
- الاحتجاج بالقدر ..... ٣٦٧
- التواضع والتحدث بالنعمة ..... ٣٦٨
- بم يظهر عدم الإخلاص ؟ ..... ٣٦٨
- الكرامة والاستدراج ..... ٣٦٩
- ﴿وَلَنْ يَمُنَ شَيْءٌ إِلَّا بِسُحْبِ مَجْدِهِ﴾ ..... ٣٦٩
- الميزان والنظام والانتظام ..... ٣٧٠
- أكل ثمرات الآخرة في الدنيا ..... ٣٧٠
- طريق الصحابة ..... ٣٧٠
- قيمة المؤمن والكافر ..... ٣٧١
- حق عليك أن تشكره ..... ٣٧١
- دعاء ..... ٣٧١
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ ..... ٣٧٢
- دعاء ..... ٣٧٦



## شعلة من أنوار القرآن

- ٣٧٩..... تحميد وتسبيح
- ٣٨٠..... قطرات من تسبيح له السموات السبع
- ٣٨٤..... وجودك له وجهان
- ٣٨٤..... قيمة المادة والصنعة
- ٣٨٥..... التنظيم والتوزيع
- ٣٨٦..... نفي المصادفة
- ٣٨٦..... فوائد النظر إلى المخلوقات
- ٣٨٦..... منشأ أوهامك
- ٣٩٠..... ففروا إلى الله
- ٣٩١..... المجهولية واللاتناهيّة
- ٣٩٢..... إذا تهاجمت عليك الأوهام
- ٣٩٢..... معنى ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾
- ٣٩٣..... لفظ الجلالة «الله»
- ٣٩٣..... أسرار وضع الأسباب
- ٣٩٤..... بُعد الممكن عن الإيجاد
- ٣٩٤..... أقسام الدعاء الثلاثة
- ٣٩٤..... التربية والتدبير
- ٣٩٥..... النظر الحرفي والاسمي
- ٣٩٦..... عفوّه فضل وعذابه عدل
- ٣٩٦..... النسيان
- ٣٩٧..... سرّ تسانّد المؤمنين
- ٤٩٨..... الرؤية من بعيد وقريب
- ٣٩٨..... اعظم كفران النعم
- ٣٩٨..... وأحصى كل شيء عدداً

٣٩٩.....	اللذة العاجلة.....
٣٩٩.....	حسبي الله.....
٣٩٩.....	سهولة التوحيد.....
٤٠٠.....	الضرر والنفع منه سبحانه.....
٤٠٠.....	قابلية روح الإنسان.....
٤٠٠.....	النظر إلى الغير يقلب الحقائق.....
٤٠٠.....	من أسرار التكرار في القرآن.....
٤٠٠.....	من مزيات علو القرآن.....
٤٠١.....	همة الأولياء.....
٤٠١.....	وهو أهون عليه.....
٤٠٢.....	الشكر والمنة له وحده.....
٤٠٢.....	التراب قلب الأرض.....
٤٠٣.....	مشهودات ذوقية بيد العقل.....
٤٠٤.....	تسبيح ودعاء.....

### ذيل الشعلة

٤٠٥.....	كل شيء بقدر.....
٤٠٥.....	الله أقرب إليك منك.....
٤٠٥.....	لا تصادف.....
٤٠٦.....	الشرك محال.....
٤٠٧.....	انه خلق الخلق ليعرف.....
٤٠٧.....	كفاك بقاء أنك مشهوده.....

### نقطة من نور معرفة الله جل جلاله

٤١٠.....	إيضاح.....
٤١١.....	براهين التوحيد.....
٤١١.....	الأول: حقيقة محمد ﷺ.....

٤١٢.....	الثاني: كتاب الكون
٤١٢.....	س: لماذا لا يرى الجميع بعقولهم الخالق؟
٤١٤.....	س: ما الطبيعة والقوانين والقوى؟
٤١٦.....	س: بم يثبت النظام والتناسق؟
٤١٦.....	الثالث: القرآن الكريم
٤١٧.....	أصول العروج إلى المعرفة الإلهية
٤١٧.....	دليل العناية والغاية
٤١٨.....	دليل الاختراع
٤١٩.....	الرابع: وجدان الإنسان وفطرته
٤٢١.....	س: ما ترى في وحدة الوجود؟

### نور من أنوار نجوم القرآن

٤٢٧.....	كل شيء شاهد ودليل على الكل
٤٢٧.....	محالات الكفر والكفران
٤٣٠.....	الإيمان إكسير
٤٣١.....	آلات الوزن وموازين الفهم في الآفاق
٤٣١.....	الحقائق التي لا مفر منها
٤٣٢.....	نهاية الامتياز في غاية الاختلاط
٤٣٣.....	مزايا النبات على الحيوان
٤٣٣.....	﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾
٤٣٤.....	اختلاف الروايات في مسألة المهدي
٤٣٥.....	المرتد محروم من الحياتين
٤٣٥.....	كتاب الكون يفسر القرآن
٤٣٦.....	الظفر بسلامة جميع المحبوبات
٤٣٧.....	خلق الخير والشر
٤٣٧.....	سبحان من ظهر في كل شيء لطفه

- ٤٣٨..... إنه لا يُسأل عما يفعل
- ٤٣٩..... سر تخالف أحكام الأولياء في مشهوداتهم
- ٤٤٢..... الإنسان واحد قياسي بخمس وجوه
- ٤٤٣..... ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾
- ٤٤٤..... إنه سبحانه قريب وأنت بعيد
- ٤٤٤..... إن الله أقرب إلينا منا ونحن بعيدون
- ٤٤٥..... الفرق بين حكمة القرآن وحكمة الفلسفة
- ٤٤٥..... ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
- ٤٤٦..... ختم الآيات بالأسماء الحسنى
- ٤٤٩..... وجه تفوق القرآن على سائر الكلمات الإلهية
- ٤٥١..... كل شيء يقول: بسم الله
- ٤٥٢..... الفرق بين طريق التوحيد وطريق الإلحاد
- ٤٥٤..... قافية ذكر في جذبة فكر
- ٤٦٢..... أنواع عبادات المخلوقات
- ٤٦٥..... تتممة بحث العندليب
- ٤٦٥..... الفرق بين إرسال الحيوان والإنسان إلى الدنيا أنه يخلق الذرة كما يخلق الشمس
- ٤٦٦..... طوبى لمن نور حركاته بالأداب الشرعية
- ٤٦٧..... من وظائف الملائكة
- ٤٧٤..... نبذة عن بعض الأعلام
- ٤٧٩..... الفهارس